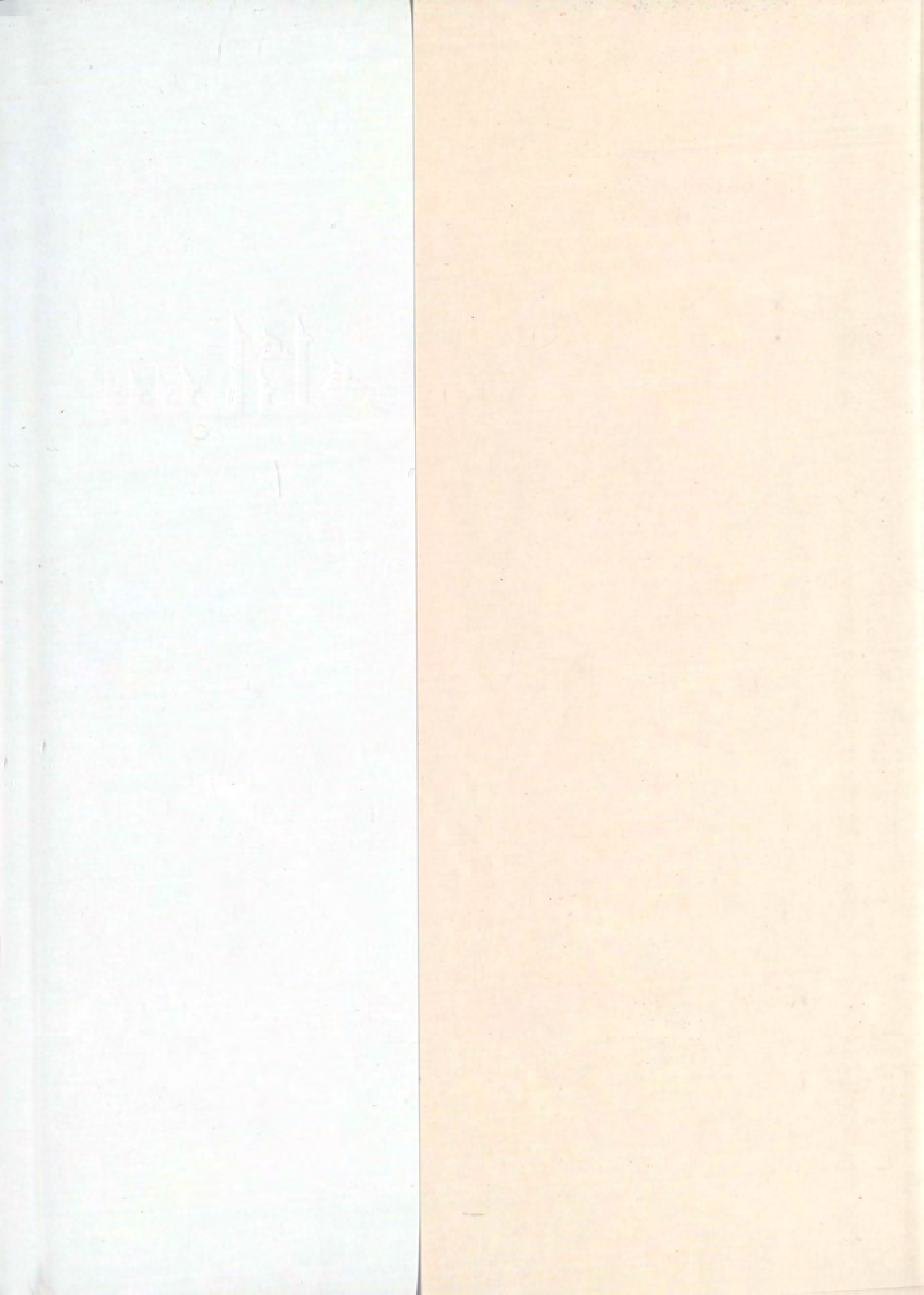
سبائك العسجد



سبائك العسجد

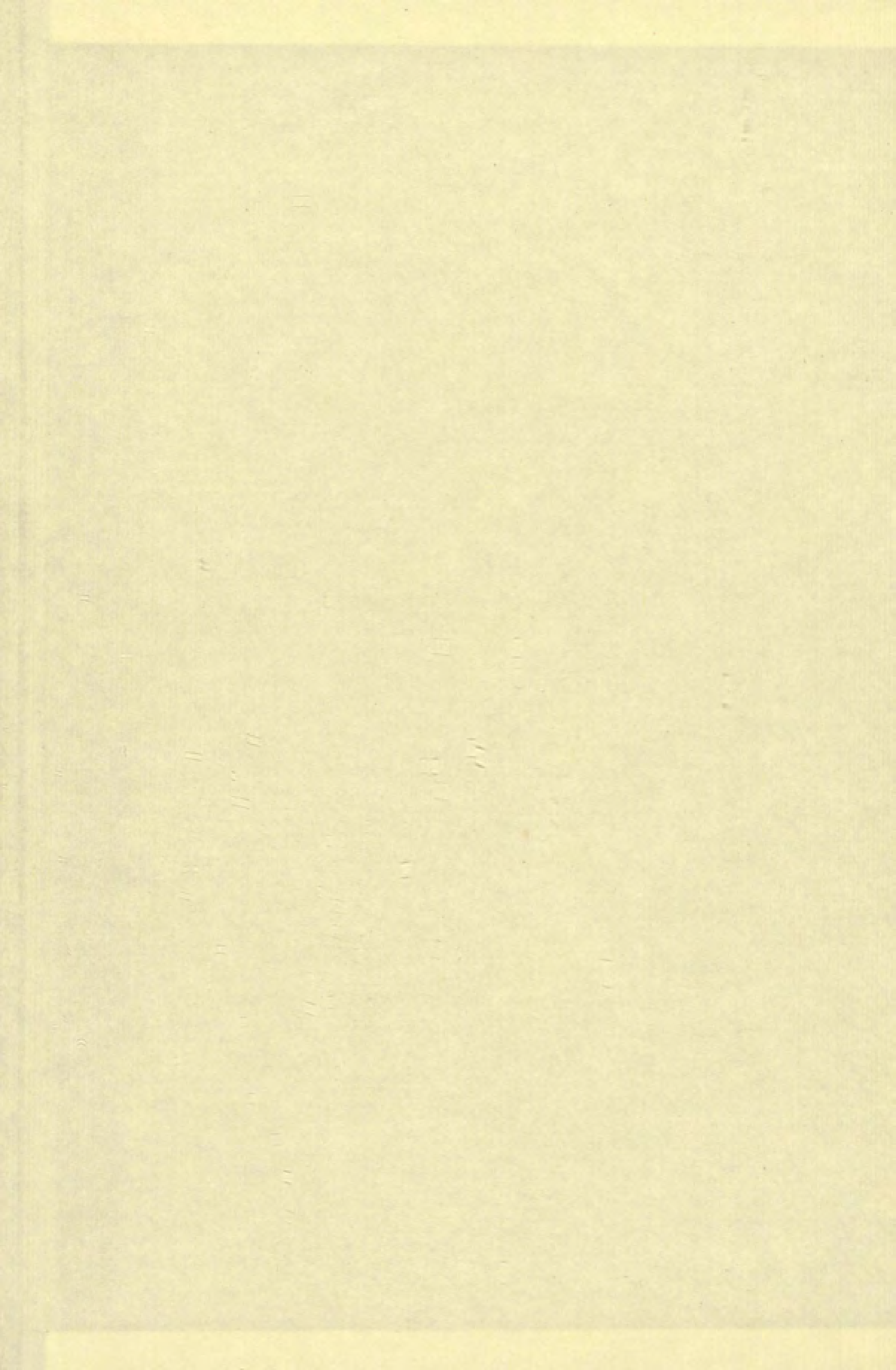
في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد

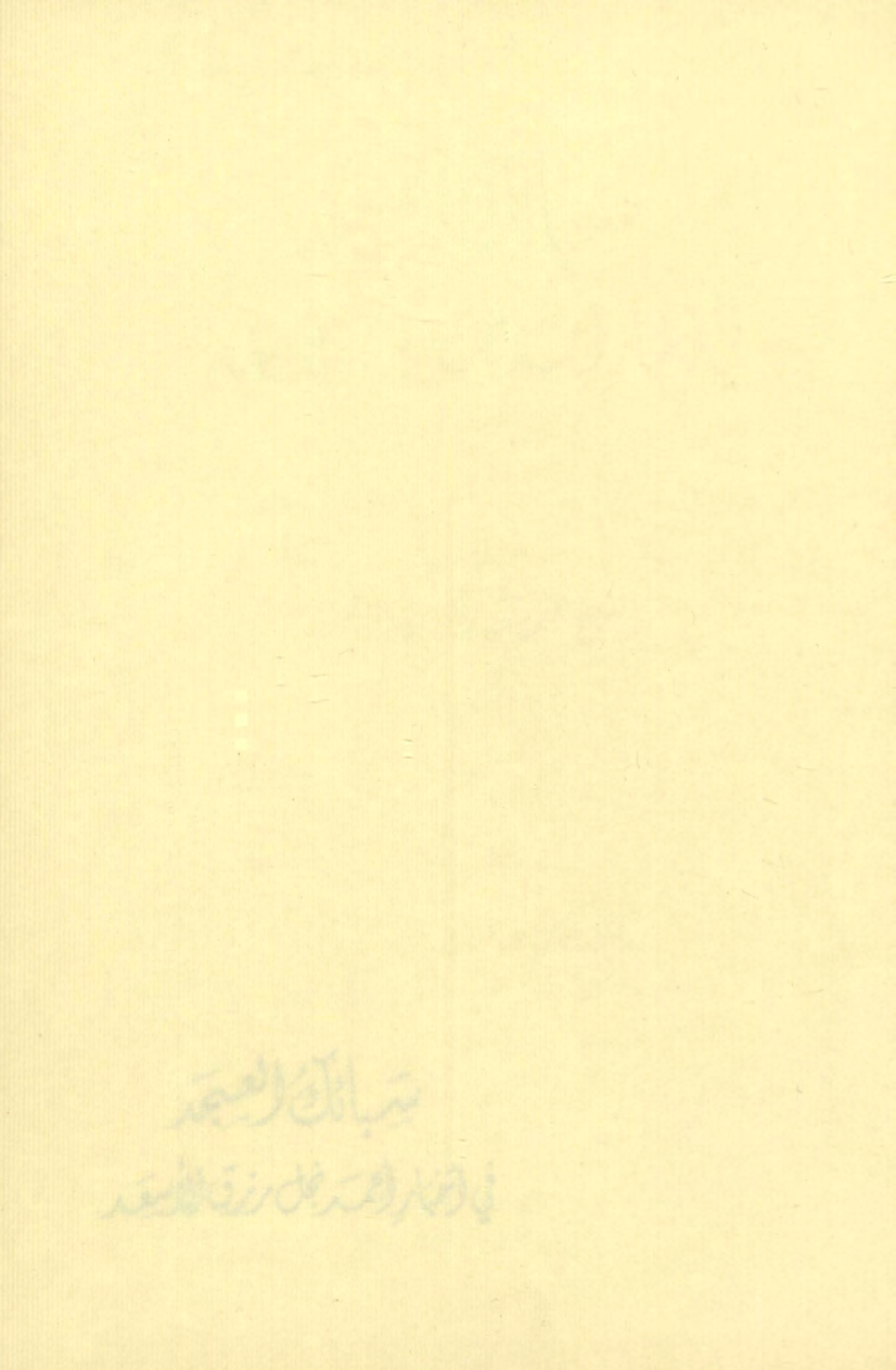
تأليف

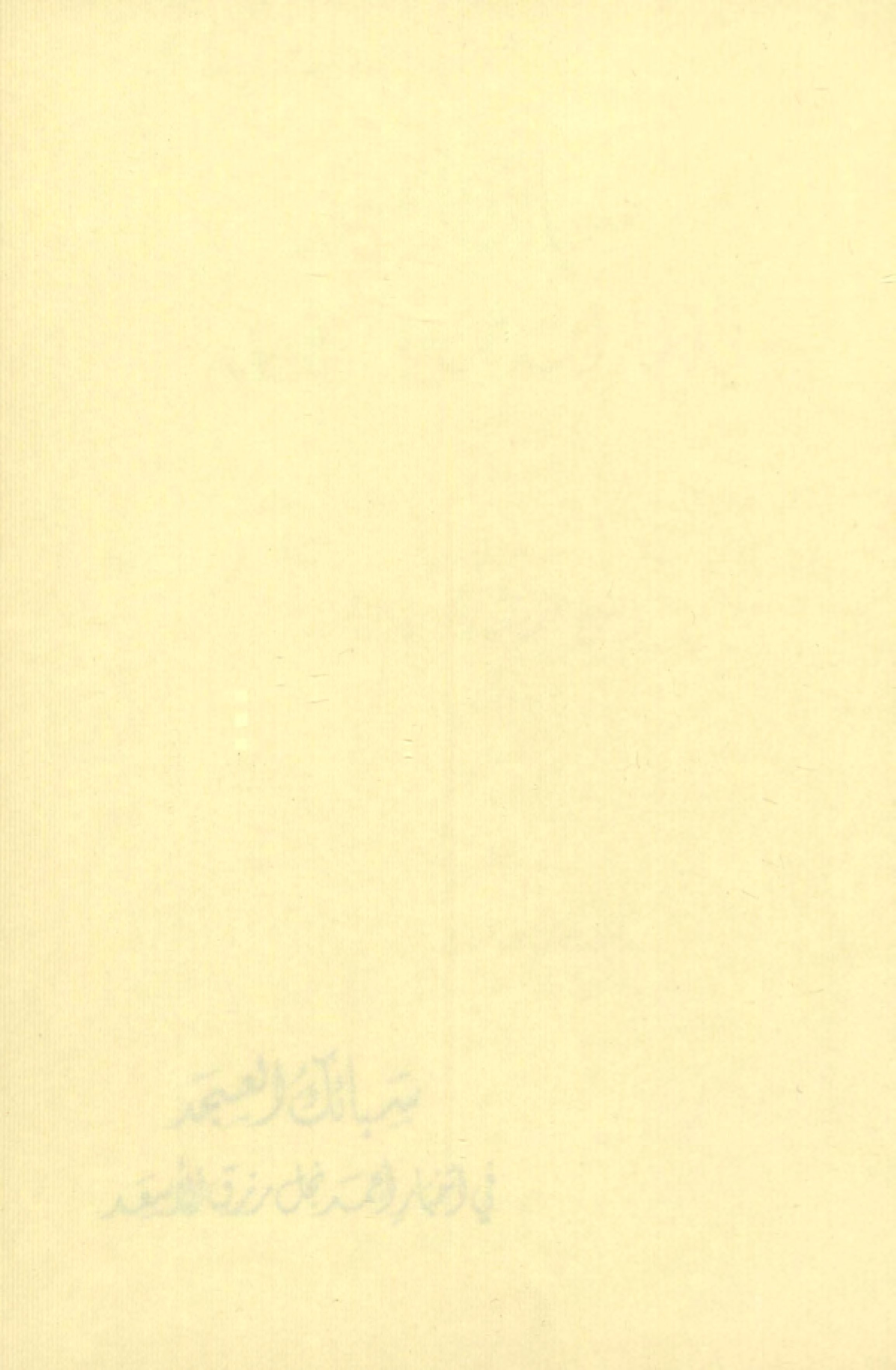
الشيخ عثمان بن سند البصري

تحقيق

دكتور حسن بن محمد بن علي آل ثاني

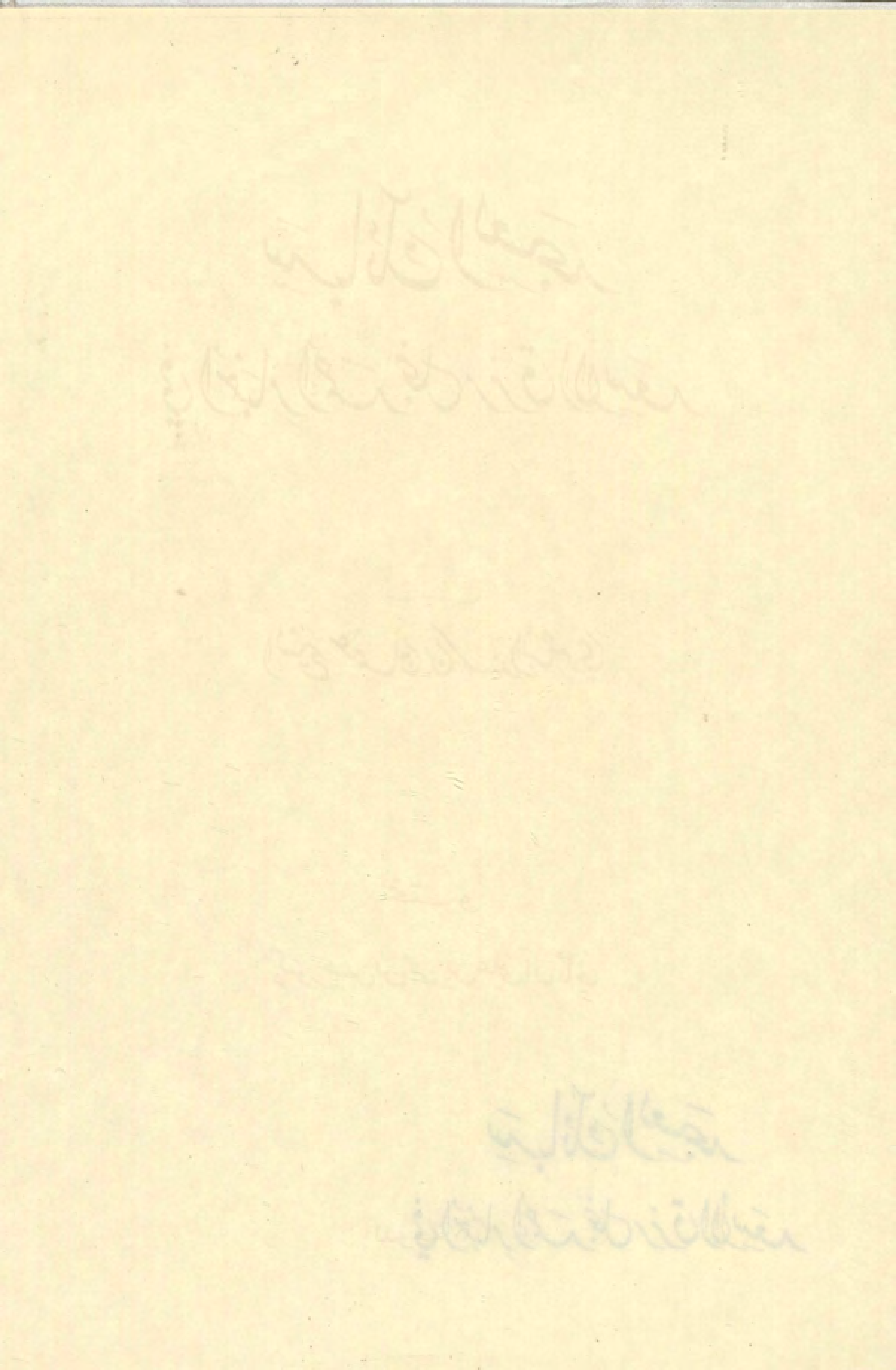






سبائك العسجد

في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد



سبائك العسجد
في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد

تأليف

الشيخ عثمان بن سند البصري

تحقيق

دكتور حسن بن محمد بن علي آل ثاني

الدوحة ٢٠٠٧

مركز حسن بن محمد بن علي آل ثاني للدراسات التاريخية

الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

مركز قطر الفني

ص.ب: ٦٩٠ - الدوحة - قطر هاتف ٤٨٧٧٤٧٧ (٠٩٧٤) فاكس ٤٨٨٠٩٩٣ (٠٩٧٤)

qatarartcenter@qatar.net

تقديـم:

عندما شرعت في كتابة بحث عن تاريخ مدينة «الزبارة»، وبدأت في جمع المصادر والمراجع، كان هذا الكتاب من أقدم المصادر التي يمكن أن أعتمد عليها، لا سيما وأن العديد من المراجع التي تناولت تاريخ المنطقة، استندت إلى بعض النصوص والإحالات المأخوذة عنه فيما يخص تاريخ تعمير الزبارة، وتاريخ العتوب، وتراجم الشخصيات التي عاشت فيها .

وعلى الرغم من طبيعة هذا الكتاب الذي كُتب بأسلوب عصر لم يعد مألوفاً لدينا لغةً وأسلوباً، لاعتماده على السجع والاسترسال والتشبيه، والمبالغة في الوصف، واستخدام غريب العبارات إلى درجة قد ترهق القارئ وتصرفه عن مواصلة قراءته، إلا أنني تذرعت بجلد الباحثين، ومضيت معه قارئاً ومتفحصاً وباحثاً، وفي جميع الأحوال كانت غايتي استخلاص العبارات التي لها صلة بتاريخ الزبارة على وجه التحديد، ولقد عانيت في ذلك أيما معاناة، ولا أكتم خيبة أملي فيه كباحث تاريخي، فقد أصابني باحباط حين خرجت منه بذلك النزر القليل من الحقائق التاريخية، بينما سيجد المهتمون بمجالات الأدب واللغة نفعاً كبيراً كنموذج لأسلوب ذلك العصر، ولاشتماله على تراجم علماء ذلك الزمان .

وبما أن هذا الكتاب الذي مضى على طباعته أكثر من مائة عام يُعد من الكتب النادرة؛ فقد كان يراجعني العديد من المؤرخين والباحثين الذين كانوا ولايزالون يطلبون استنساخه، ولكون النسخة التي بحوزتي غدت لا تتحمل استخدامها للقراءة أو الدراسة، فرغبت في إعادة نشر الكتاب، ليكون متاحاً

ويشكل أوسع لعموم القُرّاء والباحثين، كان الهاجس يدفعني للحصول على صورة من المخطوط، لمقابلة النص المطبوع بالمخطوط واستكمال أسس وقواعد التحقيق، ولقد وفقنا الله وحصلت على نسخة من المخطوط مما جعلني أقارن بين المخطوط والمطبوع.

ولقد قدمت له بدراسة تضمنت ترجمة للمؤلف، الشيخ عثمان بن سند، والمترجم له الشيخ أحمد بن رزق، متتبعاً السياق التاريخي كما جاء في متن الكتاب، وعلى وجه الخصوص ما يتصل بتاريخ الزبارة والعتوب، مشيراً بشكل أساسي إلى نصوص الكتاب فهو الأكثر شهرة من المخطوط، وما يساند هذه النصوص في المصادر الأخرى التي كتبت في زمنه ككتاب لمع الشهاب، وتاريخ نجد لابن غنام، وديوان السيد عبد الجليل «روض الخل والخليل» وهم من المعاصرين له، أو المراجع التالية للمؤرخين، كابن بشر والقاضي أحمد نور الأنصاري وإبراهيم بن عيسى، والفاخري، وغيرهم ممن تناولوا من قريب أو بعيد تاريخ تلك الفترة، إضافة إلى تقارير المقيمين البريطانيين أمثال فرنسيس واردن في مختارات بمباي، فضلاً على النظر في مؤلفه التاريخي: مطالع السُعود بطيب أخبار الوالي داود، والذي كتبه في فترة قريبة من كتابه سبائك العسجد.

ويبقى أن أشير إلى قصة حصولي على النسخة المطبوعة التي اعتمدت عليها، فعند اشتغالي بالتاريخ كباحث في الديوان الأميري، كان عليّ أن أتفحص المراجع والكتب التي توجد في مكتبة قسم الوثائق بالديوان، وكانت فرحتي كبيرة عندما وجدت على صفحة العنوان إهداء إلى جدي المغفور له الشيخ علي بن عبدالله، الذي كان محباً للعلم والأدب ومشجعاً لنشر كتب

التراث، فآثرت أن أحتفظ به في مكتبة مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، عرفاناً له، وأظنني بذلك أكون قد قدمت للمكتبة العربية مرجعاً هاماً لمرحلة مهمة من تاريخ قطر والمنطقة، آملاً أن يستفيد منه كل باحث محبٍّ لتاريخ شرقي الجزيرة العربية.

ويبقى أن أشكر كلاً من الأستاذ محمد همام فكري الذي بذل جهداً كبيراً في هذا العمل، وتابع جمع الكتاب وطباعته، وكذلك الأستاذ أحمد عبدالسلام الذي ضبط النص .

ولله الشكر من قبل ومن بعد...

د. حسن بن محمد بن علي آل ثاني

[illegible]
[illegible]
[illegible]
المخطوط والمطبوع [illegible].

[illegible]
[illegible]
الكتاب، وعلى وجه الخصوص ما يتصل بتاريخ الزبارة والعتوب، [illegible]
أساسي إلى نصوص الكتاب فهو الأكثر شهرة من المخطوط، وما يساند هذه
النصوص من المصادر الأخرى التي [illegible] الكتاب، وتاريخ
[illegible] الخليج، وهم من
المعاصرين له، أو المراجع التالية للمؤرخين، كابن بشر، والقاضي أحمد نور
الأنصاري وإبراهيم بن عيسى، والنبهاني، وغيرهم ممن تناولوا من قريب أو بعيد
تاريخ تلك الفترة، إضافة إلى تقارير المقيمين البريطانيين أمثال فرنسيس واردن
في مختارات بومباي، فضلاً على النظر في مؤلفه التاريخي: مطالع السعود
بطيب أخبار الوالي داود، والذي كتبه في فترة قريبة من كتابه سبائك العسجد.

ويبقى أن أشير إلى قصة حصولي على النسخة المطبوعة التي اعتمدت عليها، فعند اشتغالي بالتاريخ كباحث في الديوان الأميري، كان عليَّ أن أتفحص المراجع والكتب التي توجد في مكتبة قسم الوثائق بالديوان، وكانت فرحتي كبيرة عندما وجدت على صفحة العنوان إهداء إلى حضرة المغفور له الشيخ علي بن عبدالله، الذي كان محبًا للعلم والأدب ومشجعًا لنشر كتب

ترجمة الشيخ عثمان بن سند

(١١٨٠- ١٢٤٢هـ/١٧٦٦-١٨٢٦م)

الشيخ عثمان بن سند

(١١٨٠- ١٢٤٢هـ/١٧٦٦-١٨٢٦م)

نسبــه:

هو الشيخ بدر الدين عثمان بن سند بن محمد بن أحمد بن راشد بن حمد بن ناصر بن راشد الرباعي العنزي الوائلي[١]، كما أورد الشيخان محمد وعبدالله ابنا عبدالرحمن السند نسبه كما يلي:

هو عثمان بن سند بن محمد بن أحمد بن راشد من آل بو رباع من الحسني من بني وائل، ويلتقي بالشيخين محمد وعبدالله في الجد الثاني سليمان بن سند[٢]، فقد برز من هذه العائلة علمان شامخان هما الشيخ عثمان بن سند والشيخ محمد بن سند[٣].

فهو نَجْدي الأصل وائلي نسبة إلى وائل بن قاسط بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[٤]. بصري المسكن[٥]، وفي مطالع السعود مقامة لابن سند يصرح فيها أنه من وائل:

---

(١) الأعلام، ج٤، ص ٣٦٧، كما جاء ابن بسام بنسبه كالتالي: عثمان بن محمد بن أحمد بن راشد بن سند بن راشد بن حمد بن ناصر بن راشد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن مدلج بن حمد بن رباع آل أبو رباع، الذين هم من آل حسني ثم من آل بشر ثم من قبيلة عنزة القبيلة الوائلية الربعية العدنانية. انظر: عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح آل بسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٢، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، (١٤٣/٥).

(٢) انظر: عبدالرزاق عبد المحسن الصانع وعبدالعزيز العلي: كتاب إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩-١٣٤٢هـ، ط١، ١٩٨٨، الكويت، (٨٣/٣).

(٣) هو محمد بن عبدالرحمن بن علي بن سليمان بن سند، ولد في الزبير، انظر ترجمته في: إمارة الزبير، (١٥٤/٣).

(٤) انظر: مقدمة أمين بن حسن الحلواني المدني في مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند المسمى بمطالع السعود بطيب الوالي داؤد، ص ١، وانظر: مقالة كاظم الدجيلي بعنوان «الشيخ عثمان بن سند البصري»، مجلة لغة العرب، المجلد الثالث، ١٩١٣، ص ١٨٦.

(٥) محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق عبدالله الجبوري، دار العلوم، الرياض، ص ٢١٣.

«فلما أكملت القصيدة إنشاداً، واهتزّ عطفاهُ من الطرب أو كادا، قال: أحسنتَ يا صناجة العرب، وبديع النظم حريري الأدب، وأقسمَ عليَّ ألا أبنتَ لي عن نسبك، فقد راقني مارق وراق من أدبك. فقلت: إن كان لك معرفة بالشعوب والقبائل، والأفخاذ والبطون والفضائل، فإني من وائل. فقال بخ بخ فرسان عدنان، وحماةُ الجار وسقاةُ المران»[1].

هاجر والده سند بن محمد من بلدة حريملاء في نجد إثر أحداث وقعت في بلدته عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م إلى جزيرة فيلكا في الكويت لطلب الرزق حيث امتهن مهنة صيد الأسماك[2]، فولد له بها عثمان عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م وقضى طفولته في جزيرة فيلكا بالكويت[3]، فقد أثبت عبدالعزيز الرشيد وهو مؤرخ ثقة أنه ولد بفيلكا[4] وبالتحديد في قرية «الدشت» عندما كانت هذه القرية عامرة بالسكان[5] ولقد نقل صاحب علماء الكويت أن أحد أحفاد ابن سند ذكر له ذلك[6].

كما ذكر العالم محمد بهجة الأثري، أنه ولد في قرية قريبة من الكويت اسمها فيلكا، وتثبت من ذلك عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز العلي في كتاب إمارة الزبير بين هجرتين، فقد نقلا عن أحفاد ابن سند نفسه الذين

---

(١) نقلاً عن المقامة التي صاغها ابن سند في: مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨-١٢٤٢هـ، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، بغداد، ص ٤١٣.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ٤١٤).

(٣) فيلكا: جزيرة تقع شرقي الكويت الشمالي، تبعد عنها نحو خمسة عشر ميلاً، جل أهلها من الهولة من فارس، انظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت، د.ت، ص ٤٦. وقد نعته سيف مرزوق الشملان بالفيلكاوي نسبة إليها. انظر: من تاريخ الكويت، ذات السلاسل، ط٢، ١٩٨٦، ص ١٠٩.

(٤) عبدالعزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ص ٤٥، وذكر علماء الكويت عن أحد أحفاده، ص٢١، وانظر: مصطفى عبدالغني: مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٤.

(٥) انظر: خالد سالم: جزيرة فيلكا، ص ١٤٤-١٤٥.

(٦) عدنان بن سالم بن محمد الرومي: علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ص ٢١.

لا يزالون يعيشون في الزبير[1]، وهذا أمر لا يحتاج إلى كثير من الإثبات، فلقد كانت منطقة شرقي الجزيرة العربية في ذلك الوقت منطقة واحدة يتنقل فيها العلماء والتجار، وينتجع كل منهم ما يروق له، طلباً للرزق أو العلم.

نشأته:

تعلم في الكويت القراءة والكتابة ودرس قواعد الإعراب في الكتاتيب على طريقة أبناء ذلك العصر، فقرأ القرآن على الشيخ عبدالله الشارخ[2].

درس ابن سند في حداثته في جامع الكواز «محلة المشراق» بمدينة البصرة، وكانت الجوامع آنذاك تقوم بوظيفة أساسية في العلم والتعليم حيث يؤمها أبناء المحلة، ويقوم على التدريس فيها مشايخ لهم منزلتهم في تدريس العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والرياضيات والمنطق، وحين أكمل عثمان دراسته في الكواز انتقل إلى المدرسة المحمودية ودرس العلوم العصرية كالجغرافيا والتاريخ وعلوم الطبيعة، ثم انتقل إلى المدرسة الخليلية واستوفى فيهما ما لم يتهيأ له بالكواز[3].

ولقد تنقل ابن سند بين البصرة والأحساء وبغداد[4] كما ذهب إلى الشام والمدينة ومكة في سياحات وجولات طالباً للعلم والحج، فأخذ من علماء هذه البلدان. ويمكننا أن نتتبع سيرته بدءاً من رحلته العلمية إلى الأحساء بصحبة عائلته، وإقامته فيها للدرس، فهي البداية الحقيقة في تكوينه الفكري طالباً

(١) إمارة الزبير (٣/٧٦).
(٢) إمارة الزبير (١/٢٤٦).
(٣) إمارة الزبير (٣/٧٧).
(٤) المسك الأذفر (٢١٣).

للعلم مُجداً فيه، ومن أهم مشايخه فيها الشيخ عبدالله البيتوشي، والشيخ مبارك بن علي بن حمد آل مبارك، فحظي بعناية واهتمام من اتصل بهم من مشايخ عصره لما أوتي من صفاء الذهن وذكاء القلب وقوة الحافظة[١].

ففي البصرة أخذ عن الشيخ محمد بن فيروز التميمي وهو أحد كبار علماء نجد فدرس عليه الحديث والتفسير والأصول وتخرج على يده، والشيخ أبي الحسن السندي، والشيخ عبد القادر بن عبيد الله بن صبغة الله بن إبراهيم الحيدري، والشيخ علي بن محمد السويدي، والشيخ زين العابدين المعروف بجمل الليل وغيرهم، ويتتبع كاظم الدجيلي العديد من العلماء الذين التقى بهم الشيخ عثمان بن سند وأخذ عنهم فيقول:

«وحين دخل بغداد أكمل أخذه عن الشيخ السويدي[٢]، وأخذ عن الشيخ ابن سميكة والشيخ أحمد الحافظ والشيخ علي بن حسين بن كثير في علوم الحديث، والشيخ أبي الحسن السندي، والشيخ عبدالقادر بن عبيد الله بن صبغة الله الحيدري[٣]، وأخيه الشيخ عبدالله بن صبغة الله الحيدري، والشيخ محمد أسعد الحيدري[٤]، والشيخ محمد أمين[٥]، والشيخ أحمد الحياني قاضي بغداد، ثم صار يتردد على بغداد بين الحين والحين للاستفادة من علمائها. وارتحل بعد ذلك إلى الشام فأخذ عن علمائها. ولما حج وجاور بمكة والمدينة المنورة مدة أخذ عن علماء الحرمين، ومن يرد إلى الديار المقدسة من العلماء»[٦].

(١) إمارة الزبير (٣/٧٧).

(٢) الشيخ السويدي هو: علي بن محمد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٨م، انظر: عبدالعزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد، ص ٣١٢.

(٣) حفيد العلامة الشهير صبغة الله بن إبراهيم بن حيدر بن أحمد الحيدري الحسيني، وهو أول من ورد بغداد من بيت الحيدرية إلى العراق، انظر: تاريخ حوادث بغداد والبصرة من ١٧٧٢-١٧٧٨م، تأليف عبدالرحمن السويدي، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، ط٢، بغداد، ١٩٨٧م، ص٤٢.

(٤) الشيخ محمد أسعد الحيدري: كان مفتي الحنفية والشافعية في بغداد في ذلك الوقت.

(٥) الشيخ محمد أمين: كان مفتي الحلة في ذلك الوقت.

(٦) انظر: مقال كاظم الدجيلي بعنوان «الشيخ عثمان بن سند البصري»، مجلة لغة العرب، المجلد الثالث، ص ١٨١.

عصره:

عاش ابن سند في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، وهما من أجمل القرون التي مرت على العراق وأبهاها وأحسنها وأرقاها، إذ شيد فيهما مدارس العلم وأندية للأدب ومساجد للعباد وزوايا للزهاد، ونبغ فيها من العلماء والشعراء والفضلاء والصلحاء الكثير، كما راجت الحركة التجارية بعد أن تقدمت وسائل الانتقال بين الشرق والغرب، وازدهرت المدن التجارية في الخليج العربي كالبصرة والزبارة ومسقط، إلا أن هذه الفترة لم تخل من الصراعات السياسية، فقد شهدت المنطقة المد السلفي مما أدى إلى انقسام الأدباء والمؤرخين بين مؤيد ومعارض، وفقاً للحزب الذي ينتمي إليه والمصالح التي يجنيها من هذا أو ذاك، ومن جملة هؤلاء الشيخ عثمان بن سند البصري[1] الذي كان يحسب مع الحزب المعارض. كما اشتهرت الأحساء في تلك الفترة بأنها دار للعلم والعلماء، ومقصد لطلاب العلم من داخل أقاليم شبه جزيرة العرب ودول الخليج العربي والعراق وغيرها. ومن ثم شهدت ازدهاراً ملحوظاً في ذات الفترة التي عاش فيها ابن سند منفعلاً بها ومتأثراً بعلمائها.

أساتذته:

١ - الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي (١١٤٢-١٢١٦هـ/١٧٢٩-١٨٠١م)

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز التميمي، ولد في الأحساء عام١١٤٢هـ/١٧٢٩م، وكف بصره وهو ابن ثلاث سنوات، وكان سريع الفهم

---

(١) انظر: كاظم الدجيلي بعنوان «الشيخ عثمان بن سند البصري»، مصدر سابق، ص ١٨١.

قوي الإدراك بطيء النسيان مع شدة حرص ورغبة في تحصيل العلم[1]، ولقد انتفع به ابن سند، فأخذ عنه الفقه[2] عندما زامل ناصر بن سحيم في الأخذ عنه، يقول ابن سند:

«حصلَ لي اتصالٌ بذلك الجناب، وقراءة ما قدرَ من كتاب، فهو من أجلّ مشايخي الأعلام، وأعظم أساتيذي الفخام، هذا وأما كرامتهُ فلا يشك فيها، إلا من كان جاهلاً أو سفيها، ومن كرامته الظاهرة، وخوارقه الباهرة، أن طعامَهُ يزيدُ في حفظِ الطالب، كما صحَّ ذلكَ بالتجارب»[3].

ويقول إبراهيم بن فصيح في ذلك:

«فكتبوا إليه يوعدونه بالقتل فهرب ابن فيروز إلى البصرة، وتوطن بها وانتفع به كثير من أهل العلم كالفاضل الشيخ عثمان بن سند».[4]

وكان للشيخ ابن فيروز منزلة رفيعة في ذلك الوقت، فعم علمه على جميع معاصريه من طالبي العلم، ولكنه اعتبر معادياً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولقد هاجمه ابن غنام في قصيدة قال فيها:

ولاك ابن فيروز يروم سفاهةً ... دفاعاً لحق في البرية قد وطا
فصار يذود الناس عما أتى به ... أجل شفيع في الجزاء للوى يعطا
ويدعو إلى نهج الضلالة معلناً ... ومنهاج أهل الزيغ جهراً به أطا

---

(١) له ترجمة مسهبة في علماء نجد خلال ثمانية قرون(٦/ ٢٣٦-٢٤٥) والسحب الوابلة (٣/٩٦٩-٩٨٠)، إمارة الزبير (٥١/١)، تسهيل السابلة (١٦٥٢/٣).

(٢) هو محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الأحسائي: فقيه حنبلي، من أهل الأحساء. ولد فيها، وكف بصره في الثالثة من عمره. وكثر تلاميذه. انتقد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فلما عظم أمرها رحل إلى الزبير، فتوفي فيها. له أراجيز وتصانيف ليست على قدر علمه، انظر: علماء نجد (٢٣٦/٦)، الزركلي: الأعلام (٧/ ١٢٠).

(٣) سبائك العسجد (٩٦).

(٤) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد: ص ٢٣٠.

يغـالب أمـر اللــه والله غـالب ويندب من لا يملك الرفع والحـطا[1]

٢ - الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي (١١٦١-١٢١٣هـ/١٧٤٨-١٧٩٨م)

الملقب بسيبويه الثاني من كبار علماء الأحساء، كان عالماً ومربياً وفقيهاً في اللغة، ولد في بيتوش[2]، ثم رحل إلى الأحساء، واتخذها مسكناً، وقابله الشيخ عثمان في الأحساء فأخذ عنه علم النحو والصرف، وقرأ عليه القرآن برواية حفص عن عاصم، وسمع مؤلفاته مثل شرحه على نظمه في حروف المعاني، والخلاصة الألفية في النحو، وشرح ديوان سقط الزند. وممن زامله في الطلب على الشيخ البيتوشي:

الشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع، والشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم، وغيرهما من العلماء الفضلاء الذين أورد تراجمهم في كتابه سبائك العسجد، أما ما أخذه عن الشيخ عبدالله البيتوشي، فيعدده فيما يلي:

«قرأت عليه النحوَ والصرف، فَقَرَّ لي بذلك الطرف، وشرحَ سقْط الزند للمعري، وحسامَ كاتي لعصمة فكري، وبعضَ دواوين العرب، فحصلَ لي بذلكَ كلُّ أرب، وذلك في الأحساء أعادَ اللهُ عمارتها، وأرجعَ بهجتها ونضارتها، سمعتُ منه القرآنَ برواية حفص عن عاصم، وجملني بالأدب تجميلَ السوار للمعاصم، كان واللهِ البحرَ علماً، والطودَ أناةً وحلماً، له المؤلفاتُ البديعة، والبادرةُ السريعة، ومما قرأتُ عليه من تأليفه، الذي لم يُسْبَقْ إلى ترصيفه، شرحُ نظمه في حروف المعاني، فبلغتُ بقراءتي له غايةَ الأماني». [3]

ولقد تأثر ابن سند بأستاذه البيتوشي تأثراً كبيراً، خاصة فيما يتعلق بالمناهل الفكرية والأدبية التي توفر عليها بعناية هذا الشيخ، متمثلة في قرض الشعر والترسل الأدبي، ولقد أثنى عليه في مناسبات عديدة، ففي المطالع يقول عنه:

(١) انظر: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، (١/ ٢٢٠-٢٢١).

(٢) نسبة إلى بيتوش في الكردستان الإيراني، هاجر إلى بغداد ومات في الأحساء، وله كتب منها «شرح الفاكهي على قطر ابن هشام» انظر: الأعلام (٤/ ٢٧٥) والسحب الوابلة (٣/ ١١٤٥).

(٣) سبائك العسجد (٢٤).

«البحر في العلوم القرآنية الطويل باعه في النظم والنثر، والأديب الذي ما رأيت مثله في الأدب، مقلة العصر، الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي». [1]

٣ - الشيخ مبارك بن علي بن حمد آل مبارك (١١٥٥ - ١٢٣٠ هـ/١٧٤٢-١٨١٤م)

هو الشيخ مبارك بن علي بن حمد بن قاسم بن سلطان بن محمد الملقب (هميلان) بن سعود من بني جندب من بني العنبر من بني عمرو أحد بطون بني تميم من آل مبارك، ولد في بلدة المبرز من مقاطعة الأحساء، تنقل فيما بعد إلى أن استقر في ضيافة أمير المنتفق الشيخ حمود بن ثامر السعدون، وبقي عنده حتى وفاته حوالي ١٢٣٠هـ/١٨١٤م، له مؤلفات أهمها: هداية السالك إلى مذهب مالك، تسهيل المسالك إلى هداية السالك، إتحاف اللبيب باختصار الترغيب والترهيب، المنح والصلات فيما يقال بعد الصلوات، إتحاف القوم بأذكار اليقظة والنوم، خير اللفظ في أسباب الحفظ. وقد تتلمذ عليه ابن سند، وعندما أجاز ابن سند الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ مبارك، كتب في إجازته قائلاً له: هذه بضاعتكم ردت إليكم، يشير إلى إجازة الشيخ مبارك له[2].

٤ - الشيخ محمد بن علي بن سلوم (١١٦١ - ١٢٤٦هـ /١٧٤٨-١٨٣٠م)

ولد في العطار من قرى سدير؛ وتعلم أوليات العلم على مشايخ بلده، غير أنه لما لم يجد ما يشفي أوامه، رحل إلى الأحساء للأخذ من علامتها الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٩م، فقرأ عليه التفسير والحديث والفقه والأصول ومهر في الفرائض وتوابعها من الجبر والحساب والمقابلة حتى صار عليه المعول فيها، وصار رفيقاً في الدراسة للشيخ

(١) انظر: مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٤٠٥

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون، مصدر سابق، (٥/٤٢٧-٤٣٢)، (١٤٧/٣).

عبدالوهاب ابن شيخه محمد بن فيروز[1]. وفي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م توفي في سوق الشيوخ في رمضان من هذه السنة.[2]

يقول ابن سند:

«أخذت عنه طرفاً من علم الفرائض، والفلك فكان كألف رائض، وعاشرته في مدة أعوام، فما أغضبني يوماً من الأيام، على أن الفضل منه علي، والعلم منه أبداً يجري إليّ».[3]

وصحبه وجعله سميراً:

«فإنا قد اتخذناه لنا سميراً، وجعلناه من مقلة إكرامنا نظيراً، لما لم نجد له في الفضل نظيراً، حافظاً لأسرارنا، واقفاً على وفق اختيارنا، مثابراً على الآداب، مثابرته على حقوق الأصحاب، عارفاً بدقائق الحساب، معرفته بشقائق الأنساب».[4]

٥ - الشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم (١١٧٧ - ١٢٣٦هـ / ١٧٦٣-١٨٢٠م)

هو الشيخ ناصر بن سليمان بن محمد بن أحمد بن علي بن سحيم من قبيلة عنزة من فخذ الجبلان[5]، ولد في الزبير من أعمال البصرة وقرأ على مشايخها، ارتحل إلى الأحساء للأخذ عن علامتها الشيخ محمد بن فيروز، فقرأ عليه في أنواع العلوم حتى أدرك ما أمَلَ، وقرأ على غيره أيضاً وأجازوه[6]، سافر مع أستاذه إلى هجر ثم إلى (الزبارة) في عهد أحمد بن رزق ثم البصرة، وتوفي في الزبير عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م. يقول عنه ابن سند:

«قصَدا زيارةَ أحمد، فزادَ إكرامهما وجدد، وأبدلهما من الدُور الغرف، ورفعهما بعد الانخفاض إلى الشرف، ووصلهما بصلات، عوائدهُما لم تُضْمَر،

---

(١) إمارة الزبير (٣/ ٥٩).

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دار اليمامة، ط١، ١٩٦٦ ص ١٥٨.

(٣) سبائك العسجد (٨٨).

(٤) سبائك العسجد (٨٧).

(٥) إمارة الزبير (٣/ ٧٠).

(٦) السحب الوابلة (٣/ ١١٤٤).

وأمدهما بتبجيلات، قلائدها النضارُ والجوهر، فما زالا على هذا الإكرام، حتى نقلتهما الأيام، إلى البصرة قبة الإسلام، فتبوآ من مقاعدها الصدر، وأسفرَ بهما وجهُ المِصرِ والعصر، وارتفعَ لهما في أهلها الجاهُ والقدر، وتولىَّ شيخُهُ المدرسةَ السليمانية، وأقامَ الوظائفَ العلمية».[1]

ولما عقدت بينه وبين الشيخ عثمان بن سند أواصر المودة، أهداه نسخة من منظومته في أصول الفقه بخطه المنمق البديع وكتب عليها ما نصه :

الحمد لله الكريم المفضل ... مُصلياً على خِتام الرُسل
وآله الغر الثقات السادة ... وصحبه اليُمن التقاة القادة
ما نسجت أنامل الأقلام ... مطارف الإبداع للأنظام
هذا وإني قد قضيت نظماً ... من هذه البكر العروب العصما
نمقتُها بالرقم والكتابة ... مزفوفة لباهر النجابة
المنتهى في سائر الفنون ... حتى شأى مؤلف الفنون
كما إليه المنتهى والغاية ... في صحة الإسناد والروايهْ
مغني اللبيب غنية الألباب ... بل بهجة الخلان والأصحاب
ومقنع الطلاب في العلوم ... ونزهة الأفكار والفهوم
ناصر الناصر دين الباري ... بعضب علم مُصْلتٍ بتار[2]

٦ - الشيخ خالد النقشبندي (١١٩٠- ١٢٤٢هـ/ ١٧٧٦- ١٨٢٧م)

هو خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي[3] ، التقى

---

(١) سبائك العسجد (٥٨).

(٢) السحب الوابلة (٣/١١٤٦-١١٤٧)، وإمارة الزبير (٣/ ٧١).

(٣) الشيخ خالد النقشبندي : صوفي فاضل، ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور) والمشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان. هاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا والي العراق، وتوفي في دمشق بالطاعون. انظر: الأعلام، الزركلي(٢/ ٣٣٤) .

به ابن سند في بغداد وأخذ عنه[1] فقد كانت الطريقة النقشبندية تنتشر بسرعة في العراق هابطة عليه من كردستان واندفع تيارها منها إلى الشام ومصر، وهذه الطريقة ظهرت منذ القرن الثاني الهجري، ولكن انتشارها في كردستان ثم العراق كان على يدي الشيخ خالد النقشبندي[2]، وكان داود باشا وعدد كبير من أصفيائه - ومنهم مؤرخه عثمان بن سند - يعتقدون علم الشيخ خالد وصلاحه[3]، فمال ابن سند إلى دراسة التصوف، وسلك على الشيخ خالد ودخل في طريقته[4] ولكنه عاد عنها فيما بعد، وكتب عنه ابن سند فيما بعد كتاباً أسماه «أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد» ونسج فيه على نفس طريقته في كتاب سبائك العسجد، وقد أعجب الشيخ خالد بالشيخ عثمان بن سند وقال عنه:

«إن الشيخ عثمان بن سند حريري الزمان»[5].

أما ما جاء ذكره من كتب الشيخ خالد فهي: « شرح مقامات الحريري » لم يتمه، و«شرح العقائد العضدية» ورسالة في «إثبات مسألة الإرادة الجزئية» و«جلاء الأكدار» ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم، و«ديوان فارسي» وجمعت رسائله في كتاب سمي « بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد -ط »[6].

---

(١) انظر: إبراهيم بن فصيح: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، وقال فيه: «فأجل من أدركت عصره وأنا صغير شيخنا ومقتدانا، قطب دائرة الإرشاد المرشد العارف بالله... مولانا خالد النقشبندي المجددي العثماني الشافعي»، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٢) انظر: عبدالعزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد(٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (٣٠٧- ٣٠٨).

(٤) المسك الأذفر(٢١٧)، وعلماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون(٢٤).

(٥) علماء نجد (١٥٢/٥).

(٦) الأعلام، الزركلي (٢/ ٣٣٤).

٧ - السيد زين العابدين جمل الليل المدني، (توفي سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م)

يقول عنه ابن سند:

«ورد البصرة فبغداد العالم الذي هو مالك زمام الإسناد، والمحدث الذي ألحق الأحفاد بالأجداد، والمحرر الذي محرره الإمداد والإسعاد، والمحقق الذي تحقيقاتهُ التحفة وفتح الجواد، المدني الذي كاد يضاهي عال المدينة، الهاشمي الذي صار الإقبال على الله بالشر أثير ديدنه ودينه، والشافعي الذي شفع إلى العلم التقوى، وبلغ من الفنون نهاية السُول والغاية القُصوى، والعلويُ الذي سما على هامة النيرين فخُاره، وبهر الشمس في رابعة النهار اشتهاره، ومصباح مشكاة الباحثينَ، مولانا أبو عبدالرحمن زين العابدين، المشهور بجمل الليل، مدّ الله عليه ومن رحمته أسبغ ذيل. ولما شرّف البصرة بوروده، ونور مطالها بأقمار سعوده، رويت عنه حديث الرحمة، المسلسل بالأوليّة عند السادة الأئمة، وقرأت عليه أوائل الكتب الستة، وأسمعني من مروياته ما أكبرتُ به نعته، ورويت عنه مسلسلات عديدة، وأجازني بمسندات وأجزاء، ومعاجم ومشيخات مفيدة، وناولني الثبت المسمى بالأمم، لأبي الطاهر إبراهيم بن حسن الكوراني المدني العلم، وكتب لي إجازة دالة على طول باعه، وتبحره في الفنون الحديثية وسعة اطلاعه. ذكر فيها بيتاً ذكر فيه ما يدل على تواضعه، ولطف طباعه، وهو قوله:

أنا الدخيل إذا عُدّت أصولُ عُلى ... فكيف أذكر إسناداً لدى ابن سند»[١]

٨ - الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديد (١١٦١-١٢٣٢هـ / ١٧٤٨-١٨١٦م)

ولد في الزبير، ذهب إلى الشام فأخذ عن علمائها، وقدم إلى الأحساء فأخذ عن علامتها محمد بن فيروز الحنبلي التميمي فقرأ عليه في فنون عديدة، ثم عاد إلى الزبير وتولى القضاء بغير معلوم أجر، وصار خطيباً بالجامع ومدرساً بمدرسة الدويحس للفقه، وكان يخدم طلابه خاصة الواردين من الأحساء وغيره ويضيفهم في بيته، ولقد تخرج ابن سند على يده[٢] وفي ذلك يقول عنه:

---

(١) انظر: مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

(٢) إمارة الزبير (٣/٥٤-٥٦).

«رحلَ إلى الشام، فلقيَ أجلّةً من الأعلام، وحَصَّلَ علوماً جمة، وفوائدَ مهمة، فانثنى بعد طول الإقامة، منها إلى بلده بالسلامة، واجتازَ في طريقه بغداد ثم رحلَ إلى هجر، وأخذَ عن عالمها وصدر، أعني به نادرةَ الدهر، وحسنةَ الأوانِ والعصر، محمدَ بنَ عبد الله بن فيروز، ونزل بعد مرجعه بلدةَ الزبير، فقضى بها ونشرَ فيها كلَ خير، ودَرَّسَ في جامعها، حتى دُعي ريحانةَ مجامعها، واعتقدَ فيه الخاصُ والعام، وحصلَ له من الملوكِ الإكرامُ التام، وما ذاكَ إلا لزهده، وصحة دينه وعقده، يلازمُ صحبةَ الفقرا، وينهى عن الأمرا، إلا إذا أمرٌ جرى، ويتصدقُ على الضعاف، ويكرمُ الأضياف، مع ما هو عليه من العفاف، [والديانة] والإنصاف، يتعففُ عن أموال اللئام، ولا يتكلفُ لأحدٍ بالإكرام».[1]

ويضيف:

«قد صحبته أعواماً، وجالسته نهاراً وظلاماً، فألفيته محمود الصحبة، جم الطاعة والقربة، ذا أوصاف حلت ومزايا كملت».[2]

٩ - الشيخ علي بن محمد السويدي (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢١م)

هو العالم الشيخ علي بن محمد سعيد بن عبدالله السويدي البغدادي، نشأ في بغداد في أسرة علمية شهيرة، وتتلمذ على أبيه وعمه عبدالرحمن السويدي المؤرخ المعروف (مؤلف حديقة الوزراء) واشتغل بالتدريس والوعظ، وكان سلفياً في عقيدته على خلاف مفاهيم عصره، نالت آراؤه تأييد والي بغداد سليمان باشا الصغير فقربه إليه « حتى إنه لم يصدر إلا عن رأيه » سافر إلى الشام وفيها توفي ودفن، له آثار متنوعة في العقائد والأدب والشعر والتاريخ، وهو

(١) سبائك العسجد (٩٢).
(٢) سبائك العسجد (٩٣).

والد المؤرخ محمد أمين السويدي[1]. وقد أخذ عنه ابن سند وقت مروره بالبصرة وهو في طريق عودته حاجاً.[2]

التدريـس:

عمل ابن سند مُدرِّساً في جامع الكوازي، وفي المدرسة المحمودية[3]، ثم جمع بين المحمودية والخليلية عام ١٢٢٧هـ/١٨١٢م، ودرس بالمدرسة الرحمانية في البصرة، وبقي فيها مدة عمره إلى أن حل محله تلميذه الشيخ أحمد بن نور الأنصاري .

تلاميـذه:

من المؤكد أنه نقل علمه لعدد غير قليل من التلاميذ الذين تتلمذوا عليه في المدارس التي عمل بها والذين يصعب حصرهم، ومن أبرزهم:

١ - الشيخ أحمد بن نور الأنصاري (١٢١٨- ١٣٠٢هـ/١٨٠٣ - ١٨٨٤م)

ولد في نابند[4]، ونشأ في حضن العلم والغنى فقد كان والده تاجراً، تعلم وتفقه على طريقة عصره وأتم دراسته على خاله، وفي عام ١٢٣٠هـ /١٨١٤م

(١) انظر: عماد عبدالسلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، بغداد، ص ١٥٨- ١٥٩.

(٢) انظر: أصفى الموارد، ص ١٠٢، تسهيل السابلة (١٦٨١/٣).

(٣) بناها المحسن الثري محمود بن عبد الرحمن الرديني التجار البصري، وكانت هذه المدرسة في البصرة، شقيقة الأزهر من حيث الأهمية، فكل متخرجي هذه المدرسة في عصره من تلاميذه، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٤٥/٥، ١٤٦). وانظر: علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ص ٣٤.

(٤) وتسمى حالة نابند، وهي تقع شرقي قرية (نخل تكي) في بر فارس، وسكانها عرب سنيون شافعيون وحنابلة، ينطقون العربية .انظر : صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، عبد الرزاق محمد صديق، مطبعة المعارف، الشارقة ط٢، ١٩٩٤، ص ٢٩٨.

وصل مع أبيه إلى البصرة فالتحق بالمدرسة السليمانية، ولما خلا منصب التدريس في المدرسة السليمانية عين فيها مدرساً وكان ذلك سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، حيث حلّ محل أستاذه عثمان بن سند، كما عين قاضياً في البصرة، وكان يتنقل بين التدريس والقضاء، وكان متصوفاً، وقد تمتع بمكانة مرموقة لمقامه الديني والرسمي والأدبي، له شروح وتعليقات على المتون الفقهية، وعلى الأخص الفقه الشافعي، فضلاً عن مجموعة من التخميسات والمطارحات الشعرية، وجميع مؤلفاته مخطوطة وهي موجودة في مكتبة باش أعيان[1].

٢ - الشيخ عثمان بن مزيد المزيد (توفي حوالي ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٢م)

هو عثمان بن مزيد من آل مزيد من آل عمرو من قبيلة الظفير[2]، قرأ على علماء بلده في مدينة عنيزة، وأخذ عن علماء الأحساء والزبير، له تأليف واحد في العقيدة اختصر به شرح عقيدة السفاريني وسماه: (الدرر المضيئة في اختصار شرح العقيدة)، وقد تتلمذ لابن سند حيث قال: أنشدنا لنفسه شيخنا عثمان بن سند المالكي البصري ومدرسها في آخر عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م:

حذار حذار من إغضاب شيخ ... فإن الشيخ معروف الحقوق
فإن الله يغفر كل ذنب ... سوى ما للمشايخ من حقوق
فلا تطلب بلا شيخ علوماً ... فذا حمق يورد للفسوق
فطه شيخه جبريل يروي ... عن الله تعالى ذا وثوق

ولقد ذكر صاحب كتاب علماء نجد عدداً آخر من التلاميذ هم:

---

(١) انظر: النصرة في أخبار البصرة للقاضي أحمد نور الانصاري، مصدر سابق، ص ٦.

(٢) انظر: علماء نجد(١٥٧/٥).

٣ - الشيخ عبداللطيف بن سلوم (المتوفى سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م):

هو عبداللطيف بن الشيخ محمد بن علي بن سلوم التميمي النجدي، ولد في بلدة الزبير حوالي سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، ونشأ في بيت علم، فقرأ على والده في الفقه والفرائض، وعلى الشيخ إبراهيم بن جديد وغيرهما، تولى قضاء المنتفق. توفي بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م[١].

٤ - الشيخ عبدالرازق بن سلوم (المتوفى سنة ١٢٥٤هـ /١٨٣٨م)

هو عبدالرزاق بن الشيخ محمد بن علي بن سلوم التميمي النجدي، ولد في بلدة الزبير، وقرأ على مشياخها منهم والده، ثم رحل إلى بغداد فقرأ الفقه على الشيخ الورع موسى بن سميكة {تصغير سمكة}، وعلى أجلاء بغداد في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والأصول، وحصّل ومهر ثم رجع إلى بلده وقرأ الفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وبالجملة فقد كان من أشد أهل زمانه ذكاءً وفطنةً، شرح «سُلَم العُروج في المنازل والبروج» للشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عفالق الأحسائي سماه «مرقاةَ السُلم» وكان ينظم الشعر، وسود مسودات شتى لم يبيض منها غير «شرح السُلم» تولى قضاء سوق الشيوخ[٢] وخطابتها بعد أخيه الشيخ عبداللطيف، وصار له جاهٌ تامٌ عند الحُكام، وكلمة نافذة، وانفرد في تلك الجهة بالحل والعقد إلى أن توفي فيها سنة ١٢٥٤هـ /١٨٣٨م[٣].

---

(١) انظر: ابن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد وعبدالرحمن بن سليمان العثيمين، بيروت، ط١، ١٩٩٦، (٢/٥٩٩-٦٠٠)، أخباره في: تسهيل السابلة (١١٢/٢)، علماء نجد (٢/٨٩٤)، إمارة الزبير (٣/ ٦٠).

(٢) سوق الشيوخ مدينة في محافظة ذي قار بجنوب العراق .

(٣) السحب الوابلة (٢/ ٥٣١-٥٣٤)؛ علماء نجد (٣/ ٢٨٠)؛ تسهيل السابلة (٣/ ١٦٨٤).

٥ - عبدالواحد باش أعيان البصرة[١] (١٢١٦- ١٢٦٨هـ/١٨٠١- ١٨٥١م)

من الأسرة العباسية المعروفة في البصرة، تعلم على الشيخ عثمان بن سند وسافر إلى بغداد واتصل بداود باشا، وقد أصبح باش أعيان البصرة بعد وفاة والده سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧، وكان له أثر في حياة البصرة الفكرية، إذ كانت داره نادياً من نوادي الفكر والأدب[٢].

٦ - الشيخ أحمد بن عبدالله بن عقيل (المتوفى عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م)

من بني وائل أحد بطون قبيلة عنزة، ولد في حرمة، وقرأ على علماء بلدان سدير ثم رحل إلى الزبير، وقد قرأ على الشيخ عثمان بن سند، ثم جاور في المدينة المنورة فأخذ عن مفتي المدينة المنورة جعفر البارازنجي[٣].

وغيرهم من التلاميذ أمثال: الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي، والشيخ محمد بن تريك.

---

(١) باش أعيان ومعناها رئيس الأعيان لقب غلب على أسرة عبدالسلام الكوازي العباسي عندما منحت الدولة العثمانية، زمن السلطان خان الثاني سنة ١١١٨هـ (١٧٠٦م)، هذا اللقب للشيخ عبداللطيف بن الشيخ ساري بن الشيخ عبدالسلام الثاني وأصبح اللقب وراثياً وللأرشد منهم، وللمترجم ترجمة مفصلة في تاريخ الأسرة العباسية تأليف الشيخ عبدالقادر العباسي المخطوط، وله ترجمة أخرى في أعيان البصرة للشيخ عبدالله باش أعيان طبعة الشيخ جلال الحنفي في بغداد سنة ١٩٦١، ص ٧؛ والأعلام للزركلي (٤/٣٢٥)؛ وانظر: النصرة في أخبار البصرة (٤٦).

(٢) النصرة في أخبار البصرة (٤٥).

(٣) إمارة الزبير(٣/٨٤).

ومن أشهر معاصريه:

السيد عبد الجليل الطباطبائي (١١٩٠- ١٢٧٠هـ/١٧٧٦- ١٨٥٣م)

هو السيد عبدالجليل بن السيد ياسين بن إبراهيم بن طه بن خليل بن محمد صفي الدين، ويتصل نسبه بالسيد إبراهيم طباطبا[١]، ولد في البصرة سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م وكانت لهم فيها أملاك ونخيل، وارتحل إلى قطر وأقام بالزبارة وكانت في عصره بلدة عامرة، ولأهلها نشاط بالتجارة والغوص لاستخراج اللؤلؤ، وكان كثير التنقل بين البصرة والكويت والأحساء والبحرين والحجاز، وكانت له مكانة عند أمراء البحرين، وقد تولى مراسلاتهم الرسمية كما مثلهم في المعاهدة العمومية التي عقدت بين مشايخ الخليج وبريطانيا في رأس الخيمة عام ١٨٢٠م[٢].

وكانت له مراسلات ومساجلات مع أدباء البلاد التي أقام فيها أو مر بها، ومدائح لملوكها وأمرائها وأهل الوجاهة فيها، وكان طالباً للعلم الشرعي، وأجازه الشيخ محمد بن عبدالله آل فيروز العالم، وكانت وفاته بالكويت سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م.

كان شاعراً موهوباً، طُبِع ديوانه ثلاث مرات مرة في مطبعة البيان في بومباي الهند سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م ومرة في إحدى دور الطباعة في القاهرة، والثالثة عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني في دمشق[٣].

---

(١) كان إبراهيم بن طباطبا نقيب الأشراف في مصر وقد ظهر منهم علماء أفاضل في الكويت ومنهم جماعة تسكن الزبير والكويت وإيران؛ انظر: النصرة في أخبار البصرة (٥٨-٥٩).

(٢) انظر: L/P& S/7/195

(٣) انظر: ترجمته في مقدمة ديوانه: روض الخل والخليل ديوان السيد عبدالجليل، دمشق، ط٣، ١٩٦٤، وهي توجد لدينا (المحقق).

ومن أشهر قصائده، قصيدته التي نظمها وهو في البصرة، حنيناً للزبارة والبحرين، بعدما أقلقه محاصرة سلطان بن سعيد إمام عمان للزبارة، فأنشد هذه القصيدة التي يقول فيها :

تقول بنو عمي نرى بك حيرة	ولست بحمد الله علقاً لناهبِ
ولا المال منزور ولا الجاه قاصر	وأنت على عرق من المجد ضارب
فقلت نعم إن الهوى لا يحل في	فؤاد فيخلو من هموم تواعب
هواي زباري ولست بكاتم	هواي ولا مصغ للاح وعائب
أتوق إذا هب الجنوب لأنني	أشم الغوالي من مهب الجنائب
نأت دار من أهوى وعز مزارها	ومن دونها قد حال قرع الكتائب[1]

وقد حدثت مساجلة «في القهوة» بينه وبين السيد عبدالجليل يرويها عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت حيث قال : «ذهب السيد عبدالجليل والشيخ عثمان بن سند إلى الشيخ حمود آل ثامر الشبيبي شيخ مشايخ المنتفك على شاطىء الفرات، وهناك وجد الشيخ علي بن الشيخ محمد صالح مفتي البصرة، فقال الشيخ عثمان مخاطباً الاثنين:- «مرا لي صاحبي بكأس قهوة.

قال السيد : فأمرنا له بها، فقال : لا بل أجز، فاستقلته فلم يقلني فعلمت إذ ذاك أنه يريد اختباري فقلت على البديهة: كذوب التبر صافية بغدوه. ثم سكت

---

(١) انظر: روض الخل والخليل ديوان السيد عبدالجليل، المصدر السابق، ص ١٧-١٨.

فقال: زد البيت فزدته ثم حمي وطيس المساجلة، وقد انتهت إلى أبيات[1] زادها السيد عبدالجليل، بما تخلص به إلى مدح قاضي البصرة الشيخ عبدالقادر أفندي الحيدري البغدادي والشيخ عثمان بن سند وإليك الأبيات بأجمعها:

(الشطر الأول لعثمان)	*(الثاني للسيد عبدالجليل)*
مرا لي صاحبي بكأس قهوة	كذوب التبر صافية بغدوه
من البن الأريج شذا بكأس	يعطر عرفه من رام حسوه
علاه جوهر كفرند عضب	جلاه القين لا لحذار نبوه
تنقط من فم الإبريق خالاً	بوجنة جامها وشماً مموه
يطوف بها عليّ أغن أحوى	كأن بخده والكف جذوه
رشيق القد يحكي البان ليناً	كأن به إذا ما ماس نشوه
له لفتات أم الخشف ترنو	بعين تذكر العذري شجوه
أروم وصاله لتقر عيني	بغرة وجهه فيزيد زهوه
علقت به وغصن العمر غض	يحركه الهوى العذري نحوه[2]

ويبدو أنه كان بين السيد عبدالجليل وعثمان بن سند جفوة، فحين قدم السيد عبدالجليل رحمه الله تعالى البصرة سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م، زاره كل صديق ما عدا الشيخ عثمان بن سند، فأنكر ذلك لكونه بخلاف العادة، فبعد مضي يومين من مقدمه كتب إليه رسالة تشتمل على هذه الأبيات الآتية وما يتبعها من

(١) كان الشيخ عثمان يبدأ الشطر الأول من البيت ويُكمله السيد عبدالجليل. وهي طريقة تعكس ثراء الشاعرين في اللغة والنظم.

(٢) انظر: روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل، ط٣، ص ٤٩ - ٥٣، وانظر: تاريخ الكويت، عبد العزيز الرشيد، ص ٢٧٣-٢٧٤.

المنثور معاتباً في تأخر زيارته عن وقتها، وكان مجيء الشيخ بعد وصولها إليه هو الجواب عنها فقال:

يا تاج أهل الفضل عثمان يا	إمام من أملى ومن قد كتب
يا من شأى كل مبار له	علماً وفي كل فنون الأدب
أنت خليق بالوفا سيدي	فلم جزاء الود منك الحرب
إن الجفا منك لقد بان لي	لا عن قلى لكن جهلت السبب
حاشا جناب الشيخ من ميله	لغير ظن الخير في ذي حسب
إذ أنه يعلم مني الصفا	والحب في الله وذا لم يشب
وشأن أهل العلم إعلاء ما	سن وتمهيد دواعي القرب
كزورة القادم لا سيما	من ذي إخاء أو ولاء وجب
فكيف لا يثبت حقي ولي	مودة محكمة لا تجب
هذا وإني عاذر شاكر	فليكن الخل على ما أحب
واسلم منا لا كلما رمته	تولى حقوق الود عالي الرتب
ما اشتاق ولهان إلى قربكم	فعلل النفس بما قد كتب

ثم نثر قائلاً:

«سيدي أطال الله بقاك وقصر أمد جفاك، إني مذ قدمت هذه البلدة قد حظيت بلقاء ذوي المودة، ولم أفتقد سوى أعزهم علي وأحبهم إلي، وهو جنابك الذي أخصبت بالفضل ربوعه وأمد جداول الفصاحة ينبوعه، ولم أدر ما حجب إشراق شمس طلعتك في هذا النادي، على أنه لم تغم عليك منا مراكز الوداد، فلولا إيثارك بفضيلة التقدم لوجدتني طليعة لمن يقدم، ولما جد هيامي بك وزاد

حنيني إليك، أنبت هذه البطاقة لتؤدي السلام عليك، رجاء أن تكون مذكرة لعهود الإخاء وموجبة لحصول اللقاء، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».[1]

مكانتـه العلميـة:

يُعد ابن سند من أبرز علماء شرقي الجزيرة العربية والعراق في القرن الثالث عشر الهجري، فقد جمع بين العلم والفقه، وبين الأدب والتاريخ، يقرض الشعر ويفيض بالنثر، سيال القلم، واسع الثقافة، فهو مؤلف وشاعر لا يشق له غبار، ولع بالتأليف في كل ما يتصل به من علم وأدب، ومن يقرأ له يدهش لقدرته على الغوص في اللغة والاشتقاق منها.

ذكره ابنُ الشطي[2] في مختصره وقال: هو الإمام العَلامَةُ، الرّحلة الفهامة، حسان زمانه وبديع أوانه، خاتمة البُلغاء ونادرة النُبغاء، رحل إلى العراق، وأخذ عن علمائها[3].

قال عنه النبهاني: «*هو آخر فضلاء البصريين*»[4]. ونعته أمين المدني بالعلامة الرُحلة الفهامة.

واعتبره صاحب السحب الوابلة: «*لسان الزمان، ونابغة الأوان*»[5].

(١) انظر: روض الخل والخليل ديوان السيد عبدالجليل: (٤٣-٤٤). ولعل ذلك ما يفسر لنا عدم ذكر ابن سند للسيد عبدالجليل ضمن الأعلام الذين ترجم لهم، وقد يكون ذلك عن قصد بسبب الغيرة التي قد تنشأ بين الأدباء، لاسيما وأن الطبطبائي كان مقرباً من حكام البحرين والكويت آنذاك.

(٢) هو حسن بن عمر بن معروف الشطي الحنبلي (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م- ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م) فقيه فرضي، بغدادي الأصل، دمشقي المولد والوفاة، له تصانيف، منها «مختصر شرح عقيدة السفاريني، انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٦).

(٣) له ترجمة في: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، للبردي (٣/ ١٦٨١).

(٤) التحفة النبهانية (البصرة): محمد بن خليفة النبهاني، ط٢، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٢هـ، ص ٩٢.

(٥) السحب الوابلة (١١٤٦/٣).

وقال عنه محمود شكري الألوسي:

«إن هذا الفاضل ممن شاع ذكره، وملأ الأسماع مدحه وشكره، له اليد الطولى في العلوم العربية والفنون الأدبية، نظم غالب المتون من سائر الفنون، وقد اشتهرت في هذه الديار، وظهرت ظهور الشمس في رابعة النهار»[(١)].

ويقول أيضاً:

« وكانت له شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها، مقبول الكلام لدى جميع أهاليها، تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته »[(٢)].

وممن أثنى عليه الشرواني اليمني (أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٨٣٧م) في «حديقة الأفراح لإزالة الأتراح»[(٣)] قال:

«القولُ فيه إنهُ طرفة الراغب، وبغيةُ المستفيد الطالب، وجامع سور البيان، ومفسر آياتها بألطف تبيان، أفضل من أعرب عن فنون لسان العرب، وهو إذا نظم أعجب، وإذا نثر أطرب، فوالعصر إنه لإمام هذا العصر».

كما نقل الألوسي من المصدر نفسه للشرواني:

«وكان له في اللغة باع طويل وقوة عارضة، حتى قيل إنه كان يحفظ كتاب القاموس للفيروزآبادي من أوله إلى آخره»[(٤)].

ويقول ابن بسام عنه:

«من النوابغ في سرعة الحفظ وجودة الفهم وبطء النسيان، والرغبة العظيمة في العلم، والجد العظيم في تحصيله، وهذه العوامل الهامة صيرت منه - مع توفيق

(١) المسك الأذفر (٢١٤-٢١٥).
(٢) المصدر السابق (٢١٨-٢١٩).
(٣) ورد العنوان في الأعلام عند الزركلي «حديقة الأفراح لإزاحة الأتراح» (٢٣٣/١).
(٤) المسك الأصفر (٢١٩).

الله تعالى - آية كبرى في المحصول العلمي، ويكونه موسوعة كبرى في العلوم الشرعية والعلوم العربية والتاريخية وغيرها».[1]

وقال أيضاً:

«إن الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ البلغاء، وفحول الشعراء، وإنه موسوعة علمية في كل باب من أبواب العلم، وفي كل فن من فنون الآداب، فهو عالم عصره، وعلاّمة مصره»[2].

أسلوبه:

يغلب على أسلوبه النزعة الأدبية التي كانت سائدة في العصر العثماني، حيث هيمنت مدرسة النثر المُقفى على أساليب التعبير الأدبي بكل خصائصها الفنية المعروفة من محسنات بديعية متنوعة، فقد جاء الكتاب من أوله إلى آخره سجعاً[3]، ولقد قصد الكاتب استخدام هذا اللون من التعبيرالأدبي، ليحقق تأثيراً موسيقياً يعبر عن عواطف الإنسان المملوءة بالسرور والبهجة أحياناً والحزن والألم أحياناً أخرى، ناهيك عن استخدامه للمحسنات البديعية الأخرى كالجناس والطباق والمقابلة والتورية، فضلاً على ميله إلى استخدام الألفاظ الفخمة، وهو أسلوب نشأ عليه وأتقنه. ويعبر هنا عن أسلوبه بقوله:

«وحين قضىَ لسانُ حاله، من نعت بعضِ أحواله، صَمَّمَ العزمَ على ما قصد، وأحالَ يُنْجِزُ ما به وعد، من إنشاء ترجمته، ونشرِ بُرُودِ مكرمته، وذكرِ أحواله من

---

(١) علماء نجد (٥/ ١٤٥) .

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٥٣).

(٣) السجع: من المحسنات البديعية، وهذا النوع من الكلام يسمى سجعاً وتسمى الكلمة الأخيرة من كل جملة (فاصلة) وتلك الفاصلة تسكن دائماً للوقف، وللإحساس بما في السجع من جمال، وهو لون من الإيقاع الصوتي الذي يجعل الأسلوب موسيقياً ذا رنين تطرب له الأذن وتستريح إليه النفس، لما فيه من التوازن بين الجمل .

مولده لموتته، بعبارات هي السلسبيل، وإشارات أرقَ من نظرات الخليل، وأسجاع تشفي العليل، وتروي الغليل، أشمِ وجنات الطروس بالسطور»[1].

ويأسلوب موشى بالسجع والمحسنات البديعية، يحدثنا عن نشأته واهتمامه بالشعر والأدب والسياحة والتاريخ :

«فإني مذ لَبستُ للآداب تقصارها، واحتسيتُ صهباءها وذقت عُقارها، وتدثرت دثارها وشعارها، وتنقلت في أوطانها، وتفيأت ظلّ أغصانها، وتنشقتُ أَرَجَ أردانها، وجريتُ طَلَقاً في ميدانها، لم أزل أعطنُ في أعطانها، وأسرحُ طرفَ الطرف في رياضها، وأوردُ ذودَ الفكرِ في حياضها، وأمرحُ مختالاً، في خمائلها يميناً وشمالاً، أستشيم بارقَها إذا سرى، وأجري مع هواها حيث جرى، فأرتاحُ للأسجاع، ارتياحَ بناني إلى اليراع، ومسمعي إلى السماع، أجري في أمثالها الشاردة، جَرَيانَ الوافد للعائدة، أنظمُ فرائدها، وأتقلدُ قلائدها، وأعانقُ خرائدها، وأُقَيِّدُ أوابدها، وأحلُ معاقدها، وأَدلُ على مقاصدها، وأعوجُ إلى معاهدها، نادباً دِمَنها وأطلالها، مصاحباً آرامها وآجالها، متفرعاً ذوائبها، مغترباً كاهلها وغاربها، منبسطاً في الطويل والبسيط، هارجاً مع كل خفيفِ الطبعِ بسيط، راملاً في مسعاها، بين مروتها وصفاها، ملتمساً أركانَها مقبلاً، سائلاً في غيطانها مترسلاً، ممتطياً ميطانها موجزاً ومطولاً، جانياً بانها، جانياً جنانها، مُشَنِّفاً أذُنَيَّ بشنوف أمثالها، مرتشفاً بفِيَّ سلافة أقوالها»[2].

وفي خطبة كتابه مطالع السعود يقول بالأسلوب نفسه أيضاً:

«وإني كنت ممن عني بالأدب، ونظم من فرائده ما هو نهاية الأرب، ومدح الأكابر من بعد ومن كثب، وذلك والشباب قشيب، وصارمُ الفكر مجلوٌ قشيب، ووكر الفودين ما فرّخ به نسرُ المشيب، كم هززت للنظم معاطفه، ووشيت ببنان الفكر مطارفه، وجملتُ بدرر الإبداع سوالفه، لكني في أودية الغزل أسيل، وأميل إلى كل ذي خد أسيل، سالكاً من ذلك طريقة بكراً، لم تدمثها أفكار المعاصرين

---

(١) سبائك العسجد (٥).

(٢) المصدر نفسه.

نظماً ونثراً، محاذياً لمذهب العرب في المدح والغزل، متجافياً عن كل لفظ مبتذل»[1].

ولقد تأثر تأثراً كبيراً بأسلوب أستاذه عبدالله الكردي، ومن يقرأ نصاً لأي منهما على حدة يتشابه عليه، ففي النص التالي وهو لعبدالله الكردي يظهر هذا جلياً:

«أهدي من السلام رياضاً تفتقت من أكمام الولاء أزهارها، وتدفقت من ينابيع الوفاء أنهارها، وسجعت بمحض الوداد أطيارها، ورقت من رقة نسيم الإخلاص أصائلها وأبكارها، ومن التحيات نفائس تبهر النيِّرين أنوارها، ومن الثناء ما لو لمسه محرم لأوجبنا عليه الفدى، لأنه باشر طيباً، أو استنشقه مُقعد لراح وغدا، وقد أوتي من ماء الحياة نصيباً، ومن الدعاء ما هبت عليه قبول القبول، وتكفل بحصول السول على الوجه المأمول، إلى من ربته العلوم في حجرها، وغذته من أوافيق درها، حتى ترعرع وبرع، فبنى بإعرابه عن مضمرات الأحكام للدين قصراً مشيداً، وأطلق أعنة الأفكار في اقتناص الفوائد، وقيد الأوابد... الخ»[2].

وهكذا تأثر ابن سند بأستاذه، في منهجه وأسلوبه وفي معجمه ومفرداته، إلى الدرجة التي لا يستطيع القارىء أن يميز لأي من الكاتبين يكون النص.

ويقول ابن سند أيضاً في أسلوب مليء بالتشبيهات:

«فما زلتُ أترقى فيها من فن إلى فن، وأتعاطى منها زمانا دَناً بعد دنٍ، أتطوفُ البلدان، وأتعرفُ الوجوهَ الحسان، من عدنانَ وقحطان، أغزلُ تارةً وأمدح، وأعْرِضُ أخرى وأصفح، فأغزل إن غزالٌ سنح، وأمدح إن جوادٌ منح، وأصفحُ إن بخيلٌ جمح، كم وشحتُ من ألوكه، وكم رشحتُ من سبيكه، وكم اجتزتُ في مجاز،

---

(١) انظر: مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٢) انظر: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، محمد بن عبدالله آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي، الرياض، ١٩٩٩، (٢/ ٥٩٨).

ما له من مجتاز، أقتنصُ الأمثال، اقتناصَ القانصِ الغزال، وأكحَلُ المُقَلَ بالسُّهاد، كحلَ الأوراقِ بالسواد، وأولعُ بالرَّقْم، ولعَ الغانياتِ بالرشم »[1].

كما يميل في بعض المواضع إلى استخدام أسلوب القص متأثراً أو ناسجاً على غرار أسلوب ألف ليلة وليلة، إذ يقول :

« ولما ذكرت من أصحاب أحمد هذه الجملة، أحببت أن أذكر ما جرى له من النقلة، وما وقع له مع وزير بغداد، مما حقه أن يذكر ليستفاد، وينوه به في كل محفل ويعاد ... »[2].

شعره:

كان الشيخ عثمان من المكثرين في النظم والمطيلين فيه، ويجده مجالاً لاستعراض ثراء اللغة عنده، فقد تبلغ القصيدة من نظمه ألفي بيت[3]، ولكن النقاد يجدون في بعض أشعاره ركاكة وذلك لتعمده التكلف، وفي بعضه رقة وجزالة، ولكنه ذو فائدة في تاريخ الأدب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد عبّر عن ذلك صاحب كتاب علماء الكويت بقوله:

ولكنه حبيب إلى النفوس التي ألفت شدَّة الأسر وتذوقت جمال الفصاحة عند فصحاء البادية في عصور عز العربية، صرفه في أغراض كثيرة من الغزل، والحماسة، والفخر، والمدح، والرثاء، والتهاني، والعتاب؛ فأتى بالمعجب المطرب. لاءم بين المعاني والألفاظ، وأشاع في أعاريضه وقوافيه هذه الموسيقى

(١) سبائك العسجد (٧).

(٢) المصدر السابق (٨٠).

(٣) كنظم الصارم القرضاب في نحر من سب الأصحاب، حيث يقول الآلوسي إنها بلغت ألفي بيت أو أكثر. انظر: المسك الأذفر: ٢١٦، وما ذكره مبالغ فيه لأن الكتاب يحتوي على قصائد مختلفة في الوزن والروي ويتخلله شعر دعبل الخزاعي.

الجميلة، واسترسل مع الطبع حيناً، وتقيد بالمحسنات اللفظية حيناً آخر؛ ولكنكم على ذلك لا ترون عنده تكلفاً للبديع، ولا إسرافاً في هذه المحسنات اللفظية، لأن سلطان الفطرة كان أكثر ما يكون سطوة على أسلوبه[1].

فقد كان يكثر من النظم، فلا يكاد ينثر فكرة سجعاً حتى يعود ليصيغَها شعراً، وكأنه وضع الشعر نصب عينيه معياراً لامتلاكه ناصية اللغة . يقول من البحر الخفيف:

كم ظلامٍ واصلتـهُ بصـبـاحِ ... ونهـارٍ واصلتـهُ بظلام

سـاهراً فيـه بين نثرٍ ونظمٍ ... مـرعـفاً فيـه آنفَ الأقـلامِ

أنتـقي منه كلَ مـعنىً بديعٍ ... في بديعٍ من الأكـارمِ سـامِ

إنما لذةُ الفـتى نظمُ لفظٍ ... رائقِ السبكِ باهرِ الانسجامِ[2]

ويستهل كتابه مطالع السعود بقصيدة من الغزل العفيف، يقول فيها:

إذا خضتُ يوماً في النسيب وجدتني ... أحاذي بنظمي مذهب العرب والبدو

وأنسبُ في أظب لحوضي أو اللّوى ... ولا صبّ إلا حيث يلوي الهوى يلوي

وأهوى التي أوحت إليَّ بناظرٍ ... مريض جفون حيثما أومأت تغوي

وكم رشـأٍ في الرقـمـتين ولعْلَعٍ ... حديث الهوى عن سحر مقلته أروي

وكم ظبـيـةٍ بين الأراك ورامـةٍ ... حششت لروحي أن أواصلها نضوي

فصدت بعينيها مخافة كاشح ... وكان مناها لو لَوَتْ جيدها نحوي

---

(١) انظر: عُلماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون: عدنان بن سالم بن محمد الرومي، الكويت، ١٩٩٩، ص ٣٤.

(٢) سبائك العسجد (٥-٦).

إلى أن يقول:

وأجمل حب ما يذل به الفتى ... لحب على عشاقه دائم البأوِ
فجن بمن تهوى فما ألطف الهوى ... إذا جُنّ فيه الصبُ من عظم الشجوِ[1]

ويقول في ذم الدهر في مطالع السعود:

شكوت فما أشكاني الدهر إنني ... لفي حيرة من ريبه وصروفه
كأني قرن للزمان محارب ... إذا رمت سلماً سَلَّ حُمْرَ سيوفه
سقى كل ذي جهل بكأس حياته ... وذو العلم أرواه بكأس حتوفه
فلا تكُ بدراً كاملاً في ضيائه ... إذا تم بدر حان وقت كسوفه

ويقول أيضاً:

كلما قلت إن دهري يصفو ... ورياح المنى بصفوي تهفو
كدر الدهر بالخطوب اللواتي ... لم يذق من فدحها الغمض طرف
فكأني من اعتلالي فعل ... يعمل النصب فيه والجزم حرف[2]

وله أيضاً قصيدة مطولة في داود باشا[3]، صاغها بمناسبة انتصاراته على الوالي سعيد بن سلمان، يقول في مطلعها:

(١) مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٥٣ - ٥٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٦.
(٣) داود باشا في الأصل مملوك من أسرة كرجية مسيحية في (تقليس كرجي) جلبه أحد النخاسين إلى بغداد وكان عمره عشر سنين، فاشتراه مصطفى بيك الربيعي ثم باعه على سليمان باشا والي بغداد، فرباه سليمان باشا وعلمه القرآن وأدبه فأحسن أدبه، إلى أن وصل إلى ما وصل إليه من العلوم والمعارف والديانة التي يشهد بها عدوه وصديقه، إلى أن انتهت إليه وزارة بغداد.

بشراك بشرى بما تهوى قضى الزمن — والجد منك علي والرجا حسن
وروض بشرك حسان تبسمه — مذ جاده للسرور العارض الهتُن[1]

أما شعره في أحمد بن رزق فقد أثرى كتابه سبائك العسجد مديحاً، ليس بعده مديح، ومنه قوله من بحر السريع حين يقول:

«وكنتُ ممن جمعهُ القدر، بين تلكَ الوجوهِ الغُرر، أسرعتُ في إنشادي، وأجريتُ في الحلبةِ جوادي:

يا منشدي الأشعارَ في سيد — طلقِ الأيادي في الجدى والجبينْ
يساره يُسْرٌ لقُصَّاده — واليمنُ معقودٌ له في اليمينْ
كيف يجاري شعركم فضلَ من — ما زالَ كالغيث على المعسرينْ
أبلجُ وضاحُ إذا يُجْتَدَى — ولو تناهى زمنُ المجتدينْ
يساره مُثعَنْجِر مُزْنُهُ — والغيمُ بالقطرِ بخيلٌ ضنينْ
قدْ أقسمَ العصرُ وصدقتهُ — بأنه ليسَ له مِن قرينْ
كلُّ المزايا فيه محصورةٌ — أعني مزايا السادةِ الأكرمينْ
لا يُبرزُ الدهرُ له مُشْبِهاً — فإن يَرُمْ فهوَ من الكاذبينْ
خاتمةُ الأجواد في عصره — فهل ترى من بعده باذلينْ
يا بحرُ إنْ كُنْت نظيراً له — فلا تكن يوماً من الجازرينْ
عطاؤك الماءُ وذا مَدُّهُ — دُرٌّ مُنَقّى أو نضارٌ ثمينْ

(١) مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٣٠٠.

كم نَظَمَتْ يمناهُ من سُؤْدَدٍ — مُنْتَثِرٍ أعيا على الناظمينْ

شوكمْ أيادٍ منه مجرورةٍ — مرفوعةٍ إلا عن اللائمينْ

قد أُتْعَبَتْ أوصافُهُ الغرُّ من — كان له من جملة المادحينْ

أوصافُهُ الأمثالُ لكنها — سارتْ بها ألْسنَةُ الحاسدينْ

لا قُطْرَ إلاَّ فيه ذكرٌ له — يفوحُ كالمسْكِ على الناشرينْ

يا مضرُ الحمراءَ نِلْتِ العلا — بسيدٍ جمِّ المزايا رزينْ

أصبرَ من طَوْدٍ إذا عضَّهُ — نابُ من الدهرِ طريرَ سنينْ

أصدقُ في الهيجاءِ من قَسْوَرٍ — ولم يكنْ إلا العوالي معينْ

كأنه تحت طوال القنا — ليثٌ تَبَدَّى في خلالِ العرينْ

يسطو بعَضْبٍ قد حكى وجهه — أو ثاقباً خرَّ على ماردين[(١)]

إلى غير ذلك من أشعاره الكثيرة والتي يغلب عليها الصنع عن الطبع، والتي ترتفع وتنخفض كما قال صاحب الأعلام[(٢)].

مذهبه:

كان ابن سند مالكي المذهب[(٣)]، شأن غالب سكان الخليج آنذاك، بدليل ما ألفه في المذهب المالكي، وهو ما أشرنا إليه في جملة مؤلفاته.

---

(١) سبائك العسجد (٧-٨).

(٢) الأعلام (٤/ ٣٦٧).

(٣) المسك الأذفر (٢١٣)؛ والسحب الوابلة (٣/١١٤٦).

أما موقفه من الدعوة السلفية فقد حسب عليه هجومه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1]، وقد ردّ عليه من العلماء الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور التميمي قاضي سدير في كتاب أسماه:

الرد الدامغ على من اعتقد أن شيخ الإسلام زائغ»[2] وقد طبع محققاً، ويقول ابن بسام معاتباً ابن سند: «ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه، وهو النجدي الأصل، ونجد هي منبت السلفية، أن ينحاز مع المنحرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسب والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب المدرسة السلفية»[3] ونقل بعض المؤرخين أن ابن سند صار في آخر أيامه سلفي العقيدة[4] كما جاء ذكره ضمن الحنابلة في كتاب تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة[5]. وفي شعر ابن سند

---

(١) محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بن عمرو بن معضاد بن ريس من عشيرة الوهبة النجدية، أحد فروع قبيلة بني تميم العدنانية، ولد في عام ١٧٠٣م (١١١٥هـ) بوادي حنيفة وهي من أعالي نجد، وقد تنشأ نشأة دينية وتلقى علوم القرآن على يدي والده الذي كان يعمل قاضياً للعيينة ويعقد جلسات لدارسة العلوم الشرعية. قال عنه العلامة محمود شكري الآلوسي: إنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين، ويأمر بالجماعات. وقد جد في تعليم الناس، وحثهم على الطاعة، وأمرهم بتسليم أصول الإسلام وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها. انظر: تاريخ نجد، تحقيق محمد بهجة الأثري، مكتبة مدبولي، ص ١١٤.

(٢) ورد اسم الكتاب عند ابن بسام على غير ذلك فقد قال: «وكتاب الشيخ عثمان بن منصور اسمه»: (الرد الدافع على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائغ)، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، مصدر سابق، (١٥٤/٥).

(٣) علماء نجد (٥/ ١٥٤) .

(٤) انظر: كاظم الدجيلي بعنوان «الشيخ عثمان بن سند البصري»، مصدر سابق، ص ١٨١.

(٥) تسهيل السابلة (١٦٨١/٣).

« ما ينفي عنه تصوفه، فقد انتقد الشيخ خالد فيما بعد حين ظهرت له مجانبته للصواب، عندما قام بتأليف رسالة في إبطال الرابطة (بين الشيخ والمريد)[١] وهي قصيدة صوفية، نشرها صاحب مجلة المنار[٢]، اطلعنا على بعض أبياتها في كتاب المسك الأذفر، خاصة الأبيات التي يقول فيها:

أخل الفؤاد إذا ما كنت ذاكره ... تكن فتى بسلاف الذكر قد سكرا

الشيخ يدعو لإخلاء الفؤاد من ال ... أغيار طراً ليصفو الذكر للفقرا

فاحفل فؤادك بالذكر اللذيذ وكن ... ممن عن الغير في أذكاره نفرا

لم يحل قط شهود الله في خلد ... إلا إذا لم يكن فيه سواه يرى

إلى أن يقول:

دع التوجه إلا للذي فطرا ... واسلك على الشرع واترك ما سواه ورا[٣]

وفاته:

هناك خلاف على سنة وفاته، فقد جاء في صفحة عنوان كتاب سبائك العسجد أنه توفي في بغداد سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، ودفن بجوار الشيخ معروف الكرخي، قرب مرقد زبيدة زوج هارون الرشيد، ويقول الألوسي: قيل إنه توفي سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م[٤].

---

(١) الرابطة: مصطلح من مصطلحات الطريقة النقشبندية، ويعنون بها: استمداد المريد من روحانية شيخه، بحيث يتلاشى في هذه الروحانية، ويكون ظلاً لشخص شيخه، انظر: المسك الأذفر، ص٢١٦.

(٢) انظر: عدنان بن سالم بن محمد الرومي: علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، الكويت، ١٩٩٩، ص ٣٦.

(٣) المسك الأذفر (٢١٧).

(٤) المصدر السابق (٢١٨).

ويثبت عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز العلي في كتاب إمارة الزبير بين هجرتين أنه توفي في التاسع عشر من شوال من عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م، ودفن في الجانب الغربي من بغداد بالقرب من مرقد الشيخ معروف الكرخي[١]. وهو القول الأقرب للحقيقة، أما صاحب مختصر كتاب مطالع السعود، فقد ذكر أنه توفي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م[٢]. وكذلك ذكر صاحب التحفة النبهانية، وإن كان قد ذكر أن ذلك على وجه التقريب[٣]، ويتفق ابن بسام معه[٤]، وصاحب تسهيل السابلة[٥].

ولقد خلف ابن سند ولدين عالمين ورعين هما عبد الله وعبدالوهاب توفيا بالطاعون عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م في الزبير ودفنا فيها[٦].

مؤلفاته:

يُعد ابن سند من أغزر المؤلفين بين مؤرخي شرقي الجزيرة العربية وأدبائها، وجل ما أنتجه يصنف في مباحث متنوعة كالحديث والفقه والعقائد والنحو والصرف، والبلاغة والعروض والتصوف والتراجم والسير، فضلاً عن إنتاجه الشعري الضخم، ومعظم ما ألف لا يزال مخطوطاً، ولقد أحصاها أحد

(١) إمارة الزبير (٣/٧٧).
(٢) انظر: مقدمة مختصر مطالع السعود، مصدر سابق، ص ١.
(٣) التحفة النبهانية (البصرة): محمد بن خليفة النبهاني، المطبعة المحمودية، ط٢، القاهرة ١٣٤٢هـ، ص ٩٣.
(٤) علماء نجد (٥/ ١٥٥).
(٥) انظر: تسهيل السابلة (٣/١٦٨٢).
(٦) إمارة الزبير (٣/٧٧).

مترجميه، فذكر أنها بلغت أربعين مؤلفاً ما بين صغير وكبير[1]، ومن أهم مؤلفاته التي أشارت إليها المراجع:

- أوضح المسالك على مذهب الإمام مالك وهي منظومة[2].
- بهجة النظر في نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، والنخبة كتاب في أصول الحديث للحافظ ابن حجر، وشرحها شرحاً ما عليه من مزيد[3].
- تحفة التحقيق لمعرفة الصديق، في ألغاز الفرائض (مخطوط)[4].
- تعليقات على شرح الكافية للرضي الاستراباذي[5].
- تفهيم المتفهم شرح تعليم المتعلم[6] (مطبوع في قازان ١٨٩٦م).
- الدرة الثمينة في مذهب عالم المدينة، وهي منظومة للمقدمة العشماوية في فقه السادة المالكية[7].
- رسالة في إعراب اثني عشر[8].
- رسالة في كسر همزة إن وفتحها، منظومة في ٤٢ بيتاً[9].

---

(١) أعيان البصرة (١٦).
(٢) المسك الأذفر (٢١٥).
(٣) المصدر السابق (٢١٥).
(٤) مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٢٦.
(٥) إمارة الزبير (٨١/٣).
(٦) الأعلام (٣٦٧/٤).
(٧) مطالع السعود، مصدر سابق، ص ٢٤.
(٨) مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة (٢/ ١٠٣) نقلاً عن: مطالع السعود ص ٢٧.
(٩) مخطوطات المجمع العلمي العراقي (١٥٥/٢) نقلاً عن : مطالع السعود ص ٢٧.

- الشذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة لإمام الحرمين، وشرحه[1].

- شرح الجوهر الفريد على الجيد (مخطوط)[2].

- شرح الشافية في علم التصريف[3].

- الغشيان عن مقلة الإنسان، في النحو[4].

- الفائض في علم الفرائض، توجد في المكتبة العباسية لآل باش أعيان ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف[5].

- كشف الزبد عن سلسال المدد، بحث عن العدد تذكيره وتأنيثه[6].

- منظم الجوهر في مدائح حمير (مخطوط)، وقد ذكره في نهاية كتابه سبائك العسجد[7].

- منظومة في البلاغة، توجد في المكتبة العباسية لآل باش أعيان، ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف[8].

- منظومة في مدح الإمام أحمد بن حنبل[9].

---

(١) المسك الأذفر (٢١٥)؛ الأعلام (٣٦٧/٤).
(٢) الأعلام (٣٦٧/٤).
(٣) تسهيل السابلة (١٦٧١/٣).
(٤) إمارة الزبير (٨١/٣).
(٥) المصدر السابق (٨١/٣).
(٦) المصدر السابق (٨١/٣).
(٧) انظر: الأعلام (٣٦٧/٤)؛ عبد الحسين المبارك، عبد الجبار ناجي الياسري، من مشاهير أعلام البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٣، ص ٢٢٠- ٢٢١.
(٨) إمارة الزبير (٨١/٣).
(٩) تسهيل السابلة (١٦٨١/٣).

- منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة وشرحها، توجد في مكتبة الشيخ محمد العوجان إن كانت لا تزال محفوظة[١].

- نسمات السحر وروضة الفكر[٢].

- نظم الأزهرية للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري الجرجاني[٣].

- نظم خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي، وشرحه[٤].

- نظم قواعد الإعراب لابن هشام الأنصاري[٥].

- نظم الكافي في العروض والقوافي[٦].

- نظم مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري في النحو (مخطوط) ينوف على خمسة آلاف بيت[٧].

- هادي السعيد، وهي منظومة في العقائد ضمّنها منظومة «جوهرة التوحيد» وزاد عليها من الفوائد ما جعلها كالعقد الفريد[٨].

- هدية الحيران في نظم عوامل جرجان، وهو نظم لكتاب العوامل المائة للجرجاني، وشرحه[٩].

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون: مصدر سابق (٥/ ١٥٠).
(٢) المسك الأذفر (٢١٥).
(٣) إمارة الزبير (٣/ ٨١).
(٤) المسلك الأذفر (٢١٥)؛ الأعلام (٤/ ٣٦٧).
(٥) الأعلام (٤/ ٣٦٧).
(٦) تسهيل السابلة (٣/ ١٦٨١).
(٧) الأعلام (٤/ ٣٦٧؛ تسهيل السابلة (٣/ ١٦٨١).
(٨) المسك الأذفر (٢١٥).
(٩) تسهيل السابلة (٣/ ١٦٨١).

وله نظم:

- الصارم القرضاب في نحر من سَب الأصحاب، وهو نظم في نحو ألفي بيت وهو رد على دعبل الخزاعي الرافضي (المتوفى سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م)[١] وهي منظومة في فقه السادة المالكية، ولقد أورد صاحب تسهيل السابلة عنوانها: «القرضاب في نحر من سَب الأصحاب» ألفها سنة ثمان عشرة ومئتين وألف[٢]، وأورد اسمها الألوسي قائلاً: وسمى ما نظمه في ذلك «الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الأصحاب»[٣].

من ذلك قوله في رد الرافضي:

يا للرجـــال لأمـــة ملعـــونة	سادت على السادات فيها الأعبد
اخسأ فما سادت عليهم أعبد	بل سادة بهم الفخار معمد[٤]

ويقول ابن بسام: «وهي عندي بخط الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد صاحب السحب الوابلة في طبقات الحنابلة، ويوجد منها نسخة في مكتبة (رامبور) في المكتبة العباسية.[٥] وهناك رسائل وقصائد ومناظيم كثيرة لابن سند، كتبها من علوم عديدة، فجاءت مؤلفاته بأفكار حرة من معارفه الخاصة، وبمعانيه المبتكرة، وصاغها بأسلوبه الأدبي وجمله البليغة[٦].

(١) انظر: مقالة كاظم الدجيلي بعنوان «الشيخ عثمان بن سند البصري» مجلة لغة العرب، المجلد الثالث، ١٩١٣، ص ١٨١.
(٢) تسهيل السابلة (١٦٨١/٣).
(٣) المسك الأذفر (٢١٥).
(٤) المصدر نفسه (٢١٥).
(٥) علماء نجد (١٤٨/٥)؛ وكذلك توجد نسخة منه في دار الكتب القطرية بخط راشد بن محمد الحنبلي مؤرخة في ١٠ محرم ١٣٤١، وهي مقابلة مع نسخة بخط المؤلف.
(٦) علماء نجد (١٤٧/٥).

مؤلفاته التاريخية:

يُعد العلامة الشيخ ابن سند من أهم مؤرخي شرقي الجزيرة العربية في القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين، ولقد تفوق في فن السيرة وله في ذلك نزوع المؤرخ الضليع، فهو المؤرخ الرسمي لداود باشا والي بغداد، ولقد ألف فيه كتاباً هو المصدر التاريخي المُعتبر عن هذا الوالي، والكتاب عنوانه :

- **كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود** : وهو في الأصل (مخطوط) يتكون من أكثر من ستمائة صفحة (حيث يبلغ نحو أربعين كراسة)[1] وضمنها أخبار داود باشا وتغطي فترة الأحداث من سنة ١١٨٨هـ إلى سنة ١٢٤٢هـ (١٧٧٤-١٨٢٦) ودامت حكْومة داود إلى أواخر سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٢م، ولقد ألّف هذا الكتاب بناء على تكليف من داود باشا والي بغداد.

«في سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، دعا داود باشا الشيخ عثمان بن سند البصري إلى بغداد وأكرمه وأمره بتبيض تلك المسودة لأجل أن يتخلد ذكره وعدله بين الأمم»[2] وأنزله في دار خاصة له، وشرع ابن سند في الكتاب في الحادي والعشرين من ذلك الشهر، وأرخها بقوله «داود يُمتثل أمره»[3]. وأرخ لشروعه في تأليف تاريخه بنفس اسم كتابه «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود»،

---

(١) انظر: مقدمة أمين بن حسن الحلواني المدني في مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند المسمى بمطالع السعود بطيب الوالي داوْد.

(٢) انظر: مقدمة أمين بن حسن الحلواني المدني في :مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند المسمى بمطالع السعود بطيب الوالي داوْد.. ص ٣.

(٣) وهي وفقاً لـ (حساب الجمل) تكون: د(٤) + ا(١) + و(٦) + د(٤) + ي(١٠) + م(٤٠) + ت(٤٠٠) + ث(٥٠٠) + ل(٣٠) +أ(١) + م(٤٠) + ر(٢٠٠) + هـ(٥) = ١٢٤١هـ/١٨٢٥م.

وأتم الشيخ عثمان كتابه في أوائل عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وهي السنة التي توفي فيها، وهو ما يعزى إلى أن الشيخ عثمان حين كتب هذا الكتاب قد خالجه الشعور بدنوّ أجله فختم الكتاب. يتناول فيه سيرة داود باشا وترجمة حياته وشيوخه، ويذكر بعض الوقائع التي وقعت في السنين الأولى من عمر داود باشا، والتي وقعت أيام حكومته أيضاً بين أعراب المنتفق وزبيد والخزاعل (خزاعة) ونجد والأعجام وكعب والأكراد وشمر وعنزة والعبيد وعقيل، وغيرها من القبائل التي تقيم في جنوب العراق وشرق الجزيرة العربية، ويحكي أيضاً عن محاصرات البصرة وبغداد، فضلاً عن حملات ثويني ضد السلفيين بين عامي ١٢٠١-١٢١٢هـ/١٧٨٦-١٧٩٧م وحملة علي باشا كتخدا على الأحساء.

فهذا الكتاب لا يقتصر على سيرة داود باشا، بل تعداه ليشمل تاريخ أحداث العراق والجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالسلفيين آنذاك. وفي عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م اختصره خادم العلم بالروضة الشريفة أمين بن حسن الحلواني المدني، وكتبه الغريب عبدالغني بن الشيخ محمد الخطيب بخط حسن، وطُبع في مدينة بمبي في المطبعة الحسينية في غرة شوال سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م[١].

تاريخ بغداد: وهو كتاب في التراجم، ككتاب السبائك، ومطالع السعود في منهجه، أطنب الألوسي عليه قائلاً: أبدع فيه وأجاد، أرّخ فيه ما وقع في

---

(١) توجد لدى المحقق نسخة من الكتاب.

- زمانه من الوقائع والنوازل، وترجم فيه بعض الأماجد والأماثل[1].

- **أصفى الموارد في سلسال أحوال الشيخ خالد:**[2] وهو كتاب سير وتراجم صاغه على منهج سبائك العسجد، حيث تناول سيرة الشيخ خالد النقشبندي، وتراجم أساتذته وتلامذته ومريديه وخلفائه، وقد بلغ عدد من ترجم لهم في الكتاب ثلاثين رجلاً من القضاة والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء. فرغ من تأليفه سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م، منه في مكتبة المتحف العراقي نسخة بخط المؤلف[3]. هو كتاب نفيس يحتوي على فوائد تاريخية وفرائد أدبية، من اطلع عليه علِمَ ما للمترجم من اليد الطولى في فنون الأدب نظماً ونثراً[4]. والكتاب مطبوع في القاهرة ١٣١٣هـ/١٨٩٤م.

- **كتاب الغرر في وجوه القرنين الثاني عشر والثالث عشر:** كتبه على غرار سلافة العصر ولم يتمه، وقد ذكره في كتابه سبائك العسجد[5].

(١) المسك الأذفر (٢١٥).

(٢) الأعلام (٤/٣٦٧)؛ المسك الأذفر (٢١٧).

(٣) انظر: مطالع السعود : مصدر سابق، ص ٣٠

(٤) تسهيل السابلة (٣/١٦٨١)؛ وعلماء نجد (٥/١٥٢).

(٥) انظر: إمارة الزبير (٣/ ٨٠).

كتاب سبائك العسجد
في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد[1]

وهو الكتاب الذي بين أيدينا، ويتناول ترجمة لحياة الشيخ أحمد بن رزق من يوم مولده إلى مماته، فقد طلب الوجيه الثري أحمد بن رزق من الشيخ عثمان زيارة مدينة الزبارة، وكانت مدينة ذائعة الصيت في قطر والخليج آنذاك، فاستأذن من الوالي داود للرحيل إلى الزبارة فأذن له، فذهب إلى الشيخ أحمد في الزبارة، فأكرمه واحتفى به على عادة ما يفعله الوجهاء تجاه الأدباء والشعراء على وجه الخصوص، لأنهم كانوا بمثابة وزارة الإعلام التي تذيع أخبارهم وتتغنى بمآثرهم، وعلى قدر مكانة كل منهم تتناقل أخبارهم الناس، فلا يعقل أن يكتب ابن سند إلا عن وجيه ولا يرض ابن رزق أن يكتب عنه من هو دون ابن سند مقالة ومكانة، فحفظ التاريخ مكانة الرجلين، فألف له الشيخ عثمان كتابه «سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد»، فقد كان من عادة الأمراء والولاة والوجهاء، استكتاب المؤلفين والشعراء، والإغداق عليهم، لسرد سيرهم والتغني بأمجادهم وأفضالهم. وفي ذلك يقول ابن سند بعد مقدمة نثرية وشعرية:

«..وحين قضى لسانُ حاله، من نعتِ بعضِ أحواله، صَمَّمَ العزمَ على ما قصد، وأحالَ يُنْجِزُ ما به وعد، من إنشاءِ ترجمته، ونشرِ بُرُودِ مكرمته، وذكرِ أحوالهِ من مولدهِ لموتته..»(٢).

وعلى الرغم من أنه لم يبق في الزبارة مدة طويلة، إلا أنه أنجز الكتاب بعد وفاة الشيخ أحمد بن رزق فقدمه لأبنائه قائلاً:

«قد آن أن أعْرِيَ يَعامِلَ الأقلام، عن تَدْآبِ السيرِ في مهامهِ الإنظام، وأن أنيخَها في مباركِ الختام، من كتابي الموسوم بسبائكِ العسجد، في أخبارِ أحمد.

---

(١) ورد العنوان في تسهيل السابلة «سبائك العسجد في أخبار أحمد رزق الأرشد»(١٦٨٢/٣).

(٢) سبائك العسجد (١٣).

ومن لهُ من مكارمَ أصحاب، هم لفلكِ السيادة أقطاب، ولنحرِ الفضائلِ سحاب، خدمتُ به حضرَةَ أبنائهِ الكرام».[1]

إلى أن يقول:

«فدونكم سبائكُ عسجد، وفرائدُ في سلْكِ البيانِ تُنَضَّد، وخرائدُ حسان، اخْتَلَسْتُها من يد الزمان، وعقودُ جمان، نَظَمَتْهَا يدُ البيان، وعرائسُ أفكار، زَفَّتْها يدُ الابتكار، وزهراتُ فؤاد، أنضرُ من زَهَراتِ الأوراد، وبناتُ ذكا، أنورَ من ذُكا، وعذارى سطور، أفخرَ من رباتِ الخدور».[2]

كما ذيَّله بذكر تراجم أولاد الشيخ أحمد بن رزق وهم: (محمد، يوسف، عبدالمحسن، خالد وعبدالعزيز).

وفي هذا الكتاب أيضاً ذكر لبعض القرى والبلاد التي قطنها ابن رزق ونبذة عنها، مثل: ذكر الكويت، الزبارة، جو، والبصرة، الأحساء، إلا أنه يركز في هذا الكتاب بشكل محوري على صاحب الترجمة أحمد بن رزق شيخ الزبارة. والكتاب يعكس احتفاء مبالغاً بالمترجم له، بدءاً من اختيار العنوان إلى خاتمته، ونسج الكتاب كله على هذا السياق، فلم يدع معنى من معاني الإطراء والمديح إلا وقد جاء به.

فجاء أسلوب الكتاب قريباً من التراكيب التقليدية المتكلفة، مستعيراً كافة المحسنات والزينات اللفظية، فهو يعمد إلى تهجين النص النثري من خلال تداخل الأشكال الأدبية مع النزعة الدينية والحكم يصوغها شعراً. ولقد احتفى بشكل خاص بمدح الأمراء والوجهاء شأنه في ذلك شأن عدد من مؤرخي العراق

(١) سبائك العسجد (١١٥).

(٢) المصدر السابق (١١٥- ١١٦).

أمثال الشيخ عبدالرحمن السويدي، صاحب تاريخ حوادث بغداد والبصرة، ورسول حاوي الكركوكلي المؤرخ الرسمي لحكومة المماليك، صاحب كتاب «دوحة الوزراء في سيرة بغداد الزوراء» فقد اهتم هؤلاء بالترجمة لمعاصريهم من الحكام والأمراء والأدباء والقضاة والعلماء والشعراء والمتصوفة والأولياء والنساء، وكتب بعضهم رسائل مستقلة في ترجمة ذواتهم أو معاصريهم من أساتيذهم أو آبائهم أو ولاتهم.[(١)]

ولقد أُنتقد على أسلوبه ومبالغته في الوصف إلى الحد الذي لا يعقل إلا مجازاً، فهذا يوسف عز الدين يقول عنه:

«لقد كتب عثمان بن سند عن أحمد بن رزق كتاباً بأسلوب القرن التاسع عشر في مدح الرجل ومعاصريه، لا يخرج الدارس منه بشيء واضح سوى نثر مسجّع وشعر مقفى».[(٢)]

ويقول أيضاً:

«إنه مهما أطنب فهو مقصر في ذكر جداول كرمه، وأنه غني، وفاق الملوك والتجار كرماً، وهو الجوهر الفرد في عصره، وأنه سيد علوي ولد في الكويت وبدا عليه الكرم وهو في العاشرة، ولم يبق صفة لمشهور الا ألصقها به، سماحة وفصاحة وفتكاً وصدقاً، ولا يخرج الباحث بشيء تاريخي منظم واضح».[(٣)]

---

(١) انظر: تاريخ حوادث بغداد والبصرة من ١٧٧٢-١٧٧٨م، تأيف عبدالرحمن السويدي، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، ط٢، بغداد، ١٩٨٧م، ص٦-٧.

(٢) النصرة في أخبار البصرة (٥٦).

(٣) المصدر السابق (٥٦).

منهج التحقيق :

اتبعنا في تحقيق هذا الكتاب الخطوات التالية :

– اتخذنا من نسخة المخطوط التي حصلنا عليها عن نسخة مصورة «ميكروفيلم» توجد في مكتبة الملك عبدالعزيز، وتحمل الرقم 1302- A أصلاً في تحقيق الكتاب، وهي بخط نسخ مشكول، ويبلغ عدد أسطرها واحداً عشرين سطراً، وعدد صفحاتها ١٩٣ صفحة، وقد تكون بخط الشيخ عثمان نفسه فلم نعثر على اسم للناسخ، إذ تنتهي المخطوطة بقوله في الخاتمة: وكتبه عثمان بن سند ناظمه ومؤلف هذا الكتاب سنة ١٢٢٥م/ ١٨١٠م.

ويقول أيضاً : «نمق ذلك ووشاه راجي عفو الله ورضاه والملتجي إليه في كل ما يخشاه والمحتاج إليه في آخرته ودنياه عثمان بن سند غفر الله خطاه ...» وهو ما يدفعنا للظن أنها نسخة المؤلف، أو قُرأت عليه، لا سيما وأنها تضمنت تصويبات في هوامشها.

– قابلنا النسخة المخطوطة على النسخة التي طبع عليها الكتاب (مطبعة البيان ببمباي سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م – ويقع في ١١٧ صفحة بقطع المتوسط)[(١)]– فقمنا بإثبات الفروق بين النسختين بهامش الكتاب، ولقد أظهر ذلك بعضاً من التصحيف والتحريف سيلاحظه القارىء في متن الكتاب المحقق.

---

(١) وهي النسخة التي أشرت إليها في مقدمة الكتاب، وهي نسخة الشيخ علي بن عبد الله، عليها إهداء نصه: «أقدمه هدية إلى حضرة الأمير الشيخ الجليل علي بن عبدالله الثاني حاكم قطر المعظم. البصرة ٥ صفر الخير ١٣٧١هـ الموافق ٤ تشرين الثاني ١٩٥١م، من عبدالقادر آل باش أعيان العباسي» – مطبعة البيان بمبي، سنة ١٣١٥ هـ، وهي كاملة الصفحات.

- عنونّا المواضيع معتمدين على فهرس محتوى الكتاب المطبوع، وهوامش الكتاب المخطوط، وما وجدنا من الأهمية عنونته، معتمدين في ذلك على السياق، ووضعنا هذه العناوين بين قوسين مميزين [ ].

- أثبتنا الأخطاء المطبعية، التي وقعت في النسخة المطبوعة، والتي يعزى بعضها إلى خطأ في الجمع (المطبعة)، فقد لاحظنا اختلافاً في رسم بعض الكلمات، حيث كان يقلب الهمزة إلى ياء (للتخفيف)، ونعزوها لطبيعة رسم الكتابة في النسخة المخطوطة التي طُبع عليها الكتاب، كقوله: فرايدها (فرائدها). ولاحظنا خللاً في ترتيب جمع أبيات الشعر، فقد عمد الطابع في بعض الحالات إلى أن يأتي بشطري البيت ويتبعهما بشطر البيت الأول من البيت الذي يليه، ليبدأ السطر الثاني بعجز البيت السابق وهكذا، فضلاً على الخطأ الذي لاحظناه في ترقيم الصفحة الثامنة.[1]

- وضعنا الكلمات التي سقطت من المطبوع في مكانها في المتن حسب ورودها في النسخة المخطوطة ووضعناه بين قوسين مميزين [ ].

- قمنا بضبط المتن، معتمدين على المخطوطة، وما يوافق صحيح اللغة .

- فسرنا معاني بعض المفردات الغريبة، وهو ما استغرق جهداً كبيراً في الكشف في معاجم اللغة، لاسيما وأن المؤلف لثراء لغته وامتلاكه لناصيتها، كان يعمد إلى استخدام ألفاظ غير متداولة، ولقد ركزنا بشكل أساسي على القاموس المحيط للفيروزآبادي الذي قيل إنه كان يحفظه[2]، وذلك لفهم التراكيب اللغوية التي استخدمها. وعلى الرغم من ذلك، فإننا لم نتوسع في المبحث اللغوي إلا بالقدر الذي يخدم السياق، وحتى لا يتحول الكتاب إلى

---

(١) تكرر الرقم (٧) في ترقيم الصفحة السابعة والتي تليها. ولقد صححنا رقم الصفحة بعد السابعة إلى الرقم (٨) كما هو في ملحق الكتاب حتى لا يتكرر الخطأ نفسه.

(٢) انظر: المسك الأذفر (٢١٦).

بحث في اللغة وهو ليس مبحثنا الأساسي، فإننا أوجزنا بقدر ما ييسر فهم المعنى.

- شرحنا ما ورد في المتن من أسماء الأعلام والأمكنة، خاصة ما يتعلق بالحوادث التاريخية وثبتنا الإحالات المفيدة في ذلك بهامش الكتاب، كما قارنا الحوادث التاريخية بما جاء في المصادر المتزامنة معه أو التي تلته .

- قابلنا التواريخ الهجرية بالميلادية، ووضعنا التاريخ الميلادي تابعاً للتاريخ الهجري، معتمداً في ذلك على جداول الدكتور إبراهيم جمعة (دارة الملك عبدالعزيز) .

-أشرنا بنجمة في نهاية البيت الأول من كل نظم للتعريف بالبحر الذي نظم عليه كما جاء في هامش الكتاب المخطوط أو المطبوع .كما أعدنا تنظيم بيوت الشعر، لتكون شطرين في السطر الواحد، حيث جاء في بعض مواضع الكتاب المطبوع ثلاثة أشطر في السطر الواحد وهو ما يوقع اللبس[1] .

-أشرنا لبدايات الصفحات في هذا الكتاب المطبوع بشكل المعين (◆) في بداية الكلمة في المتن من جهة اليمين، وفي الهامش وضعنا رقم صفحة الكتاب المطبوع (الملحق بالمتن)، حتى يستطيع القارىء متابعة النص المطبوع ومقابلته مع الأصل (المتن) الذي تم تحقيقه على المخطوط.

- ألحقنا نسخة كاملة من الكتاب المطبوع، حتى تكون في متناول القارىء إذا ما أراد الرجوع إلى النص .كما ألحقنا صورة من صفحة العنوان والصفحة الأولى والأخيرة من نسخة المخطوط التي اعتمدناها.

(١) كان يأتي بشطري البيت، ملحقاً به الشطر الأول من البيت الذي يليه في السطر الواحد. انظر الصفحات رقم ٢٧ و٢٨ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٦.

ترجمة الشيخ

أحمد بن محمد بن حسين بن رزق

ترجمة الشيخ أحمد بن رزق

أما صاحب الترجمة فهو الشيخ أحمد بن محمد بن حسين بن رزق المعروف في الخليج بـ(إرزيقي)[1] وأصله من آل رزق، وهي من الأسر العربية النجدية التي سكنت البصرة. قال إبراهيم بن فصيح الحيدري عن أبنائها: إنهم بيت مجد وفضل وتجارة وخير. ويقول إبراهيم بن صالح:

«وابن رزق هذا أصله من آل رزق أهل حرمة، وانتقلوا منها، وسكنوا الغاط وهم من بني خالد»[2].

ويقول الفاخري:

«آل رزق أهل الغاط والظاهر أنهم من بني خالد»[3].

ولم يأت ابن سند بسلسلة نسب الشيخ أحمد بن رزق واكتفى بإيراد الاسم منسوباً لرزق، ولعل المؤلف وجد من شهرة المترجم له كعلم في عصره، ما يغني عن إيراد سلسلة نسبه. ولم يذكر لنا ابن سند كذلك تاريخ ولادة أحمد بن محمد بن رزق، ومن المرجح أن يكون في منتصف القرن الثامن عشر للميلاد، وذلك في فترة الشيخ عبدالله الصباح[4] وفي ذلك يقول ابن سند:

---

(١) انظر: مجموع الفضائل(١٥٢).

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٦٦، ص ١٣٣.

(٣) نسخة منسوخة عن المخطوط.

(٤) وذلك باعتبار أن سنة تولية عبد الله بن صباح الحكم هي: ١١٨٢/١٧٦٢م، حسب ما رجحه أبو حاكمة. انظر: تاريخ الكويت، ص ٣٦.

فلا يعقل أن يكون مجيء محمد بن رزق عام ١٧٧٦، وهي سنة تولية عبد الله بن صباح كما جاء عند عبد العزيز الرشيد (انظر: تاريخ الكويت ص ٧٨).

- هناك احتمال أن يكون تاريخ هجرة الشيخ محمد بن رزق إلى الكويت في عام ١٧٤٨م فقد أمَّ الكويت كثير من المهاجرين ولا سيما في الأعوام ١٦٧٦ و١٧٤٨ و١٧٦٧. انظر: حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٢، (٣٨/١).

«قد أبرزتهُ قدرةُ القادر من الرحم الطيبِ الطاهر، منتمياً لأزكى العناصر، في بلدة مصغرة فكبرها، حين تبوأها وتدبرها، ولعمري إنهُ أجل مقداراً، من أن يتخذها داراً».[1]

فقد كان أبوه من تجار اللؤلؤ العصاميين، بدأ تجارته بثلاثة دنانير اقترضها من الوالي. ولا يذكر لنا ابن سند من هو الوالي، والغالب هو والي البصرة؟[2] فهذا اللقب لم يُطلق إلا على الولاة العثمانيين، المهم أن تجارته ربحت حتى وصلت إلى ثلاثمائة دينار في وقت يسير وغدا من الميسورين، حيث يقول:

«فلقد لفَّ الجدُ أباهَ بطرف المجد، وعطف عليه بطرف السعد، حال إيجاده، في الرحم وقبلَ ميلاده، فعمّتْ السعادةُ أباه، مذ تلألأ سناه، ولقد اتجر في اللآلي، بثلاثة دنانيرَ اقترضها من الوالي، فبلغتْ في زمانٍ يسير، ثلاثمائة على التحرير».[3]

وكانت نشأته في الكويت في كنف أبيه، ومنذ حداثته ظهرت عليه بوادر النجابة والذكاء، وعُرف بين أصحابه بالكرم والجود والعطاء، وفي هذا يورد لنا قصة حدثت لأحمد في الكويت وهو ابن عشر سنوات، مع أحد أقرانه من الغلمان، عندما أنشده شعراً فإذا به يغدق عليه، وهو ما دفع والده أن يستبشر به خيراً:

---

(١) سبائك العسجد (١٨).

(٢) في الفترة من عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م إلى عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، عُيّنَ على البصرة الولاة الآتون: الحاج علي آغا، والوزير أحمد باشا، وسليمان بك الكبير الذي تولى البصرة في سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، فقد يكون الوالي المشار إليه أحدهما. انظر: التحفة النبهانية، البصرة، ص٢٨٣ و٢٨٤.

(٣) سبائك العسجد (١٨).

«كان أولَ ما برز فيها، مصدراً كأبيه في ذويه، تُخالُ النجابةُ فيه، والبراعةُ ظاهرةً من فيه، تسمو به نفسهُ وهو رضيع، إلى كلِّ مقامٍ خطيرٍ رفيع، حتى إن الصبيـان، لتـعرفُ له الشان، وترفعُ له المكان، حتى ذكـرَ لي بعض الأتراب، الملازميـه أيامَ الشباب، أنهُ جلسَ مع الأولاد، عامَ عشرٍ من الميـلاد، فبـرزَ له مُعـاشر، في صورةِ شاعر، فأنشده من منظومِ تلك البلدة، ليعلَم بذلك رفده، وعندما أكملَ ما عنده، قامَ إليه وكساه بُرْده، فأنثنى الغلامُ جذلا، بما أمدهُ يمشي الخيْزلى، ولما أُخْبِرَ أبوه استبشر، وقال لابني شأنٌ يظهر، ثم لم تمضِ إلاّ أيام، أقصرَ من ليِّ الزمام، حتى أخذَ ببتاعُ الجواهر[1]، استعانةً بذلك على المآثر، وهو مكفولٌ بأبيه، مختالٌ بالدلالِ بين ذويه، ملحوظاً بلواحظ الإكرام، من الخاصِ والعام، مشاراً إليه بالأصابع، معروفاً بكريم الصنائع، مألوفاً بظريفِ الطبائع ... »[2].

وفي الكويت كان تصدر أبيه في الأمور إرهاصاً لظهوره، فقد انتقلت إليه ثروة طائلة من تجارة الجواهر (اللؤلؤ)، حتى صار له منصب عال في زمنه عند الأمراء ورجال الحكومة العثمانية.

«حتى أخذَ ببتاعُ الجواهر، استعانةً بذلك على المآثر، وهو مكفولٌ بأبيه، مختالٌ بالدلالِ بين ذويه، ملحوظاً بلواحظ الإكرام، من الخاص والعام، مشاراً إليه بالأصابع، معروفاً بكريم الصنائع، مألوفاً بظريفِ الطبائع، ملقيةً إليه المعالي بعِنانها، ناظرةً إليه بإنسانِ أعيانها».[3]

---

(١) الجواهر: يعني اللؤلؤ.

(٢) سبائك العسجد (١٤).

(٣) المصدر السابق (١٤).

الحوادث التاريخية في كتاب سبائك:

يكاد يخلو الكتاب من ذكر وقائع وأحداث تاريخية متتابعة السرد أو متماسكة الحبك، إلا النزر القليل من الشذرات التاريخية، التي يأتي الكاتب بها في سياق التراجم والسير، وعلى الرغم من أنه يورد الحادثة التاريخية موجزة للغاية، إلا أنها مهمة للباحث في تاريخ شرقي الجزيرة والزبارة على وجه التحديد، ولو أردنا أن نتتبع السياق التاريخي الذي تخللته العديد من القصائد التي تناول فيها شمائل أحمد بن رزق والذين معه من الوجهاء والعلماء، لاستخلصنا القليل منها.

ويبدأ ابن سند السياق التاريخي بالحديث عن الكويت، البلد التي شهدت مولد أحمد بن محمد بن رزق ونشأته، فيقول:

«هذا وحيث أشرنا إلى بلده المصغرة وضعاً، المكبرة بطلعته عظماً ورفعاً، فنقولُ هي الكُويْت[1] بضم الكاف، وإسكانِ الياء بلا خلاف، على ساحل بحر

---

(١) الكويت تصغير كوت، وتاريخ بناء الكويت لا نعلمه على وجه الحقيقة، والأحرى أنها بنيت في آخر القرن الحادي عشر من الهجرة، أما الباني فهو أمير بني خالد باتفاق الرواة. كان هذا الأمير يضع فيه الزاد والمتاع إذا أشمل للربيع ويتزود منه لحاجته، والظاهر أن الباني لهذا الكويت هو براك أمير بن خالد، لأن براكاً سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م ـ كان هو الأمير على بني خالد أيام دولتهم. (القناعي: صفحات من تاريخ الكويت. ص ٤)، والكوت كلمة مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم، وقد شاع استعمالها على الألسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الأصيلة فصغروها وجمعوها فقالوا كويت وأكوات، وبالمصغر سميت البلدة على ضفاف (الخليج العربي) وهي تُطلق عندهم على البيت المربع كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة، وتُبني حوله بيوت صغيرة بالنسبة إليه، ويكون هذا البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده لتتزود منه بما ينقصها من الفحم والزاد، ما أشبه ذلك من حاجات السفر. انظر: عبدالعزيز الرشيد: تاريخ الكويت، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٣٠.

العَدان[١]، بفتح العينِ في ضبطِ ذي الإتقان، لم تُعْمر قبلَ ورودِ أبيه العظيم الشأن، إلا بُرَيْهةً من الزمان».[٢]

ثم يستطرد الحديث عن حلف العتوب الشهير الذي استوطن الكويت في بداية القرن الثامن عشر[٣]، عندما يأتي بذكر «بني عتبة» ويرجعهم إلى عنزة:

---

(١) العَدَان: بفتح العين والدال المهملتين، فألف فنون -: تُطلق الكلمة لغة على ساحل البحر والنهر، ثم أصبحت علماً لأرض واسعة، تمتد على ساحل البحر من شمال القطيف حتى ساحل الكويت (سيف كاظمة قديماً) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) القسم الثالث، تأليف حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٩٨١، ص ١١٣٤، وفي لمع الشهاب: «لا يخفى على السامع أنه من الكويت إلى ظهران، وهو موضع قريب من القطيف، على أربعة فراسخ من جانب الشمال، واليوم خراب، هذه الأرض يقال لها العدان، وليس فيها بلدان مسكونة، بل بعض المواضع تسكنها في الصيف عرب بني خالد مثل العماير والصبيح، وهي الفنطاس وفنطيس جنوب الكويت، مسافة يوم من جانب الجنوب، وبعدها بثلاثة أيام من جهة الجنوب جزيرة بلبول، وهي متصلة بالبر الأصلي، إلا أن بينهما قليل بحر في المد. ».

(٢) سبائك العسجد (١٨).

(٣) ينقل ديكسون في ذلك عن الشيخ عبد الله السالم :" في شهر أكتوبر من العام الذي تولى فيه الشيخ عبد الله السالم الإمارة أخبرني أثناء حديث دار بيننا أنه في حوالي ١٧١٠ م، اضطر القحط الرهيب والمستمر آل صباح، وكانت لهم السيادة في ذلك الوقت على قبيلة عنزة الكبيرة كلها، إلى الهجرة من أراضي نجد الداخلية بحثاً عن مكان أقل مشقة يعيشون فيه، وخرج معهم آل خليفة، وهم أسرة من العمارات، تحركوا في بادئ الأمر صوب الجنوب إلى وادي الدواسر، ولكن عندما تبينوا أن الأوضاع هناك ربما كانت أكثر مشقة مما هي عليه في نجد، عادوا من حيث أتوا، وتوجهوا إلى الزبارة في شبه جزيرة قطر على ساحل الخليج العربي، تصحبهم عدة عائلات كريمة وأقل نفوذاً من العمارات، منهم آل زايد (ويعرفون بآل غانم) وآل صالح، وآل شملان. ومرة أخرى اتضح أن الأوضاع في الزبارة ليست أحسن حالاً، ولذلك انتقلوا في مسيرات بطيئة، ومعهم ماشيتهم وأغنامهم، حتى وصلوا إلى نتوء بعيد من الأرض داخل في البحر، يتوفر به الماء العذب على بعد بضعة أقدام تحت سطح الأرض، وكان هذا المكان هو موقع مدينة الكويت الحالية، انظر: الكويت وجاراتها، هـ .ر.ب. ديكسون، ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش، الكويت ط٢. ٢٠٠٢،(١٦-١٧).

«سكنها بنو عتبة: ولهم في عَنَزَةَ بن أسدٍ نسبة، والذي يظهرُ أنهم متباينو النسب[1]، لم تجمعهمْ في شجرةٍ أمٌ وأب، ولكن تقاربوا فنُسِب بعضهم لبعض، وما قاربَ الشيء يعطي حكمَهُ على الفرض».

وهنا نقول إن حديثه عن سكان الكويت، وتفسيره لحلف العتوب من الكتابات غير المسبوقة ولقد أخذ عنه كل من جاء بعده، فعلى الرغم من إيجازه الشديد إلا أنه أعطى معلومات مجملة عنهم ، فقد أرجعهم إلى عنزه بن أسد وهذه القبيلة كما هو معروف عند عموم المؤرخين عرفت بتعدد البطون المنتمية إليها وأنصارهم في روابط المصاهرة فيما بينهم، وهي عادة القبائل التي كانت تستقوي كل منها بالآخر فقد قامت هذه التحالفات على التزاوج[2] بين القبائل مما يقوي من شوكتها في صد أي هجمات عدائية توجه إليها وهو ما نجده في حلف العتوب الذي ضم كلاً من آل صباح وآل خليفة والجلاهمة والمعاودة وآل بن علي[3] وغيرهم وهو ما يجمع عليه العديد من المؤرخين.

(١) المتواتر عند أهلنا أن العتوب فرع من جميلة وايل، وجميلة وايل معروفة في نجد ومساكنهم الأفلاج والهدار قرب وادي الدواسر وبقاياهم لا يزالون يسكنون تلك النواحي، وعندما هاجروا إلى ساحل الخليج انضم إليهم غيرهم فتحالفوا معهم وشملتهم العتبية، وأصبح حلفاً يضم أفخاذاً كثيرة لعدة قبائل تحالفت معهم وتصاهروا فيما بينهم. انظر: عبد الله بن خالد وعلي أبا حسين، البحرين عبر التاريخ، البحرين، ١٩٩١م، ١٩٧-١٩٨.

(٢) وفي تقريره يورد فرانسيس واردن في (مختارات بمباي) معلومات مهمة عن نسب العتوب وحلفهم استقاها من التقارير التي توفر عليها آنذاك قائلاً: «قام شيوخ هذه القبائل بتقوية هذه المستوطنة الجديدة من خلال التزاوج فيما بينهم، يسودهم الاعتقاد بأن مثل هذا التحالف من شأنه أن يمكّنهم من التصدي لهجمات قبيلة بني خالد التي كانت لها قوة ضاربة» انظر: مختارات بمباي، نبذة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية (البحرين) من عام ١٧١٦ إلى ١٨١٧ (ص ٣٦١).

(٣) يقول يوسف القناعي عن سكان الكويت: «سكن الكويت قبل آل صباح وجماعتهم لفيف من البدو وصيادي السمك ثم آل صباح وآل خليفة والجلاهمة والمعاودة، نزل هؤلاء، بعد الإذن من أمير بني خالد، وكانت هجرتهم إلى الكويت بالتدريج». صفحات من تاريخ الكويت، مصدر سابق، ص٨.

وفي معرض حديثه عن نزول الشيخ محمد بن حسين بن رزق الكويت، يعطينا نبذة عن العتوب، والشيخ عبدالله الصباح، نصها:

«والمقدَّمُ عليهم، حين ورودَ أبيه إليهم عبد الله بن صباح[1] وفقهُ الله للصلاح، وكان لما قَدِمَ أبو المشار إليه، يُفَوِّضُ إبرامَ الأمورِ ونقضَها إليه، حتى إنهم قبل وصوله شرذمةٌ قليلة، ذوو مسكنة وذلة، وحين جعلوه لآرائهم قبْلة، وفوّض خواصهم الأمرَ إليه كله، شدَّ أسرهمْ وسدَّ ثغرَهمْ، ورأبَ صَدْعَهُمْ، ونَصَبَ جَمْعَهُمْ، فنَما فَرْعُ الثروةِ في تلكَ البلادِ».[2]

---

(١) عبد الله بن صباح: «هو أصغر أولاد صباح، ولصباح عدة أولاد، ولكن عبدالله أحسنهم سيرة ونباهة، وقد استقام في الإمارة ما يقارب سبعين سنة وتوفي سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م. انظر: صفحات من تاريخ الكويت: يوسف القناعي، ص ٩، في حين يذكر النقيب بركس أن عبدالله بن صباح توفي عام ١٨١٢م. مختارات بمباي، المسح البحري ص(٥٧٦). Selections From the Records Of the Bombay Government, p 576.

(٢) سبائك العسجد (١٨).

- ويعلق فرانسيس واردن في(مختارات بمباي) عن نشاطهم بقوله: (قررت القبائل الثلاث مزاولة مهنة التجارة والزراعة وتقاسم الأرباح بالتساوي، وفيما يختص بالإدارة فقد تم الاتفاق على أن يقوم أبناء بني صباح بممارسة مهام الحكومة، فيما يقوم أبناء قبيلة الجلاهمة بالإشراف والتحكم في الشؤون البحرية، وقبيلة بني خليفة بأعمال التجارة). انظر: مختارات بمباي، نبذة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية (البحرين) من عام ١٧١٦ إلى ١٨١٧(ص ٣٦٢). Selections From the Records Of the Bombay Government, p 362.

الانتقال من الكويت إلى الأحساء

يقول ابن سند إن تاريخ انتقال الشيخ محمد بن رزق ومعه ابنه أحمد (صاحب الترجمة) من الكويت إلى الأحساء، كان في سنة ١١٨٨هـ (١٧٧٤م)، ولا يذكر لنا شيئاً عن أسباب ارتحاله من الكويت إلى الأحساء، وترجع بعض المصادر ذلك إلى انتشار الطاعون العظيم ببغداد[١]، الذي عم جميع العراق إلى البصرة، وهلك فيه خلائق كثيرة، ولم يبق فيه من أهل البصرة، فبلغوا ثلاثمائة وخمسين ألفاً، ومن أهل الزبير نحو ستة آلاف نفساً[٢].

فقد خشي بعض التجار أن يمتد الطاعون إلى الكويت، فهاجروا من الكويت إلى ما جاورها من بلدان بحثاً عن مكان آمن ليزاولوا فيه التجارة، وتشير مصادر أخرى إلى أن انتقال التجار في ذلك الوقت كان بسبب التوترات التي كانت سائدة في المنطقة من جراء استيلاء الفُرس على البصرة[٣].

---

(١) وفد الطاعون من استانبول على مدن العراق سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢-١٧٧٣م ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً، وقل أن نجت مدينة أو قرية من آثاره. انظر: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، ص ١٤(هـ).

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، مصدر سابق، ص ١١٥.

(٣) في سنة ١١٨٨هـ - ١٧٧٣م، أرسل كريم خان الزند جنوده نحو البصرة تحت قيادة أخيه صادق خان، فلما وصلوا البصرة حاصروها ومعهم قبيلة بني كعب وضيقوا على أهلها حتى اضطر الناس إلى أكل خسيس الحيوانات. انظر: النبهاني: تاريخ البصرة، ص ٢٨٦-٢٨٧. وفي ذلك يقول ابن بشر :«وفيها (سنة ١١٨٩هـ) حاصر العجم البصرة، سار بهم كريم خان الزندي، واستمر الحصار عليها سنة ونصف سنة، ومتسلمها من جهة الدولة سليمان باشا ومعه فيها ثويني بن عبدالله آل شبيب وغيره، فلما كان سنة تسعين (١١٩٠هـ / ١٧٧٦م)، استالوا العجم عليها صلحاً، ثم غدروا بهم ونهبوا وسبوا كثيراً من أهلها، وساروا منها إلى بلد الزبير ونهبوه، ودمروه، وسبوا من وجدوا من الأطفال الكبار، وتركوه خالياً وأهله بين منهزم وقتيل.» انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض، ١٩٨٢م، (١/١٢٤-١٢٥).

فقد انتقل محمد بن رزق ومعه ابنه أحمد وعدد آخر من التجار، الذين خشوا على أنفسهم وعلى تجارتهم، إلى الأحساء ليقيموا فيها، وحين نزلها محمد بن رزق، شاع ذكره وكرمه بين الناس فالتفوا حوله، ويبدو أن تجار هذا العصر كانوا يمثلون مصدراً رئيسياً للجود والكرم والإحسان والعدل، ويعمرون الأماكن التي ينزلونها فيلتف حولهم الناس، وتأتيهم الوجاهة ويحصلون على علو المنزلة، ورضا الحكام، ويقول ابن سند في ذلك:

«وفي عام مبارك البدء والختام، أرخه ختامَ ود وسلام سنة(١١٨٨هـ/١٧٧٤) انتقل أبو هذا القَمْقام[١] إلى الأحساء من البحرين[٢]، وصار فيها بمنزلة الإنسان من العين، فَأَثَّدَ فيها الأوتاد، وأجزل فيها الإرفاد، وبذلَ فيها المعروف، على المجهول والمعروف، وحصلَ لهُ ببركة هذا الغلام، أتمَ الاكرام من الحُكّام، وصار الخاصّ والعامُ، لهُ بمنزلة الخُدّام، تناخُ على بابه الركاب، ويأتيه الوافدونَ من كل أوبٍ وباب، فأقامَ فيها تُنْشَرُ محاسنه، وتُحْمَدُ مساعيه وميامنه، بطانته خيرُ بطانة، تأمرُ بالمعروف»[٣].

الانتقال من الأحساء إلى الزبارة

وحسب السياق الذي قدمه المؤلف، لم يطل مقام الشيخ محمد بن رزق في الأحساء، فقد كانت بمثابة محطة قصيرة في طريقه إلى الزبارة، الميناء المطل على الخليج، إذ ينقلنا مباشرة دون مقدمات للحديث عن الزبارة التي اتخذها

---

(١) في القاموس ١٠٦٢: القمقام ويُضم: السيد. وفي العين ١٥٢٦: سيد قَمقام، وقُماقِم لكثرة خيره.

(٢) إي أن الانتقال كان من الكويت إلى الأحساء من البحرين (من البحرين: أي من إقليم بلاد البحرين، حيث نسب الجزء للكل)، وليس كما ذهب بعض الباحثين باعتباره ذهب أولاً إلى جزيرة البحرين ومنها إلى الأحساء.

(٣) سبائك العسجد (١٨).

مسكناً، وكان اختيار الزبارة باعتبارها منطقة تتوسط مغاصات اللؤلؤ في الخليج، ولقربها من جزيرة البحرين، فكانت بمثابة المنطقة الأنسب والأهدأ لممارسة التجارة. كما لم يتحدث عن سبب انتقاله من الأحساء إلى الزبارة البلد التي أصبح لها شأن عظيم بعد قدوم ابن رزق إليها، ووافقه (خليفة بن محمد أشرف بني عتبة)[1] في تعميرها، فقد سبقه الثاني في المجيء إلى قطر والنزول عند آل بن علي والمعاضيد أخوال أبنائه، وقام بتعمير قلعة مرير، ولما كانت تجمعه به علاقة كتاجرين كبيرين منذ أن كانا في الكويت، جاء ابن رزق إلى الزبارة بالقرب من ابن خليفة، ليقيم نواة للتجمع التجاري :

«فما كان إلا أيام، كأنها للطافتها طَيْفُ منام، حتى انتجعَ أبو هذا السيد الهُمام[2]، منتجعاً منه بروقَ العزِ لائحة، وأرواحَ الكرامة في أندائه فائحة، ونتائجُ التدبيرِ في جوانبِه صالحة، وسروحُ الفضلِ في مرابعهِ سارحة، وغزلانُ

---

(١) في التحفة النبهانية سياق آخر، حيث يشير إلى محمد بن خليفة وليس خليفة بن محمد، حيث يقول: « وأول من نزل الزبارة وعمَّرَها الشيخ أحمد بن رزق ورغب الناس في سكناها بكرمه وبذل جوده. وبالعدل بين نزلائه، فأتتها العرب من كل فج فأسدل عليهم رداء إحسانه حتى تمولوا وصاروا يتجرون في اللؤلؤ، فأتاها الشيخ محمد بن خليفة زائراً ولشراء اللؤلؤ منها فأمطر على أهلها من سحب فضله نعماً وافية». التحفة النبهانية، تاريخ البحرين، ص ١١٩-١٢٠، وعلى الرغم من أن النبهاني وراشد بن فاضل يؤكدان أن أول من نزل الزبارة وعمرها هو أحمد بن رزق، إلا أن عبدالله بن خالد آل خليفة وعلي أبا حسين يشككان في قول النبهاني على الرغم من أنه قد أرخ لآل خليفة. والحقيقة إنهما لم يفرقا بين «مرير» التي نزلها محمد بن خليفة وعمَّرها، وبين الزبارة المدينة التي نزلها محمد بن رزق وعمَّرها. انظر: الوثيقة، العدد الثالث، يوليو ١٩٨٣، ص ٢١. بينما تتفق مختارات بمباي مع ما ذكره ابن سند، حيث تشير إلى خليفة بن محمد وليس محمد بن خليفة، وهي قريبة العهد من الأحداث «توجه خليفة بن محمد مع مجموعة من أفراد قبيلته إلى الزبارة للإقامة فيها...» انظر: مختارات بمباي (ص ١٤٠). Selections From the Records Of the Bombay Government, p 361.

(٢) المقصود الشيخ محمد بن حسين بن رزق.

الدمَى في ملاعبه سانحة، بعد أن أعملَ الرأيَ فيه، أيَتّخذُهُ منزلاً ويصطفيه، أم يتركُهُ ولا يأتيه، ووافقهُ على تدبيره، في اتخاذ ذلك المنتجع، وتعميره خليفةُ بن مُحمدٍ أشرفُ بني عتبة، الحائزُ من رتبِ الفضلِ أرفعَ رُتْبة، فتعاضدا[1] بعد الاستخارة، وتسديد سهام الاستشارة، على تعميره وتسميته بالزبارة، فَعَمَّراه وأحكما منه العَمارة، وزيناه بالعدل في البداوة وذوي الحضارة، حتى ضُرِبَ المثلُ بمحاسن آثارها، وشُنِّفَتِ الآذانُ بمحاسنِ أخبارهما، ووضعا المكوس[2] عن الأموال، وساويا بين الغني والمقلال، عمرا فيه المساجد، للراكع والساجد، وشيدا فيه المدارس، للقارئ والمدارس، فللّه أيامُهُما ما أبْهَجَها، وأكثرَ خيرِها وفَرَجِها، أعملت لزيارتهما يَعْمَلات العلماء، وجُمِّلَتْ بجمالِهِما وجوهُ الكرماء»[3].

ويورد النبهاني حسب رواية آل خليفة سياقاً آخر، حيث يقول إنه بعد وفاة الشيخ خليفة في الكويت مأسوفاً عليه من أتباعه، تقلد الأمر من بعده ابنه الشيخ محمد بن خليفة، فحصل له من جور وتعديات أمراء المحمرة بني كعب الشيعة الذين كان لهم نفوذ ومطامع في تلك الجهات، ما زهده في سكنى الكويت وحبب إليه الرحيل، فظعن بقومه ونزل بهم في الزبارة من بر قطر[4] عند أنسبائهم وأخوالهم من آل بن علي الذين كانوا يسكنون الزبارة. أي إنه جاء إلى قطر ونزل مريراً حوالي عام ١٧٦٦م، وبنى له قلعة على الماء الذي يستقون منه وسماها «صبحا» على اسم قلعتهم في الهدار وتسمى أيضاً قلعة

---

(١) من الفعل عَضَدَ يعضد عضدا فهو عاضد: والمعنى تعاونا، وتناصرا (المعجم العربي الأساسي).

(٢) مُكُوسٌ: الضريبة التي يستوفيها الجمرك على البضائع المستوردة (المعجم العربي الأساسي).

(٣) سبائك العسجد: (١٩-٢٠).

(٤) وهذا يعني أن محمد بن خليفة قد جاء قبل محمد بن رزق إلى الزبارة، حسب سياق النبهاني، وأنه قام ببناء قلعة مرير في عام ١١٨٢/١٧٦٨م.

«مرير» نسبة إلى الماء الذي بنيت حوله، وكانت قلعة حصينة. وأتم بناءها فأرخت بجملة: تمت بعز وعون الله حاميها وذلك سنة ١١٨٢ هـ الموافق سنة ١٧٦٨ م[١].

(١) انظر عبد الله بن خالد آل خليفة، وعلي أبا حسين: البحرين عبر التاريخ، المنامة ١٩٩١م، ص٢١٧.

وصف الزبارة :

أما الزبارة[1] المدينة التي جاءها ابن رزق وعمرها، فهي تقع على الساحل الشمالي الغربي لشبه جزيرة قطر، وتحدها من الشمال فريحة ومن الجنوب رأس عشيرج، وتبعد عن الدوحة مسافة ١١٠ كيلومتر، ولقد تطورت المدينة التجارية خلال الفترة من تاريخ تعميرها في ١٧٧٤- ١٧٩٩، وبنيت حولها الأسوار وأحاطتها الأبراج لحمايتها، ولقد راجت في تلك الفترة المدينة التي تركزت فيها تجارة اللؤلؤ، وكانت حلقة وصل تجاري بين شرق الجزيرة العربية والهند، وكان لانخفاض الضرائب التي كانت تحصلها الزبارة آنذاك أثره في انتعاشها التجاري والعمراني، فأقيمت القصور والمنازل في المدينة، بل وتجاوزتها فيما بعد الأمر الذي استدعى بناء سور آخر يحيط بالامتداد العمراني الجديد، ففي بداية تعميرها حوالي ١٧٧٤- ١٧٧٥م، أحاطها ابن رزق ببناء سور هلالي الشكل دائري نصف قطره ٧ أميال ويحتوي على ١٢ برجاً، وبعد أن تعرضت قطر لغزو من السلفيين، استلزم ذلك بناء سور جديد يحيط بالمدينة وكان ذلك في عام ١٧٩٤، من أجل حمايتها من الهجمات المتوقعة، وكان هذا السور هلالي الشكل ولكنه باتساع أكبر وأطول يبلغ حوالي ٢.٥ كيلو متراً، ويحتوي على ٢٣ برجاً، وباب السور في الجهة الجنوبية الشرقية مقابل قلعة مرير. وهو السبب نفسه الذي دفع بأحمد بن محمد بن خليفة إلى بناء سورين متوازيين وأبراج بامتداد سور الزبارة إلى قلعة

---

(١) في اللغة الزبارة: من الزَبْرُ: الحجارة، والزَبْر (طي البئر بها) ويقال بئرٌ مَزبورة، والزبارة الخوصة حين تخرج من النواة. انظر: تاج العروس ج١١، ص ٣٩٨-٤٠٦. وفي التعبير الشائع كل ما ارتفع من الأرض وتجمع عليه الرمال الناعمة.

مرير، التي كانت تصلها بالبحر قناة حفرت فيما سبق لتوصيل البضائع بحيث يمكن للمركب أن تصل إلي القلعة وتفرغ حمولتها[1] خارج الأسوار في معظهما.

ولقد وصف ابن سند مدينة الزبارة بأوصاف تفوق الخيال، فقد شبهها بإرم ذات العماد:

«أقامَ في تلكَ البلاد، التي هي كإرَمَ ذاتِ العماد، يعاشرُ أجوادها، ويسامرُ زُهّادها، ويسائرُ عُبّادها».[2]

وللقارئ أن يتخيل ما كانت عليه هذه المدينة، بعمارتها، ومساجدها ومدارسها، ومجالس العلم فيها، فلم يقتصر التطور والازدهار الذي عمّها على الحركة التجارية فقط، وإنما تعداها ليشمل الحياة الثقافية والدينية، حتى قيل في هذا الصدد: «خراب البصرة عمار الزبارة» وهذه المقولة صارت مثلاً متداولاً بين أبناء الخليج، وقد درج الناس على تكراره إلى وقت قريب.

---

(١) ويصف راشد بن فاضل القلعة بقوله: ولعلها سابقاً لرجل يدعى مرير، فأقام بناءها الشيخ محمد بن خليفة، وجعل في كل جهة منها ثلاثة أبراج ضخام، وأنا ذرعت ساس هذه القلعة خمسة أذرع، وبنى بها مسجداً للجمعة مطوياً سقفه بالقباب، وبها بئر ماء عذب، وبنى أيضاً سورين من باب الزبارة إلى القلعة، سور من الجنوب مستطيل من باب البلد شرقاً إلى القلعة، والثاني كذلك من الشمال متصل من القلعة إلى باب البلد من الغرب والطريق بين السورين، وكذلك حفر من جنوب البلد خليجاً للسفن من البحر شرقاً إلى القلعة، برزخ بين برين، وبنى الجهتين بالصاروج، ومسافة هذا الحلقوم والحفر قدر ميلين تجري فيه السفن. انظر: راشد بن فاضل: مجموع الفضائل، ص ٤٣.

(٢) سبائك العسجد (٢٧).

وفي معرض حديثه عن قدوم العالم الفقيه ابن خنين للنزول على أحمد بن رزق، يدخلنا في جو المدينة العلمي والثقافي، ويظهر جانب من اهتمام الشيخ أحمد بن رزق بالعلم والعلماء وكرمه معهم، ويصف المدينة وصفاً لا يضاهيه وصف:

« قَدِمَ الزبارة، وهي في غاية العمارة، باسمةٌ عن محاسنِ النضارة، رافلةٌ بأثواب، مفوفةٌ ببنانِ الشباب، مائلةٌ بأعطاف، مائسةٌ بأنفاسِ الألطاف، كاحلةٌ الأجفان، بإثْمِدِ الإحسان، مخضّلةَ الأغصان، بهاطلِ بنان... »[1].

فقد كانت هذه المدينة التجارية، مكاناً لتجمع التجار والعلماء، وهو ما جعلها تزدهر في فترة وجيزة، وفي الوقت نفسه كانت مطمعاً لهجوم القوى المختلفة.

بروز الشيخ أحمد بعد أبيه

وفي الزبارة يتوفى الشيخ محمد بن حسين بن رزق والد أحمد المترجم له، فيتركه وحيداً ليس له من مساعد، ولا يذكر لنا ابن سند تاريخ الوفاة، ويقول في ذلك:

«فبقيَ بعدَ موتِ الوالد، ليسَ لهُ من مُساعد، على كرمه إلا الكفُّ والساعد، حتى بقيَ أكثرَ من عام، لا يألفُ المنام، حذراً من معاديه، أن يقصرَ عن مكارم أبيه، فما زال يسددُ ويقارب، ويُعملُ سهامَ الرأي الثاقب، في إصابته أعلى المراتب، إلى أن نظرتهُ السعادة، وَصَدَّرَتْهُ على ذويها السيادة، ورَقَّتْهُ على منابرها، وأقبلتْ عليه بحذافرها، فملأ اللّهى بعظيم اللُّهَى، وألقتْ إليه المروةُ قلائدها، وسلّمَتْ إليه الفُتُوَّةُ مقالِدَها، فترقى إلى مقام لا يُستطاع ارتقاؤه، ولا يُطاق إلا منه بناؤه..»[2].

---

(١) سبائك العسجد (٢٦).

(٢) المصدر السابق (٢١).

ويتوقف ابن سند هنا ليبرز الدور الذي سيلعبه أصحابه من العلماء والأصفياء الذين التفوا حوله بعد وفاة أبيه، ليشكلوا فيما بعد الكوكبة من العلماء والخلصاء، الذين سيأتي بذكرهم في الكتاب، فيقول:

«بنفسٍ أبية، وشيمةٍ عربية، وهمةٍ إسكندرية، وسياسةٍ شرعية، ومكرمةٍ حاتمية، وشجاعةٍ علوية، فمازال كذلكَ والأيامُ له مُساعدة، وأجفانُ الردى عنه راقدة، محفوفاً بأصحاب، هم لدوائرِ اللطافةِ أقطاب، ولجيدِ الظرافةِ سحاب، ولرياضِ النباهةِ أزهار، ولأفلاكِ السماحةِ أقمار»[1].

ولما كان أحمد بن رزق من أكبر تجار اللؤلؤ[2] فقد كان يمتلك من المراكب ما تحمل تجارته ليذهب بها إلى البلاد النائية، والمرجح أن الشيخ أحمد بن رزق هو أول من استخدم السفن الكبيرة[3]، وهو ما جعلها مطمعاً للطامعين، فالوثائق البريطانية تورد لنا في تاريخ لاحق، حادثة استيلاء رحمة بن جابر العتبي على مركب البغلة التي كان يمتلكها، ثم تتدخل القوات البريطانية لإعادتها[4].

---

(١) سبائك العسجد (٢١).

(٢) ويقول راشد بن فاضل عن أحمد بن رزق: «كان رجلاً صالحاً وتاجراً كبيراً في اللؤلؤ، وله مآثر حسنة في بناء المساجد والقصور العالية ...»، راشد بن فاضل البنعلي: مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، تحقيق حسن بن محمد آل ثاني، بالدوحة، ٢٠٠١، ص ١٥٣.

(٣) يقول يوسف القناعي إنه اطلع على كتاب له مؤرخ في سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م لمعتمد الحكومة العثمانية في بغداد، وخلاصته أن معتمد الحكومة طلب منه أخشاباً من المليبار، وأن الشيخ أحمد بن رزق عين له بعض السفن الكويتية لنقل الأخشاب من المليبار، وفيه يقول لمعتمد الحكومة: " كن مطمئناً من عبدالله الصباح فإنه رجل عاقل ومغلوب لجماعته " وكانت الحكومة في ذلك الوقت متخوفة من سعود بن عبدالعزيز آل سعود وخافت من ابن صباح أن ينضم إليها. انظر: يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، دار سعد، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٦٦-٦٧.

(٤) R/15/1/16 p.64

كما يشير الشيخ عثمان بن سند إلى حادث غرق مركب الشيخ أحمد بن رزق بما يحمل من أموال، ولكنه صبر على ذلك:

«غَرِقَ له مركب، بجملة أموالٍ لا تُحسب، وحينَ بلغه الخبر، صَبَرَ وما اكفهر، وتبسمَ وما أبدى الضجر، بل زادَ تبسمه، وتعاظمَ تفضله وتكرمه. فتزوجَ في الحالِ بكراً، ونشرَ موائدَ الكرمِ نشراً، وأظهرَ بشاشةً وبِشراً. فرأى أعداؤهُ منه العجب، وأقروا بِعُلُوِّ الرتب، والفضلُ ما شهدتْ به»[1].

حملة علي باشا كتخدا على الأحساء

لقد تعرض ابن سند لجانب من حملة والي بغداد علي باشا كتخدا[2] على الأحساء في حربه ضد ابن سعود[3]، ويظهر موقف ابن رزق المساند للعثمانيين،

---

(١) سبائك العسجد (٨١).

(٢) كتخدا أو كدخدا (كلمة فارسية) من «كد» وتعني البيت و«خدا» بمعنى الرب، أي رب البيت وتُطلق في الفارسية على السيد الموقر، أما عند العثمانيين فقد أطلقت على المسؤول أو الوكيل أو المعتمد أو الأمين، وترد أيضاً بلفظ «كيخيا» أو «كخيا» أو «كهيا»، انظر: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والتركية، حسان حلاق وعباس صباغ، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٩، بيروت، ص ١٨٦.
وقد ذكر صاحب لمع الشهاب تفاصيل حملة علي باشا الكخيا على الأحساء، وكان ذلك سنة ١٢١٣هـ، (١٧٩٩م) انظر: لمع الشهاب، ص ١٢٩؛ وتمثل فترة هذا الوالي وحياته صورة من أجلى صور العراق في ظل الفوضى والاضطراب وضعف الحكام، وهي صورة بقيت تتكرر دهراً عندما تضعف سيطرة الدولة، وقد ارتبط اسمه باسم الوالي الشهير سليمان باشا، فقد كان كتخداه الذي يعول عليه ويعتمد على قوته في الحروب، وأوصى له بالولاية والحكم وزوجه ابنته. انظر: النصرة في أخبار البصرة، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٣) المقصود عبدالعزيز بن محمد بن سعود (حكم من عام ١١٧٩هـ -١٢١٨هـ الموافق ١٧٦٥هـ/١٨٠٣م). فقد جهز سليمان باشا والي العراق جيشاً كثيفاً من العساكر النظامية، بلغ عدد خيلهم ثمانية عشر ألفاً، ومعهم المدافع الضخمة، فسار الجيش متوجهاً إلى بلد «الأحساء» وحصروا بلد «الهفوف» حتى احتلوها ما سوى قصر «الكوت» وما أحاط عليه سور الكوت، وباحتلالها سلمت لهم جميع قرى «الأحساء». ثم توجهوا إلى بلد «المبرز» وحصروا قصر «صاهود» الموجود بها، من سبع ليال خلت من شهر رمضان إلى سبع ليال مضت من ذي القعدة، وهاجموه بالزحافات، ورموه بالمدافع، وحفروا نفقاً يصل إلى جدار القصر، وشحنوا النفق بالبارود، وأشعلوا فيه النار، ولم يقدروا على فتحه، وكلما حدث في جدرانه شيء من الخلل أصلحه من كان داخل الحصن، وكان فيه مائة رجل من أهل نجد، أميرهم محمد بن سليمان ابن ماجد من أهل «ثادق». =

مما أغضب عليه السلفيين، فقد شهدت الجزيرة العربية في ذلك الوقت تطوراً سريعاً للمد السلفي الذي اجتاح العديد من دول المنطقة ومشيخاتها، مما أدى إلى قلق الوالي العثماني في بغداد من تمادي هذه القوة وتهديها لسلطته، فجهز حملة[1] بقيادة علي باشا كتخدا لمواجهة هذا المد، وذهب بها إلى هجر واحتل القطيف، وحاصر الأحساء، وفي تلك الأثناء طلب المساعدة من آل خليفة، فقام أحمد بن رزق وأرسل له عدة وعتاداً. فيقول:

«أنه لما توجهَ الوزيرُ المفخم، والأميرُ المعظم، علي باشا كتخدا بغداد، إلى هَجر وما والاها من البلاد، للاستيصالِ على ما تملكه ابن سعود، وقتلِ ما سَيَّرَهُ إليها من الجنود، وإعادتها على ما هو المعهود، والتولي على ما فيها من القصور، وإصلاحِ ما عراها من الخللِ والقُصور، وتشييدِ أركانِ الإسلام، وإراحةِ الأنام، من تلكَ البدعة الطامة، وإخمادِ تلكَ الفتنةِ العامة، فضربَ فيها أوتادَه، ليبلغَ بالمحاصرةِ مرادَه»[2].

ثم يحدثنا عن قيام علي باشا بالاتصال بآل خليفة طالباً منهم المساعدة ضد ابن سعود، وكان آل خليفة في ذلك الوقت في مرير، بالقرب من الزبارة، بينما كان ابن رزق في الزبارة، حيث بادر ابن رزق بإرسال مدد من العساكر والهدايا والركاب (النياق) نيابة عنهم إليه:

«أرسلَ إلى آل خليفة، برُسُلٍ وصحيفة، يرومُ منهم النجدة والمناصرةَ والعدة، والمعنيُّ بذلك من فَـوَّقْتُ حمده. وحينَ اطلعَ على تلكَ الرسالة، أيقن أنها لم

= ولما يئس الجند من فتح الحصن، وأضر بهم المقام، ألقى الله في قلوبهم الرعب، وزلزلوا، فارتحلوا راجعين إلى العراق، وارتحل كثير من أعيان «الأحساء» إلى بلد «الزبارة»، التي بقرب «قطر»، وكان فيها التاجر الجوهري المفضال الجواد الشيخ أحمد ابن رزق. انظر: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، مصدر سابق (١/ ٢٣٨).

(١) كان الجيش مكوناً من العساكر النظامية، ومن الأكراد والمجرَّة، ومن أهل «البصرة» وأهل «الزبير» ومن البوادي بني المنتفق - رئيسهم حمد بن ثامر الشبيب (حمود بن ثامر) - وآل بعيج والزقاريط وآل قشعم وبوادي شمر والظفير، انظر: تحفة المستفيد (١/ ٢٣٨).

(٢) سبائك العسجد (٨١).

ترسلُ إلا لَهُ، فقام على ساقِ الاجتهاد، بإنجازِ ما منه الوزيرُ أراد، فأرسلَ عساكرَ وهدايا، وصحائفَ منطويةً على وصايا»[1].

ويتوقف ابن سند عند هذه الهدايا التي سُر بها الوزير وذاعت أخبارها بين الخلائق والأمصار، وهنا يبالغ ابن سند كعادته في وصف الهدايا والحلل حتى إنه شبهها بحلل الآخرة:

«فأما الهدايا فإنها يجبُ أن لا ترد، وإن كانت لغزارتها لا تعد، قد اشتملتْ على أنواعٍ فاخرة، تُذكِرُ من رآها حُللَ الآخرة، وتُخْبِرُ عن مكارم، لم تُعَبْ إلا بأنها خضارم، وتحكمُ لَه بالفضلِ على من ناظره، فلا غرابةَ أن تَغْدُوَ الأمثالُ بها سائرة، وتُمْسي أذكارُها على كلِ مقولٍ دائرة، وتَعْبِسَ من جَرّاها وجوهُ الحَسَدَةِ فهي باسرة، وترجعَ أيادي المُطاولين عن تناوشها قاصرة. ومن جملتها ركابٌ، كالرياحِ في الهِباب، والسحابِ في الانصباب، حُلّينَ بالبُرى، وسبقْنَ البرقَ بالسُّرى، إن اشْتُرِينَ بألوفٍ من العيْنِ، فما أكوارهن إلا الذهبُ اللجين، وإن كُنَّ هدايا، فقد أثقَلتْ متونَهُنَّ العطايا»[2].

الانتقال من الزبارة إلى «جو» في أوال

ولم يذكر لنا ابن سند تاريخ انتقال الشيخ أحمد بن رزق من الزبارة إلى «جو» في البحرين[3]، بينما تشير الحوادث التاريخية أن ذلك كان في عام ١٧٩٩م، وحسب السياق فإن ذلك كان في تاريخ لاحق لتصاعد غارات سعود بن عبدالعزيز، بقيادة إبراهيم ابن عفيصان وهجومه على مدينة الزبارة وأخذها،

(١) سبائك العسجد (٨١).

(٢) المصدر السابق (٨١ -٨٢).

(٣) جَو: أكبر قرى البحرين على مسافة نصف ساعة للراكب من الرفاع جهة الشرق الجنوبي وهي مطلة على البحر. انظر: النبهاني، ص ٧٦.

فانتقل سكانها إلى جو[1].

وفي الرواية المحلية التي نقلها راشد بن فاضل عن الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني في انتقال ابن رزق من الزبارة يقول:

«سمعت هذه الحكاية من الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ونحن في الزبارة يقول:

قد استيقظ أهل هذا القطر من سباتهم، وبسبب ثاني أن الإمام سعود بن عبدالعزيز قد تغلب على أكثر الجزيرة فخاف من توليته على الزبارة فذهب إلى البصرة».[2]

وفي لمع الشهاب تفصيل لسبب الانتقال يجمله في الهجوم الذي شنّه ابن عفيصان على المدينة الآمنة فيما يلي:

«فلما أتى إلى موضع القلعة التي بناها أحمد بن خليفة على الماء، أقام هناك أربعة أيام يرميها بالمدافع وهي ترميه، فلم يعمل مدفعه شيئاً فيها، فحمل عليها نهاراً بالسيف ولم يبال بقتل عسكره، لشدة حقده على أهل الزبارة، فأخذ القلعة، ولكنه ما تمكّن من أخذ بقية الأكوات الممتدة من الجانبين إلى بلد الزبارة. فضاق الحال على أهل الزبارة، فأرسلوا إلى عسكرهم الذي في الأكوات بأن يخربوا الأكوات، ويجيئون إلى الزبارة شيئاً فشيئاً، وهذا خوفاً منهم أن لو بقيت الأكوات على حالها لصارت مداراً لعسكر ابن عفيصان فيضرهم ذلك، ففعلوا كما قلنا وخربوا الأكوات. والعتوب لما شاهدوا محاصرة إبراهيم بن عفيصان لهم، وأنه لا يندفع إلا بقوة تامة، وهم ليسوا

---

(١) ويقول راشد بن فاضل: رحل الشيخ أحمد بن رزق من الزبارة إلى البحرين في جو وبنى بها قصوراً عالية وبركاً لخزن الماء، ومساجد كثيرة، وهو كان تاجراً كبيراً ويشتري جميع اللؤلؤ من أهل البحرين وقطر، ولما استفحل أمر الإمام سعود بن عبدالعزيز وتغلب على أكثر جزيرة العرب، خاف على توليته الزبارة فذهب إلى البحرين ثم ذهب إلى البصرة، انظر: مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، تحقيق حسن بن محمد بن علي، الدوحة، ٢٠٠١، هامش، ص ٥٩.

(٢) انظر: مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، مصدر سابق، ص ١٥٣ وفي هذه الإفادة ما يتفق والسياق التاريخي.

بالمقاتلين له خارج السور، اتفق رأيهم بالحمل من الزبارة وبالكلية، وترك الزبارة على حالها، ظناً منهم أن دولة بني سعود ما تدوم، وأنهم سيعودون إليها، فركبوا بأجمعهم وساروا إلى البحر، ولم ينزلوا منها إلا بلد الجو».[1]

وهو ما دفع الشيخ أحمد بن رزق وأمثاله من التجار، إلى الانتقال من الزبارة إلى «جو» في أوال. وفي ذلك يقول ابن سند:

« هذا وعندما قَفَلَ الوزيرُ عنِ المحاصرة، لقلة الزاد وضعف المناصرة، وبلغ خبرُهُ الزبارة، وكانت لأحمدَ[2] *ترجعُ الاستشارة، أمرَ أهلها بالارتحال، إلى جزيرةِ أوال، حذراً من استيلاءِ العدوّ*[3] *عليها، وبلوغِ الشرِّ إليها »*[4].

والذي يفهم من نص ابن سند أن أحمد بن رزق كانت له الكلمة في الزبارة، فعندما تعرضت مدينة الزبارة لهجمات ابن عفيصان، أمر أهلها بالانتقال إلى أوال «فله ترجع الاستشارة» .

ويصف ابن سند «جواً» وصفاً لا يخلو أيضاً من البلاغة والمبالغة، وهي القرية الصغيرة في أوال، فبعد أن نزلها، بنى فيها منازل شاهقات إلى الجو قائلاً:

« فنزلَ موضعاً موسوماً بجَوّ، وبنى فيه منازلَ شاهقات إلى الجو، وعَمَرَ منها الأراضي، بالطاعات والمَراضي، وأقامَ فيها وهو قُطْبُ رحاها، وبدرُ سمائها، وقلبُ حشاها، يختالُ في برودِ الكرامة، ويَنْهى عن الاعوجاج ويأمرُ بالاستقامة»[5]

(١) لمع الشهاب ص ٧٨.
(٢) المقصود أحمد بن رزق.
(٣) المقصود جيوش سعود بن عبدالعزيز أمير نجد.
(٤) سبائك العسجد (٨٤).
(٥) سبائك العسجد (٨٤).

ولكن تصف سجلات بمباي في تقرير النقيب بركس، في خلال حديثه عن مدينة «جو»، أنها أخليت من سكانها منذ عام ١٨٠٠م بسبب الحاجة إلى ميناء آمن، وانتقل السكان إلى المحرّق[١].

غزو سلطان عمان للبحرين

(١٨٠٠-١٨٠١م)

ويأتي ابن سند بذكر حادثة تاريخية هامة، دون أن يقدم لنا تفاصيل دقيقة كنا نتوقعها منه كمؤرخ، ولكنه اكتفى كعادته بالتركيز على سبب انتقال الشيخ أحمد بن رزق من البحرين إلى البصرة، بسبب أرجعه إجمالاً إلى هجوم سلطان عمان واحتلاله للبحرين[٢].

---

(١) انظر: مختارات بمباي، مذكرة توصيف للملاحة في خليج فارس، (ص ٥٦٧).

(٢) ويورد ابن بشر هذه الغزوة في أحداث عام ١٢١٦هـ/١٨٠١-١٨٠٢ حين يقول: " وفي هذه السنة في عاشوراء سار سلطان بن أحمد صاحب مسكة البلد المعروفة في عمان في كثير من المراكب والسفن، ونازل أهل البحرين، وأخذه من أيدي آل خليفة واستولى عليه، ثم إن آل خليفة ساروا إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود واستنصروه فأمدهم بجيش كثيف من المسلمين فساروا إلى البحرين، فضاربوهم وقاتلوهم قتالاً شديداً وأخذوه من يد سلطان المذكور، وقتل من قومه ما ينيف على ألفي رجل». انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، (١/٢٥٨).

- ومختارات بمباي تورد التاريخ: « في عام ١٨٠٠ تمكن إمام مسقط من إخضاع جزيرة البحرين، وأرسل مجمل أعيان المنطقة وهم خمسة وعشرون عائلة إلى مسقط، وتوجه شيوخ العتوب إلى الزبارة مع أتباعهم وطلبوا الحماية من الوهابيين وقد أجيب طلبهم على الفور، وفي العام التالي وبعد أن حصلوا على الدعم من قبل الوهابيين المقيمين في منطقة قطر، شن العتوب هجومهم على البحرين وتمكنوا من استعادتها، وأجبروا الحاكم المعيّن من قبل الإمام وابنه على مغادرة الجزيرة دون أن يأخذوا معهم سوى ممتلكاتهم الشخصية، وفي أعقاب العون الذي قدمه شيوخ فارس للسيد سلطان لإخضاع الزبارة، شرع العتوب في مصادرة أي سفينة تابعة للبصرة أو فارس أينما وجدت». انظر: مختارات بمباي، نبذة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية (البحرين) من عام ١٧١٦ إلى ١٨١٧،(ص ٣٦٦).

Selections From the Records Of the Bombay Government, p 366.

«نزعَ بينَ حُكّامها[1] الشيطان، وبينَ سلطانِ عمان[2]، فَسَيَّرَ إليهم الجنودَ والمراكب، واستولى على الكاهلِ والغارب، من دونِ أن يكونَ لهُ مُطاعنٌ ومُضارب، وصَيَّرَ حُكّامها من جملة الرعايا، وما كانتْ منهُ إلا إحدى البلايا، فالتجأوا بعدَ ذلكَ إلى ابنِ سعود، فأمدهم بقبائلَ وجنود، فركبوا عليها بعد انصراف العمانيِّ إلى أقطاره، ووصوله إلى قرارة سُلْطانه وقراره، وارتحالِ جناب مولانا المترجم، إلى البصرةِ كما سَيُعلَم، واستولوا على أوال، بعد قتلِ كثيرٍ من الرجال، ونهب جَمٍّ من المال، وملّكوا ابنَ سعود زمامها، وحَكَّموه عليهم بعد ما كانوا حُكّامها»[3].

وهو ما دفع الشيخ أحمد بن رزق أن يتخذ وجهة جديدة، وينأى بنفسه عن هذا المكان والطامعين فيه، لاسيّما بعد أن لجأ آل خليفة إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود واستنصروه ضد سلطان مسقط، فقصد البصرة[4]، ويقول ابن سند في ذلك:

«ولعلَّ التجاءَهم إلى ابنِ سعودٍ السبب، في انتقالِ شمسِ الفضلِ وكنزِ الأدب، عن أوالَ إلى البصرة، الغنيةِ عن الضبطِ بالشهرة، البلدةِ التي عن فضلها لسانُ الحصرِ يقف، ويعجزُ عن تعدادِ أوصافها الماهرُ حينَ يصف، ويتباهى في نزولها الأشراف، ويتزاحمُ عندها الملوكُ بالأكتاف، وبَرَّ الحالفُ بأن ليسَ لها من نظير، وتَوَدُّ الشمسُ أن تنزلها بَلْهَ البدرِ المنير»[5].

(١) المقصود: آل خليفة.

(٢) المقصود: الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد السعيدي (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، حميد بن محمد بن رزيق، عمان، ١٩٧٧).

(٣) سبائك العسجد (٨٤).

(٤) في قردلان بالبصرة. انظر: حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة، الرياض، ط٣، ٢٠٠١، ص ٢٧٤.

(٥) سبائك العسجد (٨٤ - ٨٥).

نزول الشيخ أحمد بن رزق البصرة

وهي المحطة الأخيرة في حياة الشيخ أحمد بن رزق، فقد انتقل إلى البصرة في عام ١٨٠١م، وأقام فيها بعد أن استأذن من والي بغداد، فرحب به وأمر أن يعامل معاملة الملوك والأمراء لا كالتجار، وكتب له الوالي مرحباً:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا   نحن الضيوف وأنت رب المنزل[1]

وفي ذلك يقول ابن سند:

«فحطَّ فيها رحله، وبسطَ في سُكّانها فضله، حين تَلَقَّوْهُ من بعيد، وجعلوا يومَ قدومه يومَ عيد، واستنشقوا لما واجهوه أخلاقه، واستصبحوا بهجتَهُ وإشراقه، واستغنوا عن المصابيح منهُ بالطلاقة، ولما بَلَغَ والي بغداد، وصولَهُ بالسلامة إلى هذه البلاد، وَجَّهَ إليه بأوامرَ شريفة، وملابسَ فاخرةٍ ظريفة، بأن يَنْزِلَ من البصرة ما يختار، وأن يُعاملَ كالملوك لا التجار، فانتجعَ من تلكَ البلدة، منجعاً رأى أن ينزلَهُ وحده، وذلك في عام خمسَ عشرة، بعد المائتين والألف من الهجرة [١٨٠٠ - ١٨٠١م] فأفاض على سكانه، موائدَ كرمه وإحسانه، وأخذَ في إقامة بُنْيانه، وتشييد قواعده وأركانه، وصنعَ فيه الآطامَ المحكمة، وأعلى فيه الشرفَ وقُوَّمَهُ، وعَمَّرَ فيه مسجده، وأكْرَمَ رُكَّعَهُ وسُجَّدَهُ، فصار كعبةً يُقْصَدُ من الآفاق، وتنثال إليه الرفاق، للعبادةِ والارتزاق»[2].

---

(١) وقيل إنه خط في قردلان قلعة بيتاً فائقاً وإلى الآن له آثار، انظر: النصرة في أخبار البصرة، مصدر سابق، ص ٢٧. وتتفق الرواية المحلية عند راشد بن فاضل نقلاً عن الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني: «وأرسل حق والي بغداد من جهة الدولة العثمانية كتاب يقول: أحب النزول في طرف الدولة العلية وأكون ضيفاً لدى حكومتها على ما تحب، فرد عليه الوالي:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا   نحن الضيوف وأنت رب المنزل

انظر: مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، مصدر سابق، ص ١٥٣.

(٢) سبائك العسجد (٨٥).

وعلى الرغم من أنه لم يحدد اسم القرية أو المنطقة التي نزل فيها، إلا أن بعض المراجع ذكرت أنه نزل في قردلان وبنى له فيها قلعة[1].

فك أسر عبد الله آغا متسلم البصرة

(١٢١٩هـ/١٨٠٤م)

ومن الأحداث التي أوردها الشيخ عثمان، لإبراز بعض الجوانب المشرقة في سيرة أحمد بن رزق، موقفه تجاه عبد الله آغا متسلم البصرة، الذي حُبس مع خالد بك الذي كان وكيلاً للكتخدا علي باشا قبل توليه ولاية بغداد[2] فتدخل أحمد بن رزق وفك قيد عبد اللّه آغا بينما قُتلَ خالد بك عام ١٢١٩هـ/١٨٠٤م، ويقول ابن سند:

> *«فما حصلَ له ما أراد، من وزير بغداد، إلى أن جرت وقعةُ خالد، فَصُفِّدَ معه بصفاد واحد، وأُدْخلا في القلعة، وانخفضا بعدَ الرفعة، واسود بياضُ أيامهما، وتمنيا أن يجريا على أقدامهما، إلى أن آذن اللّهُ بالفرج، فقُتلَ خالدٌ وعبدُ اللّه خرج وأنزلَ إلى البصرة، متلهباً بنار الحسرة، ولما قَدِمَها اجتمعَ بأحمد، ففكَّ قيدَهُ وما تردد، وسيرهُ بمركبه إلى أبي شهر، ونجا من حرِّ تلك القدر، فها هو ذا نازلاً في تلكَ البلدة، آمناً في سربه من كلِّ شدة، أقر اللّهُ به العينَ عما قريب، إنه للدعوات مجيب، أنزلَتْهُ تلكَ البلْدةُ القدرة، عامَ تسعَ عشرةَ بعدَ المائتين والألف من الهجرة [١٨٠٤م]».*[3]

---

(١) جمهرة الأنساب: مصدر سابق، ص ٢٧٤، النصرة في أخبار البصرة: مصدر سابق، ص٢٧. وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، مصدر سابق، ص ١٣٣.

(٢) هو خالد بك الذي كان وكيلاً للكتخدا علي باشا قبل تولي الاخير ولاية بغداد، ثم صار كتخدا بعد توليه إياها، وقد اتهمه علي باشا بالتواطؤ مع عبدالرحمن باشا الباباني، فألقى القبض عليه، وعين ابن اخته سليمان بك كتخدا بدله. انظر: مطالع السعود، ص ٣٠.

(٣) سبائك العسجد (٧٥).

وفاة الشيخ أحمد ابن رزق

وفي البصرة يلقى الشيخ أحمد بن رزق وجه ربه, بعد أن عمر البلاد ، وشاع ذكره ومدحه بين العباد ، وهنا يورد ابن سند العديد من المراثي التي بث فيها أشجانه وتعازيه ونثر ونظم ما يعجز عنه سواه:

«أحببت أن أذيله بمراثي، تذيب أدمع الوارث والرائي، وتجعل في لبات القصائد، عقوداً أو قلائد، ويتفاخر بسماعها الأسماع، وتذوب عليها من الرقة الطباع، ويتدارسها في المشاهد، القائم والمضطجع والقاعد، وتتباهى بكتابها الطروس.. الخ».[1]

إلى أن يؤرخ لوفاته في البيتين التاليين:

وليسَ بِبِـــدْعٍ أن فكريَ ناظمٌ ... وخدي لها طِرْسٌ ودمعي لها حِبرُ
وقـد جـاء تاريخـاً لعـامِ وفـاتهِ ... لأحمـدَ جناتٍ لِهـا حَسُنَ البِشْرُ

(١٢٢٤هـ/١٨٠٩)

(٢) المصدر السابق (٩٩).

يقول إبراهيم بن صالح:

«في سنة ١٢٢٤/١٨٠٩م توفي التاجر المشهور أحمد بن حسين بن رزق في بلد قردلان[١] بعدما استوطنها، قيل إنه خلف من الأموال ما قيمته ألف ألف ومائة ألف ريال»[٢].

ولقد أفرد ابن سند في الكتاب عشرات الأبيات في مراثي الشيخ أحمد ابن رزق فقد بلغت مرثيته الرائية تسعة وسبعين بيتاً منها:

جديرٌ لَعَمْرُ اللهِ أن ينضبَ البحرُ	ويَكْسِفُ قرنُ الشمسِ أو يخسفُ البدرُ
وأن تَبْرُزَ الحسناءُ تَنْدبُ حاسراً	فتلطمَ خداً شأنُهُ الحسنُ والسترُ
وأن تَسْقُطَ الزهرُ الطوالعُ في الثرى	فقد خرّ من لا شانه عن علاً خرُّ
وأن تُنْهِضَ الغبراءُ أبناءَ بطنها	لينزلَ منها الصدرَ مَنْ حَقُّهُ الصدرُ
وأن تَقْعُدَ الأشرافُ في مأتمِ الندى	تنوحُ فقد ماتَ الندى وانقضى الفخرُ[٣]

أبناء الشيخ أحمد بن رزق

ترك الشيخ أحمد من الأبناء خمسة وهم: محمد، يوسف، عبدالمحسن، خالد وعبدالعزيز، ولدوا جميعهم في الزبارة في الفترة من عام ١٧٨٠-١٧٩٤م، وهي الفترة التي شهدت ازدهار الزبارة ونضارتها، وفي سبائك العسجد تراجمهم، وقد جمعهم ابن سند في البيتين التاليين:

محمدٌ يوسفهم محسنٌ	وخالدٌ ذو الشرف الأطيبُ
وختمهمْ عبدالعزيز الذي	عن فضلهِ كل فتىً مُعْرِبُ[٤]

(١) قرية يفصل بينها وبين العَشّار شط العرب ويصل بينهما جسر، وهي معروفة. انظر: إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، مصدر سابق، ص ١٣٣.

(٢) (مليون ومائة ألف) المصدر نفسه.

(٣) سبائك العسجد (١٠٠).

(٤) المصدر السابق (١٠٨).

وهم على الترتيب:

١- **محمد بن أحمد بن رزق:** ولد في بلد والده الزبارة، في العام الخامس والتسعين، بعد المائة والألف من هجرة الأمين (١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م) في أيام هي الرياض بالنضارة:

حسن الطباع كأنما　　　أخلاقه الأرواح

لما توفي أبوه، وحف به راثوه، وفوض إخوانه إليه من أمرهم الزمام، فأعمل الهمم، في اتباع ما لأبيه من الكرم[١].

٢- **يوسف بن أحمد بن رزق:** وأما يوسف فهو ذو فضائل جمة:

تروم أيادٌ أن تكاثر يوسفاً　　　مكارم لا تنفك ذات أياد
وليس لها إلا يدان ويوسفٌ　　　أياديه لا تحصى بعدّ أياد

ولد في الزبارة عام المائتين بعد الألف (١٢٠٠ / ١٧٨٥م) ولما انتقل بالرحمة أبوه، وقصده للتعزية معزوه، وجدوه أخا جلد وصبر، وهمة من دونها همة الدهر، قائماً بوظائف أبيه قيام أخيه "[٢].

٣- **عبدالمحسن بن أحمد بن رزق:**

مكارم تجريها يدا خيرِ محسنٍ　　　إذا طلبت جدواه أبصرته معنا
أغرّ عقيلي رأينا به الندى　　　متى سار معناً جاريا أبداً معنا

(١) سبائك العسجد (١٠٩).
(٢) المصدر السابق (١١١).

ولد في الزبارة عام اثنتين بعد الألف والمائتين (١٢٠٢هـ /١٧٨٧م)، أدرك مآثر أبيه وما قصر ودأب في اكتساب المحامد حتى خيّل أنه فيها الوالد[١].

٤ - خالد بن أحمد بن رزق:

ويا خالد الذكر الذي فوق مجده إليك بأيمان العظام يشار

ولد في الزبارة عام السبع بعد المائتين والألف (١٢٠٧هـ/١٧٩٢م) في إبان سعادة وأيام مستطابة مستجادة فنشرت للأفراح الأعلام وأزهرت من الأنس الأكمام[٢].

٥ - عبدالعزيز بن أحمد بن رزق:

وأما عبدالعزيز فإنه شقيق خالد، معدود على صغره من الأماجد، معروف بمكارم الأخلاق والمحامد:

عزائمه لا ينثنين عن العليا فلا تنكروا أن تبلغ القطب والجديا

ولا تنكروا منه اتساع يمينه بوافر بذل عنه قد ضاقت الدنيا

ولد عام التسعة والمائتين بعد الألف (١٢٠٩هـ /١٧٩٤م)[٣].

---

(١) سبائك العسجد (١١٢).

(٢) المصدر السابق (١١٣).

(٣) المصدر السابق (١١٤).

علماء الزبارة

في سبائك العسجد

علماء الزبارة

لقد صب ابن سند جل اهتمامه لتراجم الرجال الذين جالسوا ابن رزق وصحبوه وخدموه وعرفهم وعرفوه أو كاتبهم وكاتبوه من: أعيَان البصرة، ومشايخ الأحساء والزبارة والبحرين والكويت .

ففي الكتاب ترجمة للعديد من العلماء الفضلاء والوجهاء، منهم علماء الزبارة التي شبهها بدار السلام، فقد كانت غاية في العمارة والنضارة، تزينها مجالس العلماء والفقهاء، والذي يتتبع هذه الكوكبة من العلماء الأفاضل سوف يدرك إلى أي حد كانت هذه المدينة ذات مكانة مرموقة، وسوف نشير هنا إلى علماء الزبارة الذين تحدث عنهم ابن سند أمثال:

١ - **الشيخ علي بن فارس** (من علماء النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري) من آل فارس، من آل أبو رباع من قبيلة عنزة[١]، وأصل بلدهم حريملاء عاصر أحمد بن رزق في الزبارة وكان لصيقاً به فكان «من أصحابه الكمل، وجلسائه الذين بهم لا يعدل »، ثم تولى الوزارة في البحرين «وزره والي أوال أحمد بن محمد ذو الكمال». (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٢١).

٢ - **الشيخ عبدالعزيز بن موسى الهجري** (توفي عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م) قرأ الأدب وهو ابن عشر، وبرع في النثر والنظم، وكان حنفي المذهب، أخذ عن الشيخ راشد بن خنين، والشيخ الكردي، فذاع علمه، فاتخذه أحمد بن رزق صدراً في مجلسه فأذاع بها علمه. انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٢٣).

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون: مصدر سابق (٥/ ٢٤٤).

٣ - **الشيخ راشد بن محمد بن خنين** (توفي سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م)، من علماء نجد، وكانت ولادته في الخرج خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، سافر إلى الأحساء في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، وذكر الشيخ محمد بن خاتم الأحسائي في إحدى إجازاته العلمية، أن سبب انتقال الشيخ راشد هو أنه كان معادياً لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب محذراً الناس من دعوته ومبادئها[١]، قدم الزبارة وهي في غاية العمارة، فعمر المدارس، وصيره في معاصريه صدراً، ولمجالسيه شمساً وبدراً، فدرس فيها العلوم، من منثور ومنظوم، وكان له في علم الفراسة، والحكمة، والأحكام الفقهية، والنوادر اللغوية، وبرز في المعاني. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص٢٦).

٤ - **الشيخ عبدالله الكردي البيتوشي** (توفي سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م)[٢] رحل إلى بغداد والشام ثم جاء الزبارة وكان من المقربين للشيخ أحمد، وكان شاعراً أديباً. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٣٤).

٥ - **الشيخ محمد بن أحمد بن عبداللطيف الأحسائي** (توفي سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م) قدم الزبارة وكانت معمورة بالدارس والدروس، مطرزة ببرود تحريرها، بأعلام الشواهد ومجالس قطر، وحظي بصحبة أحمد وكان شاعراً، قرأ العلوم اللغوية، حتى صار فيها القاموس، والحكمية حتى أذعن جالينوس، وكان عالماً في النحو والحديث والفقه، والبيان والمعاني، والحساب، وعاصر أحمد الفاتح. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٤٤).

(١) اليواقيت الجوهرية (٢/ ٥٠).

(٢) انظر ترجمته في: تحفة المستفيد (٢/٥٩٧).

٦ - **الشيخ صالح بن سيف بن حمد العتيقي** (توفي ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م) ولد سنة ١٧٤٩م[١] في بلدة حرمة من سدير. انتقل إلى الزبارة وصاحب أحمد بن رزق ثم انتقل معه من الزبارة إلى قردلان بالبصرة وسكن عنده، ثم توجه إلى الأحساء وأخذ عن محمد بن عبدالوهاب بن فيروز، ثم سكن مع شيخه ابن فيروز في الزبير وتوفي فيها عام ١٢٢٣ هـ/١٨٠٨م ودفن في مقبرة الزبير بن العوام[٢]. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٨٣).

٧ - **الشيخ عثمان بن جامع** (توفي سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م)[٣] تولى القضاء في الزبارة، ورحل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقرأ الفقه والآداب والمواريث والحساب على ابن فيروز، وتصدر المذهب الحنبلي وولي القضاء. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٥٩).

٨ - **الشيخ عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن جامع:** (توفي سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م)[٤] صحب الشيخ أحمد ثم رحل من الزبارة إلى اليمن ودخل مكة والمدينة فأدرك من العلم ما طلب. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٥٨-٥٩).

٩ - **الحاج بكر بن لؤلؤ** (بكر بن أحمد البصري القطري الزباري) (توفي سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م) وهو من سمار أحمد بن رزق. قرأ القرآن وأتقنه، نشأ في البصرة وكان بيته موئلاً للعلماء والأولياء ومن سماره النبلاء الأشراف. بنى في

(١) ترجمته في: السحب الوابلة (٢/ ٤٣٠)؛ تسهيل السابلة (٣/١٦٥٤).
(٢) ترجمته في: السحب الوابلة (٢/٤٢٩)؛ تسهيل السابلة (٣/١٦٥٤)؛ إمارة الزبير (٣/٨٨).
(٣) إمارة الزبير (٣/٦٩).
(٤) ترجمته في: تسهيل السابلة (٣/١٦٧٧).

الأحساء من البحرين مدرسة أو مدرستين ومسجداً في الزبارة كالبدر، توفي بعد الألف والمائتين مردفة بسنتين. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص٦٠).

١٠- **أبو الحسن السندي الحنفي** (توفى سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م)، من العلماء الذين أمضوا فترة من حياتهم في أواخر القرن الثاني عشر الهجري في الزبارة، فقد قدم الزبارة على أحمد بن رزق فأكرمه إكراماً يليق بمقامه، ثم انتقل إلى البصرة فتولى التدريس بالسليمانية وانتهت إليه فيها الرياسة العلمية، وراسله وزير بغداد وزاد ذكره. وهنا يقول الشيخ ابن سند:

«واتصلت به وقرأت عليه فهو من أجل مشايخي الأعلام وتوفي سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م». (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٩٥ - ٩٦).

١١- **الشيخ إبراهيم آل عبدالرزاق** (توفي سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م) من علماء الزبارة، حفظ القرآن، وكان من أصحاب أبي أحمد من الصغر، ومات أبو أحمد قبله وصحب بعده نجله وأقام في الزبارة. وكانت وفاته بعد سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٩٦).

١٢- **محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي** (١١٤٢هـ-١٢١٦هـ): هو محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الأحسائي، نزيل البصرة، الحنبلي من أهل الأحساء. ولد فيها، وكف بصره في الثالثة من عمره، وكثر تلاميذه وأتباعه[1]. انتقد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فلما عظم أمرها رحل إلى البصرة، توفي في الزبير[2]. (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٩٣).

(١) انظر: الأعلام (٧/ ١٢٠).

(٢) له ترجمة مسهبة في علماء نجد خلال ثمانية قرون،(٦/ ٢٣٦-٢٤٥)؛ والسحب الوابلة (٣/٩٦٩)؛ وتاريخ إمارة الزبير (١/ ٥١).

١٣- الشيخ ناصر بن سليمان بن محمد بن سحيم (توفي سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م). من بيت علم كبير في نجد، انتقل هو وأستاذه ابن فيروز إلى هجر ومنها زارا أحمد بن رزق فأنزلهما منزلة كريمة، يقول عنه ابن سند:

«قصدا زيارة أحمد، فزاد إكرامهما وجدد، وأبدلهما من الدور الغرف، ورفعهما بعد الانخفاض إلى الشرف، ووصلهما بصلات عوائدهما لم تضمر، وأمدهما بتجميلات، قائدها النضار والجوهر، فما زالا على هذا الإكرام، حتى نقلتهما الأيام إلى البصرة»[١].

١٤- الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي (توفي عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م) :

هو عبدالوهاب بن الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الأحسائي، وكان عالماً فذاً، أخذ العلم عن أبيه. يقول عنه ابن سند:

«بلغ مع صغر سنه من العلم غاية فنه ونقاية دنه ورحل إلى البصرة وحصل له فيها أتم الشهرة وولاه ثويني بن عبدالله[٢] *زمام أحكامها وعُرى حلها وإبرامها - حين تولى عليها ونزع سوار ملك حاكمها من يديها - حقق كأبيه وألف ودقق غوامض البحوث ورصف وصدع بالحق وما راعى وما توقف وانعزل بعدما حق على ثويني الانعزال ووهت قواعد سلطانه وزال وقدم هجر فمات بعد أشهر من قدومه المصر سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م»*[٣].

بينما يقول صاحب السحب الوابلة إنه توفي في الزبارة عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م.

---

(١) (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٥٦-٥٧).

(٢) ثويني بن عبدالله رئيس بني المنتفق. انظر: تحفة المستفيد(٢/ ٦٣٢).

(٣) (انظر ترجمته: سبائك العسجد ص ٩٦).

«وتوفاه الله في مرضه ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٠٥، في بلد الزبارة من ساحل بحر عمان، ودفن بها، ورثي بقصائد شتى من غير أهل مذهبه وبلده فضلاً عنهم»[١].

ومن علماء ووجهاء البصرة الذين ورد ذكرهم في سبائك العسجد:

الشيخ أحمد بن درويش البصري (ص ٦٢)، السيد محمود الرديني، (ص ٦٦) السيد رجب نقيب البصرة (ص ٧٠)، عبدالله أفندي الرحبي قاضي البصرة (ص٧١)، عبدالله آغا متسلم البصرة (ص ٧٣)، السيد عمر أفندي دفتر دار البصرة (ص٧٥)، سليم آغا متسلم البصرة (ص ٧٦)، الشيخ عبدالله بن داود النجدي (ص ٧٩).

كما ترجم أيضاً لكل من:

علي باشا كتخدا بغداد (ص ٨١)، محمد بيك الشاوي البغدادي (ص٨٢)، عبدالمحسن بن مسلم (ص ٨٨)، سليمان بن حمد(ص ٨٩)، محمد بن سيف العتيقي النجدي[٢] (ص ٩٠) والحاج يوسف الزهير (ص ٩١). وآل عبدالرزاق وهم إبراهيم وابناه عبدالوهاب وسالم[٣].

---

(١) السحب الوابلة (٢/ ٦٨٥- ٦٨٦).

(٢) طبع الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني نظمه في النواهي والأوامر في آخر كتاب قرة العيون المبصرة (٢/٣٢٢)، المكتب الإسلامي، دمشق.

(٣) أرقام الصفحات في سبائك العسجد (الملحق بالمتن صورة منه).

١٣- الشيخ ناصر بن [illegible] (توفي سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م): من بيت علم كبير في نجد، انتقل هو وأبوه إلى [illegible]

إلى هجر ومنها زارا أحمد بن رزق فأنزلهما منزلة كريمة، يقول عنه ابن سند:

وقصدا زيارة أحمد، فزاد إكرامهما وجدّ، وأجلسهما من الصدر الفرق.

[illegible] التفضيل والبر، فما زالا على هذا الإكرام، حتى

[illegible] إلى البصرة.

١٤- الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي (توفي عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م):

هو عبدالوهاب بن الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الأحسائي،

وكان عالماً ثقة، أخذ العلم عن أبيه، يقول عنه ابن سند:

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاعتزال [illegible]

[illegible] سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م[3].

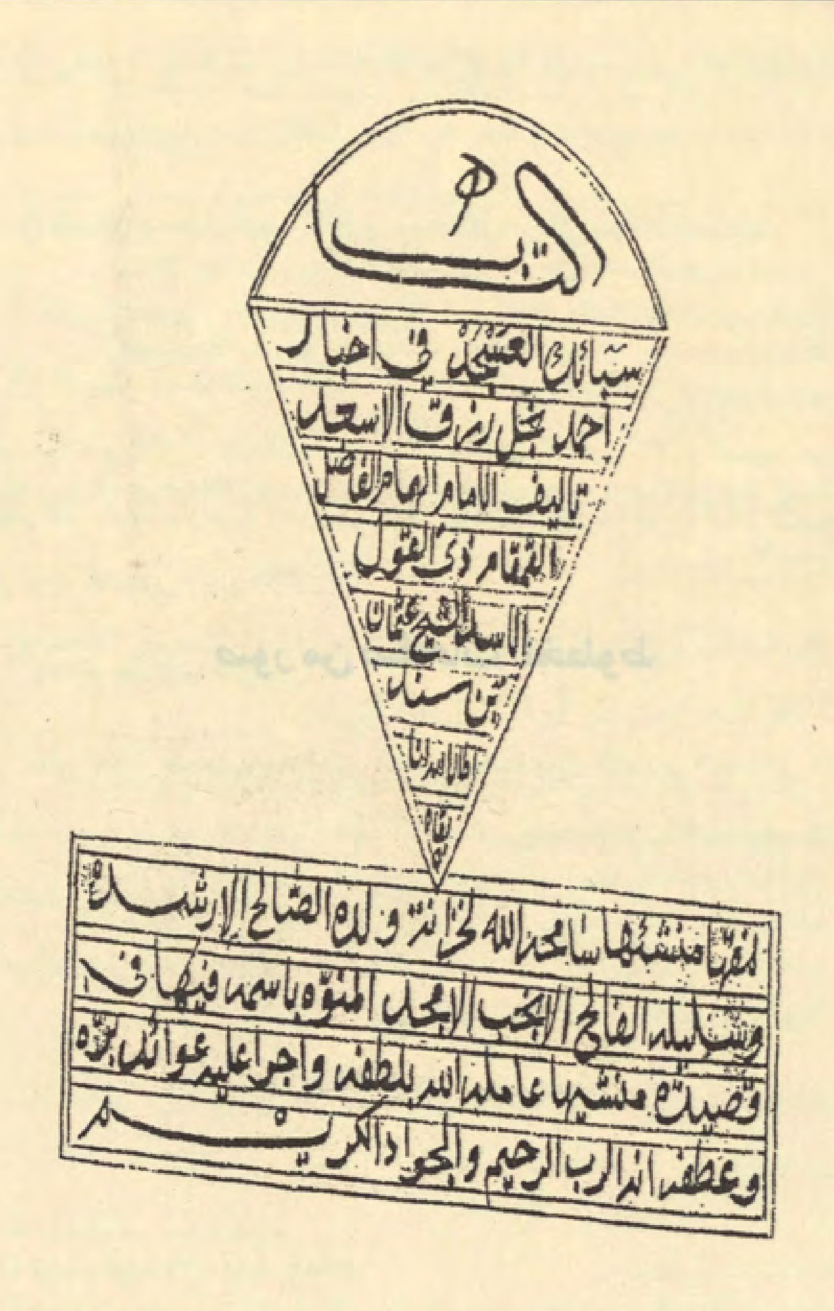
بينما يقول صاحب السحب الوابلة إنه توفي في الزبارة عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.

---

(٢) [illegible] بن عبدالله رئيس بني [illegible]. انظر: تحفة المستفيد [illegible] (٢/٢٣٦).

(٣) انظر ترجمته: [illegible]

صور من صفحات المخطوط



الكتاب

سبائك العسجد في اخبار
احمد نجل رزق الاسعد
تاليف الامام الهمام الفاضل
المقام ذي العقول
الاسعد الشيخ عثمان
بن سند
اقال الله زلاته

لمقربها منشئها سامحه الله لخزانة ولده الصالح الارشد
وسلسله الفالح النجيب الامجد المنوه باسمه فيها ف
وقصيدة منشيها عامله الله بلطفه واجرا عليه عوائد بره
وعطفه انه الرب الرحيم والجواد الكريم

صفحة عنوان مخطوط سبائك العسجد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أولى ما أرعفت فيه أنوف اليراع، ونسجت
فيه برود الإبداع، وطرزت مطارفه ببنان
الابتداع، حمد من نشر المكارم وألويتها،
وزرّ ضفاف رياضها وأفنيتها، ورفع
أطامها وأبنيتها، وأهبّ نسائم نسماتها، وأدرّ
غمائم نعمائها، وفتح كمائمها، أحمده حمد من أعمل
بالحمد لسانه، وأشغل بالشكر أركانه وجنانه
وزيّن بالمكارم بنانه، وبالطلاقة واللطافة
إحسانه، وأشكره شكر معترف
بامتنانه، مغترف من برّه وإحسانه
غارب بطول شأنه، وأصلي
على من نطقت البلاغة بنطاقها، وطوقته
السعادة بأطواقها، وأحاطته السيادة
بسرادقها، وأركبته النجابة براقها
وحليت به العبادة أجيادها وأعناقها
وزينت به الرسالة أغصانها وأوراقها
وكملت به النبوة أجفانها، وحملت به الرياسة
نقصانها، ونظمت به السيادة قبسة جمانها
واغترفت من البلاغة غارب بحارها، وتشاكى
البراعة عن طالعها وغارب بحرها، وتطوف الكمالات

الصفحة الأولى من مخطوط سبائك العسجد

عداد هو الدمع [illegible]

فإن تقبلوها فهي كفو كريمة :. وإلا لكم بعلها وله المهر
وإن ترجعوها بعدما قد نكحتم :. فما هي إلا غادة خانها الدهر

فالمأمول ممن وقف على هذه العجالة، واستضاء بنور هذه الذبالة، واقتبس من هذه الزلالة، أن ينظرها بعين الإنصاف، ويسلك منهج الاعتذار عما فيها من الخلاف، فأي مقال ثبت له كمال، وأنا أحمد الله على الإنعام، وأصلي مع السلام على أشرف الأنام، وآله وصحبه الكرام، ما تحركت مطارف الختام

لعزكم

لئن كنتم عوضتموني عن الثنا ... ومدح أبيكم من فواضلكم رفدا
وألبستم جسمي وقد كان عاريا ... ملابس تحكي الروض والزهر والوردا
لقد ألبستكم فكري في كل مطرف ... من الحمد لا يبلى ولا يقبل الردا
[illegible] جمان القول حتى نظمته ... وصيرته في نحر مجدكم عقدا

وكتبه عثمان بن سند ناظم ومؤلف
هذا الكتاب سنة ١٢٢٥

صفحة إهداء المخطوط بخط المؤلف في تاريخ ١٢٢٥ الموافق ١٨١٠

١٩٣

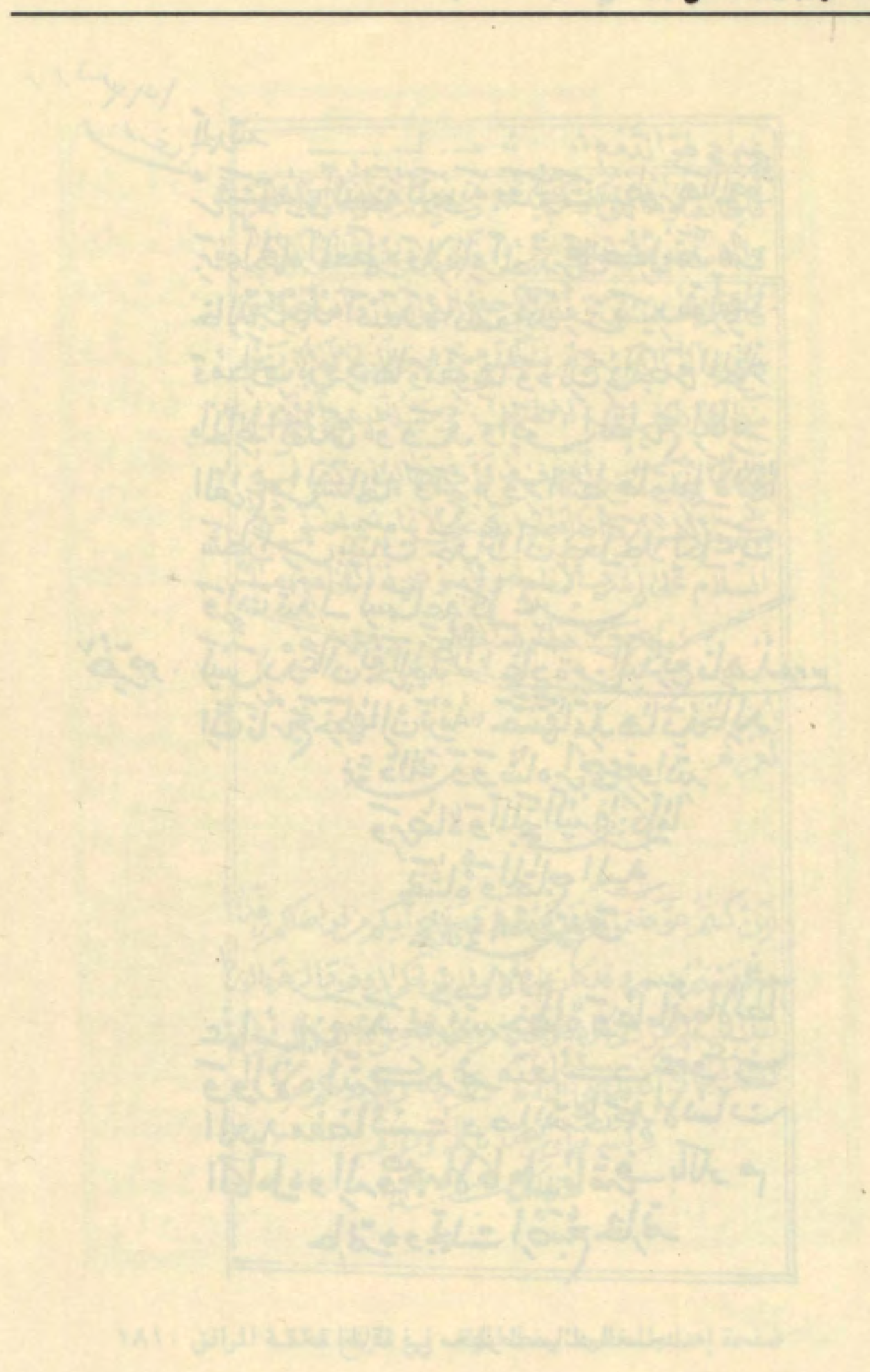
الحمد لله

رقمت هذه النسخة الميمونة وكتبت سطورها الموضونة
برسم الهمام المعظم والإمام المصدر على كل مقدم
خالد بن أحمد أسعده الله وأيده من بيد مؤلفها
ومطرف برودها ومفوفها وذلك في البصرة الملحوظة
بألحاظ القدرة وقد وافق التاريخ لعام
الفراغ من إنشائها ونسج برود أسطرها ونظم لآلئها
شطرًا من بيتين جديرًا أن يجعل نحلًا لكل عين
وأن تبذل لسماعه كل عين

ليس بدعًا أن نعجز البلغاء طرًّا عادة من البدائع ناهذه ١٢٣٢ هجرية
إن تاريخ خطها إن ترمه حسنها بمدحها بنجل خالد

تم ذلك وشاه راجي عفو الله
ورضاه والملتجي إليه في كل ما
يخشاه والمحتاج إليه
في أخرته و
دنياه
عثمان بن سند غفر الله خطاياه وعامله بالألطاف
والآلاء إنه كريم منعام عفو عن
العبد مفضال وصلى الله على محمد الإنسان
الكامل وآله وصحبه الأكارم ما شرف بالكرم
خاتمه وتحلت أصبع خاتم

صفحة الخاتمة في مخطوط سبائك العسجد



النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم[*]

[خطبة الكتاب][1]

إن أولى ما أُرْعِفَتْ[2] فيه أنوفُ اليراع[3]، ونُسِجَتْ فيه بُرُودُ[4] الإبداع[5]، وطُرِّزَتْ مطارفه ببنانِ الإيداع[6]، حمدُ من نشَر المكارمَ وألويتها، وروَّضَ رياضها وأفنيتها، ورفَعَ آطامها[7] وأبنيتها، وأهبَّ نسائمها، وأدرَّ غمائمها، وفَتَّحَ كمائمها، أحْمَدُهُ حمدَ من أعملَ بالحمدِ لسانه، وأشغل بالشكرِ أركانه وجَنانه، وزَيَّن بالمكارمِ بنانه، وبالطلاقة واللطافة إحسانه، وأشْكُرُهُ شُكْرَ مُعْتَرِفٍ بامتنانه، مُغْتَرِفٍ من برِّه وإحسانه، عارفٍ بعُلُوِّ شانه، وأُصَلِّي على من نَطَقَتْهُ البلاغةُ بنطاقها، وَطَوَّقَتْهُ السعادةُ بأطواقها، وأحاطته السيادةُ برواقها، وأركبته النجادة[8] براقها، وَجَمَّلَتْ به العبادةُ أجيادها[9] وأعناقها، وزَيَّنَتْ به الرسالةُ أغصانها وأوراقها، وكَحَلَتْ به النبوةُ أجفانها، وكَمَّلَتْ به الرئاسةُ

(*) ص ٢ في المطبوع.

(١) وضعنا هذا العنوان استناداً إلى فهرس محتويات الكتاب، أو ما رأينا إبرازه بما يتسق مع تنظيم المتن، أو إثبات ما سقط من المطبوع، أو ما لم يأت في المخطوط ويوافق منطق وصحة السباق، وهو الحال لكل ما هو بين القوسين [ ] .

(٢) في المطبوع : رفعت، وهو تحريف.

(٣) أنوف: جمع أنف، وهو معروف واليراع القصب. والمعنى: القلم يُتخذ من القصب. انظر: (المعجم الوسيط).

(٤) جمع البُرْد وهو ثوب مخطط. (القاموس ٢٥٦).

(٥) في المطبوع: الإيداع، وهو تصحيف.

(٦) في المطبوع: الإبداع، وهو تصحيف.

(٧) آطام: جمع أطْم وأطُم وهو القصر، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح. (القاموس ٩٩٤).

(٨) النجادة: الشجاعة. (القاموس ٣٠٤).

(٩) جميع جيد، وهو مقدم العنق. (القاموس ٢٦٣).

نقصانها، ونظمت به السياسةُ جُمانها[1]. واغترب من البلاغة غاربه، وشأى[2] في البراعةِ طالعها وغاربها، وتَطَوَّفَ للكمالاتِ مشارقها ومغاربها، واذدرى منها ذراها، واصطهى من أفراسها صهاها[3]. وسايرته أربابها فما أسرعه وأبطاها.

هو لا شكَ للكمـالاتِ شـمسٌ غير أن ليسَ يعتريه كسوفُ[*]
أنْجَبَتْـهُ من الكرامِ جدودٌ كلهـم للعـلا رؤوسٌ أنـوفُ

إن أرضعته بِدَرِّها المعالي، وأسفر بمصباح هديه الليالي، فإنه الإنسانُ الكامل، وواسطة عقد الرسائل، وغرة وجه المكارم والشمائل.

إن يكـنْ راضعـاً ثُـديَّ المعـالي فهـو لا شـكَ أشرفُ الأنبيـاء[**]
[♦]أو تكن للعلا سماءً فهذا قمـرٌ نَيِّـرٌ لتـلك السمـاء
أو يكن مصـدرَ العلومِ فكم كا ن لباغي البذلِ مصدرَ الإعطاءِ

أطلعته العلياءُ في سماها، حتى شأى كيوانها[4] وذُكاها[5]، لا غروَ أن صارَ أحمدَ أبناها[6]، وأكرمهم كفاً وأنداها، وأعظمَهم منصباً وأرفعَهم جاها، محمدٌ الذي نشر المكارم، وكسر المُصادمَ بالصوارمِ، ونثر الغنائم للغانم.

---

(١) الجمانُ: اللؤلؤ. (القاموس ١٠٩٣).

(٢) شأى : أي سبق. (القاموس ١١٩٣).

(٣) من الصهوة وهي العلو.

(*) من البحر الخفيف .

(**) من البحر الخفيف .

(♦) بداية ص ٣ في المطبوع .

(٤) كيوان : زحل .

(٥) ذُكاء : الشمس.

(٦) في المطبوع: أنباها، وهو تحريف.

كم أرسلتْ يمناهُ من جدولٍ وسلسلتْ يسراهُ من جعفرِ(*)

إن أمطرتْ تلكَ فقلْ مُزْنَةٌ(١) لكن بغيرِ التبرِ لم تمطرِ

وإن جرتْ هذي على معسرٍ فهو مدى الأيامِ لم يعسرِ

أرسلهُ اللهُ لنا رحمةً في هذه الدارِ وفي المحشرِ

قد قصرَ الكفرَ ومدَّ الهدى مداً على الأسودِ والأحمرِ

كلُ المزايا ينتهي عدّها إلا مزاياه فلم تحصرِ

بَذْلٌ بلا إكدا(٢) وَمَنٌّ بلا مَنّ بما يلقيه من جوهرِ

أجودُ من ريحٍ كما أنه أشجعُ يوم الروع من قَسْوَرِ(٣)

ومن يكنْ جبريلُ خدناً(٤) له فقدرهُ للناسِ لم يُقْدَرِ

أترى تُجاريه السحائب، في إسداءِ الرغائب، أو شفراتُ القواضب(٥)، في فلِّ النوائب، لا ولا الرياحُ المرسلة، في الهيئاتِ المجزلة.

كلُ جود فإليه ينسبُ أو كمالٍ فهو عنه السببُ(٦)(**)

رامَ أن يحكيه بحرٌ زاخرٌ فانثنى عنه فكيفَ السحبُ

كوكباً للمجد قد خيَّلتُهُ غيرَ أني لا أراه يغربُ

كمْ نوالٍ من أياديه جرى فجرتْ منه أيادٍ تطلبُ

(*) من البحر السريع.

(١) المُزْنَةُ: السحابة البيضاء، الجمع مُزْن، المُزنةُ أيضاً المطرة.

(٢) مأخوذ من: أكدى : بخل، أو قلَّ خيره، أو قلَّل عطاءه. (القاموس ١٢١٩).

(٣) قسور: الأسد.

(٤) خِدنُ : صديق.

(٥) القواضب: السيوف.

(٦) السبَبُ: الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره.

(**) من البحر الرمل وأصل تفعيلاته: فاعلاتن - فاعلاتن - فاعلاتن (مرتين).

وَلَـدى الحَـربِ إذا أبْصَـرْتَـهُ فَـهْـوَ بَـدْرٌ وظُباهُ الشهـبُ

كلُ حـمـدٍ قـاصرٌ عن وصِفِـهِ وعـجـيـبٌ فـهـو منـه أعـجـبُ

[◆]قلْ به مـا شئتَ من أعـجوبةٍ فـهـو في الفضلِ البديعُ المُعْجِبُ

بَرَزَ والكُفْرُ ذيال[١]، والباطلُ[٢] متبخترٌ مختال، فدحضَ الكفرَ بالأبطال، والباطلَ بالنقضِ والإبطال، ختمَ الرسلَ ورَشَّحَها، وفتحَ السبلَ وأوضحها، وأوسعَ المكارمَ وفسحها، ورفعَ الصدورَ وشرحها، وراودته الدنيا فَسَرَّحَها، ومُدَّتْ[٣] إليه الآمالُ فمنحها، وأُلقيتْ إليه المشكلاتُ ففتحها، ارتاحتْ الأكوانُ لطلعته، وتجملتْ وجوهُ الأزمانِ بغُرَّتِهِ، وتشرفتْ عدنانُ بنسبته، وأخبرت الرهبانُ بِنُبُوَّته، ونُسِخَت الأديانُ بملته، وأقرت الجماداتُ بمعجزته، ونطقت الآياتُ بعلوِ كلمته، وتواترت البشاراتُ بنصرته، ونُكِّسَت[٤] الأصنامُ من مهابته، وارتفعت أعلامُ الإسلامِ برفعِ همته، وأزهرت رياضُ الإيمان بقواضبه[٥]، إزهارَ رياضِ الإحسانِ بمواهبه، كم أنارَ لليقينِ من مصباح، وخفضَ في رفعِ الدينِ من جَناح، ورفع عن الموحدينَ من جُناح، صلى الله عليه وعلى آله، المُقْتَطعِ كمالهم من كماله، الفائزينَ بتلقي إرساله، واتباعِ أقواله وأفعاله، الذين كانوا من الرئاسة أعيانها، ومن شجرة السيادة أغصانها، ومن السعادة أعلامَها وعنوانَها، ومن النباهة عمادَها وأركانَها، ومن المروءةِ سحائبَها، ومن الفتوة كواكبها، ومن الملة

(◆) بداية ص ٤ في المطبوع.

(١) الذيَّال: المتبختر في مشيه. (القاموس ٩٢٢). وفي المطبوع: به زوال كفر، وهو تحريف.

(٢) الباطلُ: من الأبطولة وهي ما لا ثبات له عند الفحص عنه وفي اصطلاح الفقها، ما وقع غير صحيح من أصله. (المعجم الوسيط).

(٣) في المطبوع: وبدت، وهو تحريف.

(٤) نكس الشيء، فانتكس قلبه على رأسه.

(٥) القَضْبُ: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها.

قواضبها، ومن الآراء أقطابها، ومن الآلاءِ عُبابها، ومن النجابة[1] رقابها، ومن المهابةِ شبابها.

تعطرً من عُلياهُمُ الكونُ فاكتسا مطارفَ ذكراهم فزادَ جمالُهُ[*]

أصبحوا من العلياء صدوراً، وتَألَّقُوا[2] في سماءِ الكمالِ بدوراً، وأرسلوا جداولَ الأفضالِ فأضحوا بحوراً.

قرشيونَ هاشميونَ حلُّوا من سماءِ العُلا محلَ الثريا[**]
وتساموا إلى المثاني فحلوا من بروجِ الثنا مكاناً عَلِيّا
أدركوا بالهدى مآربَ لمَّا قَلدوا واقتفوا رسولاً نبيا
قرشيُّ النجارِ أظهر فينا دينهَ الحقَ والقويمَ السويا[3]

وعلى آله وأصحابهِ نجوم سماء المعالي، ورجوم[4] المعادي بأطرافِ العوالي

غررٌ في الدُّنا صباحٌ ولكن في وجوهٍ من الأكارمِ بيض[5]
كلهم تابعٌ بدينٍ متينٍ فمذيلُ أذيالَ جاه عريضِ
قَرَّضتهم[6] آيُ الكتابِ بمدحٍ جلَّ عن مدحهم بِنَسْجِ القريضِ[7]
(♦)كلهمْ مهتدٍ فمن ينتقدهم فهو لا شكَ ذو فؤادٍ مريضِ

---

(١) النجابة: من نَجُبَ نبه وبانَ فضله.
(*) من البحر الطويل.
(٢) في المطبوع: وتألفوا، وهو تصحيف.
(**) من بحر الخفيف: وأصل تفعيلاته: فاعلاتن - مستفع لن - فاعلاتن (مرتين).
(٣) وردت في المخطوط: القويم، من غير واو العطف، وبه ينكسر البيت.
(٤) رجوم من الرَّجْم وهو القتل وأصله الرمي بالحجارة.
(٥) في المطبوع: المكارم، وهو تحريف.
(٦) من التقريض وهو المدح. (القاموس ٦٠٠).
(٧) في المطبوع: نسيج، وكلاهما صحيح ويتفق مع المعنى.
(♦) بداية ص ٥ في المطبوع.

دأبوا في المآثرِ الصالحة، ونصبوا في تعاطي التجاراتِ الرابحة، ورمقوا[1] الدنيا بالبصائرِ فأزروها[2]، وأقبلت عليهم بالحذافر[3] فألقوها، وتزخرفت لهم بالمفاخرِ فما رَنَوْها وتولت عنهم فما بَكَوْها، تجردوا للعبادةِ عن الموانع، وتفردوا بالسيادة عن المنازع، ألِفوا المكارمَ قبلَ إلقاءِ التمائم، وشأوا المكارمَ قبل الاعتمامِ بالعمائم، وولعوا بثُغورِ الصوارم[4]، عن مضاحكِ المباسم، ورضوا بصهواتِ الشياظم[5] بدلاً عن ربواتِ المقاعد، وعانقوا نحورَ المخاذم[6]، معانقةً لبات الولائد[7]، صلى الله عليه وعليهم، صلاة وسلاماً مني إليهم، ما ضحكتْ ثغورُ الدفاتر عن دررِ أخبارهم، وضحكتْ وجوهُ الأعصارِ عن غررِ آثارِهم[8]، وتعطرتْ برودُ المجالسِ بأرج[9] أذكارهم، وابيضت وجوهُ الاتِّباعِ بأشعةِ أنوارهم، وفَتَّحَتْ كمائمُ الأفئدة عن أزهارِ اعتبارهم، وما هفتْ رياحُ الأخبار، وَصَفَتْ مواردُ أسمارِ الأخيار، وطلعتْ شموسُ افتخار، في مطالع اشتهار، وتألقتْ بروق الأسمار، في سحابِ الأسجاعِ والأشعارِ، وأورقتْ أغصانُ الأفراح، وضاعَ رندُ[10] المسرة وفاح.

---

(١) في المخطوط: رمقوا، من غير واو العطف.
(٢) أي عابوها، مأخوذة من زرى عليه : عابه. (القاموس ١١٨٧).
(٣) جمع الحُذفور وهو الجمع الكثير. (القاموس ٣٤٩).
(٤) الصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع. (القاموس ١٠٤٠).
(٥) الشَيْظَمُ : الأسد. والجمع شياظم، وشياظمة. (المعجم الوسيط).
(٦) المخذم: السيف القاطع. والجمع مخاذم. (القاموس ١٠١٥).
(٧) الولائد: جمع وليد.
(٨) في المطبوع: إنشادهم، وهو تحريف.
(٩) الأرَجُ والأريجُ توهج ريح الطيب. (القاموس ١٧٧).
(١٠) الرَنْد : شجر طيب الرائحة، والعود، والآس. (القاموس ٢٧١).

[مقدمة المؤلف]

وبعد: فإني مذ لَبستُ للآداب تقصارها[1]، واحتسيتُ صهباءها وذقت عُقارها[2]، وتدثرت دثارها[3] وشعارها، وتنقلت في أوطانها، وتفيأت ظلَ أغصانها، وتنشقتُ أرجَ أردانها[4]، وجريتُ طَلْقاً في ميدانها، لم أزل أعطنُ في أعطانها[5]، وأسرحُ طرفَ الطرفِ في رياضها، وأوردُ ذودَ الفكرِ في حياضها، وأمرحُ مختالاً، في خمائلها يميناً وشمالاً، أستشيم بارقَها إذا سرى، وأجري مع هواها حيث جرى، فأرتاحُ للأسجاع، ارتياحَ بناني إلى اليراع، ومسمعي إلى السماع، أجري في أمثالها الشاردة، جَرَيانَ الوافد للعائدة، أنظمُ فرائدها، وأتقلدُ قلائدها، وأعانقُ خرائدها، وأُقَيِّدُ أوابدها، وأحلُ معاقدها، وأدلُ على مقاصدها، وأعوجُ إلى معاهدها، نادباً دِمَنها[6] وأطلالها، مصاحباً آرامها وآجالها[7]، متفرعاً ذوائبها، مغترباً كاهلها وغاربها[8]، منبسطاً في الطويل والبسيط، هارجاً مع كلِ خفيفِ الطبعِ بسيط[9]، راملاً[10] في مسعاها،

---

(١) التقصار والتقصارة: القلادة. (القاموس ٤٣١).

(٢) الصهباء: الخمر. (القاموس ١١٢). والعُقار: الخمر. (القاموس ٤١٣).

(٣) الدِّثار: ما فوق الشعار من الثياب. (القاموس ٣٦٤).

(٤) جمع الرُّدْن: أصل الكم. (القاموس ١١٠٥).

(٥) العَطَن: وطن الإبل ومبركها حول الحوض، ومربض الغنم حول الماء، جمعها أعطان. (القاموس ١١٢١).

(٦) الدمَن جمع دِمنة، وهي آثار الدار والناس (القاموس ١١٠٢).

(٧) جمع الإجل: القطيع من بقر الوحش (القاموس ٨٨٤).

(٨) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق أو ما بين الكتفين (القاموس ٩٧٣)، والغارب: هو الكاهل أو ما بين السنام والعنق (القاموس ١٢٤). فهو يشبه نفسه بقائد الإبل.

(٩) لاحظ إيراده لأسماء الطويل، البسيط، الخفيف، وهي من بحور الشعر.

(١٠) في المطبوع: واصلاً، وهو تحريف.

بين مروتها وصفاها[١]، ملتمساً أركانَها مقبلاً، سائلاً في غيطانها مترسلاً، ممتطياً ميطانها[٢] موجزاً ومطولاً، حانياً بانها[٣]، جانياً جِنانها، مُشَنِّفاً أُذُنَيَّ بشنوف أمثالها، مرتشفاً بِفِيٍّ سلافة أقوالها.

كم ظلامٍ واصلتُه بصباحٍ ونهارٍ واصلتُه بظلامِ(*)

ساهراً فيه بين نثرٍ ونظمٍ مرعفاً[٤] فيه آنفَ الأقلامِ

أنتقي منه كلَّ معنىً بديعٍ في بديعٍ من الأكارمِ سامِ

(◆)إنما لذةُ الفتى نظمُ لفظٍ رائقِ السبكِ باهرِ الانسجامِ

يَتَوخَّى فيه ثناءَ كريمٍ ألمعيِّ الطباعِ مثلِ الحسامِ

كأبي يوسفَ الذي أَلِفَ المجدَ وبَذْلَ السماحِ قبلَ الفطامِ

راقَ منه الزمانُ وجهاً فأضحى حاكياً وجهَهُ بحسنِ ابتسامِ

كلُّ جودٍ من جوده مستعارٌ فاسألوا عنه ألسنَ النُّظَّامِ[٥]

هل رأت مثلَ جودهِ من قديمٍ أو رأت مثلَهُ بكلِ الكرامِ

فَهْوَ بحرٌ للجودِ لم يعرفِ الجَزْرَ وبَدْرٌ[٦] للمكرماتِ الجسامِ

---

(١) نسبة إلى الصفا والمروة وهي كناية.

(٢) الميطان: موضع يوطن لترسل منه الخيل في السباق (القاموس ١١٤١).

(٣) أي مقشراً شجرها حتى العود: قشره (القاموس ١١٧٥)، والبان: شجر (القاموس ١٠٨٨).

(*) من البحر الخفيف: وأصل تفعيلاته: فاعلاتن - مستفع لن - فاعلاتن (مرتين).

(٤) أرعف الإناء ونحوه: ملأه حتى سال. (المعجم الوسيط: رعف). ويقصد أنه كثير الكتابة.

(◆) بداية ص ٦ في المطبوع.

(٥) النُّظَّام: الشعراء.

(٦) في المطبوع: راق بدر، وهو خطأ.

فما زلتُ أترقى فيها من فنٍ إلى فن، وأتعاطى منها [زماناً][1] دَناً بعد دنٍ، أتطوفُ البلدان، وأتعرفُ الوجوهَ الحسان، من عدنانَ وقحطان، أُغْزِلُ تارةً وأمدح، وأُعْرِضُ أُخرى وأُصفح، فأغزل إن غزالٌ سنح، وأمدح إن جوادٌ منح، وأصفحُ إن بخيلٌ جمح، كم وشحتُ من ألوكه[2]، وكم رشحتُ من سبيكه، وكم اجتزتُ في مجاز، ما له من مجتاز، أقتنصُ الأمثال، اقتناصَ القانصِ الغزال، وأكَحِّلُ المُقَلَ بالسُّهاد، كحلَ الأوراقِ بالسواد، وأولعُ بالرَّقْم[3]، ولعَ الغانياتِ بالرشم[4].

كلُ مـا ذاكَ لتحصيلِ فتىً مثلِ نصلِ السيفِ معطاء اللُّهى[5](*)
أو أغـاني رشـأ ذا حَـورٍ مـا رنـاهُ زاهـدٌ إلا لهـا[6]

فمحافلي حافلةٌ بِأُدَبا، أرقُ طِباعاً من أنفاسِ الصَّبا، وأنضرُ وجوهاً من أيام الصِّبا، وأميلُ إلى المفاكهة من أفنان[7] الرُبى، نأخذُ بأزِمَّةِ[8] الأشعار، بأيمانِ الابتكار، فمن مقلال ومن مكثار، فمن سامرٍ[9] بغزل، ألطفَ من نظراتِ المقل، ومن مادحٍ لكريم، ذي صباح وسيم.

---

(١) سقطت من المخطوط وأثبتناها من المطبوع.

(٢) الألوك : الرسالة. (القاموس ٨٥٨).

(٣) الرَّقْمُ: تعجيم الكتاب وكتابٌ مرقوم: بينت حروفه بالتنقيط.

(٤) الرَّشْم: أن ترشم يد الكردي أو العلج كما توشم يد المرأة، يجعل بالنيل ليعرف بها وهو كالوشم (العين ٦٨٠).

(٥) مفردها: اللهوةُ وهي العطية. (القاموس ١٢٢٣).

(*) من البحر الخفيف.

(٦) لها لهواً: لَعِبَ.

(٧) أغصان.

(٨) في المطبوع: تأخذ أزمة، وهو تحريف.

(٩) في المطبوع: مسامر، وكلاهما صحيح.

رُبَّ لَيْلٍ سَهِرْتُهُ في وجوهٍ   مِن سلاف[1] الهوى تراهم سُكارى[*]
كُلَّما أنْشَدَتْ عليهم صفاتٌ   لغزالٍ أمسوا سُكارى حيارى
كَغصونِ البانات في الطبعِ لكنْ   كَنصالِ الظُّبى تشقُ الغبارا
كلما عسعست[2] دجىً كشفوها   بوجوهٍ تُشابِهُ الأقمارا
يجمعُ[3] الليلُ منهم كلَّ وَجْهٍ   تَحْسَبُ الليلَ من سناهُ نهارا
أكسبتهم آدابهم كلَّ طبعٍ   أكسبَ الروضَ بهجةً وبهارا

[في مدح أحمد بن رزق]

(◆) فبينما نحنُ كذلك، تسيلُ بنا أوديةُ تلكَ المسالك، نتنازعُ أطرافَ الأعاجيب، ونتعاطى اللهوَ مع الرعابيب[4]، في ليلة ذات أسفار، بوجوه السُّمّارِ لا بالأقمار، في رياضٍ حُفَّتْ بالأزهار، ورَفَّتْ[5] فيها بالأجنحة الأطيار.

في زمانٍ أرقَ من طبعِ صَبٍّ   ومكانٍ كوجنةِ المعشوقِ[6](**)

---

(١) السُّلاف : الخمر. (القاموس ٧٥٧).

(*) من البحر الخفيف.

(٢) عَسْعَس الليل: أقبل ظلامه أو أدبر. (القاموس ٥١٦).

(٣) في المطبوع : بجعع، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ٧ في المطبوع .

(٤) الجواري.

(٥) في المطبوع : ورقت، وهو تصحيف.

(٦) ورد البيت في المطبوع على شكل نثر، وجاءت بعده عبارة (إذا صب)، حتى يكون الكلام مسجوعاً، وأثبتنا الصواب من المخطوط.

(**) من البحر الخفيف.

إذ[١] سالتْ بالأعناقِ الأسمار[٢]، أودية مدائح الأخيار، فأخذ كلٌّ منا يُنْشِدُ ما عنده، ويُقَرِّضُ[٣] من أجْزَلَ رفدهُ ومَدَّه، فيأتي من أشعارهِ بألطفها، ومن أسمارهِ بأظرفها، ومن أمثاله بأجمعها، ومن بدائعهِ بأبدعها، حتى أنشد بعضُ من حضر، في ذلكَ المحضر، فأجادَ وما قصر:

سَبَرْتُ الورى بَذْلاً وعَقْلاً فلمْ أجدْ[٤] ... سوى أحمدَ بنِ الألمعي محمدِ[٥]
فتى أريحيُّ الطبعِ لو أن حاتماً[٦] ... رآه لرامَ الفضلَ من راحهِ النديِ

فلما سمعهُ بعضُ من دأب، في اقتناصِ حرفةِ الأدب، أنشدَ مرتجلا، حتى أعجب الملا، وقال كل منهم له بلى :

تذاكرَ صَحْبِي بالأكارمِ أيُّهُم ... أجلُ إذا تُطْرى الكرامُ وأفضلُ[*]
فقلتُ لهمْ إن الأكارمَ جمةٌ ... ولكنهم عندي بأحمدَ كُمِّلُوا
هُوَ البحرُ لكن مَدُّهُ غيرُ جازرٍ ... هو السحبُ لكن كلُّ وقتٍ يُؤَمَّلُ

---

(١) في المطبوع: إذا، وهو تحريف.

(٢) من السمر والمسامرة، الحديث بالليل.

(٣) من التقريض وهو المدح (القاموس ٦٠٠).

(٤) ورد الشطر في المطبوع ناقصاً هكذا: «سبرت الورى فلم أجد ....».

(٥) من البحر الطويل، والمقصود صاحب الترجمة أحمد بن محمد بن حسين بن رزق، والحديث هنا عن فضائله ومكارمه، وفي الفقرات التالية يستعرض بعض أشعار المديح في أحمد بن رزق التي كان ينشدها الشعراء مديحاً فيه.

(٦) إشارة إلى حاتم الطائي الذي يُضرب به المثل في الكرم.

(*) من البحر الطويل وهو من البحور الطويلة ،أكثر بحور الشعر شهرة، فقد جاء ما يقرب من ثُلث الشعر في هذا الكتاب على هذا الوزن والأساس فيه تفعيلتان هما «فعولن - مفاعيلن» تتكرران أربع مرات اثنتان منهما من الشطر الأول واثنتان من الشطر الثاني على الترتيب العروضي التالي:

فعولن مفاعيلن و فعولن مفاعيلن   فعولن مفاعيلن و فعولن مفاعيلن

ولما فرغَ من إنشاده، ما كَمنَ في فؤاده، قفاهُ بعض الجُلاس، مهتدياً بهذا النبراس[1]:

يقولونَ لي فضلُ ويحيى بنُ خالدٍ — كرامٌ لكلٍّ منهم مَدَّ جعفرُ[*]
فقلتُ صدقتم غيرَ أنَّ لكفِّ منْ — أرى أنه روحُ الندى مدَّ أبحرُ
أولئكَ ناسٌ أنفقوا عن إمارةٍ — وأحمدُ يُعطي مَالَهُ وهو يتجرُ

ولما استحسنَ الجالسونَ إنشاده، وعرفوا ما أراده، وشكروا الإجادة، نهضَ بعضُ من سمع، فأنشدَ من السهلِ الممتنع، ما يُسكِرُ الأسماع، ويأخذُ بتلابيبِ الطباع.

رأيتُ الندى قد ماتَ حتى نَعَيْتُهُ — وحتى بكتهُ بالدموعِ النواظرُ[**]
فلما بدتْ في الكون غرةُ أحمدٍ — تألقَ منهُ ما طَوَتْهُ المقابرُ
فأصبحَ منشورَ الذيولِ كأنه — لَنَا مثلٌ بينَ البريةِ سائرُ
فما مِنْ يدٍ إلا وفيها عطيةٌ — ولا بلدٌ إلا لهُ فيه شاعرُ
فلو رقموا[2] بعض الذي فيه من ثناً — لضاقَ الفضا عنه فكيفَ الدفاترُ
(♦)يداهُ لنا بحرانِ والكلُ زاخرٌ — وكلُ بسيطٍ بالنوالِ ووافرُ

ولما طَرَّزَ بُرْدَ شعره، وكظمَ على لؤلؤِ[3] ثغرِه، انبرى له آخر، وبرزَ له وفاخر، جارياً على أسلوبه، سارياً على مصاحبه إلى مطلوبه:

---

(١) النبراس : المصباح.

(*) من البحر الطويل.

(**) من البحر الطويل.

(٢) رقموا : كتبوا.

(♦) بداية ص ٨ في المطبوع .

(٣) في المطبوع: اللؤلؤ، وكلاهما صحيح.

أيهـا المادحـونَ أحمـدَ كُـفُّـوا ... ليسَ يُحصي أوصافَهُ شعرُ شاعرِ[*]

إنمـا أحمـدُ سمـاءُ كمـالٍ ... ومـزايـاهُ كـالنجـومِ الزواهـرِ

كـلُّ بحـرٍ لـه مـعـابرُ شتـى ... ونـداهُ مـا إنْ لـهُ من مـعـابرِ[1]

وحينَ أطربَ السُّمَّارَ[2] بقصيده، ورنَّحَ العقولَ بنشيده، حاكاه بعضٌ وأوجز، ولكنه أجزلَ وأعجز:

قلْ للذي يزعـمُ فـي عـصـره ... أن النـدى فـي أحـمـدٍ مفـردُ[**]

أحسنتَ لكن لا خـصـوصُ الندى ... بل الحـجـا والحلمُ[3] والسـؤددُ

كلٌّ لـهُ فـي عـصـرهِ مُشْبِـهُ ... ومـثـلـهُ في النـاسِ لا يوجـدُ

ولما أقلعَ عن المقال، وصمتَ بعدَ الارتجال، وكنتُ ممن جمعهُ القدر، بين تلكَ الوجوهِ الغُرر، أسرعتُ في إنشادي، وأجريتُ في الحلبةِ جوادي:

يا منشـدي الأشعـارَ فـي سيـدٍ ... طلقِ الأيادي في الجدى والجبينْ[***]

يسـاره يُـسْـرٌ لقُـصَّـادهِ ... واليمـنُ معقـودٌ لـه في اليمينْ

كـيف يجاري شعـركم فضلَ من ... مـا زالَ كـالغيـثِ على المعسرينْ

أبلـجُ وضـاحُ إذا يُجْـتَـدَى ... ولـو تناهـى زمـنُ المجتـديـنْ

يسـارهُ مُـثْـعَنْجِـرٌ[4] مُـزْنُـهُ ... والغيـمُ بالقطـرِ بخيـلٌ ضنينْ[5]

(*) من البحر الخفيف.

(١) في المطبوع: مغائر، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: السماع.

(**) من البحر السريع، وأصل تفعيلاته : مستفعلن - مستفعلن - مفعولات (مرتين).

(٣) في المطبوع : والعلم.

(***) من البحر السريع.

(٤) المثعنجرة من الجفان: التي يفيض ودكها (القاموس ٣٣٦).

(٥) في المطبوع: طنين، وهو تحريف.

قدْ أقسمَ العصرُ وصدقتهُ بأنه ليسَ له مِنْ قرين
كلُّ المزايا فيه محصورةٌ أعني مزايا السادة الأكرمينْ
لا يُبْرِزُ الدهرُ له مُشْبِهاً فإن يَرُمْ فهوَ من الكاذبينْ
خاتمةُ الأجواد في عصرهِ فهل ترى من بعده باذلينْ
(◆)يا بحرُ إنْ كُنْتَ نظيراً له فلا تكن يوماً من الجازرينْ
عطاؤك الماءُ وذا مَدُّهُ دُرٌّ مُنَقًّى أو نضارٌ ثمينْ
كم نَظَمَتْ يمناهُ من سُؤْدَدٍ مُنْتَثِرٍ أعيا على الناظمينْ
وكمْ أيادٍ منه مجرورةٍ مرفوعةٍ إلا عن اللائمينْ
قد أتْعَبَتْ أوصافُهُ الغرُّ من كان له من جملة المادحينْ
أوصافُهُ الأمثالُ لكنها سارتْ بها ألْسنَةُ الحاسدينْ
لا قُطْرَ إلاّ فيه ذكرٌ له يفوحُ كالمسْكِ على الناشرينْ
يا مضرُ(١) الحمراءَ نلْتِ العلا بسيدٍ جمٍّ المزايا رزينْ
أصبرَ من طَوْدٍ إذا عَضّهُ نابٌ من الدهرِ طريرَ سنينْ
أصدقُ في الهيجاءِ من قَسْوَرٍ ولم يكنْ إلا العوالي معينْ
كأنه تحت طوال القنا ليثٌ تَبَدَّى في خلالِ العرينْ
يسطو بعَضْبٍ(٢) قد حكى وجهه أو ثاقباً خرَّ على ماردين(٣)

(◆) بداية ص ٩ في المطبوع.

(١) مُضَر: القبيلة العربية الشهيرة ونُسب إلى الحمراء: لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه وربيعة أعطي الخيل، أو لأن شعارهم كان في الحرب الرايات الحمر. (القاموس ٣٥٥).

(٢) العَضْب: السيف (القاموس ١٢٠).

(٣) في المطبوع: الماردين.

[ذكر أحوال أحمد بن رزق]

فلما أكملتُ المقالة، ورشحتُ التمثالة[1]، وأطلعت بدر[2] الجلالة، في خلالِ تلكَ الهالة، وأُسرجتُ نورَ هذه الذبالة[3]، من أنوارِ تلكَ الغزالَة، أنصتَ القوم، ولم يَفُهْ أحدٌ بِلَوم، فعلمتُ إجماعهم على فضله، وأن من عارضَ لا يُعْبَؤُ بنقله، فأيقظتُ نائمَ الهم، وأشحذتُ كليلَ العزم، وأرعفت[4] أنوفَ اليراع، وأسجدتها في محاريبِ الرِّقاع[5]، ووشَّيْتُ برودَ الأشعار، وحركتُ سواكنَ الأفكار، لنشرِ ما انطوى له من الآثار، وزوجتُ بين المعاني والمباني، لإنتاجِ ما له من المثاني[6]، وأخذتُ أنشرُ مطارفَ أذكاره، وأذيعُ مكارمَ أخلاقه ومحاسنَ آثاره، وأكشفُ عن وجوهِ مخدراتِ مقداره، وإن كُنَّ ذُكاءَ[7] في رابعةِ النهار، وقفا نبك[8] في الاشتهار، فأنظمُ لآلِئَ البراعة[9] في عقودِ الأسطار، وأجلو عرائس الأفكار، على منصات ما له من افتخار، فإن جواهرَ آثارِ الأجواد، مما تُقَرَّطُ به الآذانُ وتُطَوَّقُ به الأجياد.

---

(١) التمثالة : الصورة (القاموس: ٩٧٤).

(٢) في المطبوع: بدور.

(٣) الذبالة : الفتيلة.

(٤) رَعَفَ يَرْعَفُ رعفاً راعف : أنفه سال منه الدم.

(٥) في المطبوع: الدفاع، وهو تحريف.

(٦) المثاني : جمع التثنية وهي وصف بمدح أو ذم أو خاص بالمدح (القاموس : ١١٦٦)

(٧) ذُكاء : الشمس بعينها. (في العين ٦٢٧). وفي هامش المخطوط: ذكاء ممتنع صرفه: من أسماء الشمس.

(٨) يقصد في شهرة معلقة امرئ القيس والتي مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٩) في المطبوع: البراعة، وهو تصحيف.

سأنظمُ من أخبارِهِ في طلا[١] العلا خرائدَ لم تثقبْ إلى الآنَ بالفكرِ[*]
إذا جُلِيَتْ فوقَ المنصاتِ ألفيتْ معطرةَ الأذيالِ باسمةَ الثغرِ

(◆)على أنني وإن نظمتُ في مدحهِ الدراري[٢]، وجاريتُ بأقلامي كلَّ نجمٍ ساري، لا أراني إلا مُقتصراً[٣]، وإن كنتُ مُطنباً ومكثراً، كيفَ البلوغُ لغايةِ كماله، والوصولُ لإحصاءِ أفضاله، وقد أفعمَ الآفاقَ بقَطْره، وَجمَّلَ الأعناقَ بقلائدِ برِّه، ووجوهَ الأعصارِ بغُررِ فَخْرِهِ[٤]، ورياضَ الأمصارِ بزَهْرِ ذِكْرِه[٥]، وسماءَ المعالي بأنجمِ محاسنه، وصدورَ الليالي بمراسلِ ميامنه، حتى أُديرتْ أفلاكُ الثناءِ على أقطابه، وأنيخت نياق[٦] الآمالُ ببابه، واستميحتْ جداولُ الكرمِ من[٧] عُبابه، ولُفَّتِ المروةُ بين أثوابه، فصارَ جديراً أن يُقَرَّضَ بالدرِ المنثور، وتُقَرَّطَ آذانُ مكارمهِ بالنجومِ والبدور، ويتفاخرَ بالوصولِ إليه، والمثولِ في ناديه بينَ يديه.

كم شريفٍ سَمَيْدَعٍ[٨] ذي مقامٍ طلبَ العزَّ بالوقوفِ لديهِ[**]

---

(١) طلا : طلب.
(*) من البحر الطويل.
(◆) بداية ص ١٠ في المطبوع .
(٢) الدرادي: جمع دُرر، وواحدته درة وهي اللؤلؤة.
(٣) في المطبوع: مقصراً.
(٤) في المطبوع: تقرر بفخره، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع: تزهر بذكره، وهو تحريف.
(٦) نياق : جمع ناقة، والمراد شدة الكرم.
(٧) في المطبوع: عن، وهو تحريف.
(٨) سميدع: بمعنى الشجاع.
(**) من البحر الخفيف.

أمطرتهُ من فضلهِ مرسلاتٌ ترسلُ الجودَ منه دأباً إليه
كيف لا ترفعُ الأيادي إلى من خالصُ التبرِ[1] صار مَدَّ يديه
إن يكنْ للكمالِ تاجاً فهذا مجدهُ خاتمٌ على خِنْصَريه

عبقَ صيتُهُ في الأكوانِ فعطَّرها، وظهرَ على ذُكاءَ فغلبها وقهرها[2]، وتجلَّى على السيارة[3] فسبقها وتصدرها، وتبسمَ وجهُ إقبالهِ في الأعصارِ فنوَّرها، وسجمَ[4] وابلُ معروفهِ في الأمصارِ فأزهرها[ونوَّرها][5]، وطاولته الرواسي[6] فما أطولَهُ وأقصرها، وكاثرتْ مكارمَهُ النجومُ فكثرها، وجارتهُ الكُرماءُ فكان أغزرها، وبارتهُ الحكماءَ فكان أشهرها، قلَّد الرقابَ مِنَنَه[7]، وعلَّم الشبابَ سَنَنَه، وأرسلَ النوالَ[8] وعَنْعَنَه، وصَحَّحَ الكمالَ وحَسَّنَه[9].

فكمْ لهُ من أيادٍ معروفةٍ لا تُجارى[10](*)
فاقَ الملوكَ نوالا فكيف يُبْقي التجارا
إذا تألقَ وجهاً أبصرتَ فيه اليسارا

---

(١) التبر : الذهب.

(٢) في المخطوط: فغلبها وقمرها وقمرها، وأثبتنا الصواب من المطبوع.

(٣) السيارة : القافلة.

(٤) سجم: سال وانصب.

(٥) ساقطة من المطبوع.

(٦) الرواسي : الجبال.

(٧) المنن : النعَم والعطايا.

(٨) النوايا : العطايا.

(٩) هنا يظهر تأثر الكاتب بعلم أصول الحديث في استخدام مصطلحاته مثل: أرسل، عنعنه، صحح، حسنه.

(١٠) في المطبوع ورد البيت الثاني مكان البيت الأول.

(*) من البحر المجتث.

وإن مشى للمعالي أدركتَ فيه الوقارا
يأبى اللجينُ احتقاراً ويصطفيكَ النُّضارا
يلقى الضيوفَ بوجهٍ تخالُ منهُ النهارا
من وجنتيه تسامى سنا الندى واستنارا
بدا وللبخلِ أسرٌ ففكَ منهُ الأسارى
(♦)وأكثرَ البذلَ حتى منهُ استقلَ البحارا

وبالجملة فهوَ الجوهرُ الفردُ في عصره، والعلمُ المرفوعُ على أقرانه في مِصْره[١]، والمشارُ إليه بالأناملِ في قُطْرِه، والمبتدأُ الواجبُ تصديره، والفاعلُ اللازمُ بروزهُ وظهوره، والعاملُ[٢] المفقودُ في الأيامِ نظيره، والمُعَرَّفُ بأداة[٣] التعظيمِ ولم يُعْهَد تنكيره، والمخصوصُ من جنسه بالتكريمِ فامتنعَ في الأنامِ تصغيره، والمنعوتُ بنعوت الإجلال، والمَصْدَرُ لكل كمالٍ وإكمال، والمُسْتَثْنى بكرمِ الأيادي، في الحضرِ والبادي، والمميزُ بالأحوالِ المرضية، والمضافُ إليه الكمالاتُ الإنسانية، والموصولُ إلا أنهُ ذو صلات، وعوائدُ غيرُ منتهيات، والظاهرُ بكل فضل، والمضمرُ [وُدُّهُ][٤] في كلِ عقل، فهوَ قطبٌ تدورُ عليه أفلاكُ المواهب، وطالعٌ[٥] لا تناظره الطوالعُ والغواربُ[٦]، وسحابٌ لا تماطرهُ

(♦) بداية ص ١١ في المطبوع .

(١) في المطبوع : أقران مِصْره.

(٢) في المطبوع: والعالم، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: والمعروف بأداء، وهو تحريف.

(٤) ساقطة من المطبوع.

(٥) الطالعُ : الهلال.

(٦) الغوارب : أعلى كل شيء.

ثُدِيُّ السحائب، وعُبابُ تَنْضَبُ منه جداولُ الرغائب[1]، وقبلةٌ يستقبلها القاصد، ويحنُ إلى زيارتها الغائبُ والشاهد، وزمزم يَسْتَعذِبُ نَبْعَهَا الصادرُ والواردُ[2]، ويترحلُ إلى سقايتها المسنتُ العائل، على الغارب والكاهل[3]، وركنٌ يستلمهُ السائل، فيرجعُ بالفضلِ السائل.

يا كعبةَ المجدِ وركنَ الندى ... ويا مُنى السُّؤَّالِ والراغبين(*)
أدركتَ مجداً شامخاً باذخاً ... يسمو على الماضينَ والآخرين
خُلِقْتَ من ماءِ الندى خالصاً ... فأنتَ تعطيهِ منَ المخلصين
كم قائلٍ أحمدُكُمْ مسرفٌ ... نعمْ ببذلِ الكفِ للمُعْتَفين
كم من مسيفٍ[4] جاءه طالباً ... فردَّ عنهُ بالعطايا سمين
يا دهرُ إن حاكَيْتَهُ عَزْمَةً ... فكنْ كما كانَ منَ المنصفين
ويا سحاباً ظنَ شِبْهاً به ... أمْطِرْ بلا رعدٍ على المجدبين[5]
وافعلْ كما يفعلُ عند الجَدا[6] ... فإنهُ الضحاك للمجتدين
أحلمُ[7] من قيسٍ على أنه ... كبخله حُلْماً عن الجاهلين
أفعالهُ بيضٌ وغاراتهُ ... أسودُ من ليلٍ على المعتدين

---

(١) الرغائب : العطاء الكثير.

(٢) الصادر والوارد: الذاهب والآتي، وهو طباق.

(٣) الغارب : الكاهل . والغارب من البعير ما بين السنام والعنق.

(*) من البحر السريع.

(٤) المُسيف مأخوذ من: أساف: هلك ماله (القاموس ٧٥٨).

(٥) القوم أصابهم الجدب.

(٦) الجدا: المطر العام والعطية وهو المقصود (القاموس ١١٦٧).

(٧) في المخطوط: أحكم، وقد أثبتنا ما في الموضوع، لأنه يتحدث عن قيس بن عاصم المنقري وهو من الموصوفين بالحلم. (الأعلام ٦/٥٧).

كم غارةٍ شعواءَ يسمو بها يُقَدِّمُها بربطِ جأشٍ رزين[١]

[♦]والنقعُ كالليل ولمعُ الظُبا كدينه المتضحِ المستبين

لولا بريقُ البيض في النقع[٢] لم يكُ في الطعنِ من المهتدين

كأنهُ في مضرٍ[٣] عنترٌ وحاتمٌ في طيئ الأكرمين

أعزُ جاراً من كليبٍ وإن يكنْ لغالي المالِ بذلاً مهين

يبيتُ من جاوره آمناً كأنه فوقَ الثُريا رهين

قد ضربوا الأمثال في جوده[٤] حتى على ألسنة الكاشحين[٥]

كم حاسدٍ رام علاهُ فما اسـ ـطاعَ لها فهو من الخاسئين

يا بدرُ إن قاومته رفعةً فلا تكنْ يوماً من الكاسفين[٦]

تلكَ معاليه التي شادها أظهرُ من نورِ الضحى المستبين

يعرفها أعداؤه جهرةً عرفانهم للشمسِ عينَ اليقين

لن يطفئَ الحاسدُ من نورهِ ما أظهرَ اللّه فقطعاً يبين

رام حُسَاده أن يدركوا مقداره، أو يسبقوا آثاره، فلم[٧] يشقوا غباره، وأرادوا أن يَطْمسُوا مناره، فأبى اللّه إلا إعلاءه وإظهاره، مُهِّدَ هو والمكارم في مَهْد، وارتضعا فكان راضعهما المجد، وكُفلا فما[٨] كفلهما إلا السعد، وحُضنا

(١) رزين : متزن وقور.

(♦) بداية ص ١٢ في المطبوع .

(٢) البيض : المقصود «السيوف»؛ والنقع: الغبار.

(٣) مضر: نسبة إلى قبيلة مُضر التي ينتسب إليها عنتر والتشبيه للشجاعة.

(٤) الجود : الكرم.

(٥) الكاشح : عدو مُضمر للعداوة.

(٦) كاسف : عابس عظيم الهول.

(٧) في المطبوع: وليم، وهو تحريف.

(٨) في المخطوط: وما، وهو تحريف.

فما حضنهما إلا السعادة، وخُتِنَ[1] هو فما[2] خاتَنُهُ إلا السيادة، حتى تنقَّلَ من الأحوالِ السعيدة، إلى الأطوارِ الطيبة الحميدة، وبلغَ مبلغَ الرجال، وهو أخو الكمالِ وأبو الجلال، ينشر للفضائلِ كلَ طيَّ، وَيِنْشُرُ الفواضلَ نَشْرَ أخي طيِّ[3]، ويُنادي لسانُ المكارم، له إنني أنا حاتم[4].

ألا أيّها العافونَ إن رُمْتُم النـدى ... فمن كَفِّيَ السخاءِ لا من يدِ البحرِ[*]

فَكَفِّيَ لم تفترْ عن المدِّ لحظةً ... وذلكَ إنْ يَمْدُدْ فكم كانَ ذا جزرِ

وذاكَ أجاجُ الماءِ دأباً عطاؤُهُ ... وكَفِّيَ تُعْطِي الدرَّ أو خالصَ التبرِ

وإنَ سحابَ الجوِّ يُمْطِرُ ساعةً ... وكَفِّيَ سَحَّاءُ النَّوالِ يَدَ[5] الدهرِ

ولا فضلَ في الأيّامِ إلا لراحتي ... فكمْ مُعْسِرٍ قد أطْلَقَتْهُ من العسرِ

(◆)وإنيَ من قومٍ نَمَتْهُمْ جُدُودهمْ ... إلى شرفٍ يسمو على قُنَّةِ[6] النسرِ

لهمْ شَرَفٌ لا يُرتَقَى وفضائلُ ... إذا حُسِبَتْ أعيتْ عن العدِّ والحصْرِ

وقائعهم سودٌ وإن تكُ دائماً ... مطرَّزةً أذيالُها بالظُّبى الحمرِ

لئنْ كان آبائي لهم كلُ سُؤْدَدٍ ... على كلِ من رام التصدُّرَ في الفخرِ

لما تمَّ ذاك الفضلُ إلا بطَلْعَتي ... كما تَمَّمَتْ شمسُ الضحى طلعةَ الفجرِ

فَسَلْ عنيَ الآفاقَ هل كانَ نائلي ... يسيراً وهل كان افتخاريَ لا يسري

---

(١) ختن: ختوناً. وختونة: تزوج.

(٢) في المخطوط: وما، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: وينشر الفواضل نشر، وهو تصحيف، والمقصود بطي، قبيلة طيئ.

(٤) حاتم: إشارة إلى حاتم الطائي الذي يُضرب به المثل في الكرم.

(*) من البحر الطويل. وهي تعدد فضائل أحمد بن رزق وشمائله في الكرم، والشرف، والفخر.

(٥) في المطبوع: وكفي سحاباً للنوال مد الدهر، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ١٣ في المطبوع.

(٦) القُنّ: الجبل الصغير (القاموس ١١٣٠).

وهل كان مجدي يُستطاع سُمُوُّهُ وها هو مركوزُ الدعائمِ بالتبرِ
أولئكَ قومي خيرُ قومٍ وَجَدْتُهُمْ إذا ما جرى حيَّانِ يوماً إلى فخرِ
همُ يُحْسِنونَ الضربَ في طلبِ العلا كما يحسنونَ الضربَ والطعنَ بالسُّمْرِ
بهاليلُ[١] غرانُ الوجوهِ إذا سجى غبارٌ أزاحوهُ بمُصْلَتَةٍ[٢] غرِّ
شغاميم[٣] لا يرضونَ مركوبهم سوى ظهورَ خيولٍ تحتَ أسيافهمْ تجري
جَروا تحتَ أظلالِ الرماحِ تُظِلُّهُمْ صوارمُ سَلُّوهُنَّ مِنْ وَهَجِ الحَرِّ
إذا أصْلَتُوها خِلْتَهَا في[٤] أكُفِّهِمْ ثواقبَ زُهْرٍ أو شقائقَ في زَهْرِ
حَيِيُّونَ إلا أنَّهُمْ في نِزَالِهِمْ أشدُّ بروزاً من سيوفهمُ الحُمْرِ
منازلهمْ أعلى الذُّرا[٥] وهي في الطُّلى إذا ركبوا ظَهْراً نَزَلْنَ على نحرِ
لهمْ كلُّ فخرٍ لا يُجارى وسؤددٌ عظيمٌ ومقدارٌ يَجُلُّ عن القدرِ

وحين قضى لسانُ حاله[٦]، من نعت بعضِ أحواله، صَمَّمَ العزمَ على ما قصد، وأحالَ يُنْجِزُ ما به وعد[٧]، من إنشاء ترجمته، ونشرِ بُرُود مكرمته، وذكرِ أحواله من مولده لموتته، بعباراتٍ هي السلسبيل، وإشاراتٍ أرقَ من نظرات الخليل، وأسجاعٍ[٨] تشفي العليل، وتُروي الغليل، أشمِ وجنات الطروس[٩]

(١) يُقال رجل بُهلُول: أي حيي كريم.
(٢) في المطبوع: بمصيبة، وهو تحريف.
(٣) شغاميم جمع شغموم وهو الطويل (القاموس ١٠٣٨). وفي المطبوع: شفاميم، وهو تحريف.
(٤) في المطبوع: من، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع: الندى، وهو تحريف.
(٦) هنا يروي سبب إنشاء ترجمة الشيخ أحمد بن زرق.
(٧) في المطبوع: يستنجز به ما وعد.
(٨) من السجع وهو الكلام المقفي غير الموزون.
(٩) طرس الكتاب طرساً: كتبه ومحاه والجمع طروس.

بالسطور، وأُزَوِّجُ الإصباحَ[1] بالديجور[2]، أجانبُ القِصَر، مجانبة الشاربِ الحَصَر.

كلما ذاكَ لتحصيلِ هوى ... كلما سكنته لا يسكنُ[*]
في مزاياه التي أقلامنا ... عجزت عنها فكيف الألسنُ
[◆]كلما أبصرته قلت به ... كلُّ شيءٍ فيه فهو الأحسنُ

سَيِّدٌ سَوَّدَهُ أصلهُ، ومجَّدَهُ على كلِّ ماجدٍ فعله، إن نطقَ فصل، وإن أنفقَ أرسلَ المثل، أو رنا انكسرت المقل، وطوطئت الرؤوسُ من الخجل، إن نظرتَ إلى مرابعه فَمُخْضَرَّة، أو إلى وقائعه فقاتمةٌ[3] محمرة، أو إلى صوارمه فهي للنقعِ غرة، أو إلى دراهمه فهي لم تألفِ الصرة، أو إلى وجههِ فباسم، أو إلى رِفدهِ فساجم، أو إلى راحه[4] فسحاب[5]، أو إلى أفنيته فرحاب، أو إلى جلسائهِ فأقطاب، أو إلى ندمائه فألطف، من الأفنانِ وأظرف.

تكادُ على الأوراقِ منهم طباعُهُمْ ... تسيلُ ولكن لا تسيلُ الطبائعُ[**]
إذا ما تعاطوا للفنونِ تفننت ... جوامعُ من أفكارِهم وبدائعُ

---

(١) في المطبوع: وأصباح الأزواج.
(٢) الديجور: شدة الظلمة. والجمع دياجير.
(*) من البحر الرمل.
(◆) بداية ص ١٤ في المطبوع.
(٣) في المطبوع: فقائمة، وهو تحريف.
(٤) في المطبوع: راحته.
(٥) في المطبوع جاءت هذه العبارة (أو إلى راحه فسحاب)، قبل عبارة (أو إلى رفده فساجم)، وهو لا يتفق مع السجع.
(**) من بحر الطويل.

[ذكر مولده ونشأته]

قد أبرزتهُ قدرةُ القادر، من الرحمِ الطيبِ الطاهر، منتمياً لأزكى العناصر، في بلدة مصغرةٍ فكبرها، حين تبوأها وتَدَيَّرها[١]، ولَعَمْري إنهُ أجل مقداراً، من أن ينتجعها[٢] داراً[٣].

شرّفتها أوصافهُ الغرّ لمّا | أن تسامى في دوحها وتعالى[*]
وتعالت على البلادِ ولمّا | أن قلاها كانت بعيني نعالا[٤]

وكان أولَ ما برز فيها، مصدراً كأبيه في ذَوِيها[٥]، تُخالُ النجابةُ فيه، والبراعةُ ظاهرةً من فيه، تسمو به نفسهُ وهو رضيع، إلى كلِّ مقامٍ خطيرٍ رفيع، حتى إن الصبيان، لتعرفُ له الشان، وترفعُ له المكان، حتى ذكرَ لي بعض الأتراب، الملازميه أيامَ الشباب، أنهُ جلسَ مع الأولاد، عامَ عشرٍ من الميلاد، فبرزَ له مُعاشر، في صورةِ شاعر، فأنشده من منظومِ تلك البلدة، ليعلم بذلك رفده، وعندما أكملَ[٦] ما عنده، قامَ إليه وكساه بُرْده[٧]، فأنثنى الغلامُ جذلا،

---

(١) في المطبوع: وتدبرها، وكلاهما صحيح.
(٢) في المطبوع: يتخذها.
(٣) يقصد بها: الكويت.
(*) من البحر الخفيف.
(٤) في المطبوع: تعالي، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع: زوائيها، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع: كمل.
(٧) هنا يشبه الكاتب موقف أحمد بن رزق مع الفتى الذي ألقى قصيدة بين يديه، بموقف الرسول ﷺ حينما جاءه كعب بن زهير وألقى القصيدة المشهورة «بانت سعاد....... ....» بين يديه، فكساه الرسول ﷺ بردته.

بما أمدهُ يمشي الخَيْزَلى[١]، ولما أُخْبِرَ أبوه استبشر، وقال لابني شأنٌ يظهر، ثم لم تمضِ إلاّ أيام[٢]، أقصرَ من ليِّ الزمام، حتى أخذَ يبتاعُ الجواهر، استعانةً بذلك على المآثر، وهو مكفولٌ بأبيه، مختالٌ[٣] بالدلالِ بين ذويه، ملحوظاً بلواحظ الإكرام، من الخاصِ والعام، مشاراً إليه بالأصابع، معروفاً بكريمِ الصنائع، مألوفاً بظريفِ الطبائع، ملقيةً إليه المعالي بِعِنانها، ناظرةً إليه بإنسانِ أعيانها.

سَيِّدٌ ماجدٌ كريمٌ عظيمٌ	حاتميٌ بطبعه مضريٌّ[*]
علويٌّ مُقَدَّمٌ في المعالي	ليسَ يحكيه هِمَّةً عربيٌّ
ما رأينا نظيرَهُ فهو لا شك	وحيدٌ في عَصرِه أوحديٌّ
[◆]ألمعيٌّ يحارُ طَرْفُكَ فيه	كلُ وَصْفٍ يَسْمُو به أحمديٌّ
كَفَلَ الناسَ بالمكارمِ طراً	فَهْوَ لاشكَ للعفاةِ[٤] الوصيٌّ
رَمَقَتْهُ العلا بطرفٍ خفيٍّ	وَهْوَ في المهد والرضاعِ صبيٌّ[٥]
قَلَّدَتْهُ قلادةَ الفضلِ حتى	غار منهُ وَفَضْلِه البرمكيٌّ[٦]
قامَ سوقُ الندى بفيضِ أياديه	كما قامَ بالكرامِ النديٌّ
أورَقَتْ مُذْ بدا غصونُ المثاني	إذ سقاها من صَوْبِه ثرويٌّ

(١) الخيزل والخيزلى والخوزلى: مشية في تثاقل (القاموس ٩١٣)

(٢) في المطبوع: ثم لم تمض الأيام.

(٣) في المطبوع: مختالاً.

(*) من البحر الخفيف.

(◆) بداية ص ١٥ في المطبوع.

(٤) عَفَّ عفة وعفافاً كَفَّ عما لا يَحلُ ولا يجمُل من قول أو فعل (المعجم الوجيز).

(٥) في المطبوع: بالمهد.

(٦) البرمكي: منسوب إلى آل برمك وهم أسرة فارسية شهيرة تقلد أبناؤها الوزارة في العصر العباسي، قضى عليهم الرشيد سنة ١٩٧هـ/٨٠٣م بعد أن تعاظم نفوذهم. (المعجم العربي الأساسي، ص ١٤٢).

أَسَدٌ في الوَغَى هِزَبرٌ ومهما كلح[١] الدهرُ فَهْوَ غَيْثٌ رويُّ
عامريٌّ[٢] في الطبعِ نجلُ معاذ وأبوهُ إن صَرْصَرَ السمهريُّ[٣]
خَطَبَتْهُ بكْرُ المعالي صبياً فابتناها والفضلُ فيه الوليُّ
رام أعداؤُهُ صعُودَ معاليهِ فردّوا والكلُّ عنها قصيُّ

فما زال يُحْيي الآمالَ من حلِّها، ويَصْرِفُها في الأحوالِ على أهلها، ويَعُدُّها لفَلِّ النوائبِ وحَلِّها، ويثابرُ على مفروضات المكارمِ ونفلها، ويدعو العُفاةَ إلى طُرُقِها وسُبُلِها، ويدعو إلى سُنَنِها، ويهدي إلى سَنَنِها[٤]، ويُدلي أقناءَ فَنَنِها، حتى تناقلتْ أخبارهُ الركبان، ونشقت عطرَ أذكاره معاطِسُ[٥] الأوطان، وسالت بِسَيْبِه الغيطان والميطان، وأُرْسِلَتْ جداولُ راحه[٦] في الراحات، وجرتْ بمجرورِ مده بطاحُ الساحات، وسُرِّحَتْ ذوائبُ أغصانها، ونُشِرَتْ مطارفُ ريحانها، وصَفَتْ مشاربها، وكَرَعَ[٧] بالفم شاربها، فالآذانُ بأخباره مُشَنَّفَة، والأعيانُ بنظراته مُتَشَرِّفَة، والعطايا من يساره مغترفة، والكمالاتُ به مؤتلفة، والإفضالاتُ بصلاته مُتَعَرِّفَة، وأذيالُ المرواتِ ببنانه مُطَرَّفَة، ووجوه السادات في ناديه مُصَفَّفَة، لا تنتهي كمالاته، كما لا تتناهى صلاته، ولا تحصرُ أفرادُ ما لَهُ

---

(١) كلح : عَبَسَ وأفرَطَ في العبوس.
(٢) نسبة إلى قبيلة عامر بن صعصعة.
(٣) سمهري : رمحٌ سمهري: صلب العود شديد، ويُقال إنه منسوب إلى رجل كان يُقوِّم الرماح اسمه سَمْهر (المعجم العربي الأساسي، ص ٦٤٤). وصرصر : ريح صَرصَرٌ شديدة الصوت. والمعنى: رُمح شديد الصوت.
(٤) في المطبوع: سنتها.
(٥) في المطبوع: معاطن، وهو تحريف، والمعاطس جمع المعطس وهو الأنف. (القاموس ٥١٧).
(٦) في المطبوع: راحته.
(٧) كرع: تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء. (المعجم الوسيط).

من إحسان، بنطاقِ يراعٍ ولا لسان، مَنْهَجُهُ أقومُ المناهج، ومدرجهُ أفضلُ المدارج، يعرجُ عروجَ البدور، ويدرجُ مدرجَ الصدور، هو قس[1] في فصاحته، وكعب[2] في سماحته، ووائلُ في عزته وحمايته، وجساسٌ[3] في فتكه وأنَفَته، وملاعبُ الأسنة، ومجيرُ الجرادِ فيما سَنَّه، أشجعُ من ابنِ عُبَاد[4]، وأبدعُ من ابن عَبَّاد[5]، وأمنعُ عزةً من ابنِ زنباع[6]، وأصدقُ من القَطا بالإجماع، وأصرد[7] من السهم، وأحدُّ من المخذم[8] في العزم، وأصبرُ من ذي ضاغطٍ في النُوَب، ومن عُودٍ بَجَنْبَيْهِ[9] جلب ،

(◆)صَرِيٌّ عَزْمٍ مِن أبي سَمَّالِ ... إن فدحَ الخطبُ على الرجالِ

---

(١) نسبة إلى قس بن ساعدة الإيادي (ت حوالي ٢٢هـ/٦٤٢م): أسقف نجران في الجاهلية ومن أبرز خطباء العرب وحُكمائهم حتى ضُرِبَ به المثل في البلاغة والحكمة، كان يؤمن بالبعث ويقول بالتوحيد ويعظ الناس في سوق عكاظ. (انظر المعجم العربي الأساسي، ص ٩٨٤) انظر ترجمته في (تاريخ الأدب العربي : أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، ص ١٩).

(٢) كعب بن زهير المزني (ت حوالي ٢٥هـ/ ٦٤٥م) شاعر مخضرم هجا الرسول فأهدرَ دَمَهُ ثم جاءه مُستأمناً ومدحه بقصيدته «بانت سعاد » فخلع عليه الرسول بُردَتَه.

(٣) جساس: هو قاتل كليب.

(٤) الحارث بن عُباد البكري، من حكماء الجاهلية وشجعانهم، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها:

قَرِّبا مربط النعامة مني ... .

(انظر: الأعلام ٢/١٥٧).

(٥) يقصد الصاحب بن عباد ويُضرَب به المثل في الحلية اللفظية والمحسِّنات البديعية.

(٦) هو روح بن زنباع الجذامي أمير فلسطين وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها. انظر: (الأعلام ٣/٦٣).

(٧) في المطبوع: وأسرد، وهو تحريف، في القاموس (٢٧٩): سهم صارد: نافذ.

(٨) سيف مخذَم : قاطع (القاموس ١٠١٥).

(٩) في المطبوع: بجبه، وهو تصحيف.

(◆) بداية ص ١٦ في المطبوع .

يَصْمُتُ عن وَقار، وينطقُ فيرتفعُ المقدار، بلفظٍ يؤلفُ بين النهارِ والظلام، وتُفْهَمُ أعجازهُ من صدورِه قبل التمام.

مولًى إذا ما حاكَ بُرْدَ مقالة	في مجلسٍ عرفوا له المقدارا(*)
يوليكَ ألفاظاً كَدُرِّ مَحَارة	بمضاحكٍ تدعُ الظلامَ نهارا
قد ألبسَ الأيَامَ حُسْنَ بهائه	وكسا الأنامَ مهابةً ووقارا
طلعتْ على زُهْرِ الكواكبِ شَمْسُهُ	فرأيتها رأيَ العيانِ صغارا

نَجَمَ[١] نَجْمَ سعوده في سماء الشرف، فأخفى ضوءُهُ كل سَدَف[٢]، دأبَ في تقييدِ أوابدِ الآداب، دَأْبُهُ في تقليدِ المننِ الرقاب، حتى لم يَبْقَ جِيدٌ إلاّ وَلَهُ فيه سِخاب[٣]، وحتى قَبّل منه الأيادي، الحاضرُ منا والبادي، كيف لا وهو ابنُ رزق العفاة، وأحمدُ من اهتز للندى عطفاه، وأفصحُ من أَنْطَقَ[٤] بالحِكَمِ فاه، وأمجدُ من طار[٥] في الآفاق ثناه، وأسعدُ من تلألأ في وجه الشرفِ سناه، وأشجعُ من هزَ عطفَ قناةٍ وثناه، لم يَبْقَ مَعْطِسٌ إلا انتشقَ من رَيّا جَدِّه، ولا زندُ جلالٍ إلا وتحلّى بسوارِ مجده، ولا خنصرُ آمالٍ إلا وهي حاليةٌ بخاتمِ مَدِّه، ولا عقدُ كمالٍ إلا وهو واسطته، ولا نحرُ شرفٍ إلا وهو قلادته، ولا سموُ إلا وقد أنيطَتْ به سيادته، ولا أفقَ إلا وَهَلَّتْ فيه سعادته، قامَ على أنه المفردُ في كماله، المتعالي على نظرائه وأشكالِه، أدلةٌ لا تُرَدُّ نصوصُها، ولا تُقْلَعُ من خاتمِ البرهانِ

(*) من البحر الكامل.

(١) نَجَمَ الشيء نُجماً ونجوماً: طلع وظهر. يُقال : نجمت الكواكب .

(٢) سَدَفَ البصرُ سدفاً :أظلم، والسدَف : الظُلمة.

(٣) السخاب : القلادة تتخذ من القرنفل.

(٤) في المطبوع: نطق.

(٥) في المطبوع: ظهر.

فصوصُها، لا يُدْرَكُ فضلُهُ بالقياس، ولا يدانيه زُحَل[1] في الشرفِ ولا يُقاس.

إن يكـنْ أشرفَ الكواكبِ داراً ... فـهـو لا شكَ عُـدَ أشرفَ منهُ

ليسَ من سؤددٍ فما حلَّ فيه ... ونـوالٍ إلاّ وأُرْسِـلَ عنـهُ(*)

إن يكـنْ ألبسَ الوقـارَ رداءً ... فهو رضوى[2] حلماً متى ما تزنهُ

مسرفٌ في العطا فإن رمتَ سراً ... قد ثوى في الفؤاد منه يَصُنهُ

ما لإحسانه المواصلِ حدٌّ ... لا ولا في الورى له حُدَّ كُنْهُ

لا جرمَ أن نُعِتَ بأكملِ الأوصاف، ونَظَرَتْهُ نظرَ تودد ألحاظُ الإنصاف.

كيف تُحْصي عاداتِهِ الأقلامُ ... أو تُحاكي عُزُومَهُ[3] الأيامُ(**)

(♦)هو كالبدرِ في الصعودِ ولكنْ ... ما عليه من مُبْصريه ظلامُ

لم يزلْ للثناءِ يدأبُ حتى ... أدركَ السؤددَ الذي لا يرامُ

نَظَرَتْهُ عينُ السعود فأضحى ... مُسْعَداً فيه للسعودِ ابتسامُ

إنَّ دهراً أمسى به لزمانٌ ... فيه للفضلِ والمعالي قيامُ

أقسمَ الدهرُ وهو فيه صدوقٌ ... إنَّ هذا للمكرمينَ الختامُ

عَوَّدَ المروةَ فما صبرَ عنها، ومازَجَتْهُ السيادةُ [حتى][4] كأنه خُلق منها، وتَجَلَّى على الرئاسة مُنْكَرَةً فعرفَها، وعلى السياسة متفرقةً فألَّفَها، وعلى

---

(١) زُحَل: من أعظم الكواكب السيارة في النظام الشمسي، والتشبيه كناية عن العلو والرفعة.

(*) من البحر الخفيف.

(٢) رضوى: جبل معروف في الحجاز.

(٣) في المطبوع: عزماته.

(**) من البحر الخفيف.

(♦) بداية ص ١٧ في المطبوع.

(٤) سقطت من المطبوع.

أعباءِ المكارمِ وهي لم تُطَقْ فتكلفها، كم جمعَ من شاردة، وقيَّد من آبدَة، وأفادَ من فائدَة، وأجادَ من عائدَة، وأمَدَّ من مائدَة، وأسقى من وارِدَه، وأغنى من وافدهُ، أعرقَ للمجد وأشأم، وأنجد[1] للحمدِ وأتهم، وغار للعلياء ولم يسأم، حتى فَوَّف حَمْدَهُ كلُّ فَمْ، ونشقَ مجدَهُ كلُّ مُعْطِسٍ وشم، ورَقَّم[2] فضائله كلُّ قلمٍ ووشم، وحتى قيلَ فيه ما درج، حدِّث عن البحرِ ولا حرج، إن صدرتْ عن كفهِ الآلاء، فكم صدرتْ من فكرهِ الآراء، وإن كان مصدراً للتقوى، فإنه مصدرٌ في الرتبِ القصوى، طاولَ الشُمَّ[3] فطالها، وزعمتْ مضارعَتَهُ فأنّى لها، لا غرَو أن زَهَتْ به وجوهُ الصدارة، وزادتْ به المكارمُ بهجةً ونضارة، إذ هو الكشافُ للمعضلات، والمصباحُ للمشكلات، والغايةُ في الكمالات، والمنتهى إليه في المهمات، والغُنْيةُ للطلاب، والحاوي لنظافةِ الأثواب، تُلْتَقَطُ دُرَرُ الفصاحةِ من فِيه، ويُقْتَطَفُ زَهَرُ السماحةِ من روضِ أياديه.

يا لـهُ مـن سـيِّدٍ مـا فَـتَـحـا ... كَـفَّـهُ إلا وَفَـضْـلاً منَحَـا[*]

وإذا مـا انفـتـحَ الـثـغـرُ لـهُ ... فاقَ في الإفصاحِ قسَ الفُصَحا

هُـوَ قُطْـبٌ في سـمـا المجدِ بدا ... مـا لَـهُ إلا مَـعَـاليـهِ رحـى

عَلَّمَ السُحْبَ الندى إن زَمْجَرَتْ ... أوجـهُ الأفـقِ وأبـدتْ كَلَحـا

للنـدى يهـتـزُ عطفـاهُ مـتى ... مـا جـرى ذكرُ الندى أو مَـدحَا

---

(١) نجد : ارتفع.

(٢) رقَّم : كتب وسجّل.

(٣) الشُمّ : الجبل.

(*) من البحر الرمل.

وازن الأطوادَ عقلاً فرجحها، وبدا على الفاقاتِ فزحزحها، وتعاصتْ[1] المعضلاتُ ففتحها، وانبهَمَتْ[2] طرقُ المروءة فَدَمَّثَها[3] وشرحها، وعَقِمَتْ قضايا المواعيدِ فأنتجها وأنجحها، وانقشعتْ غمائمُ المكارمِ فأنشأها وألقحها، وبارزتهُ الأُسْدُ فنطحها إذ ناطحها، وعارضته الجهَلَةُ فأضربَ وصافحها، إن أتعب نفسه، فقد فاق بالفضلِ جنسَهُ، وإن أكثر بذله، فقد(◆) شأى من قبله.

[الكلام عن بلدة الكويت]

هذا وحيث أشرنا إلى بلده المصغرةِ وضعاً، المكبرة بطلعته عظَماً ورفعاً، فنقولُ هي الكُويْت[4] بضم الكاف، وإسكانِ الياء بلا خلاف، على ساحل بحر

---

(١) في المطبوع: وتعاضت، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: وابتهمت.

(٣) أي لينها، وفي القاموس ١٦٨ : التدميث التليين.

(◆) بداية ص ١٨ في المطبوع .

(٤) والكويت تصغير كوت وتاريخ بناء الكويت لا نعلمه بوجه الحقيقة، والأحرى أنه بني في آخر القرن الحادي عشر من الهجرة (١١٩٩هـ/١٦٨٨م)، أما الباني فهو أمير بني خالد باتفاق الرواة كان هذا الأمير يضع فيه الزاد والمتاع إذا أشمل للربيع ويتزود منه لحاجته، والظاهر أن الباني لهذا الكويت هو براك أمير بني خالد، لأن براكاً سنة ١٠٧٤هـ كان هو الأمير على بني خالد أيام دولتهم. (القناعي : صفحات من تاريخ الكويت. ص ٤)، والكوت كلمة مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم، وقد شاع استعمالها على الألسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الأصيلة فصغروها وجمعوها فقالوا كويت وأكوات وبالمصغر سميت البلدة على ضفاف (الخليج العربي) وهي تُطلق عندهم على البيت المربع كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة وتُبنى حوله بيوت صغيرة حقيرة بالنسبة إليه، ويكون هذا البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده لتتزود منه بما ينقصها من الفحم والزاد وما أشبه ذلك حاجات السفر ولا تطلق إلا على ما يبنى قريباً من الماء سواء كان من البحر أو النهر أو البحيرة أو المستنقع وقد يطلق الكوت على النهر الصغير ويسمى به بعض القرى توسعاً، انظر عبدالعزيز الرشيد : تاريخ الكويت، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٣٠.

العَدان، بفتح العينِ في ضبطِ ذي الإتقان، لم تُعْمر قبلَ ورودِ أبيهِ العظيمِ الشان، إلا بُرَيْهةً من الزمان، سكنها بنو عتبة[1]: ولهم في عَنَزَةَ بنِ أسدٍ نسبة، والذي يظهرُ أنهم متباينو النسب، لم تجمعهمْ في شجرةٍ أُمٌّ وأب، ولكن تقاربوا فنُسِبَ بعضهم لبعض، وما قاربَ الشيءَ يعطى حكمَهُ على الفرض.

والمُقَدَّمُ عليهم، حينَ ورودِ أبيه[2] إليهم، (عبدالله بن صباح)[3]، وفقهُ اللهُ للصلاح، وكان لما قَدِمَ أبو المشار إليه[4]، يُفَوِّضُ إبرامَ الأمورِ ونقضَها إليه[5]، حتى إنهم قبل وصولهِ شرذمةٌ قليلة، ذوو مسكنةٍ وذلة، وحين جعلوه لآرائهم قِبْلَة، وفوضَ خواصهم الأمرَ إليه كله، شدَّ أسرهمْ وسدَّ ثغرَهُمْ، ورأبَ صَدْعَهُمْ، ونَصَبَ جَمْعَهُمْ، فَنَمَا فَرْعُ الثروةِ في تلكَ البلاد، وطغى بحرُ المكارمِ وزاد،

(١) بنو عتبة: مجموعة من القبائل النجدية، تُعرف بالعتوب (أو بني عتبة) من عنزة،وهم متباينو النسب، هاجروا من نجد إلى قطر ثم إلى الكويت والبحرين، أما عتوب آل بن علي فيقول عنهم راشد بن فاضل : العُتبية عندهم قديمة والدليل ثلاثة من مشاهير بني سُليم وهم عُتبة بن فرقد وعُتبة بن غزوان الذي تنسب إليه العُتبيون، وعُتبة بن رياح. انظر : مجموع الفضائل ص (٣٦) ، ويُعد أبوعلي الهجري الذي عاش في القرنين الثالث والرابع الهجري أول من ذكر بني عُتبة إذ يقول : أنشدني - يعني أبا المضاء سيار بن صخر الناصري أحد بني عُتبة من خُفاف للأدرع بن مُخارق العُتبي. انظر : التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري، القسم الرابع ص (١٨١٥) .

(٢) يقصد: محمد بن حسين بن رزق أبو المترجم له.

(٣) عبد الله بن صباح: يقول يوسف القناعي «هو أصغر أولاد صباح، ولصباح عدة أولاد، ولكن عبد الله أحسنهم سيرة ونباهة، وقد استقام في الإمارة ما يقارب سبعين سنة وتوفي سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م.

(٤) يقول يوسف القناعي: لما كثر الساكنون في الكويت وخالطهم جمع من المهاجرين إليها، رأوا من الضروري أن يؤمر عليهم أمير منهم يكون مرجعاً لحل المشكلات والاختلافات، فوقع اختيارهم على صباح لهذا الأمر، فوافقهم صباح بعد أن أخذ العهد منهم على السمع والطاعة في الحق، ولا نعلم على وجه الحقيقة في أي سنة اختير هذا الأمير، ولكن اتفق الرواة على أنها ما بين سنة ١١١٠ وسنة ١١٣٠هـ(١٦٩٨-١٧١٧م) على وجه التقريب. (انظر: القناعي، مصدر سابق، ص ١٥، ١٦).

(٥) في المخطوط: عليه، وهو تحريف، وأثبتنا ما في المطبوع.

وأقبلَ العزُ بعُجَرِه وبُجَرِه[1]، وأطلعَ المجدُ في سمائِها وجهَ قمرِه، وذلكَ أيامَ صِغَرِهْ، فَتَصَدُّرُ أبيه في أموره، إرهاصٌ[2] لظهوره، وعلامةٌ على أنه صَدْرُ بدوره، وأنه الدرةُ التي سمحَ بها القدر، حتى انفلقتْ ولله الحمدُ عن درر، هي لرياضِ الفضلِ زَهَر، ولوجه العذلِ غُرَر، على أن أباهُ كان ذا إيمان، ثابتِ البنيانِ مشيدِ الأركان، يعمرُ المجالسَ بالنفاسة، والمساجدَ بالتلاوة والدراسة، ذا رأيٍ ثاقب، وتدبيرٍ صائب، أثبتُ من الرعان[3]، إن قلب المجَنَّ[4] الزمان، وأكرمُ من السحابِ الهتان، عظيمَ المقدار، خصوصاً عندَ الأخيار، واصلاً للأرحام، بالهباتِ الجسام، دائمَ الابتسام، وافرَ الاحتشام، يضيقُ نطاقُ الحصرِ عن أفراد ثنائه، ويعجزُ الزمانُ عن حملِ أعبائه، وما ذاك إلا لإسفارِ نجله الكريم، على صفحاتِ وجهه الوسيم، فلقدْ لفَّ الجد، أباهَ بمطرف المجد، وعطفَ عليه بطرفِ السعد، حال إيجاده، في الرحم وقبلَ ميلاده، فعمتْ السعادةُ أباه، مذ تلألأ سناه، ولقد اتجر في اللآلي، بثلاثة دنانيرَ اقترضها من الوالي[5]، فبلغتْ في زمانٍ يسير، ثلاثمائة على التحرير، كما روى ذلك أفضلُ مجالسيه، وألطفُ مسامريه ومؤانسيه، كما تقفُ على ترجمته، ونشرِ بعض برود صفته، في ذكرِ أصحابه، ومسامريه في رحابه، الشيخ محمد بن سلوم[6]، حرسهُ الحيُ القيوم.

---

(١) عُجَرُهُ وبُجَرُه: عيوبه وأحزانه وما أبدى وما أخفى، وفي ٣٢٥: أمر كله. وهذا هو المقصود (القاموس٧ ٤٠٧) .

(٢) في المطبوع: إرهاصاً، وهو تحريف.

(٣) جمع الرعن: الجبل الطويل. (القاموس ٦ ١١٠٦).

(٤) في المطبوع: المجرة، وهو تحريف.

(٥) قد يكون والي البصرة سليمان بك الكبير أبو سعيد الذي تولى البصرة في عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، (التحفة النبهانية (البصرة)، ط٢، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ص ٢٨٦.

(٦) هو الشيخ محمد بن علي بن سلوم، ولد في نجد عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م، وتوفي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وستأتي ترجمته لاحقاً.

[ذكر انتقاله من الكويت إلى الأحساء]

وفي عامٍ مباركِ البدء والختام، أرخه ختامَ ودٍ وسلامٍ سنة ١١٨٨ (١٧٧٤) انتقل أبو هذا القُمْقام[١] إلى الأحساء من البحرين[٢]، وصار فيها بمنزلةَ الإنسانِ من العين، فَأَتَّدَ فيها الأوتاد، وأجزل فيها الإرفاد، وبذلَ فيها المعروف، على المجهولِ والمعروف، وحصلَ لهُ ببركة ذلك[٣] الغلام، أتمَ الإكرامِ من الحُكّام، وصار الخاصُ والعامُ، لهُ بمنزلة الخُدّام، تُناخُ على بابه الركاب، ويأتيه[٤] الوافدونَ من كل أوبٍ وباب، فأقامَ فيها تُنْشَرُ محاسنه، وتُحْمَدُ مساعيه وميامنه، بطانته خيرُ بطانة، تأمرُ بالعُرْفِ[٥](◆) وتنهى عن الخيانة، تبتسمُ ثغورُ مكارمه، وتُمْتَرى أخلافُ غمائمه، فما زال كذلك ينهجُ هذه المسالك، ويُدَمِّثُ تلكَ المبارك، بأقدامِ الإحسانِ المتدارك، والنجلُ العظيم، منظورٌ بنواظرِ التعظيم، قائلٌ في أفياءِ رواقِ السيادة، وطائلٌ بركوبِ بُراقِ النجادة، مصحوبٌ بالصدور، محبوٌ بالحبور، سائرٌ إبانَ الطفولية، أحسنَ سيرةٍ أحمدية، باسمةٌ فضائله،

---

(١) في القاموس (١٠٦٢): القمقام ويُضم: السيد. وفي العين ١٥٢٦: سيد قَمقام، وقُماقِم لكثرة خيره.

(٢) في «صبح الأعشى»، ومن بلدان البحرين الأحساء. قال في «تقويم البلدان»: بفتح الهمزة وسكون الحاء، وفتح السين المهملتين وألف في الآخر- وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة... قال في «تقويم البلدان»: ذات نخيل كثيرة ومياه جارية، ومنابعها حارة شديدة الحرارة، ونخيلها بقدر غوطة دمشق. (انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) القسم الأول، الرياض، ط١، ١٩٧٩، ص ١٢٦).

(٣) في المطبوع: هذا.

(٤) وردت في المطبوع والمخطوط، وتأتيه، وأثبتنا الصواب.

(٥) في المطبوع: بالمعروف.

(◆) بداية ص ١٩ في المطبوع.

ساجمةٌ فواضله، يتنافسُ مع أقرانه، لو وُجدوا في إرسالِ إحسانه، يفوحُ في ناديه عبيرُ الإنشاد، ويلوحُ في سحابِ أياديه بارقُ الإمداد، ما جلساؤه إلا النبلاء، وما منادموه إلا العقلاء، يتشرفُ بالوصولِ إليه المُجالس، وتتطاولُ بوَطْء[1] أقدامه المجالسِ، ويُتَفاخَرُ بلمسِ بنانه، واستلامِ كعبة إحسانه.

فَمُنى الوفّاد تقبيلُهُمُ ... يَدَهُ إذ هي ركنٌ للندى[*]

شَرَفٌ من دُونِه هامُ السهى ... أتُرى تَبْلُغُه أيدي العِدا

ليسَ فيه قطُ عيبٍ ما سوى ... أنهُ في الجودِ يُدْعى مُفردا

أتْعَبَ النفسَ ابتغاءً للعُلا ... فغدا فيها الإمامَ الأوحدا

لا تراهُ أبداً إلاّ ترى ... عنهُ موصولَ المثاني مسندا

جادَ روضَ الفضلِ منه ديمةٌ ... أوَما تُبْصِرُهُ قد ورَدًا

مُطلقُ الأفضالِ في أصحابهِ ... كلُ يومٍ منه فضلٌ جُددًا

زانَ وَجْهُ[2] الدهرِ من أفعالهِ ... حيثُ من أفضالهِ قد قُلّدا

لا أرى يُدْرِكُهُ في شأوهِ ... قَمَرُ الجوِّ إذا مَدَّ اليدا

لو درى الناسُ الذي أعْلَمُهُ ... نَظَموا فيه الدراري أبدا

---

(١) في المطبوع: بطي، وهو خطأ.

(*) من البحر الرمل.

(٢) في المطبوع: نحر.

[الانتقال إلى الزبارة]

فما كان إلا أيام، كأنها للطافتها طَيْفُ منام، حتى انتجعَ أبو هذا السيد الهُمام(١)، منتجَعاً(٢) منه بروقُ العزِ لائحة، وأرواحُ الكرامة في أندائه فائحة، ونتائجُ التدبيرِ في جوانبه صالحة، وسروحُ(٣) الفضلِ في مرابعه سارحة، وغزلانُ الدمى في ملاعبه سانحة، بعد أن أعْمَلَ(٤) الرأيَ فيه، أيَتَّخِذُهُ(٥) منزلاً ويصطفيه، أم يتركُهُ ولا يأتيه، ووافقهُ على تدبيره، في اتخاذ ذلك المنتجع(٦) وتعميره، (خليفةُ بن مُحمد)(٧) أشرفُ بني عتبة، الحائزُ من رتبِ الفضلِ أرفعَ رُتْبة، فتعاضدا(٨) بعد الاستخارة، وتسديد سهام الاستشارة، على تعميرهِ وتسميتهِ بالزبارة(٩)، فَعَمَّراه وأحكما منه العَمارة، وزيناه بالعدلِ في البداوة(١٠) وذوي الحضارة، حتى ضُرِبَ المثلُ(◆) بمحاسن آثارهما، وشُنِّفَتِ الآذانُ بمحاسنِ

---

(١) المقصود الشيخ محمد بن حسين بن رزق.

(٢) انتجع: طلب الكلأ في موضعه، وفلاناً: أتاه طالباً معروفه. (القاموس ٧٠٧).

(٣) السروح جمع السرح: المال السائم، القاموس ٢١٧، ويقصد الحيوانات كالظباء والغزلان.

(٤) في المطبوع: عمل.

(٥) في المطبوع: أن يتخذه، وهو تحريف.

(٦) المنتجَع: المنزل في طلب الكلأ. (القاموس ٧٠٧).

(٧) الرواية هنا على غير ما جاء في التحفة النبهانية، فقد جاء أنه توفي في الكويت. وهذا ما لا يتفق ورواية ابن سند. (انظر التحفة النبهانية، ص ١١٩).

(٨) من الفعل عَضَد يعضد عضداً فهو عاضد: والمعنى تعاونا وتناصرا (المعجم العربي الأساسي).

(٩) الزَبَارَةُ: بفتح الزاي والباء الموحدة بعدها ألف فراء فهاء: بلدة ازدهرت في القرن الثاني عشر الهجري، تقع في شمال جزيرة قطر. (انظر: حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، القسم الثاني، ص٨٠٦).

(١٠) في المخطوط: البُداة، وأثبتنا ما في المطبوع.

(◆) بداية ص ٢٠ في المطبوع .

أخبارهما، ووضعا المكوس[1] عن الأموال، وساويا بين الغنيِ والمقلال، عمَرا فيه المساجد، للراكع والساجد، وشيدا فيه المدارس، للقارئ والمُدارس، فلله أيامُهُما ما أبْهَجَها، وأكثرَ خيرِها وفرَجها، أعملت لزيارتهما يَعْملات[2] العلماء، وجُمِّلَتْ بجمالِهما وجوهُ الكرماء، وهما وإن سبقاه[3] عصراً، فقد سبقهما مجداً وقدراً، فقاما سائرينِ أحسنَ السيرَ، لولا التُقى قلت هُما كَعُمر[4]، عادمَي[5] النظير[6]، ماضيي الإبرامِ في الصغيرِ والكبير، ما نقضاهُ لم يُبْرَم، وما أبرماه فهو [الحُكْم][7] المحكم، حاكمين على وفْقِ السنَّة، قامعَيْنِ لكلِ جورٍ وفتنة، وبالجملة فَهُما في سماء المعالي، النيِّرانِ في الأيامِ والليالي، غيرَ أن فضلهما لا يُجاري فضلَهُ، وإن كانا[8] في الإيجاد قبله، بل لا أظنُ الزمانَ يُبرِزُ مثله، هذا وهُما وإن كانا الغايةَ في الشرف، ولُؤلُؤي[9] السؤدد المعترف، وسحابَتي النوالِ المغترف، مكتسبان من نَيِّرِ إقباله، منتسبانِ إلى كماله، ففضلهما فرعُ فضله، فقد يتشرفُ الأصلُ بفصله، فتبين أنَّ ما سَبَقا إليه، مقدمةٌ بين يديه، فهو الحقيقةُ في إبرازه، وهما بمنزلةِ مجازه.

---

(١) المكوس : الضريبة التي يستوفيها الجمرك على البضائع المستوردة (المعجم العربي الأساسي).

(٢) في العين ١٢٨٦: اليَعْمَلَة من الإبل: اسم مشتق من العمل ويجمع يَعْمَلات ولا يُقال إلا للأنثى، وفي المخطوط: يَعَامل.

(٣) الضمير هنا يعود على أحمد بن رزق.

(٤) إشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

(٥) في المطبوع: عادمين، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: النضير، وهو تحريف.

(٧) سقطت من المخطوط، وأثبتناها من المطبوع.

(٨) في المطبوع: كان، وهو خطأ.

(٩) في المطبوع: ولؤلؤين، وهو تحريف.

[ذكر وفاة والـده]

فما زالا سعيدَيْنِ بطلعته، متيمنَيْنِ بمشورته، عارفَيْنِ لمنزلته، متفرسَيْنِ في ظهورِ دولته، عالمَيْنِ أن المجدَ عَقْدٌ هو واسطته، وروضٌ هو وردته، وصدفةٌ هو درتها، وطرةٌ هو غُرَّتها، وسماءٌ هو زهرتها، وشجرةٌ هو ذروتها، ورحىً هو قطبها، وصمصامةٌ[1] هو غربها، وجثةٌ هو قلبها، وهالةٌ هو بدرها، وعَدَّةٌ هو جذرها، ومقلةٌ هو إنسانها، ورسالةٌ هو عنوانها، وقصيدةٌ هو بيتها، وذبالةٌ هو زيتها، وعينٌ هو نبعها، ونبعةٌ هو فرعها، حتى ماتَ أبوه، وكثرتْ في الآفاق ناعوه، وتعاكفَ على قبرِه راثوه.

سقى جدثاً فيه عفافٌ وسؤددٌ	وساكبُ جودٍ لا تُكالُ سحائبُه[*]
ورأيٌ وتدبيرٌ وحزمٌ وهمةٌ	وثابتُ حلْمٍ لا يُزَعْزَعُ جانبُهْ
فيا لكَ قبراً ضمَّ أعضاءَ سَيِّدٍ	إذا ضَنَّ خَلْفُ المزنِ هَلَّتْ مواهبُهْ
كريمٍ نعاهُ جودُهُ ووقارُهُ	وناحَ عليه حلْمُهُ ومناصبُهْ
وناحتْ عليه الكائناتُ بأسرِها	فما بَلَدٌ إلا وفيه نَوادبُهْ
وناحَ عليه السيفُ صلتاً ومغمداً	وناحَ عليه في الحروبِ سلاهبُهْ[2]
فأمسى[3] به أفقُ المروة قاتماً[4]	تساقطُ من حُزْنٍ عليه كواكبُهْ

(١) الصمصام : السيف القاطع.

(*) من البحر الطويل.

(٢) جمع السلهب : الطويل أو من الرجال. (القاموس ١٠٤).

(٣) في المخطوط: وأمسى.

(٤) في المطبوع: قائماً، وهو تحريف.

(♦)فلو لم يكنْ بدرُ المكارمِ كاسفاً ... عليه لما اسْوَدَّتْ لحُزْنٍ[1] غياهبُه[2]

ولو لم يكنْ رَبْعُ الثنا منه خالياً ... لما لَطَمَتْ منها الخدودَ كواعبُهْ

لئنْ غابَ منه الجسمُ في القبرِ لم تَغِبْ ... مواهِبُهُ من بَعْدِهِ ورغائبُهْ

وما ماتَ من أبقى له مِثْلَ أحمدٍ ... وإن ماتَ في رأيِ النواظرِ قالبُهْ

[أحمد بعد وفاة والده]

فبقيَ بعدَ موتِ الوالد، ليسَ لهُ من مُساعد، على كرمه إلا الكفُّ والساعد، حتى بقيَ أكثرَ من عام، لا يألفُ المنام، حذراً من معاديه، أن يُقَصِّرَ عن مكارم أبيه، فما زال يسددُ ويقارب، ويُعملُ سهامَ الرأيِ الثاقب، في إصابته أعلى المراتب، إلى أن نظرتهُ السعادة، وَصَدَّرَتْهُ على ذويها[3] السيادة، وَرَقَّتْهُ على منابرها، وأقبلتْ عليه بحذافرها، فملأ اللَّهى[4] بعظيم اللُّهى[5]، وألقتْ إليه المروةُ قلائدها، وسَلَّمَتْ إليه الفُتُوَّةُ مقالدَها، فترقى إلى مقام لا يُستطاع ارتقاؤه، ولا يُطاق إلا منه بناؤه.

تقاصرَ عن إدراكه كلُ فاضلٍ ... ولو أنهُ بدرُ الدجى في تمامهِ

ورامَ ضحوكُ المزنِ يشبهُ وجههُ ... إذا ما رجى الأضيافُ وَدْقَ[6] غمامهِ

(♦) بداية ص ٢١ في المطبوع.

(١) في المطبوع: بحزن، وهو تحريف.

(٢) ورد هذا البيت في المطبوع بعد البيت الذي يليه.

(٣) في المطبوع: ربا أبيها، وهو تحريف.

(٤) اللهى: جمع لهاة وهي أقصى الفم (العين ٦٦٠)، ويقصد الأفواه.

(٥) اللُّهى: أفضل العطاء وأجزله (العين ١٦٦٠).

(٦) الودق: المطر (القاموس ٨٥٤).

فيا لك من مولى سَعدنا بكَفِّه | كما شَقِيَتْ أعداؤُه بحسامه
فما الفضلُ إلا كعبةٌ أنتَ رُكْنها | فها نحنُ نرجو الفضلَ عند استلامه
تَمَسَّكْتُ[1] من أفضاله بحباله | تَمَسُّكَ مطرودٍ بحبلِ ذمامه[2]
أرى كُلَّنا يسعى ولكنَّ خَيْرَنا | فتىً دامَ يسعى نحوهُ لاحترامه

بنفسٍ أبية، وشيمةٍ عربية، وهمةٍ إسكندرية[3]، وسياسةٍ شرعية، ومَكْرُمةٍ حاتمية[4]، وشجاعةٍ علوية[5]، فمازال كذلكَ والأيامُ له مُساعدة، وأجفانُ الردى عنه راقدة، محفوفاً بأصحاب، هم لدوائرِ اللطافة أقطاب، ولجيد الظرافةِ[6] سحاب، ولرياضِ النباهة أزهار، ولأفلاك السماحة أقمار.

[ترجمة الشيخ علي بن فارس]

فَمِمَّن[7] اصطفاهُ للمجالسة، وارتضاهُ للمؤانسة، ورآه معدناً لإكسير أسراره، ومطلعاً لشمسِ أسماره، وصدفةً للآلئ أخباره، الهمامُ الألمعي، والإمامُ اللوذعي[8] عليُّ بنُ فارس[9]، الذي هو في كلِ فضلٍ فارس، الجاني

(١) في المطبوع: تمسك، وهو تحريف.
(٢) الذِّمام: الحق (القاموس ١٠٢٣).
(٣) إشارة إلى الإسكندر المقدوني.
(٤) إشارة إلى حاتم الطائي.
(٥) إشارة إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي يُضرب به المثل في الشجاعة.
(٦) في المطبوع: الضرافة، وهو تحريف.
(٧) في المطبوع: فمن، وهو تحريف.
(٨) اللوذع واللوذعي: الخفيف الذكي والظريف الذهن، الحديد الفؤاد واللَّسِن الفصيح كأنه يلذع بالنار من ذكائه (القاموس ٧٠٢).
(٩) علي بن فارس وآل فارس أسرة من آل أبو رباع من قبيلة عنزة، وهو من علماء النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري. انظر (علماء نجد ٥/٢٢٤).

ثمرَ الثناء إذ كان لأصوله غارس، بِطَبْعٍ أرقَ من أنفاسِ الصب، وأميلَ من معاطفِ الغُصْنِ الرطب، تَفَيّأ[1] من أفياء الأدبِ أفيحَ في، ونَشَرَ مكارِمَهُ فطوى ذكر طَيِّ، وبسطَ موائدَ تَزِينُها أخلاق، ألطفُ من نظراتِ الأحداق، فكم كسا سائلاً ببرده، تحرجاً من جَبْهِهِ[2] وَرَدِّهِ، على أن هذه الطباع، من طباعِ أحمدَ بلا نزاع، إن مُدِحَ بالقصائد، فكم منحَ العوائد[3]، حتى قال فيه لسانُ الحال:

(◆)إليه تناهى المجدُ والعزُ والبذلُ فكلُ ثناءٍ تَمَّ فَهْوَ لَهُ أَهْلُ(*)
يَحِنُّ إلى الإعطاء حَنَّةَ عاشقٍ إلى الخلِّ لمّا أن جفا[4] ذلك الخلُ

قد رَوَيْنا عن بعضِ الثقاة، اللائذينَ بفِناه، كما لاذتْ بِفناً فَناه[5]، أن بعضَ المملقين[6]، وقفَ عليه في جماعةٍ ماشين، فالتفتَ إلى أحدهم وقال: ما نُعطي هذا من النوال؟[7]، فقال: أعطِه درهمين، فإنهما عندهُ بمنزلةِ العين، فقال: هذا اللائق به لا بنا، ونزع ملابسه وكساه[8] فانثنى، وأنشد بعدما ولّى معلناً:

---

(١) في المطبوع: يفي،، وهو تحريف.
(٢) جبهه : لقيه بما يكره (القاموس ١١٤٦).
(٣) في المطبوع: الفوائد، وهو تحريف.
(◆) بداية ص ٢٢ في المطبوع .
(*) من البحر الطويل.
(٤) في المطبوع: جفاه، وهو تحريف.
(٥) فنا : جبل بنجد (القاموس ١٢١٤). والفناة: البقرة، وعنب الثعلب (القاموس ١٢١٤).
(٦) في القاموس ٨٥٢: تملقه : تودد إليه وتلطف له.
(٧) في المطبوع: نوال.
(٨) في المطبوع: فكساه.

تُطاوِعُنـا فيمـا نُريـدُ المكارمُ ... على قدرِنا لا قدرِ من جاءَ سائلاً
أتـت فـوقَ ما يبغيـه منا العزائمُ ... إذا رامَ منـا سائـلُ الرفـدِ قـدره
يُحاكي ولو أنَّ المحاكي الخُضارمُ[1] ... لنـا كـرمٌ تأبـى العزائـمُ أنـه

وبالجملة فبَذْلُهُ وإن سارَ كالمثل، وملأ الوِهاد والقُلَل[2]، فإنهُ من جُودِ أحمدَ مختزل، كما أن جودَ الميزاب، من جودِ السحاب، فما زالا وكلاهما لا يَعْدِلُ أحداً بصاحبه، ولا يميلُ لجانبٍ[3] عن جانبه، حتى قال بعضُ من أَلِفَهما، وعَلِمَ ما عليه حالُهما، إذا قال ابنُ فارسٍ له وهو سقيم : قُمْ قامَ وهو مما يشكوهُ سليم. وسببُ تفضيلِه له، وتعاطيه تعظيمَهُ وتبجيله، ما خُوِّلَ من النجابة، والظرافةِ واللَّبابة، إن ملكَ ناصيةَ الكتابة، فقد كان فيها الصاحب، أو ابنَ العميدِ الكاتب، بلغَ من الحكمةِ غايتها، حتى صارَ آيتها، سريعَ الترسل، بديعَ التأمل، إن أنشأ رسالة، فهي للبلاغة هالة، وبالجملة فهو الكاملُ في أدبه، الواصلُ[4] إلى أصحابه بسَيْبِ نَشَبه[5]، هذا وقد كانَ البديعَ في زمانه، والربيعَ بطِيبِ أوانه، والجلالَ في إتقانه[6]، والإمامَ في برهانه[7]، صدراً في المجَالس، وبدراً للمُعاشر والمجُالس، ونهراً يَمُدُّهُ البحرُ الزاخر، بالنُضارِ المنثورِ والجواهر،

---

(١) جمع الخِضْرِم: البئر الكثير الماء والبحر الغطمطم (القاموس ١٠١٨).

(٢) الوهاد : جمع الوهد وهو المكان المنخفض (العين ١٩٨٦)

والقلل: جمع قُلة وقلة، وهو رأس كل شيء (العين ١٥٢٠)، والمقصود الأماكن المرتفعة.

(٣) في المطبوع: لجانبه، وهو تحريف .

(٤) في المخطوط: الواسل، والواسل: الواجب، والراغب إلى الله تعالى. (القاموس ٩٨٥)، وقد أثبتنا ما في المطبوع لاتفاقه مع المعنى.

(٥) النشب : المال الأصيل (العين ١٧٨٩).

(٦) يقصد تشبيه بجلال الدين السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن».

(٧) يشبهه بالإمام الجويني في كتابه «البرهان في أصول الفقه».

فَبَقِيَا على ذلك أعوام، كأنها في القِصَر أيام، وسنوات، كأنها غفوات، يتجاذبانِ أعطافَ الآداب، ويميلانِ مع الكرمِ حيثُ آب، يُفَوِّفان[1] برودَه، ويَنْظِمان في الأجيادِ عقودَه، ويُعَرِّفانِ منكره، ويؤلفان كامله ومُشَطَّرَهْ:

رُبَّ لَيْلٍ قد أحييناهُ بصَحْبٍ ... كنجومِ السما كرامٍ صباحِ(*)

يَنْثُرانِ النضارَ فيهمْ كما يُنْثَرُ ... طَلٌّ في مُزْهِراتِ الأقاحي

كلُّ من طبعُهُ نسيمُ رياحٍ ... قد هَفَتْ في الرياضِ عندَ الصباحِ

أريحيٌّ يهتزُّ عطفاهُ مهما ... هَزَّهُ المادحونَ نحوَ السماحِ

كشفارِ الظُّبا عزوماً[2] ولكن ... في المعالي همُ عوالي الرماحِ

(◆)يتعاطونَ للنشيدِ فنوناً ... فيهزون كلَّ رُوْحٍ وراحِ

رَقَّقَ[3] الوجدُ منهمْ كلَّ طَبْعٍ ... لم يزلْ للندى كثيرَ ارتياحِ[4]

وبالجملة فهم كواكب، ولكن ليسوا بغوارب، وبدورٌ عوارف، ولكنْ غيرُ كواسف، وشموسُ معارف، لا يَنْسَخُها ليلٌ سادف[5]، ورياحُ كرمٍ ولكنها على الأعداء عواصف، وأغصانُ شرف على ذوي الآمالِ عواطف، وأفياءُ مروةٍ كلٌ منها ظليلٌ وارف، ولكنهم إنما شَرُفُوا بشرفه، والتقطوا الدرَّ من صَدَفه، وتعرفوا

---

(١) فاف فلان فوفاً: أي نسج. مأخوذ من بُرد مُفَوَّف أي رقيق. (القاموس ٧٧٧).

(*) من البحر الخفيف.

(٢) في المطبوع: الصباح عزماً، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ٢٣ في المطبوع.

(٣) في المطبوع: وقف، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: ارتباح، وهو تصحيف.

(٥) السَدَف: سواد الليل، والأسدف: الأسود (القاموس ٧٥٥).

إلى الفضائلِ بتَعَرُّفِه، لا سيما من صار وزيرَه[1]، ونصيحَهُ ومشيره، الذي أوجبت النباهةُ تصديره، ورفعت الرئاسةُ مكانه، وزان به الفضلُ بعد ما زانه، وذلك حين عرفَ أحمدُ قدره، وأشاعَ في أنديةِ الشرفِ ذكره، وَزَّرَهُ والي أوال[2]، (أحمدُ بنُ محمدٍ ذو الكمال)[3]، فزيَّنَ تلكَ الوزارة، وجَمَّلَ وجوهَ هاتيكَ الإمارة، بآراءٍ هي السبعةُ السيارة، لا بل البدورُ الثواقب، وعزماتٍ هي البوارقُ في السحائب، وسيرةٍ هي السيرةُ العمرية، وإن كانت في النسبةِ علوية، ولا عجبَ في ذلك يوجد، أن فَضْلُ عليٍّ باتباعِ أحمد.

[ترجمة الشيخ عبد العزيز بن موسى]

ومن أصحابه الكُمَّل، وجلسائه الذين بهِمْ لا يُعْدَل، عبدُ العزيز بن موسى الهَجَري[4]، هو بأن تُعَطَّرَ أرديةُ الأخبارِ بذكره حري[5]، قرأ الأدبَ وهو ابنُ عشر، وبرعَ فيه حتى ضاعَ منه النشر، إن نظَم فاقَ من نظم، أو نثرَ أراك نثرَ المجرةِ في الظُلَم، كم وَشَّح فيه ورَشَّح، وكنَّى في مجازه وصرَّح، وأشار إلى دقائقه ولوَّح، دَمَّثَ طرائقه، وحَقَّقَ حقائقه، وفَوَّفَ أرديته، وشَرَّفَ أنديته، ونَشَرَ ألويته، وجَمَّلَ بذكائه غُرَّته، عَرَجَ إلى معارجه، ونَهَجَ أوعرَ مناهجه، حتى صارَ

---

(١) هنا يتحدث عن توزير علي بن فارس.

(٢) أوال: اسم جزيرة البحرين. كانت تُسمى به قديماً وهو اسم صنم أبناء وائل، انظر: التحفة النبهانية، ص ١١.

(٣) هو الشيخ أحمد بن محمد بن خليفة الذي عُرف بالفاتح بعد استيلائه على البحرين (جزيرة أوال)، توفي سنة ١٢٠٩هـ/١٧١٤م. انظر: النبهاني: التحفة النبهانية، ص ١٢٦-١٢٨.

(٤) هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن حسين آل موسى، من بني عمرو بن تميم. (انظر ترجمته في: علماء نجد ٣/٣٧٩)

(٥) في المطبوع: تعطر الأذيال أردية الأخبار، بزيادة كلمة «الأذيال»، ولا لزوم لها.

غايةَ فنه، ونُقايةَ سلافة دنه[1]، وصنَّاجةَ أربابه، ومفتاحَ بابه، ومشكاةَ أشكاله، ومصباحَ إعضاله.

[شيوخه]

تأدب بالفاضلِ ابنِ خُنين[2]، النازلِ من العلمِ منزلةَ الإنسانِ من العين، الراشد كاسمه لأسنى المقاصد، الساعي لتقييد الأوابد، ونشرِ الفوائد، ونثرِ الفرائد، الحافظِ للحماسة لأبي[3] تمام، والهاملية الحنفيةِ في الأحكام، وغيرِ ذلك من الكتبِ الحسان، كالرائية لابن وهبان[4]، مع عفافٍ وديانة، وإتقانٍ وافٍ وصيانة، وتُؤَدة[5] كالطَّوْدِ في الرزانة، رحلَ إلى البصرةِ وبغداد، والحرمينِ وما والاهما من البلاد، نقلتهُ القدرةُ الربانية، والحكمةُ الأزليةُ الصمدانية، من نجدٍ البلدةِ المعنية، بقولِ خيرِ البرية، إلى الزبارةِ من أرضِ قطر، وحط فيها رَحْلَهُ وَقَرّ، وأذاعَ بها عِلْمَهُ ونَشَرَ، وسألوي عنانَ الكلام، لذكرِ بعضِ مزاياهُ الجسام.

تأدبَ به عبدالعزيز ذو المثاني، فأخذَ عنهُ النحوَ والمعاني، أدباً لا يدانيه فيه مداني.

---

(١) السلافة هي الخمر. (القاموس ٧٥٧)، والدن : وعاء ضخم للخمر (المعجم الوسيط ٢٩٩).

(٢) هو الشيخ راشد بن محمد بن خنين (المتوفى سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م)، وستأتي ترجمته لاحقاً.

(٣) في المطبوع : أبي، وهو تحريف.

(٤) ابن وهبان هو عبد الوهاب بن أحمد الحارثي الدمشقي (٧٦٨هـ) فقيه حنفي وأديب ولي قضاة حماة (الأعلام ٤/ ٣٣٠)، ولعله يقصد بالرائية منظومته في الفقه المسماة «قيد الشرائد» وهي مخطوطة.

(٥) مأخوذة من التبد : الرفق (القاموس ٢٥٩).

ولقيَ بعده من الأجلاءِ شيخَنا الكردي[1]، حافظَ عصرهِ فيما عندي، وايمُ اللهِ لم ترَ عَيْنُهُ نظيره، ولا من(♦) يكادُ يسيرُ مسيره، أشبهَ المعريَّ في جزالةِ المباني، وابنَ الفارضِ[2] في دقةِ المعاني، فهو المفرد الذي ما لَهُ ثاني، قرأت عليه النحوَ والصرف، فَقَرَّ لي بذلك الطرف، وشرحَ سقْط الزند للمعري، وحسامَ كاتي[3] لعصمة فكري، وبعضَ دواوين العرب، فحصلَ لي بذلكَ كلُّ أرَب، وذلك في الأحساء أعادَ اللهُ عمارتها، وأرجعَ بهجتها ونضارتها، سمعتُ منه القرآنَ بروايةِ حفصٍ عن عاصم، وجملني بالأدب تجميلَ السوارِ للمعاصم، كان واللهِ البحرَ علماً، والطودَ أناةً وحلماً، له المؤلفاتُ البديعة، والبادرةُ السريعة، ومما قرأتُ عليه من تأليفه، الذي لم يُسْبَقْ إلى ترصيفه[4]، شرحُ نظمهِ في حروف المعاني، فبلغتُ بقراءتي له غايةَ الأماني، وسأبسطُ الكلام، في ترجمة هذا الإمام، إذ هو من جملة من مدحَ هذا الهمام، وأفاضَ عليه من أياديه الأنعام، وأكرمهُ الإكرامَ التام.

وممن أخذ عنهُ عبدالعزيزِ الفاضل، محمدِ بن عبداللطيف[5]، ووقعتْ بينهما مراسلة، وإجازات ومساجلة، وسأترجمُ له، وأنعتُ بعضَ أوصافه المكملة، فإنهُ ممن حَظِيَ بصحبةِ أحمد، وتطوقَ طَوْقَ أفضالهِ وتقلد، وأما عبدالعزيز، فهو

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي. وستأتي ترجمته لاحقاً.

(♦) داية ص ٢٤ في المطبوع.

(٢) هو عمر بن علي الحموي الملقب بابن الفارض، من أشعر المتصوفين. (الأعلام ٥/٢١٦).

(٣) في المطبوع: كافي، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: توصيفه، وهو تحريف.

(٥) هو الشيخ محمد بن أحمد عبد اللطيف الأحسائي (توفي سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م)، وستأتي ترجمته لاحقاً.

ذو أدبٍ عزيز[١]، وكتابةٍ برَّز بها أتم تبريز، وبراعةٍ يحتاجُ لها المُجَاز والمُجِيز، كيف لا وقد اتخذهُ المولى أحمد، صدراً في مجلسه الأنجد، وبدراً في سماءِ واديه، الممطورِ بسماءِ أياديه، وقَدَّمَهُ على جُلَسائه، وفضَّلَهُ على أعيانِ نظرائه، وجمعَ له ما قيلَ فيه من المدائحِ الحسان، وامتدحهُ بمدائحَ هي نظمُ الجمان، وله نظمٌ هو السحرُ الحلال، مشتملٌ على غررِ الحِكَمِ ودررِ[٢] الأمثال، فما زال من ذلك المولى، بالمقامِ الأعلى، والموردِ العذبِ الأحلى، ذا فطنة نقادة، وفكرةٍ وقادة، وحلمٍ وأناة، لا تُوجد في النظائرِ والأشباه، متصدراً بنسبهِ وأدبه، لا بثروتهِ ونَشَبِه، توفي المذكور، في عام أُرِّخَهُ[٣]، أدبٌ يغور سنة ١٢٢٣ [١٨٠٨م]، سقى جَدَثُ ضمَّه، بشآبيبِ الرحمة.

بَكَتْهُ المعالي والخَفافُ اللهاذِمُ[٤] … وجادتْ عليه بالدموع المكارمُ[*]

فلا قلبَ إلا فيهِ للحُزْنِ لَوْعَةٌ … ولا صبَّ إلا وَهْوَ للقلبِ عادمُ

ولا طرفَ إلا وَهْوَ بالرزءِ واجمٌ … ولا طَرْفَ إلا وَهْوَ بالدمعِ عائمُ

ولا طرفَ إلا وَهْوَ للجريِ عادمٌ … ولا عطفُ إلا وَهْوَ للنعيِ قائمُ[٥]

ولا خدَ إلا فيهِ خدٌّ ولا ندىً … لك اللّهُ إلاّ قاتِمُ[٦] الوجه سادِمُ[٧]

ولا سؤددٌ إلا وفيهِ كآبةٌ … ولا بلدُ إلا وفيهِ مآتمُ

---

(١) في المطبوع : غريز، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع : ودر، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع : تاريخه.

(٤) في المطبوع : اللهازم ، وهو تحريف.

(*) من البحر الطويل.

(٥) ورد هذا البيت في المطبوع قبل البيت الذي قبله.

(٦) في المطبوع : قائم، وهو تحريف.

(٧) في المطبوع : سائم، وهو تحريف.

(◆)ولا صدرَ إلا فيـه للَطْمٍ جولةٌ ولا وجهَ إلا وَهْوَ باللدم[1] قاتم[2]

ولا عرفَ إلا هَـدَّهُ مِعْوَلُ الأسى ولا أنـفَ إلا وَهْـوَ بالـرزءِ راغـمُ

وإنَّ فـتىً تبكي العوالي لفقده لأجْـدَرُ أن يبكيـه راثٍ وناظـمُ

ويبكيـه محرومٌ ويبكيه سائـلٌ ويبكيـه مقـرورٌ ويبكيـه حـائمُ

وأحرى بأن ترثيـه بيضٌ عقـائلٌ حَمَتْهُـنَّ مـن أيديه بيضٌ مخاذمُ

بكـتْ مُقْلَةُ العليا عليـه بأدْمُعٍ بَكَتْـهُ بهـا منَّا القُـرُومُ الأكـارمُ

ونـاحَ عليـه العلْـمُ حتـى كَأنَّـهُ بمـا ناحَـهُ حُزناً عليـه الحمـائـمُ

فَكَـمْ أُطُـمٍ[3] منهُ تَدَاعـى بناؤهُ لِمَوْتَتـه إذْ هُـدَّ منـه الدعـائـمُ

وكَمْ مَشْهَدٍ منهُ ولا شَاهـدٌ لَهُ وكَـمْ مَعْلَـمٍ ما فيـه يُوجَدُ عالمُ

وكَـمْ وَارِقٍ مِنْـهُ ولا هاصـرٌ لَـهُ وكَـمْ بـارقٍ مِنْـهُ ولا ثَـمَّ شـائمُ

وكَـمْ دُرَرٍ مِنْـهُ ولـمْ يَـكُ لاقـطٌ وكَـمْ أبْحُرٍ جاشَتْ ومـا ثَمَّ عـائمُ

لَقَدْ فَجعَ الدَّهْرُ الخَؤونُ بـه الندى فـهـا هُو مَطْمُـوسُ المَعالِمِ طاسمُ

فلا مُزْنُهُ يَهْمِـي ولا شَمْسُـهُ تُـرى ولا رَوْضُـهُ يزهـو ولا الثغـرُ باسمُ

ولاريحُهُـتُـسْـري ولا زَنْدُهُـيَـري ولا مـاؤُهُ يَجْرِي ولا النبـتُ واشمُ

فمـا قـامَ سُوقُلَلْثنـا بعـدَ مَوْته ولا اجتَمَعَتْ للمَكْرُمـات مواسمُ

ولا عَبَقَتْ في الكونِ أرواحُ طيبِها ولا أبْرَقَـتَ منْهُـنَّ يومـاً مبـاسـمُ

نَعَيْنـاهُ حتى أنْزَفَ الجفنُ مـاءَهُ وحـتـى قـلانـي للبُكـاءِ المنـادمُ

وحـتى اصطبـاري علَّ ممَّا أبثُّـهُ وحتى وَهَتْ مني القُوى والعزائـمُ

(◆) بداية ص ٢٥ في المطبوع .

(١) اللدم: ضرب المرأة صدرها وعضديها في النياحة. (العين ١٦٣١).

(٢) في المطبوع : قائم، وهو تحريف.

(٣) الأُطْم والأُطُم : القصر، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح (القاموس ٩٩٤).

وحتى رثَى لي كُلُّ قالٍ ورَقٍّ[١] لي — وقُصَّ الخوافي للعزا والقوادمُ[٢]
وفَرَّخَ طَيْرُ الشَيْبِ في أُمِّ هامَتي — فلا شقَّ إلاَّ فيه للشَيْبِ قائمُ
وحتى عَلَتْني النائباتُ بأسرِها — وحتى فَرَتْني[٣] بالسيوفِ العظائمُ
(◆) لَئِنْ غُيِّبَتْ في اللحد أعْضاءُ جِسْمِه — فما[٤] غُيِّبَتْ أفعالُهُ والمكارمُ
فَقَدْ كانَ مفضالاً يعيشُ بِسَيْبِه — أراملُ تَرْوي مدَّهُ وأيائمُ
فيا قَبْرَهُ رواكَ مُثْعَنْجِرُ[٥] الحيا — وجادكَ[٦] للغُفرانِ والعفوُ ساجمُ
فَقَدْ حلّ فيكَ الحِلْمُ والعِلْمُ والحِجا[٧] — وبحرُ نوالٍ للأكارمِ خاتمُ

ولما أرختُ وفاةَ هذا الإمام، بما أسلفتُهُ من الكلام، قيل لي إنه قد قضى قبلَهُ بعام، فأرختُ وفاتَهُ ثانياً، مُثنياً عليه ولحَقِّه وافياً، فقلتُ أدركهُ الردى، في عام أرخه: راغب هدى سنة ١٢٢٢هـ [١٨٠٧م].

[ترجمة الشيخ راشد بن خنين]

وأما ابنُ خُنَين[٨]، الطائرُ ذكرهُ في الخافِقَين، النازلُ من المجدِ والزَيْن، منزلَة الرأسِ والعين، فإنه قَدَمِ الزَّبارة، وهي في غايةِ العمارة، باسمةً عن محاسنِ

(١) في المطبوع : ورث، وهو تحريف.
(٢) في المطبوع : للعزاء القوادم، وهو تحريف.
(٣) فراه يفريه : شقه (القاموس ١٢١٣).
(◆) بداية ص ٢٦ في المطبوع .
(٤) في المخطوط : لما، وأثبتنا ما في المطبوع لاتساقه مع المعنى.
(٥) في المطبوع : منفجر، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع : وجازك، وهو تصحيف.
(٧) في المطبوع : العلم والحلم.
(٨) هو الشيخ راشد بن محمد بن رشيد بن خنين من آل عائذ من عبيدة من قحطان. (انظر : علماء نجد ١٨٢/٢).

النضارة، رافلةً بأثواب، مُفوَّفةً ببنانِ[١] الشباب، مائلةً بأعطاف، مائسةٍ بأنفاسِ الألطاف، كاحلةَ الأجفان، بإثْمِدِ[٢] الإحسان، مُخَضَّلَةَ[٣] الأغصان، بهاطلِ بنان، مَنْ لُفَّ بِبُردِ المروة، وحُفَّ برواقِ الفتوة، وضمته المعالي بمُقَلِها، وعَمَّتْ أياديه بقُبَلِها، أحمدَ بنِ محمدِ المترجم، المشارِ إليه بما تقدم، فإنهُ بدرُ تلكَ البلدة، وزهرُ هاتيكَ الوردة، فأكرمَ الإمامَ ابنَ خنين، ووفى عنه الدينَ بالعين، وأفاض عليه من برِّه الموائد، ووصلهُ بصِلاتٍ هي عوائد، وصَيَّرهُ في معاصريهِ صدراً، ولمجالسيه شمساً وبدراً، فدرسَ فيها العلوم، من منثورٍ ومنظوم، فعكفَ على بابه الخادمُ والمخدوم، ورَفَّتْ[٤] عليه الهبات بأجنحتها، وحَفَّتْ به السراةُ في رحابِ أنديتها، وعَمَّرَ فيها المدارس، بعدما كُنَّ دوارس، وأنشقَ منها المعاطس، عبهر[٥] الفوائدِ النفائس، وقَمَرَ فيها المنافس، كما قهرَ المُعارضَ والمُعاكس.

يـراهُ كـلُّ قـريـنٍ	فـي شعـرهِ كابن حُجْرِ[٦](*)
فـاق الفـرزدق فـخـراً	وفي الرثـا أختَ صَـخْـرِ[٧]
وإن جـرى فـي نَسـيـبٍ[٨]	فـاق الصَّـبـا حينَ تسـري

(١) في المطبوع : ببنيان، وهو تصحيف.

(٢) الإثْمد :حجر الكحل (العين ٢٤٩).

(٣) أي ندية . (وفي العين ٤٩٨): نبات خضل بالندى.

(٤) في المطبوع : ووافت، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: عبير، وهو تحريف، العبهر: النرجس والياسمين. (القاموس ٤٠٦)

(٦) يقصد امرأ القيس بن حجر الكندي صاحب المعلقة.

(*) الأبيات من مجزوء البسيط.

(٧) إشارة إلى الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحارث)، أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها صخر ومعاوية.

(٨) في المطبوع : نبب، وهو تحريف.

وإن أفـــاضَ علومــاً خَـيَّلْتَـهـا فـيضَ بَحْـرِ
وإن يُقَـرِّرْ دُروسـاً حَكَتْ دُروسَ ابنَ مُقري[1]
العلمُ علمُ ابنِ ليلى وحِلْمُهُ حلمُ صَخْرِ
وزهـده إن تَرُمْهُ كـأحمـد أو كَبِشْرِ
وَصِيتُهُ المتسامي قـد طـارَ فـي كلِّ قُطْرِ
حاكـى إياساً ذكاءً وفي الدهاء كعمرو[2]
يَحْيا بـه كلُّ فَـهْمٍ وإن يُمِتْ كُلَّ عُسْرِ
إذا تعسـرَ معنىً أراكَـهُ وَجْهَ فَجْرِ
يا ويح نجدٍ جَفَتْهُ وكـانَ فـيها كَبَدْرِ
أو كالضحى حينَ يسمو على علا كلِ صَدْرِ
ما فيه عيبٌ سوى أن[3] قد كانَ سامِيَ قَدْرِ
وأنـهُ مِـن أُنـاسٍ بيض المكارمِ غُـرِّاً
قـومٌ سَمَوا بسيوف بيض المواردِ حُمْرِ
وأمطروا[4] كُلَّ مِصْرٍ (♦)بكلِ مَنٍّ ويُسْرِ
وقَلَّدُوا بالعطايا وبالظُّبا كُلَّ نَحْرِ
فَهُمْ جمالُ البرايا في كلِ عَصْرٍ ومِصْرِ

---

(١) في المطبوع : حكى الدرس ابن مقر، وهو تحريف . وابن مقري هو إسماعيل بن أبي بكر الشرجي اليمني (ت ٨٣٧ هـ) ، من مؤلفاته المشهورة «عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي» (الأعلام ١/٣٠٦).

(٢) إشارة إلى عمرو بن العاص.

(٣) في المطبوع : سواء، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع : وأمصروا، وهو تحريف.

(♦) بداية ص ٢٨ في المطبوع .

مُـخَـدَّمُـونَ سِراعُ[1]	إلى ابْتِنا كلِ فَخْرِ
تَحْيا بِهِم كلُ أرضٍ	كأنهم وَدْقُ قَطْرِ
هُم مَطاعينُ أُسْدٍ	حرباً[2] مطاعيمُ غُبْرِ[3]
عِياذُ كُلِّ مُسيفٍ	متى شكا رَيْبَ دَهْرِ
آراؤهم مُصْلَتاتٌ	لِفَلِّ كَرْبٍ مُضِرِّ
قد وَعَّروا كلَّ سهلٍ	وَسَهَّلوا كلَّ وَعْرِ
سلْ عَنْهُم كلَ ماضٍ	كبارقٍ حِينَ يسري
وعاملٍ وسنانٍ	وكُلِّ أعوجَ مُهْرِ
من مثلُ قومٍ تَسَمَّوا[4]	بعائذِ اللهِ تدري
واسأل مدارسَ غُرّاً	عن الإمامِ الأغرِّ
كَنْزِ العلومِ المحلّى	بدرِه كلَّ سَطْرِ
السابقِ الناسِ فضلاً	سَبْقَ الجوادِ المُبِرِّ
إنسانِ عينِ المعالي	ورأسِ رأسٍ وَصَدْرْ
مقدارُهُ المتسامي	قَدْ جلَّ عن كلِ قَدْرْ
لمجدِهِ كلُّ رفعٍ	وَمَدِّهِ كلُّ جَرِّ
لم يَنْقِمِ البدرُ منه	إلا لأنْ لم يَغُرِّ
ولا ترى السحبُ فيه	عيباً سوى مَدِّ تِبْرِ[5]

---

(١) في المطبوع: سراعاً.

(٢) في المطبوع: جرداً، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: غتر، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: سموآ، وهو تحريف.

(٥) وردت هذه القصيدة في المطبوع بعد البيتين المذكورين في ص ١٥٦، والتي نهايتها .... المهيمن زاجره.

إن سكَن تلكَ المدينة، بأعظمِ وقـارٍ وأرضى سكينة، وكـان في الإسنادِ مالكها[1]، فقد كان أحمدُ بالإرفادِ مالكَها، وإن كان إمامها ومسندها، فإنه لم يزل أكرَمَ ذَوِيها[2] وأحمدها، وإن كان من مقلتها قُرَّة، ففضلهُ في وجهها غُرَّة.

متى جرتْ من أيادي راشدٍ حكَمٌ ... جَرَتْ[3] لكَفَّيْه في أصحابه النعَمُ[*]
وراشدُ حلْيَـةُ[4] الأديـانِ حكْمَتُـهُ ... وأحمدُ حَلْيُهُ[5] الأفضـالُ والكرمُ
لاشك أنهـمـا بحـرانِ ذاك جـرى ... علْماً وذا مَوْجُهُ بالبَـذْلِ يلتطـمُ
وذاك للجـهـلِ قَتَّـالٌ بنائلـه ... وذا بـه يذهـبُ الإمـلاقُ والعَـدمُ
أجرى على راشدٍ أسنى عوائدَ منْ ... إحسانـه زانهـا مـن لَفْظِـه نَعَمُ[6]

إن سلسلَ راشدُ حِكَمَهْ، أرسل أحمدُ إليه نعَمَهْ، أو حاكَ مِطْرَفَ رسالة، حاكَ له ببنانِ الكرمِ جلالة.

[◆]إن كانَ ينشرُ للمعارف ما انطوى ... فَيَمينُ أحمدَ للعوارف ناشره[**]
هـذاك تنظـرُ للأسـاطـرِ عـينُهُ ... وعـيـونُ هـذا للمـآثـرِ ناظره
فـهـمـا لنـا قـمرانِ كلٌ منهـمـا ... أبداً لَـهُ غـرر المزايـا دائـره[7]

---

(١) يقصد الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة.
(٢) في المطبوع : الأكرم ذروها، وهو تحريف.
(٣) في المطبوع : جزت، وهو تصحيف.
(*) من البحر البسيط.
(٤) في المطبوع : حلة، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع : حلية، وهو تصحيف، والحَلْي : ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة (القاموس ١١٧٣).
(٦) في المطبوع : لفظ نعمه، وهو تحريف ، وقد جاء البيت منثوراً في المطبوع.
(◆) بداية ص ٢٧ في المطبوع .
(**) من البحر الكامل.
(٧) في المطبوع : أندأ غرر، وفيه تصحيف وسقط.

إن حَلَّى أجيادَ الطروسِ بالإملا، فكم حَلَّى أَكُفَّهُ باللُّهى وأملا، وإن وَصَلَ متنا، أسندَ له بالوصلِ متنا، أو زَيَّنَ الأفهامَ بالإفهام، زَيَّنَ له الأكرام بالابتسام، وإن نظمَ الفرائد، نثرَ عليه الفوائد، أو عَطَّرَ أذيالَ المدارسِ بأذكاره، عطرهِ بَعْبَهرِ[1] افتخاره، ولو قيلَ إن [هذا][2] الفاضلَ زَهَر، فأحمدُ له وابلُ المطر.

لولم يَجُدْ مَطَرٌ | لم يبسمِ الزَّهَرُ[*]
أو أحمدُ كذكا | وراشدُ قَمَرُ
وجهان زانهما | من سؤددٍ غُرَرُ
ومقلتا شرفٍ | أبداهما القَدَرُ
فعْلاهما لهما[3] | للناظرِ الحَوَرُ[4]

أقامَ في تلكَ البلاد، التي هي كإرَمَ ذات العماد، يعاشرُ أجوادها، ويسامرُ زُهَّادها، ويسائرُ عُبَّادها.

مازالَ مشغولاً بنظمِ نوافلٍ | في عقدِ أجيادِ المساجد سافره
وبِنَشْرِ أذكارٍ[5] براحِ مقاولٍ | عن كل ما كَرِهَ المُهَيْمِنُ زاجره

(١) العَبْهر: اسم للنرجس، ويُقال للياسمين، وهو الناعم من كل شيء (العين ١١٢٩ - ١١٣٠).
(٢) سقطت من المطبوع.
(*) الأبيات من مجزوء البسيط.
(٣) في المطبوع: فعلا بهما، وهو تحريف.
(٤) وردت الأبيات في المطبوع على شكل نثر.
(٥) في المطبوع: وبنشر أذكاراً، وهو تحريف.

يعنعنُ الآدابَ للطلاب، ويرسلُ الأمثالَ إرسالَ الجودِ[1] السحاب، بعباراتٍ ألطفَ من ألفاظِ العتاب، باسمةً من مبتكراتِ الثغور، ابتسامها من رباتِ الخدور.

يَفْتَــرُّ عـن أدبٍ كـأنهُ شَنَبُ[2] ويـنـتـقـي حِكمـاً يزينهـا الأدَبُ
وكم لهُ غُــرَرٍ وجــوهـهـا الكُتُبُ تحكي الشموسَ سوى أن ليسَ تحتجبُ

رفعته صدورها، وتشرفتْ به شموسُها وبدورها، يشتاقُ إلى الأكياس، اشتياقَ المُمْلِقِ[3] إلى الأكياس، والساري إلى النبراس[4].

أبـداً يَحِنُّ لصـحـبـةِ الأكـيـاسِ كـحنينِ ذي فلْسٍ إلى الأكياسِ[*]
أمَّـا مـجـالسـهُ فَـهُـنَّ مطالـعٌ لَكِنْ لأقـمـارٍ مـن الجُـلاَّسِ
العلـمُ علـمُ أبي حنيـفـةَ والدُّها كـدهـاءِ عمـروٍ والذكـا كـإياسِ
لو أبصرَ النعمانُ[5] حسنَ قياسهِ لقـضى لـهُ بالفـضلِ بين النـاسِ
(◆)ولقد زهتْ غرُرُ العلومِ بفكـرهِ زهـواً كـزهـوِ الرمـحِ بالنبراسِ[6]

---

(١) في المطبوع : الجو، وهو تحريف.

(٢) الشَّنَب : عذوبة في الأسنان (القاموس ١٠٨). وقد وردت الأبيات في المطبوع على شكل نثر، وهي من مجزوء البسيط.

(٣) الملق : الفقير والمحتاج، مأخوذ من الإملاق. (العين ١٧٢٨).

(٤) يقصد به المصباح (القاموس ٥٣٣).

(*) من البحر الكامل.

(٥) يقصد الإمام أبا حنيفة النعمان.

(◆) داية ص ٢٩ في المطبوع .

(٦) يقصد به السنان (القاموس ٥٣٣).

ألفَ ورتب، وأبانَ وأعربَ، وأبدعَ وأغربَ، وجمعَ واستوعبَ، ونقبَ عن دقائقِ الإصابة، فشأى في ذلك التقريبَ والإصابة، واستأسدَ في العلوم، والمنثورِ والمنظوم، فدُعِي فيها أُسدَ الغابة، وتفرسَ في علمِ الفراسة، فسبق الضدَ والإلفَ[1] راسه، وأودَع بُطُونَ الدفاترِ الحِكَم، حتى حكمَ له على جالينوسَ[2] كلُ حَكَم.

طلبتُ له نظيراً في ذكاهُ ... إذا عرضَ العلومَ فما وَجَدْتُهْ[*]

وَجُبْتُ الأرضَ أُفقاً بعدَ أفقٍ ... فما أفقٌ لها إلا وَجُبْتُهْ

لِتُبْصِرَ مقلتايَ له شبيهاً ... إذا ذُكِرَ السماحُ فما عَرَفْتُهْ

سوى من كنتُ أحمدهُ جِهاراً ... وأذكرُ حاتماً مهما ذكَرتُهْ

يكادُ يضوعُ بُرْدُ الشعرِ مهما ... به طيبُ الثناء له نَشَرتُهْ

كيف لا وإن كان راشد، في الفضلِ جعفرَ يحيى بن خالد[3]، ففضله الطريفُ وفضلُ أحمدَ التالد، على أن راشداً موصولٌ له من أحمدَ الصلةُ والعائد، فلقد نشرَ عِلْمَهُ وقد كان مَطْوِيّاً، وأظهر صيتهُ من بعد ما كان مخفياً، وكفله بنواله وكان به حفيّاً، وقدَّمَهُ على النظائرِ والأشباه، وبلَّغَهُ من مآربِهِ منتهاه، حتى قالَ من عاداه: ذلك الفضلُ من الله، يؤتيه من يرتضيه.

---

(١) في المطبوع: والف، وهو تحريف.

(٢) جالينوس (١٣٠-٢٠٠)، طبيب وفيلسوف يوناني، فائق الشهرة.

(*) من البحر الوافر.

(٣) إشارة إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد. (توفي سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م).

ولولا فضلُ أحمدَ لم يُشَعْ مِنْ ... فضائلِ راشدٍ ما قدْ عَنَيْتُهْ(*)
ولكن شاعَ فضلاً في نزارٍ ... بمن بأبي الفواضلِ[1] قد كَنَيْتُهْ
طويلُ الباعِ أحمدُ من رأيتُهْ ... وأجودُ من مدحتُ ومن طَرَيْتُهْ[2]
وأشهرَ من نشرتُ له ثناءً ... وأظهرَ من يُسامي النجمَ بَيْتُهْ
وأشجعُ من هِزَبْرٍ وسطَ غابٍ ... إذا للحربِ في أُسدٍ دَعَوتُهْ

قد طابَق اسمهُ مسماه، فما زاغَ عن الرشادِ من اقتفاه، برزَ في الأقطارِ النجدية، بروزَ البدرِ في الأقطارِ الفلكية، وبرعَ في الأحكامِ الفقهية، حتى أبان عن الدرر، وأغربَ في النوادرِ اللغوية، حتى قمرَ فيها ومهر، وأعربَ عن المشكلات النحوية، حتى خلناه أبا عَمْرو[3] إذا نظر، تخرجَ على علماء بلده، وعظماءِ مَحْتِدِه، فشأى في العلوم أعلامها، وتَصَدَّرها فدعتهُ إمامها.

متى جارى[4] أخا علْمٍ ... شأى فيه الذي جارى(**)
فما بحرٌ يجاريه ... (◆)وإن في مَدِّهِ جارا[5]
وهل يلفى محاكي مَنْ ... أراه للعُلا جارا[6]

(*) من البحر الوافر.

(١) في المطبوع : بأبي الفضائل، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع : طويته، وهو تحريف.

(٣) يقصد العالم النحوي اللغوي أبا عمرو بن العلاء، وهو زبّان بن عمار التميمي، من أئمة اللغة والنحو وأحد القرّاء السبعة. توفي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م.

(٤) في هامش المطبوع : من المجاراة.

(**) من البحر الهزج.

(◆) بداية ص ٣٠ في المطبوع .

(٥) في هامش المطبوع : من الجور.

(٦) في هامش المطبوع : من الجوار.

طاوعتهُ شموسُ الأشعار، حتى انتقى منها المنتقى والدرَ المختار.

إن طاوعتْ أفكارهَ الأشعارُ ... وتشرفتْ بيراعه الأسطارُ(*)
فهو الذي سمت المدارسُ باسمه ... وتعطرَتْ بصفاته الأعصارُ

فما زال في نجده، مرفوعاً على نِدِّه، مشغولاً بعلمه عن خِلمه[1]، مجالسهُ بالأذكارِ معمورة، ومدارسهُ على الأخيارِ مقصورة، الكرماءُ مؤانسوه، والعلماءُ مدارسوه، عَمَرَ المدارسَ بالإسناد، والمجالسَ بالظرائفِ والإمداد.

مهما بدا في صدرِ مدرسةٍ ... أبدى بمقْولَه لنا زُفَرا(**)
وإذا جرى في مشكلٍ شرسٍ ... جلاهُ حدُّ ذكائِه وَفَرا

نَظَرَ[2] في الشعرِ الصفي، فصار شعرهُ المختارَ الصفي، وبَرَّزَ في المعاني، على السكّاكي[3] والجرجاني[4]، وإمامِ المَكَّتَيْن، في دقائقِ الأصلين.

وحسبكَ من إمامِ ألمعيٍ ... لَقيتَ به إمامَ المَكَّتَيْنِ(***)
وَعَمْرَ النحوِ إلا أن هذا ... إمامُهُمُ بكلتا الكوفَتَيْنِ

(*) من البحر الكامل.

(١) الخِلْم: الصديق (القاموس ١٠١٨).

(**) من البحر الكامل.

(٢) في المطبوع: ناظراً.

(٣) السكاكي، يوسف بن أبي بكر: (١١٦٠-١٢٢٩م) كان إماماً في الفقه وعلم الكلام والبلاغة.

(٤) نسبة إلى الجرجاني، عبدالقاهر بن عبد الرحمن (ت ١٠٧٨) يعتمد مذهبه على أن نظم الكلام سر بلاغته، وأن الألفاظ خدم للمعاني.

(***) من البحر الوافر.

ولو ناظرَ جارَ اللهِ[1] بالجدل، لما زلَّ واعتزل، ولأنْشَدَ فيه وارتجل:

سألتُ العلومَ وأربابَها ... عنِ العَلَمِ المفردِ الأكملِ[*]
فقالوا الذي كاسمه راشدٌ ... لحلِّ العويصِ وللمشكلِ
إذا قيلَ من للندى أو فَمَنْ ... يُرَجَّى لذي الزمنِ المُمْحَلِ
وَمَنْ للعلومِ وأبحاثِها ... وَمَنْ للدقيقِ من المعضلِ
ومن للخلافِ ومن ذا الذي ... إذا ما القضايا تعاصت علي
وحقِ النكاتِ وأسرارِها ... ومعنىً خفيٍّ لها أو جلي
لما نَظَرَتْ مِثْلَهُ واحداً ... عيوني ومن يَتَّهِمْ[2] يُسْألِ

فما زال يُفيد، ويُجَدِّدُ ما درسَ ويعيد، فمرابعُ العلومِ بَصَيِّب تقريرِه مخضرة، وثغورُ الطروسِ عن دررِ تحريرِه مفترة، إلى أن خرجَ من وِجَاره[3]، وبان عن أهله وجاره، إلى البلدة التي هو (♦) فيها راشد، وأحمدُ فيها الزندُ والساعد، وجفَّ منهُ العود، وأتى عليه الحِمام الموعود، وغُسِّل بالدموع، وكُفِّنَ بالخشوع، وحَمَلَتْ جنازَتَهُ الأعناق، وتسابق إلى تلحيده البارُ والعاق، فالعيونُ عليه ساكبة، والقلوبُ برُزْئه واجبة، والكواكبُ كاسفة، والرياحُ عاصفة، والوجوهُ مغبَّرة، والآفاقُ محمرَّة، فلا غروَ أن أُبِّنَ بهذه الدرة:

---

(١) هو جار الله الزمخشري (محمود بن عمر: ١٠٧٥-١١٤٤)، كان له منزلة في اللغة والتفسير، قضى زمناً في مكة وسُمي «جار الله».

(*) من البحر المتقارب.

(٢) في المطبوع: بينهم، وهو تحريف.

(٣) الوجار: بالكسر والفتح: جحر الضبع وغيرها (القاموس المحيط ٤٥٦).

(♦) بداية ص ٣١ في المطبوع.

على مثلـه تبكـي السُّراةُ وتنـدبُ ... ويَسْوَدُّ وجهُ المكرماتِ ويَقْطِبُ[*]

وتبكيـه أجفـانُ السيـادةِ والعُلا ... ويبكيهِ نادٍ مـن عطاياهُ مُخْصِبُ

وتبكيـه أفـعـالٌ لـهُ وفـواضـلٌ ... نيفُ على عدِّ الثرى حين تُحسبُ

وتبكيـه أبحـاثٌ دقـاقٌ وأوجـهٌ ... تجلببُ إلا عـن ذكاه وتُحـجبُ

وَيندُبه كُـتْـبٌ له إمْنَ[1] بعده ... وغُــودرنَ لا أمٌّ لَهُــنَّ ولا أبُ

وتبكيـهِ أقـلامٌ جَـرَيْـنَ بأمـره ... فها دمعها يَجْري عليه ويَسْكُبُ

وتبكيـه أسطارٌ كَـأنَّ سـوادَهـا ... على صفحاتِ الطرسِ رزءٌ وغيهبُ

ويبكيـه إسنادٌ ويبكيـهِ مسنـدٌ ... ويبكيـه مـتنٌ للحديـثِ ومَنْكِبُ

ويبكيـه وادٍ مـن أياديـه سـائـلٌ ... ويبكيه نـادٍ للمعـالـي ومنصـبُ

وتهتـزُ من حُـزْنٍ عليه معـارفٌ ... هي البحـرُ إلا أنَّها[2] منه أعذبُ

وتكسفُ مـن أفـقِ المفاخرِ شمسُهُ ... فـلا وجهَ إلا مـن أساهُ مـقطَّبُ

ولا خـدَّ إلا فـيـهِ للدمـعِ راجفٌ ... ولا قلبَ إلا فـيـهِ للرزءِ مـقْنَبُ

ولا بلدٌ إلا لـهُ فـيـهِ مـأتـمٌ ... ولا مـأتـمٌ إلا لهُ فـيـه منـدبُ

فلا غَرو أن تُلْقِي السمواتِ جِلْدَها ... عليهِ ويبكيـهِ مـن الأفقِ كوكـبُ

بكينـاهُ حـتى ناوحـتنا مكارمٌ ... لراحتـهِ كانـت مـن النَعْـيِ تنضبُ

فقـد كان مفضالاً إذا اعـترَّ سائـلٌ ... وأرملَ مـحـرومٌ وأعـوزَ مطلـبُ

فقـد كان بحـراً للعلومِ خُضارماً ... على كثرةِ الورّاد يحلـو ويعـذبُ

وقد كان صدراً في المعارفِ مفرداً ... ولكنـهُ فـي مجمعِ البحـثِ موكبُ

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: إيتمن، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع : أنه، وهو تحريف.

(◆)فتىً جمعَ اللهُ العلومَ بقلبهِ فها هي ذي تَنْعي عليه وتَنْعَبُ[1]

لئن ضمهُ قبرٌ وواراه مُلْحَدٌ فيا طالما عن علمهِ ضاق سبسبُ[2]

وإنّ فتىً يبكيه شمسٌ وغاسقٌ لأجْدَر أنْ يرثيهُ شرقٌ ومغربُ

وأجدرُ أن تُزْجى المراثي لقبرهِ فيسمعها عدنانُ والغرُ يعربُ

فويحَ المنايا كيف تنشبُ سهمها بنحرِ امرئٍ ريحُ الهدى منهُ تُنْشبُ

فإن تَفْرِه[3] بالنابِ تَفْرِ قَلَمَّساً[4] بمثنى الأيادي دائماً يَتَصَبَّبُ[5]

ولو أن هذا الموتَ يُفلتُ واحداً لعاتبتُ حتى أنهُ ليَ يعتبُ

ولكنني أدري وأعلمُ أنهُ لكَ اللهُ وِرْدٌ[6] كلنا منهُ يَشْرَبُ[7]

فكم من عظيمٍ قد تقلبَ في الثرى وقد كان في لذاته يتقلبُ

فلولا التأسي كنتُ أولَ من قضى عليهِ ولكنّ التأسيَ أطيبُ

فمن للخصالِ الصالحات وللندى ومن للقضايا في المجامع يُطْلَبُ

قضى كلُّ رشدٍ إذ قضى الخيرُ راشدٌ فما ثَمَّ رشدٌ بعده يُتَطَلَّبُ

سقى قَبْرَهُ للرُّحْمِ كلُّ مُجَلْجِلٍ وغاداه للرضوانِ والعفوُ صَيِّبُ

(◆) بداية ص ٣٢ في المطبوع .

(١) في المطبوع : وتندب.

(٢) السبسب : المفازة أو الأرض المستوية البعيدة (القاموس المحيط ١٠٢).

(٣) في المطبوع : تعزه، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع : تعز فلمسنا، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع : يتصيب، وهو تصحيف.

(٦) في المطبوع : ورداً، وهو تحريف.

(٧) في المطبوع : نشرب.

ولما حُبِّرَتْ فيه المراثي، ونزفَ عليه دمعُ المُوالي والراثي، أشفَق أولادهُ من الضيعة، إذ لا مالَ لهمْ ولا ضيعة، إلا نوالُ أحمدَ المرسلُ على والدهم، القائم حياته مقامَ طارفهم وتالدهم، وخافوا أن يكونَ غيرَ عائدهم، فبلغَ أحمدَ منهم الإشفاق، فوصلهم إذ كان ابنَ رزق بالأرزاق، فأياديهم لم تزل موصولات، من عوائدِ أياديه بصلات، فللّهِ مُعَزٍّ بنواله، قبلَ مقاله، فانقلبتُ عنهم وهم في ظلالِ آماله، قائلونَ في مقيلِ أفضاله، مضافونَ إلى غايةِ كماله.

إن كان قد شملتْ أباهم قبلهم ... منهُ صلاتٌ فهي منهُ عوائدُ(*)

لا غروَ أن سَعد البنونَ بها كما ... بحصولها سَعد الأعزُّ الوالدُ

بذلٌ له الموصولُ حتماً راشدٌ(١) ... وندى ابنِ رزقِ الآملين العائدُ

والمُكْرَمونَ(٢) به كثيرٌ عدُّهم ... أبداً ومُجْريه عليهم واحدُ

(◆)أبداً لدى الإفضالِ يبسمُ ثغرهُ ... كالزهرِ باكرهُ مُلثٌّ جائدُ(٣)

مازال منه الفضلُ يرسلُ جعفراً ... يحيا به يحيى ويُنْشَرُ خالدُ

إني لأشكرهُ وأشكرُ فضله ... شكراً كما شكر السحابَ الواعدُ

كل يرادُ على نداهُ شاهدٌ ... وجبينُ أحمدَ في نداهُ الشاهدُ

إن المكارمَ كعبةٌ ويمينهُ ... ركنٌ يقبلهُ المُسيفُ(٤) الوافدُ

(*) من البحر الكامل.

(١) في المطبوع : راشداً، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع : فالمكرمون.

(◆) بداية ص ٣٣ في المطبوع .

(٣) مُلثٌّ : أي نديّ (في القاموس ١٧٣) اللث : الندى. وجائد : مأخوذ من الجود.

(٤) المُسِيف : الشجاع معه السيف (القاموس ٧٥٩).

والمجدُ محرابٌ وقائمُ فضلهِ فيهِ على رغمِ الحسودِ العابدُ[١]

والعزُ فسطاطٌ وقائمُ سيفهِ بانٍ وساعدهُ عليه مساعدُ

كلٌّ مكارمُهُ تُقَيَّدُ تارةً إلا مكارمهُ فَهُنَّ شواردُ

جُمعت به غررُ الصفاتِ بأسرها مع أنهُ في الفضلِ فردٌ واحدُ

نارٌ بقلبِ المُبْغِضيه[٢] وجدتهُ وعلى مصافيهِ الزلالُ الباردُ

حسدوا علاه فهلهلوا يرمونها بنقائصٍ هيٍ في علاهُ زوائدُ

بفواضلٍ في لَبَّةِ[٣] الشرفِ التليدِ كأنها رأي العيانِ قلائدُ

شرفٌ يوطده ظُبىً وغواسلُ أتظنُ يهدمهُ بقولٍ حاسدُ

من معشرٍ شُمِّ الأنوفِ يزينهم كرمٌ على طيبِ العناصرِ شاهدُ

فضلوا الورى بمكارمٍ لو أنها كانت ليحيى قال فضلي خالدُ

يا آل رزقٍ فافخروا بمتوَّجٍ هو في الوغى والمكرماتِ الناهدُ

إن كان للكرماء فخرٌ طارفٌ ففخارهُ بين الأنامِ التالدُ

لم يَبْقَ في الأقطار قُطْرٌ ما له فيهِ من الشعراء يُلْقى حامدُ

إن كانَ في الكرماءِ يُدعى حاتماً فأنا أمرؤٌ في مادحيهِ الذائدُ[٤]

فخراً بَنيهِ بكلِ فخرٍ باذخٍ[٥] هو بالمخاذمِ والمكارمِ واطدُ

هل أنتمُ إلا غطارفُ سادةٌ لم يُدْرَ أيكمُ الأجلُ السائدُ

(١) في المطبوع : العائد، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع : المبغضين.

(٣) في المطبوع: لبة، وهو تصحيف.

(٤) في هامش المطبوع: الذائد لقب شاعر من الأوائل.

(٥) في المطبوع: باذج، وهو تصحيف.

(*)أمحمدُ أسراكمُ أم يوسفُ أم محسنٌ أم ذو المعالي خالدُ
أجريتمُ عينَ الندى من بعد ما نضبتْ مواردُها وصَدَّ الواردُ
وسللتمُ بيضَ الصوارمِ في الوغى فتجملتْ ببروقهنَ مقالدُ
وأخَفْتُمُ الآسادَ في آجامها فتزعزعتْ مما تُجِنُّ مآسدُ
وختمتمُ الكرماءَ في أيامكم حتى انتهى لكمُ السماحُ الزائد

[ترجمة الشيخ عبد الله الكردي البيتوشي]

ثم لم تمض إلا ليال، هي أقصرُ من ساعاتِ الوصالِ، حتى وفدَ عليه الفاضلُ الإمام، في بلدهِ التي هي كدارِ السلام، عبدِاللّه بن محمدٍ الكردي[1] الفائقُ شعْرُهُ[2] الكندي[3]، أحدُ الأدباءِ الكرام، والأقطابُ الدائرةُ عليه رُحى النظام، والبحرُ الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تُعامُ بالأفهامِ[4] غواربه، والسماءُ التي لا تأفلُ كواكبها، ولا تبخلُ بالجود سحائبها، ولا يُكْتَنَهُ مقدارها، ولا تخسفُ أقمارها، والمزنةُ الدافقُ مطَرُها، والروضةُ الوارقُ زَهرها، قد رحلَ وهو غلام، إلى بغدادَ والشام، وارتفعَ له المقام، بلقائه الأولياءَ والزهاد، وروايته عن

(*) بداية ص ٣٤ في المطبوع.

(١) هو الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي، توفي في البصرة سنة ١٢١١هـ. (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ٥٩٦ - ٦٢٤). (الأعلام ٤/٢٧٥).

(٢) في المطبوع: بشعره.

(٣) الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحق (٨٠١-٨٦٥م) نسبة إلى كندة، ألمَّ بعلوم الرياضيات والطبيعيات والفلك والطب والجغرافية والموسيقى، انصرف من علم الكلام إلى التفلسف، أول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين. (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٤٨٣).

(٤) في المطبوع: تقاوم بالافكا، وهو تحريف.

العلماءِ الأنجاد[1]، بعلو إسنادٍ ألحقَ به الأحفادَ بالأجداد، فاستفادَ وأفاد، واستجادَ وأجاد، وبحثَ وحقق، وقرَّرَ ودقَّقَ، وأبدعَ وأنَّق، وقيَّدَ وأطلق، وحَرَّر وحبَّر، وعجَّز وصدَّر، واختصرَ وطول، حتى صارَ في الأدبِ الأول، تأدبَ بالفضلاء، وتهذبَ بالنبلاء، وكتبَ فملكَ من القلمِ الناصية، وصارَ فيه بمنزلة السنانِ من العالية، وخطبَ فأقرتْ له مصاقعُ البادية، وألقتْ إليه المسائلُ النحويةُ الأعنة، فاجتنى زهر رياضها المُغنَّة، وأماطَ عن وجوه مخدراتها[2] الأكنَّة، إن بحثَ في أدبِ البحثِ والمناظرة، كان بغزارةِ العلمِ ناظره، أو في دقائقِ الهيئةِ فهوَ مركزُ الدائرة، أو في الحكمةِ فهو فيها الأمثالُ السائرة، قد قمَرَ السيدَ في التعريف[3]، وابنَ الحاجبِ[4] في التصريف، ولو رآهُ التفتازاني[5] بالناظر، لقال إن هوَ إلا عبدُ القاهر، أو السكاكي والخطيب[6]، لأقرا له في التلخيصِ والتهذيب، بدعَ في علمِ الميزان، حتى غدا ابنَ سينا في البرهان، وإن جرى في حلبةِ الأصول، أفاد حاصلَ التحصيلِ والمحصول، فلا غروَ أن يحتاجَ المحصلُ إلى علمه، والمترسلُ إلى نثره ونظمه، والمشكلاتُ إلى فصله، والمعضلاتُ إلى حله، والمبهماتُ إلى إيضاحه، والمُعْظَمات إلى مصباحه،

---

(١) في المطبوع: الأمجاد.

(٢) في المطبوع: مخلداتها، وهو تحريف.

(٣) إشارة إلى كتاب التعريفات للشريف الجرجاني وهو علي بن محمد، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، توفي (٨١٦هـ/١٤١٣م).

(٤) ابن الحاجب: عثمان بن عمر الكردي: (١١٧٥-١٢٤٩). نحوي وفقيه ألف «الكافية» في النحو، و«الشافية» في الصرف... وغيرها.

(٥) إشارة إلى مسعود بن عمر التفتازاني: (١٣٢٢-١٣٩٠)، لغوي بلاغي منطقي، له مؤلفات كثيرة. (الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٣٦).

(٦) إشارة إلى الخطيب التبريزي، يحيى بن علي: (١٠٣٠-١١٠٩)، كان حُجة في اللغة.

والمقدماتُ إلى إنتاجه، والمطالبُ إلى احتجاجه، والأقلامُ إلى بنانه، والأحكامُ إلى برهانه، والأجوادُ إلى مدحه، والمغلقاتُ إلى فتحه، والمسائلُ إلى تصحيحه، والمعارضُ إلى تصريحه، والإشاراتُ إلى تلويحه، والعباراتُ إلى تنقيحه، والبلاغةُ إلى(◆) تبيانه، والبيانُ إلى إيضاحه وبيانه، والمعاني إلى إشاراته، والمُعاني[1] إلى عباراته، والأغاني إلى إنشاده، وخدودُ الطروسِ إلى مداده، والأشعارُ إلى قوافيه، والأسمارُ إلى نوادرِ فيه، ونحورُ الشواهدِ إلى عقودِ إعرابه، وصدورُ الفوائدِ إلى نهودِ آدابه، ولئن اشتهرَ صيتهُ وطار، لقد علا على زحلَ في سموِ المقدار، وشأى[2] ذكاءَ في رابعةِ النهار، واحتاجت إليه المسائل، احتياجَ الأرضِ إلى الوابل، والذابلِ العَسّالِ إلى العامل، والحسامِ إلى الغرب، ويُوحِ إلى الشرق والغرب، والبدنِ إلى الروحِ والقلب، وتجملت بدررِه الأشعار، تجملَ المعصمِ بالسوار، وافتقرت[3] إليه الأدباءُ افتقارَ الصبِ إلى نشقِ الصَّبا، واهتزت إليه طربا، اهتزازَ أفنانِ الربى:

إذا نُشِــرَتْ يومــاً مطــاوي نظامــه ... بمجلسِ آدابٍ قضـى أنه الكندي(*)

بلفـظٍ شـأى نظْم الجمـانِ طـلاوةً ... ولكنـهُ فـي الفكر أحلى من الشهدِ

هـوَ الشـعرُ عِقْداً نَظَّمَتْهُ يدِ الذكا ... وشعـرُ الفتـى الكردىِّ واسطةُ العقدِ

كما أنَّ مدحَ القرمِ أحمدَ ذي الندى ... لكَ اللهُ وردُ المجـدِ أو زَهَرُ الحمـدِ

(◆) بداية ص ٣٥ في المطبوع .

(١) في المطبوع: المباني، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع: وشتاء، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: فافتقرت.

(*) من البحر الطويل.

إذا أخذَ الكرديُ في نعتِ أهيفٍ أراكَ الهوى العذريَ يصبو إلى الكردي
ومهما جرى في مدح نهدٍ وناهدٍ تيقنتَ أن لا وَجْدَ إلا إلى النهدِ
وإن كان في وصفِ[1] الخرائدِ منجداً فلا قلبَ إلا وهو يصبو إلى نجدِ
وإن أعرقتْ أشعارهُ في خرائدٍ أراكَ قلوبَ الناسِ معرفةَ الوجدِ

إذا نظمَ الفوائد في لباتِ السطور، أبصرتَ به الفرائدَ في النحورِ، قد رحلَ إلى الحرمينِ فدُعي إمامهما، ودخل الكوفتين فشأى حَسَنَهُما ومُعَظَّمَهما، ووصلَ الأحساءَ[2] فصارَ في صدورهما رأسا[3]، وأرسلَ مدائحَ الكرماء فسبقَ مالكاً ومتمما[4]، حنَّ إليه كلُ كتاب، كما حنتْ إلى أدَبِهِ[5] الآداب، وإلى مفاكهته الأصحاب، وإلى ملاطفته الأنجاب

في العلومِ لهُ قدمٌ راسخٌ ولهُ في العُلا سؤددٌ شامخُ[*]
حسنٌ في الهدى فضلهُ شرعهُ ما لهُ في الورى بعدهُ ناسخُ
وفضائلهُ وفواضلهُ كَلَّ عن عَدِّها النسخُ والناسخُ
قد حوى السؤددَ العَوْدَ[6] لمّا بدا فسما وهو في بذلهِ شارخُ[7]

(١) في المطبوع: وإن فاتني وصف.

(٢) ذكر صاحب تحفة المستفيد أنه رحل هو وعمه العلامة محمود الكردي إلى بلد الأحساء في عام ثلاث وسبعين ومائة وألف، وسكنا مدينة المبرز.

(٣) في المطبوع: فصار رأساً في صدورهما.

(٤) يقصد مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي.

(٥) في المطبوع: آدابه.

(*) من البحر المتدارك.

(٦) في المطبوع: السود والعود، وهو تحريف.

(٧) الشارخ: الشاب. (القاموس ٢٤٥)، وفي المطبوع: شاذخ، وهو تحريف.

(◆)قدمَ الزبارةَ بالمدائحِ المختارة، فحمدَ بها أحمدها، ومالكَ زمامها، وزهرةَ كِمامها(١)، وغرةَ كرامها، وزبدةَ أخيارها، وشهدةَ مشتارها، وبوحَ سمائها، وروحَ ثنائها، فكانت بحمده سائرةَ الأمثالِ، فاقدةَ النظيرِ والمثال، ووقعتْ في مسامعِ الأفهام، مع ارتجالها موقعَ ذواتِ الأعوام(٢)، وفَضَّلَهَا الخاصُ والعامُ، على حوليات زهيرٍ(٣) في الانسجام، كيف لا وهو لابسٌ برودها، ومتقلدُ عقودها، أحمدُ البريةِ في عصره وأسماها، وأجودها في مصره وأنداها، فأجازهُ بالدررِ المنثورة، والحبرِ(٤) السابغة المجرورة.

رأينا الدهرَ من بعضِ المفاضِ(*)	أفاضَ عليه من نعماهُ حتى
يصوّرُ أنه زَهَرُ الرياضِ	وأكرمهُ بتبرٍ من رآهُ
كأنَّ صفاءَها ماءُ الغياضِ	وأتبعهُ دراهمَ صافياتٍ

وأنزلهُ في منازل، هي مطالعُ لشموسِ الفضائل، وأنَّسَهُ في العشيِ(٥) والبُكَر، بأدباءَ غرر، وبأماثلَ(٦) أفاضل، ألطفَ من الغصنِ المائل، وسامرهُ بمسامرة، تفوقُ على الأغاني والمسامرة، وعاشرهُ بظرائفَ معاشرة، جمعَ له فيها

(◆) بداية ص ٣٦ في المطبوع .
(١) في المطبوع : أكمامها.
(٢) في المطبوع: الأعلام.
(٣) إشارة إلى القصائد الطويلة المعروفة بالحوليات التي كان ينظمها الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى المازني.
(٤) جمع الحَبْرة : النعمة . (العين ٣٣٨).
(*) من البحر الوافر.
(٥) في المطبوع: وآنسه بالعشي.
(٦) في المطبوع: وأماثل.

أخبارَ مصرَ والقاهرة، فهو وإن وفدَ عليه، فقد شاطرهُ بما[١] في يديه، فرجع عنه[٢] ببِدَرٍ[٣]، هي لوجوهِ الأكياسِ غُرر، بعدما مضتْ عليه أيام، كأنها سناتُ[٤] منام، كائناً[٥] منه عينَ أُنْسِه، وفصلَ جنسه، مصحوباً بفضلاءِ بلده، وسراةِ نبلاءِ محتده، حالاً منهم محلَ الروحِ من الجسد، أو محلَ أحمدَ من البلد، أو محلَ الإنسانِ من مقلته، أو الركنِ من كعبته، أو المعنى من لفظته، مشهوراً بالعلم، مسروراً بالحِلْم[٦]، مضروباً ببلاغته المثل، مملوءةً بحكمته الوِهاد والقلل، محدقةً به من الإشراف المُقل.

إذا لغا في مَحْفَلٍ أو محضرِ[٧] ... أراكَ مجدَ الدين منه الجوهري(*)
وإن تبدّى ناظماً في معشرِ ... أسقطَ من فيهِ نظامَ الجوهرِ
أكْرِمْ بهِ من عالمٍ محررِ ... وناظمٍ مُفَوَّفٍ مُحَبَّرِ
ومبدعٍ يفترُ ثَغْرُ الأسطرِ ... عن حَبَبٍ من نظمه كالدُرَرِ
لولا مزاياهُ التي لم تُحْصَرِ ... لم يشتهرْ في الأرضِ فضلُ حِمْيَرِ
فكم علومٍ منه مثلِ الزُهُرِ[٨] ... في أُفْقِها أو باسماتِ الزَهرِ

---

(١) في المطبوع: لما، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع: له، وهو خطأ.

(٣) البِدَر : جمع البدرة وهو كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار (القاموس ٣٢٧).

(٤) جمع السِّنَة : شدة النوم أو أوله أو النعاس (القاموس ١١٤٠).

(٥) في المطبوع: كاننا، وهو تصحيف.

(٦) في المطبوع: بالحلم، وهو تصحيف.

(٧) في المطبوع: في محفل إن قام أو محضر.

(*) من البحر الرجز.

(٨) سقط هذا الشطر من المطبوع، وألحق به شطر البيت الذي يليه.

فَأَرَّجَتْ أذيالَ كلِ دفترِ نشرها وقبلَهُ لم تُنْشَرِ
كأنها الحورُ ولو لم تُقْصَرِ (◆) وكمْ له من مُبدعاتٍ غُررِ
وحليةٌ لصدرِ كلِ مَفْخَرِ فهوَ جمالٌ لوجوهِ الأعصرِ
في[1] كل خطبٍ مكفهرٍ منكرِ يراعهُ يفعلُ فِعْلَ الأسمرِ
سالَ على خدِ الصباحِ المسفرِ يجري دموعاً كالظلامِ المعكرِ
من زَهَرِ البيانِ غضٍ نضرِ فتضحكُ الأسطرُ عن مُنَوَّرِ
فاحمدُ ربيعُ ضاوي[2] البَشَرِ إن كانَ في النظمِ بديعَ النظرِ

وعندما تمَّ لهُ المراد، من الجوادِ المُبرِّ على الأجواد، وصفا له المشرب، وارتفعَ لهُ به المنصب وتأشب، ورُفِعَ له عمادُ ذِكْره، في أفاضلِ مِصْرِه، الذي لم يُخْلَقْ مثله، ولم يَتَّفِقْ في الآفاقِ شكله، انصرفَ بمواهبَ هي سحائب، وبمطالبَ هي مراتب، وبعقودٍ عوارف، أكُفُّهُ لها سوالف.

فَجُوزِيَ بالنضارِ وباللُّجَيْنِ(*) أتى بالشعرِ وهوَ أقلُ شيءٍ
فحلَّى بالندى منه اليدينِ وجاءَ إليهِ عاطلةً يداه
رأيناهُ ذُكاءً رأيَ عينِ وَفَضَّلَهُ على النظراءِ حتى
تُناوشها أكفُ الشِعْرَيَينِ[3] وَبَلَّغَها مراتبَ لم تُطِقْ أن

(◆) دابة ص ٣٧ في المطبوع.
(١) في المطبوع: من، وهو تحريف.
(٢) في المطوع: صاوي، وهو تصحيف.
(*) من البحر الوافر.
(٣) الشعرى: كوكب يطلع في الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر.

مقابلاً بالكرمِ عن الحِكَم، وبالإعظامِ عن النظام، مُطَوِّقَ الأجياد، بقلائدِ الإمداد، قريرَ العين، بنشرِ العين، راجعاً بالذهب، عن نظمِ الأدب، حتى آل إلى أوال[1]، فألقى عصا الارتحال، في ندوةِ ابن فارسها عليّ، المرتضى في العلمِ الحرفي، الرضي في الديوانِ الشعري، فأطلقَ فيه كلَّ روي، وقيَّدَ فيه كلَ ثناءٍ روي، ونعته بكلِ وصفٍ بديعٍ غَرِيّ، فكَحَّلَ بمراودِ كرمِهِ عيونه، وأرسلَ عليه جداولَهُ وأفاضَ عيونه، ونادمهُ منادمةَ أحدِ نَدِيْمَيْ جَذِيمة، وكان جديراً أن يكونَ الفرقدُ نديمه، وأحلَّهُ من بلاده، محلَ الزهرِ من أوراده، أو النهدِ من الصدر، أو الضوءِ من البدر، أو محلَّ عليٍّ من وجوه العصر، أو الفارسِ من الصهوة، أو السريِ من صدرِ الندوة، أو النبتِ من الربوة، أو الصفوة من الرغوة، أو المجدودِ[2] من الحُظوة، أو الصهوةِ من الفلْوة.

ثم انتقل عنه راضياً[3]، وإن كان لفراقه باكياً، ورمتْ به الأقدار، على أجنحةِ الأسفار، إلى قبةِ الإسلام، ومعطنِ سروجِ الكرام، ومعدنِ الأفاضلِ الأعلام، البصرة العُمَرِيَّة[4]، والبلدةِ البريةِ البحرية، فانضافَ إلى أحمدَ نازليها،

---

(١) في هامش المطبوع: أوال كسحاب جزيرة بالبحرين عندها مغاص اللؤلؤ (قاموس).

(٢) أي المحظوظ، مأخوذ من الجَدّ: الحظ والحُظوة (القاموس ٢٦٠).

(٣) ويتتبع صاحب تحفة المستفيد رحلة البيتوشي قائلاً:

«كان مجيئه إلى الأحساء في العقد السابع من القرن الثاني عشر وبقي فيها إلى عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، ثم رجع إلى بيتوش، ورجع إلى الأحساء عام ثمانين ومائة وألف، ورجع إلى بيتوش سنة إحدى وثمانين، وفي أواخر سنة تسعين رجع إلى الأحساء ومكث فيها إلى سنة عشر ومائتين وألف، ثم رحل إلى البصرة ونزل عند الشيخ أحمد بن درويش العباسي المعروف بالكواز. (تحفة المستفيد، الجزء الثاني، ص ٦٠٧).

(٤) نسبة إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي بنيت البصرة في أيامه سنة (١٥هـ/٦٣٦م).

وأمجدِ فاضليها، (♦)وقبلةِ عائليها، ومستلمِ سائليها، وريحانة مجالسها، وجمانةِ نفائسها، أحمدَ بنِ درويشٍ العباسي[١]، غرةِ وجوهِ المحاسنِ في الأناسي، فمنحه بالعوائد، قبل أن يرشحهُ بالقصائد، التي هي نسماتُ الأسحار، ونغماتُ الأعوادِ والأوتار، ونظراتُ الأزهار، وأجازهُ بإجازات، هي لحاتمٍ إلى الكرمِ مجازات، وأفادهُ بفوائد، هي لِبَّات[٢] المحاسنِ قلائد، ونثرَ عليه الفواضل، قبلَ نثرهِ الفواصل، ونظمَ له الصُفْرَ والبِيض، قبل نظمهِ الضروبَ والأعاريض، وشادَ له بعد ورودهِ بأيام، مدرسةً في البصرةِ[٣] كالنظاميةِ في دارِ السلام[٤]، لكنَّ أياديَ[٥] الأقدار، منعتهما عن بلوغِ الأوطار، فاخترمتْ المنيةُ المُدرِّس، قبلَ أن يُقَرِّرَ ويُدَرِّس، والواقفَ قبل إتمامِ الوظائف، فرحمهما اللهُ رحمةَ الأبرار، وأدرَّ عليهما شآبيبَ العفوِ المدرار، فبكى عليهما كل يَفاع[٦]، وأُعْمِلَ في مراثيهما كلُّ يراع، فمن بعضِ ما رثي به عالمها، ما وشَّاه فيه حالَ النظمِ[٧] راقمُها.

(♦) بداية ص ٣٨ في المطبوع .

(١) هو أحمد بن درويش العباسي المعروف بالكواز، والكواز أسرة غلب عليها لقب باش أعيان. انظر: (تحفة المستفيد ٦٠٧ وما بعدها)، (النصرة في أخبار البصرة ٤٦)، وسوف تأتي ترجمته لاحقاً.

(٢) اللبّة من الصدر : موضع القلادة (العين ١٦١٦). في المطبوع: هي للبّات.

(٣) في التحفة النبهانية ذكرها باسم مدرسة الشيخ أحمد بن الشيخ درويش، ص ٩٨.

(٤) المقصود بغداد.

(٥) في المطبوع: أيدي.

(٦) في المطبوع: يقاع، وهو تصحيف.

(٧) في المطبوع: ما وشى به حال النظم.

عـلـى مثلـه يبكـي يـراعٌ ودفـتـرُ وتبكي أعاريضٌ عليه وأشْطُرُ[1](*)
وتبكيـه أجفـانُ القضايا بأسرها إذا نزلـتْ يومـاً ولا ثَـمَّ حـيـدرُ
وتبكيـه أبحـاثُ الأعـاريـبِ إنـه أبو بشرها[2] إن عاصَ منهن مُضمرُ
ويبكي عليه النثرُ إن قيل هلْ فتى أبـرُّ على سحبانَ[3] إن قامَ ينثرُ
ويبكي عليه النظمُ إن قيل هل فتى لغـرِ القوافي المَرْقَسيِّاتِ يَحْضُرُ[4]
وتبكـي عليه للمـدارسِ أعْـيُنٌ جريَـن على خدِ الهدى وهـي أبحرُ
ويبكي عليـه العِلْمُ عُطِّلَ نَحْـرُهُ ويـا طالما منـه بـدا فيـه جوهـرُ
وتبكيـه أبحـاثٌ لـه ودقـائـقٌ تبـرقـعُ إلاّ عـن ذكـاهُ وتَعْـسُـرُ
ويبكـي عليـه حلْمُـهُ ووقـارُهُ إذا جال في بـردِ السَّفاه[5] الموقرُ
ويبكيـه مـحـرابٌ لـهُ ومنابـرٌ أحـالَ عليـهـا بالمآثـرِ يأمـرُ
ويندبـهُ الطلابُ إن عـاصَ معضـلٌ وأشكـلَ إشكالٌ وأعـوزَ مظهـرُ
كـفـى حَـزَنـاً أنـي أمـرُ بقـبـرهِ فـأمضي وقلبي بالأسى متكسـرُ
فلا دمعتـي ترقـا ولا سلوتـي ترى ولا تَرحَـي يفنـى ولا الصبرُ أقدرُ
(◆)وحـقِ عـلـومٍ زاخـراتٍ بقلبـه ومُـنْـعَنْجراتٍ من ذكـاهُ تَفَجّـرُ
وعـهـدٍ لهُ عنـدي بقلبـي طويتُـهُ ولـو أنـهُ بالقـولِ منـيَ يُنْشَـرُ

(1) في المطبوع: وأسطر، وهو تصحيف.

(*) من البحر الطويل.

(2) أبو بشر هو سيبويه: عمرو بن عثمان (ت ٧٩٦م)، إمام نحاة البصرة.

(3) هو سحبان وائل (ت ٦٧٤)، خطيب مخضرم من وائل باهلة، ضرب به المثل في الخطابة، فقيل (أبلغ من سحبان وائل).

(4) في المطبوع: المرضيات بمحضر، وهو تحريف.

(5) في المطبوع: الشقاق.

(◆) بداية ص ٣٩ في المطبوع.

لقد هاجني وجدُ عليه ولوعةٌ لها بين طيّاتِ الضلوع تَسَعُّرُ

وعَزَّ عزائي واستحال تجلُّدي وأعوزني مما أبثُّ التصبرُ

فها أنا ذا بالي الشوى متغيرٌ[1] وها أنا ذا واهي القوى مُتَحَسِّرُ

وكيف اصطباري أو سُلُوِّيَ عن فتىً بذكراهُ أذيالُ الهدى تتعطرُ

مُشار إليهِ بالأصابعِ مُبْتَداً[2] متى قامَ في نادي البلاغةِ يجهرُ

ولكنهُ للخيرِ والبرِ فاعلٌ ولو أنه للعِلْمِ والحلمِ مصدرُ

ومشتغلٌ عما نهى اللّه بالذي به اللّهُ من أسنى المقاصدِ يأمرُ

وتمييزُ أربابِ الضلالةِ والهدى فها حُبهُ تقوى وبغضاهُ منكرُ

هُمامٌ يُنادي بالجميلِ[3] وفعلُهُ ولو أنهُ عما يضيرُ محذّرُ

وما زال مغرىً بالمكارمِ مولعاً لَدُنْ شبَّ حتى شابَ منه المُعَذَّرُ

مضافٌ إليه كلُ فضلٍ وسؤددٍ ولو أنهُ بين الورى مُتَصَدِّرُ

تحنُ المعالي نحوهُ وهو في الثرى فبطنُ الثرى مذ ضمه الدهرُ يفخرُ

سقى قَبْرَهُ مزنُ الرضا وتَبَجَّسَتْ[4] على تربةٍ وارتهُ للعفو أبحرُ

وإني لأبكيهِ وإن لام لائمٌ وأشمتَ عُدوانٌ[5] ولجَ مُعَيِّرُ

وأبكي له بيضَ الصفاتِ وغُرَّها[6] ولو أن دمعي ما أبكّيهِ أحْمَرُ

وأندبهُ في بكرةٍ وعشيةٍ وإني عليه بالبكاء مقصرُ

---

(١) في المطبوع: متغيراً.

(٢) في المطبوع: مذ بدا.

(٣) في المطبوع: للجميل.

(٤) في المطبوع: وتسحبت، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: أعداء.

(٦) في المطبوع: وغيرها، وهو تصحيف.

فلو قمتُ أبكيه الليالي إنه | لأحقرُ شيء في علاهُ وأيسرُ
وكيف رقادي وهو في اللحدِ راقدٌ | وكيف بروزي وهو في القبرِ مضمرُ
فيا قبرُ إن أضمرتَ طاهرَ[1] ذاته | فأوصافهُ فينا تُذاعُ وتظهرُ
[♦]ويا جنةَ الفردوسِ بشراكِ بامرئٍ | إذا حضرَ الأخيارُ فهو المصدّرُ
أغرُ من الفتيانِ لم يألفِ الخَنَا | عفافاً ولم يَلْمُمْ بناديهِ منكرُ
أُبَكِّيهِ ما دامت شموسُ علومهِ | على صفحاتِ الكتبِ بالطرفِ تُنْظرُ
وما هتفتْ وُرْقٌ فهجنَ صبابتي | إليهِ ومن شأنِ العميدِ التذكرُ

قضى شيخنا ذو الأدب[2]، في عام أُرَّخَهُ[3] جاه غرب، سنة ١٢١١ [١٧٩٦م] ولما بلغ أحمدنا[4] نعيُّه، قال أنا[5] على ذريته وصيه، وأمدهم من بعده [بأغزر عطية][6]، وبلغهم من كرمه أسنى أُمْنِيَّة[7]، حتى اقتفاه[8] ابن درويش[9]، فما زال لهم بالهبات يريش، اقتداءً بأحمدنا[10] المقدم، فيما أفاضه[11] عليهم وأسجم، فهم في ظلالِ نعمه، ملحوظونَ بلواحظِ كرمه،

---

(١) في المطبوع: ظاهر.
(♦) بداية ص٤٠ في المطبوع .
(٢) في المطبوع: الأرب، وهو تحريف.
(٣) في المطبوع: أرخته.
(٤) المقصود أحمد بن رزق.
(٥) في المطبوع: إني.
(٦) سقطت من المطبوع.
(٧) في المطبوع: أمينه، وهو تصحيف.
(٨) في المطبوع: اقتفا، وهو تحريف.
(٩) المقصود: أحمد بن درويش العباسي، وقد سبقت الإشارة إليه.
(١٠) في المطبوع: بأحمده.
(١١) في المطبوع: أفاض.

ممطورونَ بِدِيَمِهْ، راتعونَ في رياضه، كارعونَ في حِياضه، على أنه وإن أجرى عليهم كل جاري، وقلدهم باللآلئِ والدراري، فشأى[1] بالفضلِ ابنَ مامة، وأخجلَ بالسَّبَلِ[2] الغمامة، لا أرى كرمه، إلا نتيجة تلكَ المقدمة، ولازمَ هاتيكَ الكلمة، وجذوةً من ذلكَ الزناد، وزهوةً[3] من أزهارِ ذلكَ الواد، وقطرةً من ذلكَ الغادق[4]، ولمحةً من ذلك البارق.

عمَّ ابنُ درويشٍ أباهمْ بالندى … وحنا عليهم بالسماحِ الدافقِ[*]

لكنَّ ذاك البذلَ منه نتيجةٌ … لندى ابنِ رزقٍ في الزمانِ السابقِ

كُلٌّ لهُ كرمٌ ولكنْ جودُ من … يُدعى ابنَ رزقٍ من قبيلِ الخارقِ

والحقُ كلُّ الحقِ أنهما لنا … فَرَسا رِهانٍ في الندى المتسابقِ

لكنَّ ذاك هو المصلّى إن جرى … معه وذا يجري أمامَ السابقِ

فخراً بني هذا المعظمِ بامرئٍ … فَخْرَ الورى بالمشرفيِّ البارقِ

ومكارمٍ غُرِّ الغمائمِ لم تزلْ … تهمي وإن أصبحنَ غيرَ بوارقِ

ومحامدٍ تحكي الرياضَ نضارةً … لو كُنَّ في الأيامِ ذاتَ شقائقِ

ومقاعدٍ هي للبدورِ مطالعٌ … مع أنها للفضلِ خيرُ مشارقِ

شِيدَتْ[5] بأطراف الأسنة والظُّبا … وتَأطَّدَتْ بفواضلٍ وسوابقِ

(١) في المطبوع: فشأ، وهو تحري.

(٢) في المطبوع : بالطل.

(٣) في المطبوع: وزهرة.

(٤) في المطبوع: الفاوق، وهو تحريف.

(*) من البحر الكامل.

(٥) أي بنيت، مأخوذ من شاد الحائط بشيده: طلاه بالشِيد وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه (القاموس ٢٧٨).

كمْ من مكارمَ[1] قد سَفَرْنَ بأفقها ... يُبْدِينَ بِيضَ مباسمٍ ومفارقِ
[◆]إن تفخروا فبكلِ فخرٍ باذخٍ ... أو تمجدوا فبكلِ مجدٍ شاهقِ
أو تشمخوا فبكلِ جدٍّ شامخٍ ... وبكلِ أنفٍ للسيادةِ ناشقِ
أو تكرموا فبكلِ بحرٍ زاخرٍ ... أو تسبقوا فبكلِ جدٍ سابقِ
لا غروَ أن نَشبَ الثنا يغشاكمُ ... ويَحِنُّ نحوكمُ حنينَ الوامقِ[2]
إن تَشْغلوا الأيدي بسيبِكُمُ[3] فكم ... أشغلتمُ بالمدحِ مِفْصَلَ ناطقِ
زينتمُ بالبيضِ جيدَ معاندٍ ... تزيينكمْ بالصُّفرِ كفَ مُصادقِ
وسَمَقْتُمُ[4] بالمجدِ حتى طُلْتُمُ ... هامَ السِّماكِ بكلِ مجدٍ سامقِ[5]
وجعلتمُ غرَّ الوجوهِ مصابحاً[6] ... تهديكمُ للسؤددِ المتناسقِ
ولكم فلقتمْ للعدوِ فيالقاً ... والأرضُ واجفةٌ بقلبٍ خافقِ
وشققتمُ فَلَقَ السيوفِ بمازقِ[7] ... حَرِجٍ بِكَرٍّ مقانبٍ[8] وفيالقِ
وجنيتمُ النصرَ العزيزَ من القَنا ... يهتزُ بين خواصرٍ وعواتقِ[9]
ومددتمُ غصنَ المروةِ فاغتدى ... فينانَ[10] يرفُلُ في غلائلِ وارقِ

---

(١) في المطبوع: مكان، وهو تحريف.

(◆) بداية ص٤١ في المطبوع .

(٢) أي المحب، مأخوذ من : ومقَه : أحبه فهو وامق (القاموس ٨٥٦).

(٣) في الهامش المطبوع: السيب : العطاء.

(٤) في المطبوع: وسبقتم، وهو تحريف. وسمق سُموقاً: علا وطال. (القاموس ٨٢٥).

(٥) في المطبوع: سابق، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: مسابحاً، وهو تحريف.

(٧) في الهامش المطبوع: المازق : كمجلس مكان الحرب.

(٨) جمع مقْنَب : وهو زهاء ثلاثمائة من الخيل (العين ١٥٢٧).

(٩) جمع العاتق وهو موضع الرداء من المنكب أو ما بين المنكب والعنق (القاموس ٨٣٥).

(١٠) الفينان : كثير الشَعر (القاموس ١١٢٧). ويقصد به كثير الأغصان.

ورَفَوْتُمُ[1] خرقَ العُلا بمخاذمٍ ... للمعضلاتِ المشكلاتِ خوارقِ
وفتقتم بُرْدَ الغبارِ بأوجهٍ ... بيضِ الصفاحِ وكلِ عضبٍ فاتقِ
وأظلكمْ سُمْرُ القنا عن حَرٍّ[2] ما ... وَقَدَتْهُ من شررٍ حدودُ عقائقِ
وجزمتمُ غُلْبَ الطُلا وكسرتمُ ... بعواملِ[3] الأرماحِ كُلَّ مُشاقِقِ
وحميتمُ طرقَ العُلا بصيالمٍ[4] ... ما زلنَ في الأعناقِ ذاتَ طرائقِ
وفَتَحْتُمُا[5] انسد من طُرُقِ الندى ... بمكارمٍ كالساريات[6] دوافقِ
أُمَلاذَ[7] مطرودٍ ومأمنَ خائفٍ ... وغناءَ محتاجٍ ومنيةَ طارقِ
ورياضَ مرتادٍ وموردَ حائمٍ ... وظلالَ محرورٍ وعنبرَ ناشقِ
دوموا كما أنتم خواطبَ للعلا ... بذوابلٍ تزهو بغُرٍّ خوازِقِ[8]
(♦)وذروا التكاسلَ عن مآثرَ سادها[9] ... ذاك الهمامُ بكلِ فضلٍ رائقِ

هكذا ومازال أحمدُ في بلاده، رافلاً في غلائلِ إسعاده، مائلاً في صفوِ الكرم، جائلاً في أوديةِ النِعَم[10]، باسقَ الدوحة، باسمَ الغُدْوةِ والروحة، مرابعهُ

---

(١) في المطبوع: ورقوتم، وهو تصحيف.
(٢) في المطبوع: جر، وهو تصحيف.
(٣) في المطبوع: بعواسل. وعامل الرمح: صدره (القاموس ٩٥٤)، أما العاسل فهو الرمح المهتز (القاموس ٩٥٠).
(٤) في المطبوع: بصوارم. والصيالم: جمع الصيلم وهو السيف. (القاموس ١٠٤١).
(٥) في المطبوع : ووضحتم.
(٦) في المطبوع: كالساكبات.
(٧) في المطبوع: وملاذ.
(٨) في المطبوع: خوارق، وهو تصحيف.
(♦) داية ص ٤٢ في المطبوع .
(٩) في المطبوع: شاوها، وهو تحريف.
(١٠) في المطبوع: جائلاً في أودية النعم، مائلاً في صفو الكرم.

باسمةُ الأزهار، ومجامعهُ طالعةُ الأقمار، ومغانيهِ معمورةٌ بمثانيه، وزواياهُ سافرةٌ بمزاياه، ومعاليهِ زاهرةٌ بأياديه، وأيادي سُؤّالِه محلاةٌ بأفاضله، وفرائدُ هباته، قلائدُ في لَبَّاتِ أوقاته، وصلاتُ عاداته، لا تنفكُ عن موصلاته، وكواكبُ اشتهاره، شاعَةٌ[1] في سماءِ افتخاره، وثوابتُ مقداره، في مراكزِ اعتباره، ومآثرُ إنصافه، على صفحاتِ أوصافه، وشموسُ سعده، في مطالعِ مجده، تتباهى به الأوقات، وتتفاخرُ بمحاضرتهِ السادات، وتزهو به مجالس، هي لأرَجِ المكارمِ معاطس، وتسمو به مرابع، هي للروادِ مراتع، وتروقُ به محافل، بالأدباءِ حوافل.

محافلُ فيها للكمالِ مغارسُ ... وفيهن للآداب والعلم غارسُ[*]

يُعَطِّرُها منهُ نفائسُ سؤددٍ ... وناهيكَ من مغنىً شذاهُ النفائسُ

محافلُ شادَتْها يداهُ أرائكاً ... نوادرهُ من فوقهنَّ عرائسُ

سفرنَ وجوهاً عن وجوهِ لطائفٍ ... يُنافسُ[2] في إدراكهنِ المُجالسُ

شَمَخْنَ فلم يلمسنَ راحةَ لامسٍ[3] ... ولو أنهُ للشمسِ باليدِ لامسُ

وأصبحنَ للآمالِ ركنَ مكارمٍ ... يُفاخَرُ في تقبيلهِ ويُنافسُ

وما خَضَعَتْ يوماً لأخمصِ دائسٍ ... ولو أنه فوقَ السِّماكَيْنِ دائسُ

مساكنُ إلا أنهنَّ مطالعُ ... لأقمارِ تَمٍّ ما لهنَّ مُجانسُ

حماها بأطرافِ القنا وبواترٍ ... لأعدائهِ منه الكَمِيُّ الحُمارِسُ[4]

(١) في المطبوع: ساعية، وهو تحريف.

(*) من البحر الطويل.

(٢) في المطبوع: تنافس.

(٣) في المطبوع: شامخ.

(٤) في المطبوع: الممارس. والحمارس: الشديد والأسد والجريء المقدام. (القاموس ٤٩٩).

وأطَّدَها حتى تسامتْ مراتباً ... فلا بَدْرَ إلا دونها متقاعسُ
فيا لمغانٍ دونَها البدرُ نازلُ ... ويا لمبانٍ دونَها النجمُ خانسُ
بَنَتْها أيادٍ منه شاهقةٌ ذُرى[1] ... لها استصغر الإيوانَ كسرى وفارسُ
يُباكرها الوُفَّادُ تأملُ رفدها ... وتستوهبُ الإمدادَ منها القلامسُ[2]
وتصبو لها من كلِ أُفْقِ شُمُوسُهُ ... كما قَدْ صَبَتْ للوِرْدِ هِيمٌ خوامسُ[3]
(◆)منازلُ فضلٍ للفواضلِ أَعْيُنٌ ... كما أنها للنشرِ منهُ معاطسُ
زَهَتْ بمزايا أحمدٍ مثلما زَهَتْ ... بزَهْرِ رياضٌ أو بزُهْرٍ حنادسُ[4]
فلا عجبٌ أن يتركَ البدرُ دارَهُ ... فينزلُ منها حيثُ أحمدُ جالسُ
فإني إخال البدرَ يكملُ قدرُهُ ... إذا جمعتهُ وابنَ رزقٍ مجالسُ
فتىً لَفَّهُ والجودَ بُردٌ ومَطْرِفٌ ... وأرضعَهُ والمجدَ بِيضٌ كوانسُ[5]
فلا بذلَ إلا وهو بالكفِ ناسجٌ ... ولا فضلَ إلا وهوَ بالكتفِ لابسُ
ولا شرفٌ إلا لهُ فيه صهوةٌ ... ولا صهوةٌ إلا لها منهُ فارسُ
ولا طرفٌ إلا لهُ فيه رائسٌ ... ولا رائسٌ إلا له منهُ حارسُ
إذا ناظرَتْهُ السحبُ فضلاً ونائلاً ... رجعنَ وكُلٌّ منه خزيانَ ناكسُ
وإن بارزتْه في الوطيسِ بياهِسٌ[6] ... تقاعَسْنَ للأعقابِ وهي هجارسُ[7]

(١) في المطبوع: الذري.
(٢) في المطبوع: القلانس.
(٣) الهِيم : الإبل العطاش (القاموس ١٠٨٠)، والخوامس جمع الخِمس : من أظماء الإبل، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع (القاموس ٥٠١).
(◆) داية ص ٤٣ في المطبوع .
(٤) الحنادس جمع الحندس وهو الليل المُظلم والظلمة. وثلاث ليال بعد الظُّلَم (القاموس ٥٠٠).
(٥) جمع كنيسة وهي المرأة الحسناء (القاموس ٥٢٨).
(٦) في المطبوع: مياهس، وهو تحريف. والبياهس جمع البيهس: الأسد والشجاع. (القاموس ٤٩٤)
(٧) في المطبوع: تقاعس، وهو تحريف، والهجارس جمع الهجرس وهو الثعلب (القاموس ٥٣٧).

فتخشاه في أغمادها البيضُ في الوغى وتشفقُ منه للرؤوسِ القوانسُ
وترهبهُ الأدراعُ وهي جداولُ[1] وتحذره الأسيافُ وهي مقابسُ
وتفرقُ منه السمرُ وهي أساودُ[2] ويهربُ منه في التعادي الهُرامسُ[3]
إذا ما اصطهى سرجَ الجواد فإنما هو المرءُ قيسٌ تحته كرٌّ داحسُ[4]
ولو جالَ والمدعاس[5] جاء بأقرعٍ أسيراً ولم يُنْقذْهُ بالسيفِ حابسُ
متى ذُكرَ الأخيارُ في ندوةِ الندى فنافسْ به من كان فيها يُنافسُ
فمن قال إن العصرَ يأتي بمثلهِ فذلك للحقِ الصُراحِ معاكسُ
كفاني عُلاً أني أفاخرُ باسمه وأسمو بجدواه الذينَ أنافسُ
فكيفَ بقومٍ قد نماهمْ فخاره إلى شرفٍ يسمو به المتنافسُ
بنوهُ الألى[6] طالت بهم كأبيهم محافلُ تزهو بالندى ومجالسُ
قلامسُ في الجدوى هَرامسُ في الوغى إذا اشتجرت بين الكُماة[7] المداعسُ
(◆)غطارفُ[8] زانتهم عناصرُ مَحْتدٍ لغرسِ الندى والمكرماتِ مغارسُ
بِمِثْلِهِم يحلو القريضُ وتُجْتلى خرائدُ مدحٍ فيهمُ وعرائسُ

---

(١) في المطبوع: جدارك، وهو تحريف.
(٢) في المطبوع: أساور، وهو تحريف.
(٣) الهُرامس : الأسد الشديد العادي على الناس، وولد النمر (القاموس ٥٣٧).
(٤) في هامش المطبوع: قيس هو ابن زهير وداحس فرسه .المدعاس فرس الأقرع ابن حابس.
(٥) في المطبوع: جالد المدعاس.
(٦) في المطبوع: العلا، وهو تحريف.
(٧) في المطبوع: الصفرف.
(◆) بداية ص ٤٤ في المطبوع .
(٨) جمع الغِطريف وهو السيد الشريف والسخي السري والشاب (القاموس ٧٧٧).

[ترجمة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي]

هذا وممن حظي بصحبته، وحُلّي عاطلُ يده بهبته، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبداللطيف[١]، مدَّ اللّه عليه ظلَّ عفوه الوريف، فإنه ممن أجادَ حمده، فأجادَ له مدَّه ورفده، إذ قَرَّضَهُ بقصائد، هي لسوالفِ الأدبِ قلائد، ونظَم له من صدفِ الأشعار، فرائدَ أذكار، تأنفُ عن لَبَّات[٢] الولائد، وأرسلَ في محاسنه أمثال، هي في أعناقِ الأعصارِ كالمرسال، ونشرَ لهُ مثاني، تُبَلِّغ ناشقَها[٣] الأماني، قد قرأ العلومَ اللغوية، حتى صارَ فيها القاموس، والحكمية حتى أذعنَ له جالينوس، والنحويةَ حتى لحقَ ابنَ مالك، والحديثيةَ حتى كأنه مالك، والفقهيةَ حتى انفردَ عن المشارك، والبيانَ والمعاني، حتى برَّزَ على الجرجاني، وعُنِي بعلوِّ الإسناد، حتى ألحقَ الأحفادَ بالأجداد، وبعلمِ الأعداد، حتى أقرتْ له لو وُجِدُوا[٤] الأنداد، فهو العمدةُ في عصره، والوردةُ في رياضِ مصره، والشهدةُ لمشتارِ الحكم، والعهدةُ الهاطلةُ الدِّيَم، والعدةُ في الخطبِ إذا دهم، على أنه منهاجُ الطلابِ إلى الإرشاد، ومصباح [الأصحاب][٥] إلى إيضاحِ الإمداد.

---

(١) هو من علماء الشافعية المشهورين من سكنة الكوت من بلد الهفوف. انظر ترجمته في (تحفة المستفيد ٥٨٨-٥٩٦).

(٢) اللَّبَة من الصدر : موضع القلادة. وهي واسطة حواليها اللؤلؤ وخرز قلبل وسائرها خبط (العين ١٦١٦).

(٣) في المطبوع: ناشقيها.

(٤) في المطبوع: أوجدوا.

(٥) ساقطة في المطبوع.

كم أرانا الإيضاحَ في[1] منهجِ البحثِ منيرَ المصباحِ بالإمدادِ[2](*)

ومتى ما جرى يُقَرِّرُ درساً خِلْتَهُ جارياً بفتحِ الجوادِ

ولئن سابقَ الأفاضلَ في العلمِ لقد كان فيهمُ كالجوادِ

تخرجَ في بلدهِ ومصره، على أبيه ريحانة نظرائه في عصره، وغيرهِ من الأجلاء العظام، والنبلاء الأفاضلِ الأعلام، وتأدبَ بهم، فألحقَ بنسبهم، وطلع بدراً في سماء رتبهم، وبلغ من فنِ الأدب الذِّروة، واعتلى من مُهْره أعلى الصهوة، وتقدم حتى دُعِيَ فيه القدوة[3]، ولئن كانَ فيه الغاية، لهو أجلُ من حملَ له [بها][4] راية، وتلا له آية، وسلسلَ منه رواية، وأعملَ في دقائقه رَوِيَّه، وأرسل من بدائعه الخفية والجلية، وأورى بذكائه زنده، واعرورى[5] منه التلعة والوهدة[6]، والتقطَ منه الدرةَ والوردة، واشتارَ منه ببنانِ ذوقه الشهدة، وحَبَّرَ على نَوْلِ[7] نطقه المطرفَ والبردة، وحل ببيانه منه العجرةَ والعُقْدة، وأضحكَ من رياضه أزهارها، وأطلع في سمائه أقمارها، وأجرى مهارَ ابتكاره، في ميدانِ ومضماره، حتى دُعِيَ سرابَ أنْقُعِه[8]، ومصْقَعَ جمعه، ومطمحَ نظره، وملمحَ

---

(١) في المطبوع: من.

(٢) في المطبوع: بالأعداد.

(*) من البحر الخفيف.

(٣) في المطبوع: حتى من الدعى فيه القدرة، وهو تحريف.

(٤) سقطت من المخطوط، وأثبتناها من المطبوع.

(٥) في المطبوع: واعرور، وهو تحريف، واعرورى: سار في الأرض وحده. (القاموس ١٢٠٤).

(٦) الوَهْدة: الأرض المنخفضة (القاموس ٣٠٩).

(٧) في المطبوع: وجر على منوال، وهو تحريف.

(٨) رعى شراب نفعه، وهو تحريف.

غرره، ومَرْبَعَ[1] زهره، ومنبعَ زلاله، [ومَطْلَعَ هلاله][2]، ومنجعَ سُؤاله، ومَفْرَعَ[3] أفنانه، ومسمعَ آذانه، ومرتعَ (◆) غزلانه، ومغرسَ نخلاته، ومقبسَ شُعَلاته، وفُوقَ نَبلاته، مذ خاضَ فيه فُوقُه، نفقَ في أوقاته سوقه، وبرقتْ بالأمطارِ سحائبه، وشَرَقَتْ في الأفكارِ[4] كواكبه، وأورقتْ بصوبِ الابتكارِ قضبانه، وماسَ بنسيمِ الأشعارِ بانهُ، وتسلسلتْ جداوله، وبرزتْ من الخدورِ عقائله، وكادت تسيلُ من الأغماد مناصله، وتروقُ نثرَ المجرة فواصله[5]، وتفاخرُ نظمَ الثريا، فتجعلُ حَمْلها جدياً، وتقابلُ النَيِّرين، فتفضحهما رأيَ العين، كيف لا وهو الحائكُ برودَها، والناظمُ في سوالف الطروسِ عقودَها، والمطلعُ في صدورِ الأسجاعِ نهودَها، والهاصرُ بنسائمِ الذكاء عودَها، والمظهرُ من أخبيتها سعودَها، والمُطرِّزُ أذيالها، والمُبْرِزُ من آفاقها هلالها، والحامي حقائبها، والسامي مناصبهَا، والمُجَهِّزُ بالأفكارِ مقانبهَا، والمجلي بالأنوارِ غياهبَها، والمُصَفِّي من قذى العَوَر مشاربَها، والموفي لها حقَّها، والرافي لها خرقَها، والمُرْخي أزِمَّتَها، والمُسرِّحُ لها لمَّتَها[6]، والواشمُ معصمَها، والشائمُ من دون برقع مبسمَها، والعائم دَأْماءَها[7]، والناعتُ عزَّتَها[8] وأسماءَها، والراشفُ رُضابَ طلِّها، من

(١) في المطبوع: ومزهى.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: ومضرع، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ٤٥ في المطبوع .

(٤) في المطبوع: وأشرقت بالأفكار.

(٥) في المطبوع: نواصله، وهو تحريف.

(٦) اللِّمَّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن (القاموس ١٠٦٨).

(٧) في المطبوع: ماءها، وهو تحريف.

(٨) في المطبوع: غرفها، وهو تحريف.

كضام جُلّها[1]، والناشقُ عبهرَها[2] وجاديها[3]، والنجمُ الشارقُ في أفقها[4]، والحاملُ أوقَها، واللابسُ طوقَها، والسالك شِعابَها، والطالعُ هضابَها، والرافعُ قبابَها، والعامرُ أطلالَها، والخائضُ عبابَها[5]، إن وَشْيُ بُرْدَ[6] غزل، أراك غنجَ المقل، ورقّةَ النسيم، وعُذوبة تسنيم.

بلفظٍ كقاماتِ العذارى رشاقةً ... ولكنهُ في الذوقِ أحلى من الشهدِ[*]

ونظمٍ كنظمِ الدرّ في عقدِ غادةٍ ... ونثرٍ كلألاءِ السقيطِ على الزندِ

وكم من دِلاصٍ أُحْكِمَتْ بِذكائهِ ... حكتْ زَرَداً من نسجِ داودَ والسُغْدِ[7]

إذا ما جرى دمعُ اليراعِ بطِرْسهِ ... أسالَ مُذابَ الكحلِ في وجنةِ الخدِ

يكادُ إذا ما فاه[8] سِحْرُ بيانهِ ... يُؤلِّفُ بين الأبرقِ[9] الفردِ والهندي

رسائلهُ هنَّ الرياضُ وما لَها ... شقائقُ تحكيها بزهرٍ ولا وردِ

يُحَبِّرُها منه بنانُ رويَّةٍ ... إذا ارتجلتْ شعراً ذكَرْتَ به الكندي

فلا عجبٌ أن يطمحَ الطَّرفُ للحمى ... ويصبوَ قلبُ الصبِّ منّا إلى نجدِ

---

(١) الكظامة : فم الوادي، والكَظَم : الحلق أو الفم أومخرج النفس (القاموس ١٠٦٤ - ١٠٦٥)؛ والجُلّة: قُفّة كبيرة للتمر، ووعاء من خوص (القاموس ٩٠٠).

(٢) العبهر : النرجس والياسمين (القاموس ٤٠٦)، والجادي: الزعفران. (القاموس ١١٦٧).

(٣) في المطبوع: وجاريها، وهو تحريف.

(٤) في المخطوط دآديها، وأثبتنا ما في المطبوع.

(٥) في المخطوط: آلها، وأثبتنا ما في المطبوع.

(٦) في المطبوع: بردة.

(*) من البحر الطويل.

(٧) درع دلاص : ملساء لينة (القاموس ٥٧٢)؛ والزَرَد : الدرع المزرودة (القاموس ٢٧٢)؛ والسُغد : بساتينَ نَزِهة وأماكن مثمرة بسمرقند (القاموس ٢٧٦)؛ ولعلها كانت مشهورة بالدروع.

(٨) في المطبوع: إذا تاه، وهو تحريف.

(٩) أي اللامع، وهي صفة للسيف.

فكم لَهـا نجـدٍ بطـيٍّ قـريضـه[١] شجونُ هوىً تدعو القلوبَ إلى الوجدِ
فيـا[٢] لبرودٍ مـن قـوافيـه طُرِّزَتْ بذكرِ غوانٍ من هذيمٍ ومن سعدِ[٣]
[♦]إذا ما حدى الحادي بِهِن أيانقاً سبقنَ وميضَ البرقِ في خللِ الرعدِ
إذا غـرّد الحادي وسـالـت رقـابـهـا حكَيْنَ[٤] انصلاتَ العضبِ من مغمدِ الغمدِ

وإنْ وصفَ الأيانق، أتى بكلِ معنى فائق، أو السلافَ، قمرَ أبانواس بحسنِ الائتلاف، أو محاسنَ الخيل، أحجمَ عنه الطفيل، أو امتدادَ[٥] الليل، أخَّرَ الكندي إلى الذيل، فكم[٦] لهُ من نظم، كالقندِ[٧] في الفم، لا بل اللآلي، أو بدورِ الليالي، ونثرٍ ذي فقر، كسقيطِ الزهر، وتقاريرَ علمية، وتحاريرَ شافعية وفتاوى فقهية، كالفتاوي النووية، وتأويلٍ هي أسرارُ التنزيل، وكم بحث معضل، فتحَ منه المقفل، ونوادرَ غير نوافر، وبدائع، هي جوامع، ومدارس، معمورةٍ بالدارسِ، ودُروس[٨]، أحْيَتْ من العلْمِ الدُروس[٩]، مُرَصَّعَةٍ عقود[١٠] تقريرها بفرائدِ الفوائد، مطرزةً بُرودُ[١١] تحريرها بأعلامِ الشواهد، ومجالسَ مُعَطَّرةٍ

(١) في المطبوع: فريضة، وهو تحريف.
(٢) في المخطوط: ويا، وأثبتنا ما في المطبوع لاتساقه مع المعنى.
(٣) هذيم وسعد من قبائل العرب.
(♦) داية ص ٤٦ في المطبوع .
(٤) في المطبوع: حكيت، وهو تصحيف.
(٥) في المطبوع: وامتداد، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع: فلكم.
(٧) القند : عسل قصب السكر إذا جُمِّدَ . معرب (القاموس ٢٩٦).
(٨) في المطبوع: والدروس، وهو تحريف.
(٩) جمع الدرس : بقية أثر الشيء الدارس (العين ٥٦٥).
(١٠) في المطبوع: موضعة عقد، وهو تحريف.
(١١) في المطبوع: ببرود، وهو تحريف.

بمآثرِ آبائه، منورةٍ بأزاهرِ[1] أنبائه، مشرقةِ الأرجاءِ ببدورٍ[2] لا يعتريها النقص، مشرقةُ الصدورِ بصدور[3]، هي لخاتمِ المجدِ الفص، ولحكمِ المعالي كالنص، ومعاهدَ يبلغ المُنى فيها، غيرُ منافيها،

معاهدُ لم تعهدْ سوى العلمِ والتقى	وتقريرِ أبحاثٍ وتحريرِ مشكلِ[*]
وتبليغِ آمالٍ وإكرامِ عالمٍ	وتنميقِ إجلالٍ ورفعِ مُفَضَّلِ
وتبريرِ[4] أعمالٍ وتنويرِ حالكٍ	ووصلِ أخي تقوى وقطعِ مضللِ

معاهدُ هي للآمالِ كعبة، وللسؤال روضةٌ رحبة، ولأناسيِّ الفضلِ مُقَل، ولأوانسِ العِلْمِ كِلَل[5].

سقاهُنَّ من أفكاره بغمائمٍ	ففتَّحَ منها مُذْ سقاها الكمائمُ[**]
فللّه ما تُطوى عليه برُودها	ولله ما تفترُ عنه المباسمُ
ولله منها مربعٌ كم تنفستْ	عليه رياحُ للهدى ونسائمُ
كأن علاهُ في سوالفِ نحره	قلائدُ فضلٍ عُلِّقَتْ وتمائمُ

إن كُنَّ[6] لمرتادِ العلومِ مرابع، ولأذوادِ الفهومِ مراتع، فهنَّ للمعارفِ مطالع، وللعوارفِ منابع، راحاتُ العفاةِ مجاريها، وإن فُقِدَ في مِصْرِها مُجاريها، فلا

---

(١) في المطبوع: بأزهار.

(٢) في المطبوع: بقدور، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: بالصدور، وهو تحريف.

(*) من البحر الطويل.

(٤) في المطبوع: وتبريز، وهو تصحيف.

(٥) الكلل : جمع الكلّة: الستر الرقيق، وغشاء يتوقى به من البعوض (القاموس ٩٧٢).

(**) من البحر الطويل.

(٦) في المطبوع : كان، وهو تحريف.

جرمَ أن أمست لمخدرات البراعةِ[١] خدوراً، ولأهلةِ البلاغةِ[٢] مظاهراً وشهوراً، ولأذيالِ السيادةِ أرج، ولإقدامِ الإفادةِ نهج.

عـمـرتْهـا آباؤه الـصيـدُ بالعلم وشـادتـهـا بالمكرمـات الغـزار[*]

[◆]فهي مغنى الندى ومعنى المعالي ومَشَعٌ[٣] الهدى ومجنى الفخارِ

إن تكـنْ كالسمـاء في رفعة الشأ ن فـبانوهـا هـمُ شمـوسُ النهارِ

قـد سَمَـواً في أفـلاكهـا وتردَّوا بـرداءٍ حـاكـتـهُ أيدي الوَقـارِ

وَغَـذَوهـا بـكلِ بحـثٍ دقـيـقٍ أسـهـروا فـيـه أعـينَ الأفكارِ

فـتـسـامتْ على النجـوم مناراً إذ بَنَتْـهـا[٤] أناملُ الأقـمـارِ

كل مـاضٍ يحكـي الحسامَ مضاءً وطِبـاعـاً تحكي سُلافَ العـقـارِ

علمـاءُ فـي قـومـهـمْ شرفـاءُ كـرمـاءُ فـي كل مـحل قَـوارِ[٥]

أنْجَـبَـتْهُـمْ مـن الظهورِ جـدودٌ كلهـمْ للعُـلا وللمـجـدِ جـاري

إن نظرتَ إلى آبائه فزهّاد، وعلماءُ كرماءُ شاؤون كلَ جواد.

---

(١) في المطبوع: المخدرات لبراعته.

(٢) في المطبوع: والأهلة لبلاغته.

(*) من البحر الخفيف، وهناك كسر في عجز البيت.

(◆) بداية ص ٤٧ في المطبوع.

(٣) في المطبوع: ومشبع، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: ألبستها، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: في كل نادي محل قرار، وهو تحريف.

علمـاءُ في المعضـلات بحـورٌ وكـرامٌ شـاؤون دَرَّ العِهـادِ[1](*)

أتعبـوا للعُـلا نفـوسـاً أبيـا تٍ فحازوا منها الرفيعَ[2] العمادِ

فهـمُ كالسيوف في كل خطبٍ غيـر أن لم تقرَّ في الأغمـادِ

وإذا مـا البحوثُ أشكلْنَ يومـاً وتعـاصيْنَ عن حصولِ انقيـادِ

أبرزوها من بيـنِ سُجْفِ المعاني مـثـلَ زهرٍ يبـدو مـن الأورادِ

كم أشادوا من بيت علمٍ رفيـعٍ قَـوَّمَـتْـهُ دعـائمُ الإسنـادِ

وَرَوَوا للحـديثِ كُلَّ صحيـحٍ واصلينَ الأحفـادَ بالأجـدادِ

قَرَّروا العلوم، وحَرَّروا المنثورَ والمنظوم، وزَيَّنوا بأساورِ المؤلفاتِ معاصمها، وبَيَّنوا بالشواهدِ معالمها، وحسَّنوا بالفوائد مقالدها، ونَظَموا بفوائدِ الشوارد قلائدها، وحلوا بأناملِ الإيضاحِ معاقدها، وروَّضوا بصَيِّبِ الإفصاح معاهدها، وأسجدوا اليراعَ في مساجدِ رقاعها، وأرتعوا الأذهانَ في مشاربِ أسجاعها، وكشفوا عن مخدرات القناع، وأماطوا عن وجوهِ اللفَّاع[3]، وسهَّلوا مناهجها، وقرَّبوا معارجها، وعرَّفوا منكرها، وعَرفوا مُظْهرها ومُضْمرها، وبحثوا فيها فحقَّقوا، ونَقَّبوا عن أسرارها وفتقوا، وجمعوا من أشتاتِها المُتفرِّق، ورَقَّعوا من مطارفها المُتَخَرِّق، وأنجدوا في أوديتها وأتهموا،(◆) وأعرقوا في أدويتها وأشأموا، ونقطوا مهملها وأعجموا، وأبدروا في سمائها بعد أن أنجموا،

---

(١) في المطبوع: المهاد، وهو تحريف.

(*) من البحر الخفيف.

(٢) في المطبوع: رفيع.

(٣) اللفاع: الملحفة أو الكساء (القاموس ٧٠٣).

(◆) بداية ص ٤٨ في المطبوع.

وخاضوا مَوْماة[١] سباسبها، وتقحَّموا غمراتِ كتائبها، وتسنمَّوا معالي غواربها فتقدموا، وجمَّلوا سُوقها بالمسلسلات، ونحورَها بالمرسلات، ووجوهَها بالمُحَسِّنات، ورفعوا منارها بالمرفوعات، وشَنَّفُوا آذانها بالمسموعات.

كلهم في الندى سحابٌ وفي العلمِ ... عُبابٌ وفي الطباعِ النسيمُ[*]

لا ترى فيهمُ لئيمَ طباعٍ ... كلُّ شخصٍ تلقاهُ منهم كريمُ

كلُّ سامٍ يَحِنُّ نحوَ المعالي ... مثلَ ما حنَّ للحميمِ الحميمُ

زانهمُ في الورى فخارٌ تليدٌ ... مثلما زانتِ السماءَ النجومُ

غيرهمُ ماجدٌ بطارفِ مجدٍ ... وهُمُ مجدهمْ تليدٌ قديمُ

نُتِجَتْ منهُمُ فتاةُ العطايا ... وهي من قبلهمْ عجوزٌ عقيمُ

آلَ عبدِ اللطيفِ طِبْتُمْ فطابَ ... النشرُ لي فيكمْ وطابَ النظيمُ

كيفَ أسلوكُمُ وبعدكم الدينُ ... الحنيفيُ مُسْتضامٌ[٢] يتيمُ

يا لقلبٍ من أجلكم لَدَغَتْهُ ... حيةُ الحزنِ فهو منها سليمُ

ساعدتني على البكاءِ عليكمْ ... مرسلاتٌ من فضلكم وعلومُ

كل أرضٍ مِنْ[٣] علمكم في رُباها ... مربعٌ زاهرٌ وروضٌ شميمُ

ولَكُمْ منكمُ مآثرَ غُرٌّ[٤] ... شادها منكمُ أغرٌّ وسيمُ

ألمعيٌّ له سما شرفُ جزْ ... لٌ وخُلْقٌ زاكٍ ووجهٌ قسيمُ

---

(١) في المطبوع: مرمات.

(*) من البحر الخفيف.

(٢) في المطبوع: مستظام، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع، منه، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: عز، وهو تصحيف.

ألا وهو ذو المجدِ المُوَطَّد، والفخارِ الرفيعِ المُصَمَّد، مولانا الهمامُ محمد، قَدِمَ الزيارةَ بعد ما هَجَرَ وجاره[1]، قاصداً الحجَّ لا التجارة[2]، وهي ذاتُ نضارةٍ، ووجوهٍ ناضرة، وعيونٍ بأناسيٍّ الكرمِ ناظرة، ورياضٍ بأزاهرِ الفواضلِ زاهرة، وحياضٍ مادّةٍ لا جازرة، ممدودةٍ من أحمد بجداول، ليس لها إلا أكُفُّ العُفاةِ[3] سواحل.

إنما حَجَّتِ العفاةُ إليها ... وأتوْها من كل فجٍ وأوْبِ[4](*)
ابتغاءً للفضلِ من راحتيهِ ... لا ابتغاءً لحطِّ ذنبٍ وحَوْبِ

(◆)واجتمعَ بفضلائها، وتأدبَ به عامةُ أدبائها، وانهلَّتْ في يديهِ سحابةُ سمائها، وجادتْ عليه بنضارِ أنوائها[5]، ومَدَّتْ عليه بالبذلِ يَدُ دَأْمائها، حتى صارَ لأدباءِ تلكَ النوادي، بمنزلةِ العبهرِ والجادي، ولمجالسِ قَطَر، كالشمسِ أو القمر، ولأحداقِ هاتيكَ الأوطان، بمنزلةِ الإنسان، ولصدورِ تلك المحافل، بمنزلةِ النَّهْدِ في بياضِ الكلاكل، ولهاتيكَ الرحاب، بمنزلةِ السحاب، ولرقابِ هاتيك الآداب، بمنزلةِ السِخاب[6].

---

(١) في المطبوع: جاده، وهو تحريف. والوجار: جحر الضبع وغيرها. (القاموس ٤٥٦).
(٢) في المطبوع: لحج لا لتجارة، وهو تحريف.
(٣) في المطبوع: الكف العفاف، وهو تحريف.
(٤) في المطبوع: وأدب، وهو تحريف.
(*) من البحر الخفيف.
(◆) بداية ص ٤٩ في المطبوع.
(٥) في المطبوع: أنواعها، وهو تحريف.
(٦) السِخاب: قلادة من سُكّ وقرنفل ومَحْلَب بلا جوهر (القاموس ١٠٢؛ العين ٨٠٠).

ثُمَّ[1] ارتحلَ عنها، بعدما قضىَ الوطرَ منها، مصحوباً بكرمِ ابن رزقِها، متلفتاً بلِيتِهِ[2] إلى لامعِ برقها، متمنياً العودَ إليها، حاناً حنينَ الوُرْقِ عليها.

إذا لاحَ إيماضٌ[3] تَلَفَّتَ نحوَها ... تَلَفُّتَ ولهانٍ إلى بارقِ الشنبْ[*]

وما ذاك إلا أن فيها سَمَيْذَعاً ... به قامَ سوقُ الشعرِ وارتفع الأدبْ

فكم غادةٍ جاءته تَرْفُلُ بالثنا ... فطَوَّقَها من سَحٍّ[4] أيديه بالذهبْ

تسمَّى ابنَ رزقٍ وهو لاشكَ كائنٌ ... أباه إذا ما الجدبُ أهلكَ كل أبْ

فلا غروَ أن يرنو إلى برقِ دارهِ ... وسيمَ المحيا أبيضَ العرضِ والنَّسَبْ[5]

أغرٌّ من الفتيان بدرٌ إذا بدا ... وبحرٌ إذا أقرى وغيثٌ إذا وهبْ[6]

مع النَّفَرِ[7] الغرِ الذينَ هم هُمُ ... إذا قلبَ الدهرُ المجنةَ وانقلبْ

كيفَ لا يُديمُ الأنين، ويواصلُ الزفراتِ والحنين[8]، إلى مسرحِ ذَوْدِ[9] الكرم، ومطمحِ أنظارِ الهِمم، ومعقدِ عقدِ الشيم، ومُسَوَّرِ سوارِ الافتخار، ودائرةِ شمسِ الاشتهار، وفلكِ زحلِ هذه الأعصار، وكيفَ لا يتوقُ إلى ربَّاها، والتنشقِ من

(١) في المطبوع: فما، وهو تحريف.

(٢) اللِّيت: صفحة العنق. (القاموس ١٦٠).

(٣) مأخوذ من الوميض وهو اللمعان الخفيف (القاموس ٦٠٥).

(*) من البحر الطويل.

(٤) السَّحّ : الصب والسيلان من فوق (القاموس ٢١٧).

(٥) في المطبوع: الشنب، وهو تصحيف.

(٦) في المطبوع: بدراً .. وبحراً.. وغيثاً، وجاءت الكلمة الأخيرة في المخطوط (وبحرٌ)، وأثبتنا ما في المطبوع (وغيث) منعاً للتكرار واتساقاً مع المعنى.

(٧) في المطبوع: الفقرا، وهو تحريف.

(٨) في المطبوع: بالحنين.

(٩) في المطبوع: ذي.

رَيًّا هواها، وهي مقلةُ إنسانِ أعيانِها، وسلكُ يتيمةِ جمانِها، ومدارُ شرفِ كيوانها، مولانا المومى إليه، والمقصورُ ثناءِ هذهِ الرسالة عليه.

ملكٌ متى ما رُمْتَ نشرَ مديحه ... نَشَرَتْهُ قبل لسانيَ الأرواحُ(*)

قال الأعادي فيه تبدو خفةٌ(١) ... لم يكذبوا يرتاحُ إذ يُمتاحُ(٢)

لم يبلغِ الربواتِ سَيْبُ يمينهِ ... إلا ومن يُسراه فاضَ بطاحُ

فيمينهُ القاموسُ في إعطائِها ... وجبينهُ يومَ الندى المصباحُ

فما زال يقتحمُ(٣) الأمواج، ويَعُوم بالفُلْكِ(٤) في كلِ عجاج، حتى وصلَ في أبركِ آن، إلى قُطْرِ عمان، فلقيَ من سلطانه، وكرماءِ سكانه، إكراماً وإن كان تام، فهو ناقصٌ بالنسبة إلى(◆) ما لَهُ من المقام، فتذكَّر بهِ إكرامَ أحمد، فارتَجل في ذلكَ وأنشد:

وقائلةٍ أصبحتَ في الناسِ مُثْرِياً ... متى جئتَ قُطْراً أمطرتك غمائمُهُ(**)

فما لكَ لا تُثْني على كلِ باذلٍ(٥) ... بغرِّ العطايا ساعَفَتْكَ مراحِمُهْ

أقولُ لها إن الجَدا(٦) يبعثُ الجَدا ... دعيني فما أعطوهُ أيضاً مكارمهْ

وها أنا ذا أُثْني عليه لأنني ... أرى كلَّ جودٍ جادني فهو ساجِمُهْ

(*) من البحر الكامل.

(١) في المطبوع: تيه وخفة، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع: يرتاح، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: يتقحم، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: ويقوم في الفلك، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ٥٠ في المطبوع .

(**) من البحر الطويل

(٥) في المطبوع: نائل.

(٦) الجَدا والجدوى : المطر العام أو الذي لا يُعرف أقصاه، والعطية (القاموس ١١٦٧).

وإنـي وإن شَطَّـتْ بـيَ الدارُ لـم أزلْ أُسـامِـرُهُ[1] فـي خـاطـري وأنادِمُـهْ
سقى المزنُ هاتيكَ الرياضِ وإن تكنْ سَقَتْهُـنَّ بالـدرِ الثمـينِ عيالمهْ[2]

فلما أقلعَ عن الإنشاد، وعرفَ الحاضرون المراد، شكرَ ما وردَ منهم وصدر، وأزمعَ على اغترابِ غاربِ السفر، إلى البيتِ الحرام، فزيارةَ النبيِ عليهِ الصلاةُ والسلام، فاجتازَ في مجازهِ اليمن، وسرَّحَ طرفَ الطرفِ في رياضهِ وعطن، وروى عن أفاضله، وأروى بفواضلهِ عطاشه، وأدرَّ عليهم وابله ورشاشه، فهو إن نشرَ مناظمه، فكم نثرَ فيهم دراهمه، وإن رشَّحَ رسائل، فكم وشَّحَ من سائل، ثم انقلبَ عنهم إلى الحجِ والاعتمار، فالزيارةِ لطيبةَ[3] الساميةِ المنار، والتبركِ بهاتيكَ الآثار، فلما دخلَ ذينكَ البلدين، وقرتْ [له][4] بمشاهدتهما العين، ونُشرَ ذكرُهُ فيهما بين كلِ اثنين[5]، انصرفَ إلى بلده، وأقامَ قريباً من سبعةِ أعوام، ثم رجع لزمامِ العودِ ثانياً، ولزيارتهما ثانياً، فاجتمعَ في مجازِ هذا المقصدِ الأحمد، بالهمامِ القمقامِ أحمدَ بنِ محمد[6]، فأجزلَ عطاءَه، لما أجزلَ ثناءه[7]، وأحلَّهُ في بُحبوحةِ داره، مُمَتَّعاً بنُضارهِ وأسماره[8]، في رواحهِ وإبكاره، ثم بعدَ

(١) في المطبوع: أسائره.
(٢) العيلم: البحر، والماء الذي عليه الأرض (القاموس ١٠٥١).
(٣) في المطبوع: طيبة، وهو تحريف، والمقصود بها المدينة المنورة.
(٤) ساقطة من المطبوع.
(٥) في المطبوع: ونشر ذكره فيها بكل اثنين، وهو تحريف.
(٦) المقصود أحمد بن محمد بن رزق.
(٧) في المطبوع: ثنائه، وهو خطأ إملائي.
(٨) في المطبوع: مستمتعاً بنضارهِ وسمارهِ.

هذه المرافقةِ فارقه، وأجفانُهُ عليه دافقة، ومهجتُهُ إلى لقائه وامقة، وألحاظُهُ لبارقِ ديارهِ رامقة، وبعدما فرغَ من حَجَّته، تاقَ إلى وطنه وبلدته، فرجعَ إلى الأوطان، إذ حُبُّها كما جاءَ من الإيمان، فلم تمتعْهُ الأقدارُ بنظرها، وملاقاةِ بشرها، فانتجعَ من عمانَ مَنْجَعاً[1]، إلى أن رحلَ إلى الآخرةِ ودَّعا، وندبتهُ العلوم، وبكى عليه المنثورُ والمنظوم.

ألاَ طَرَقَ الناعي فروّعَ مُذْ نعى ... أغرَّ من الفتيانِ أورعَ أروعا[*]

نعاهُ فأبكى للهدى كلَّ مقلةٍ ... وفَجّعَ[2] للعلياء قلباً وروّعا

فيا مقلةَ العلياء إن تذرفي دماً ... عليه فعرنينُ الندى عادَ أجدعا

ويا بردُ صبري إن تَمَزَّعْتَ[3] بالأسى ... فقد شقَّ للإسلامِ بُرداً و مدرعا

(◆)ويا قلبيَ المُضْنى فقدتكَ دائباً ... إذا أنتَ لم تحفرْ له فيكَ مضجعا

ويا حَزَني إن كنتَ لستَ بغاربٍ ... فهذا فؤادي فاتخذْ فيه مطلعا

ويا سلوتي لا ترجعي بعدَ فُرقةٍ ... ويا جَلَدي لا زدتِ إلا تمزعا

ويا أرقي لا زلتَ في الجفن خالداً ... فإن متُّ فاجعلْ ماءَ غَسْلِكَ[4] أدمعا

ويا حُرَقي لا تسكني غيرَ مهجتي[5] ... فإن هيَ لم تحسنْ فدونك أضلعا

---

(١) في المطبوع: منتجعاً.

(*) من البحر الطويل.

(٢) في المطبوع: وأفجع.

(٣) في المطبوع: تمزقت.

(◆) بداية ص ٥١ في المطبوع .

(٤) في المطبوع: وجهك.

(٥) في المطبوع: مهجة.

ويا مهجتي ذوبي ويا دمعتي اسكبي ... ويا فَرَحي فاذهبْ ويا ترحي ارجِعا

ويا جسدي فانحلْ ويا أُنَسي استحِلْ ... ويا نكدي أقبلْ ويا لائمي دعا

ويا فرقي استحكمْ ويا قلقي فزدْ ... وياشقوتي دُومي ويا ناصري اخضعا

ويا زمني أظلمْ فقد كسفتْ ذُكا ... سماؤك حتى عاد لونُك أسفعا[1]

فلا أُفْقَ إلا قد كساه ملاءة[2] ... أساهُ فأمسى بالأسى مُتَقَنَّعا

ويا قبرُ إن واريتَ واريتَ راسخاً ... من الحلمِ أو بحراً من العلمِ يلمعا

وواريتَ مفضالاً إذا حضرَ الندى ... وألسنَ قوّالاً إذا قال مِصْقَعا[3]

وأبيضَ نهاضاً إلى كل غايةٍ ... جرى البدرُ في مضمارها فتكعكعا[4]

وبارَتْه[5] فيه الشعريانِ كلاهما ... ففاتهما سبقاً وإن جَرَتا[6] معا

فكمَّل فيه الفضلُ في المهد[7] مرضعاً ... وأودِعَ فيه الحلمُ والعلمُ أيفعا

تبدّي وروضُ العلم ذاو[8] وذابلُ ... فلما سقاه عادَ بالسقي مُونِعا[9]

فمن وردةٍ تنشقُّ عن زهرِ حكمةٍ ... ومن زهرةٍ تزهو ودَوْحٍ[10] تفرّعا

---

(١) الأسفع من الثياب الأسود (القاموس ٦٧٢).

(٢) في هامش المطبوع: الملاءة: الملحفة جمعها ملاء.

(٣) المِصْقَع : البليغ أو العالي الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه ولا يتعتع (القاموس ٦٨١).

(٤) أكعكعتُه : جبَّنْتُهُ وخوَّفْتُهُ وحبستهُ عن وجهه ، ككعكعته فتكعكع (القاموس ٧٠١).

(٥) في هامش المطبوع: بارته: من المباراة وهي المسايرة.

(٦) في المطبوع: جزتا، وهو تصحيف.

(٧) في المطبوع: بالمهد.

(٨) في المطبوع: فاد: أي ميت، مأخوذ من فاد يفيد : مات (القاموس ٢٩٢).

(٩) في المطبوع: مربعا.

(١٠) في المطبوع: وروح، وهو تحريف.

ومن مـبـحـثٍ حـالٍ بغـرٍّ فـرائدٍ ... بهنَّ يُرى تاجُ العلوم مـرَصّـعـا
ومن مـشـرعٍ حلوٍ ومن مـربعٍ ندٍ[1] ... ومن مجمعٍ قد صار للفصلِ مجمعا
ومن منهجٍ للشـافـعـيـة لم يزلْ ... لأوجـه أقـمـارِ الدقـائقِ مطلعـا
فلو أدركَ السبكيُّ تهذيبَ سَبْكه[2] ... لخـالَ به جـمـعَ الجـوامع[3] مُـدَّعى
(♦)ولو أن ذا الإتقان[4] أدرك عصرَهُ ... لأنْهى له الإتقانَ[5] والحفظَ أجمعا
فيحيا به يحيى[6] متى قام بالذكا[7] ... يقـرر للمنهـاج[8] في الدرِ مُشْبَعـا
وما[9] لأخي العنوانِ إدراكَ شأْوه[10] ... ولو كان في العنوانِ والروضِ مبدعا
وما الفخرُ والمحولُ في جنبِ علمه ... متى قـام للبرهانِ يوضع مَهْـيَعـا
يُرى مـــالكَ الإسنادَ لـكنه ابنُهُ ... إذا ما سعى في النحوِ بحثاً وأوسعا
فـلا غـروَ أن تبكي المعـارفُ فـقدَهُ ... فتوقظُ بالتأبينِ[11] طَرْفاً[12] ومسمعا

---

(١) في المطبوع: فك، وهو تحريف.
(٢) في المطبوع: سبله، وهو تحريف.
(٣) إشارة إلى كتاب «جمع الجوامع» لتاج الدين السبكي.
(♦) بداية ص ٥٢ في المطبوع.
(٤) إشارة إلى كتاب «الإتقان في علوم القرآن» لجلال الدين السيوطي.
(٥) في المطبوع: الاثنان، وهو تحريف.
(٦) في هامش المطبوع: يحيى هو الإمام يحيى النووي الشافعي.
(٧) في المطبوع: للذكا.
(٨) إشارة إلى كتاب «منهاج الطالبين» لشرف الدين النووي.
(٩) في المطبوع: رمى، وهو تحريف.
(١٠) في المطبوع: شأنه، وهو تحريف.
(١١) في هامش المطبوع: التأبين هو الرقا.
(١٢) في المطبوع: قلباً.

وتبكي المعالي والعوالي وتنثني[1] أسِنَّتُهـا تَذري على الخدِّ أدْمُـعَـا

فَكَمْ[2] معلمٍ لما قضى عادَ مجهلاً وكم أطُمٍ مذ فاظَ قُضَّ[3] وزعزعا

وكم من سُلُوٍّ واصطبارٍ تقضقضا[4] وكم من سُمُوٍّ وافتخارٍ تضعضعا

وكم معلمٍ للعلمِ صُيِّرَ مأتماً وكم منبعٍ للفضلِ قد عادَ مَصْرَعا[5]

وكم وجنة لا تعرف اللطمَ لُطِّمَتْ[6] وكم من قفاً قد صارَ للرزء مصفعا

فشمسُ المعالي كُوِّرَتْ بعدَ موته وسُجِّرَ بحرُ العلمِ مذ قيلَ شُيِّعا

فيا موتُ إن فَجَّعْتَنا[7] بمحمَدٍ فها أنتَ ذا لم تُبْقِ إلا مُفَجَّعا

وقد كان خيرَ العالمينَ وخيرَ مَنْ على قدمِ الإنصافِ والفضلِ قد سعى

فلستَ إذا أفجعتنا بِسَمِيِّهِ بمُعْتبِنا فيه فيحيا ويرجعا

ولكننَّا نرضى بما رضيَ القضا ونلبسُ للتعزاءِ والصبرِ مدرعا

ولو كان يُغني جازعاً شقُّ جيبَهُ لصيرتُ قلبي في أساهُ مُقَطَّعا

سقى قبرَهُ مزنٌ من الرحمِ هامعٌ فأخصبَ منه جانباً وأمرعا[8]

---

(١) في المطبوع: فتنثني.

(٢) في المطبوع: لكم، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: فاض فط، وهو تحريف. وفاظ : مات. (القاموس ٦٤٣).

(٤) التقضقض : التفرق. (القاموس ٦٠١).

(٥) في المطبوع: مضرعا، وهو تصحيف.

(٦) في المطبوع: ألطمت.

(٧) في المطبوع: أفجعتنا.

(٨) في المطبوع: وتمرعا، وهو تحريف.

ولما هِيلَ عليه ترابه، وانصرفَ عنه أصحابه، ورثاه أصدقاؤه وأحبابه، ورمدَتْ به مقلةُ العلوم، وخرَّتْ من سماء الفضلِ النجوم، رثيتُهُ وأنا باكي العين، مؤرخاً له بشطرِ بيتٍ من بيتين.

(◆)لَعَمْري لقد ضمَّ الثرى منهُ كوكباً إذا ما بدا أخفى سناهُ الكواكبا(*)

فقلت ودمعي كالسحاب مؤرِّخاً يفودُ(١) له فضلٌ من اللهِ واهبا

سنة ١٢١٦(٢) [١٨٠١م]

وحين بلَغ أحمد، نَعِيُّ الهمامِ محمد، سحَّتْ عليه مآقيه، ورثى له من فرطِ أساهُ(٣) مُعاديه، وودَّ لو قُبِلَ الفداءُ أن يفديه، فلولا شدةُ صبرِه وتأسِّيه، لقضيَ من شدةِ الجزع، ولكنهُ تأسى فرجع، وسلَّم للقضا، ماثلاً إلى الرضى، وأرسل المراثيَ العربية، مشفوعةً(٤) بالعطايا السنية، إلى وُرّاثه ومواليه، شكراً لمعاليه وأياديه، فللّه راثٍ بالنوالِ(٥) قبلَ المقال، ولله بحرٌ لا يُمْتطى ثَبَجُه(٦)، ولا تُعامُ لُجُجُه، ولله بدرٌ سماؤه شرَفُه، ومزاياه هي سَدَفُه(٧)، ولله من كريمٍ بسام، كالنورِ

(◆) بداية ص ٥٣ في المطبوع .

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: يقود، وهو تصحيف.

(٢) ورد التاريخ في المطبوع: ١٢٢١هـ [١٨٠٦م]، وهو خطأ والصواب ١٢١٦هـ [١٨٠١م]، وهو يوافق حساب الجُمّل، كما يلي: ي + ف + و + د + ل + هـ + ف + ض + ل + م + ن + ا + ل + ل + هـ + و + ا + هـ + ب + ا = ١٠ +٨٠ +٦ +٤ +٣٠ +٥ +٨٠ +٨٠٠ +٣٠ +٤٠ +٥٠ +١ +٣٠ +٣٠ +٥ +٦ + ١ +٥ +٢ +١ = ١٢١٦هـ.

(٣) في المطبوع: أساته.

(٤) في المطبوع: مشفقاً عليه، وهو خطأ.

(٥) في المطبوع: بالسؤال، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: يسجه، وهو تحريف.

(٧) في المطبوع: سماء هي شرفه ومن إباه صدفه، وهو تحريف.

باكرهُ الغمام، والنورِ الجابِ[1] عنه الظلام.

وللّهِ من يرعى المودةَ والإخـــا | لِمَنْ غابَ في بطنِ الثرى عادمَ الثرى[*]

فهو الحقيقُ بأن يُحمد، ولو لم يزلْ أحمد.

سلا صاحِبَيَّ السمرَ عنهُ فإنها | تُخَبِّرُنا أن ليسَ تلقى كتائبُهْ[**]
وإن تسألا مِسْعَ[2] الرياحِ فإنها | مذاكيهِ في يومِ الوغى وسلاهبُهْ
ومَنْ خَيْلُهُ مِسْعُ[3] الرياحِ لدى الوغى | جديرٌ لعَمْري أن يَذِلَّ محاربُهْ
وكمْ قائلٍ إن النجومَ عزومُهُ[4] | ولمْ يدرِ أن الشهبَ منها قواضبُهْ
وكمْ قائلٍ إن الرّعان خميسُهُ | وما خال أن المرسلاتِ مواهبُهْ[5]
هو المرءُ إنساناً لهُ الفضلُ مقلةٌ | وقلباً وجثمانُ المكارمِ قالبُهْ
وإنَّ الفتى لا يطرقُ الضيمَ جارهُ | لأبعدُ شيءٍ أن يهانَ مُصاحبُهْ
وأنْ يرحلَ الضيفُ الغريبُ يَذُمُّهُ[6] | وأن تُخْلفَ الوفّادَ بذلاً سحائبُهْ
وأكرمُ من يُطْرى[7] ويُعذَبُ مدحُهُ | ويَهتزُ للمعروفِ والخيرِ جانبُهْ

(١) في المطبوع: إن جابَ.
(*) من البحر الطويل.
(**) من البحر الطويل.
(٢) في المطبوع: نبع، وهو تحريف. والمسع: اسم ريح الشمال. (القاموس ٧٠٥).
(٣) في المطبوع: سمع، وهو تحريف.
(٤) العزوم جمع العزيم : العدو الشديد (القاموس ١٠٤٨).
(٥) ورد البيت في المطبوع قبل البيت الذي قبله.
(٦) في المطبوع: بذمة، وهو تصحيف.
(٧) في هامش المطبوع: يطرى بالراء المهملة من الإطراء.

[ترجمة الحاج عثمان بن الحاج سلمان بن داود البصري]

ومن خواصِ أصحابِهْ، المعاصريه إبَّانَ شبابِهْ، عثمانُ بنُ سلمان[1] بنِ داود البصريُ داراً، القرشيُ التيميُّ[2] نسْبَةً ونجاراً[3]، نشأ في البصرةِ مسقطَ رأسِهْ، ومطلعِ نَيِّرِ شمسِهْ، ومربعِ وردةِ أُنْسِهْ، فقرأ فيها جملةً من الأدبْ، ونظمَ الشعرَ كما هي سجيَّةُ العربْ، وكتبَ ففاخرَ به مَنْ كتبْ، وبرعَ في فَنَّي النظمِ والنثْر، براعةً سلمها له أهلُ العصْر، وعلمَ بها فضلاً كما(◆) علمَ بالهلالِ الشهْر، وأبرزَ بها نُبْلَهْ، حتى لم نرَ في صُقْعِه مثلَهْ، معَ الاشتغالِ بالتجارةْ، ومعاناة الربحِ والخسارةْ، ومشاغبةِ الأفكارْ، ونُبُوِّ الديارْ، بعدَ انفتالِ الحصارْ، ومقاساةِ الاغترابْ، عن الأوطانِ والأصحابْ، فإن الأقدارَ نقلته إلى الديارِ الهندية، بعدما استولى على بلده الزندية[4]، وأقام في هاتيكَ الأوطان، لا ينطبق له جفنانْ، ولا يَرى من ذَوِي أُنْسه إنسان، إلى أنْ أخلفَ الزمانُ عن طبعه المعتادْ، فأرجعه إلى البلاد، فطابَ له أُنْسه، وسكنتْ عن الاضطراب نفسه، حين رجعتَ إلى فَلَكِها شَمْسُه، وسُرَّ[5] برؤيته فَضْلُه[6]، وأينعَ في مغرسِه فضلهُ، وذلك بعد

---

(١) في المطبوع: سليمان، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع: التميمي.

(٣) النجار: أصل الحسب (العين ١٧٥٨).

(◆) بداية ص ٥٤ في المطبوع.

(٤) في سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٣م أرسل كريم خان الزندي جنوده نحو البصرة تحت قيادة أخيه (صادق خان)، فلما وصلوا البصرة حاصروها ومعهم قبيلة (بني كعب) فضيقوا على أهلها. النبهاني: التحفة النبهانية، البصرة: ص ٢٨٦.

(٥) في المطبوع: وسد، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: فضله، وهو تصحيف.

ملاقاةِ الرجال، وإدراكِ ذروةِ الكمال، وصَقْلِ مرآةِ أفكاره، واكتحالِ مُقَلِ اختباره، واعتدالِ زمن اعتداله، وسطوعِ شمس إقباله، وتَضَوُّعِ نفحاتِ أدَبِهْ، واخضلالِ أفنانِ نَشَبِهْ، وهبوبِ أرواحِ جَدِّهْ، واشتعالِ مصباحِ مجدِهْ، وانتظام سلكِ سعده، وإزهارِ روضِ إعظامه، وإسفارِ فجرِ احترامه، وانفلاقِ محارِ صدره، عن لآلئِ فكره، وانشقاقِ وردِ لسانه، عن زهرِ بيانه، وانطلاقِ بنانه، بدررِ إحسانه، وابتسامِ تبيانه، عن وجوه افتنانه.

برزَ في البصرة كما تقدم، فَصَدَّرَهُ فضلُهُ على أقرانِه وقَدَّمْ، وقد كفلهُ[1] أبوه ثم جده، إلى أن ساعده إقبالُهُ وَجَدُّهْ، وبرَّزَ به[2] على الأقرانِ مَجْدُهْ.

لكَ اللّهُ من مولىً ترقَّى إلى العُلا — فساعدهُ إقبالُهُ وعزائمُهْ[*]
وقبّلَتِ العلياءُ ظاهرَ كَفِّهِ — وَليداً وما حَلَّتْ لذاكَ تمائمُهْ
هوَ الفضلُ فخراً زانَهُ منه سؤددُ — وزهراً سقتهُ من يَدَيْهِ مكارمُهْ
فما امتدَ منهُ الطرفُ في عَيْبِ جارهِ — وما حُبِسَتْ عن سائليهِ دراهمُهْ
وما وَدَّعَتْ بالذمِ أضيافُ دارهِ — ولا عابَهُ عندَ الخصامِ مخاصمُهْ
وما قَصُرَتْ أسيافُهُ عن عدوِّهِ — فإنْ قَصُرَتْ مَدَّتْ[3] بهنَّ معاصمُهْ
تَحَبَّبَ بالإعطاءِ والنصحِ للورى — فهما كُلُّهُمْ إلا الكَفُورُ مسالمُهْ

(١) في المخطوط: وكفله، وأثبتنا ما في المطبوع.
(٢) في المطبوع: وبرزه على الأقران.
(*) من البحر الطويل.
(٣) في المطبوع: زيدت.

فصارَ يَشُبُّ في الكمالِ[١]، شبابَ الهلال، وينصبُّ لصالحِ الأعمال، نصبَ الكهولِ من الرجال، يفاخرُ الأترابْ، بزيادةِ الآداب، ونظافةِ الأثواب، ويُجالسُ الفضلاء، ويُوانسُ العقلاء[٢]، ويثابرُ على المآثر، ويزاحمُ في سموٍّ المفاخر، وتسمو به نفسهْ، إلى ما يتقاصرُ عنه جنسه، وتُطالبهُ[٣] عزائمه، فتعاضدهُ صوارمه، ويتقاضاه شرفهْ، مآثرُ يضيقُ عنها بردُ الزمانِ ومِطْرَفه، إن أرضعته المروة، فقد حضنتهُ الحظوةُ والفتوة، حتى صارَ في الكرمِ القدوة، واصطفى للفضلِ الصهوة، وشربَ من سلافةِ الصفوة، وجرى في مضمارِ السيادة، فشأى في السبقِ(◆) السادة، كأنما خُلِق من عفافه، وصار روحاً لإنصافه.

لا عيبَ فيهِ سوى عفافٍ ظاهرٍ	وجميلِ إنصافٍ ومَدِّ يمينِ(*)
وكريمِ أخلاقٍ ولُطفِ سجيةٍ	وعظيمِ مجدٍ وابتسامِ جبينِ
وبياضِ أثوابٍ وباهرِ سؤددٍ	وتليدِ فخرٍ وانقطاعِ قرينِ
تاقتْ إلى بَذْلِ المكارمِ كفُّهُ	توقانَ عطشانٍ لرشفِ معينِ

قد عاشرَ أحمدَ في شبابهِ، فصَدَّرَهُ في أصحابه، إذ كانَ يخصهُ بالمشاورة، ويصطفيه للمحاورة، ويسامرهُ ألطفَ مسامرة، ويُحْضِرهُ مجامعَهُ ومحاضرَه، فيجدهُ في المحاورةِ ذا محاضرة، ويُشيرُ بلطيفِ إشارة، وخفيٍّ عبارة، فيفهمُ ذلك

---

(١) في المطبوع: بالكمال.

(٢) في المطبوع: ويوانس الفضلاء، ويجالس العقلاء.

(٣) في المطبوع: وتطالب.

(◆) بداية ص ٥٥ في المطبوع .

(*) من البحر الكامل.

في أسرعٍ[1] من طرفةِ عينٍ، لا أقولُ كانطباقِ شفتين[2]، أو قولِ أين، طالما يتجاذبانِ أفنانَ البيان، فلا يفهمُ ما أراداهُ إنسان، ولقد ذكرَ بعضُ من لازمَ أحمد، أنه حضرهما في مقعدٍ، حافلٍ بوجوهِ الصيد، رافدٍ ببرودِ العيد[3]، فأراد أحمدُ أمْراً لا ينبغي إعلانه، وكان بعيداً منه مكانه، ففاه به على طريق الإلغاز، ففهمَ ما أرادَ في ذلك الإعجاز، قبلَ انتهائهِ إلى الأعجاز[4]، وأجابهُ على الحقيقةِ لا المجاز، بجوابٍ عرفَ به مقداره، وأعظمَ به ابتكاره[5]، تَوَلّى له الأموال، مُدَّةَ أحوال، وكان له مساعداً، ولأمره زنداً وساعداً، وربما استشاره، وهو في الزيارة، فيرسل إليه بجواب، يكشفُ عن مخدراتِها النقاب، وبالجملةِ فذكاه، لا يوجدُ في سواه

للّـهِ درُّ ذكيٍ حـاذقٍ يـقـظٍ   يكادُ يفهمُ قبلَ النطقِ ما هَجَسا[*]

له النثرُ الرائقُ الحسن، والشِعرُ الذي لا يدركُ شأوَهُ الحسن، تَعَرَّفَ لي ببذله، وقابلَ جهلي بعقلِه، قطعتهُ فوصل، وملتُ عنه فعدل، وأغضبتهُ فما أغضب، وبعدتُ عنه فَقَرَّب، وعاشرته فما ألذَّ وأطيب، وسامرتهُ فما ألطفَ

(١) في المطبوع: فيفهم ذلك أسرع.
(٢) في المخطوط: نعلين، وقد أثبتنا ما في المطبوع.
(٣) في المطبوع: الغيد، وهو تصحيف.
(٤) الإعجاز: مصدر أعجز أي جاء بمعجزة، والأعجاز جمع العَجْز: مقبض السيف (القاموس ٤٧٨).
(٥) في المطبوع: ابكاره.
(*) من البحر البسيط.

وأنسب، إن نطقَ فَضَلْ، [عن][1] كلٍّ من فصل[2]، وإن داعبَ ظننتَ النسيمْ، عبثَ في الروضِ الشميم، وأما النسب، فشذورُ الذهب[3]، وأما الحسبُ فمُصاصُ[4] لباب، وأما الآداب، فحدِّثْ عن العُباب، ولا حرجَ ولا عتاب، وأما الرسائل، فاللآلئُ من المراسل، وأما إنشاؤه فبديع[5]، وأما نداؤه[6] فربيع، وأما مجلسه فمطلع، شمسه مُحَيَّاه، وواشِمُ[7] مربع، [رياضُهُ سجاياه][8] وأما فناؤه فمشرع، تردهُ العفاة، وأما وقارهُ فلم نسمعْ[9]، به فيمن عداه.

صاحبتُهُ وبلوتُهُ فوجدتُهُ ... أبداً إذا طاشَ[10] الجليسُ مُوَقراً[*]

وإذا رأى ضيفاً ألمّ ترنحتْ ... أعطافُهُ طرباً وأنعمَ بالقِرى

[◆]نزلَ الزبارةَ وما نزل، بل ارتفعَ بالفضلِ وكمل، وزارَ الحرمين، فقرَّتْ له فيهما العين، وصحبَ في سفره إليهما، محمدَ بنَ عبد اللطيف وأجلاءَ من العلماء، فحصلتْ له مع ابنِ عبداللطيف إجازات، هي للبلاغةِ والفصاحةِ

---

(١) لا توجد في المخطوط، وقد أثبتناه من المطبوع والجملة صحيحة بدونها.
(٢) في المطبوع: فضل، وهو تصحيف.
(٣) إشارة إلى كتاب «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» لابن هشام الأنصاري.
(٤) المُصاص: خالص كل شيء (القاموس ٥٨٢).
(٥) في المطبوع: بديع، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع: أنداؤه.
(٧) في المطبوع: شميم، وهو تحريف.
(٨) ساقطة من المطبوع.
(٩) في المطبوع: تسمع.
(١٠) من الطيش: النزق والخفة (القاموس ٥٥٢).
(*) من البحر الكامل.
(◆) بداية ص٥٦ في المطبوع.

مجازات، فحسنت بينهما المطابقة، في تلك المرافقة، وشكر كلٌّ منهما الآخر، ونوهَ بأدبِه وفاخر، كيف لا وبلاغتهما تُعْجِزُ الكندي، وتُنْطِقُ بالعربيةِ الكردي[1].

كَمْ فتحا للنظمِ من مُرتَجٍ ... وأوسعا للنثر من مَنْهَجِ[*]
وَقَوفًا للفضلِ من مطرفٍ ... لولاهما حاكاهُ لم ينسجِ

وبالجملةِ ففرائدُ أفكاره، وخرائدُ أنظاره، هي حُورُ مقصوراتُ حسان، لم يطمثهنَّ إنسٌ قبله[2] ولا جان، ومحاسنُ آثاره، ونوادرُ أخباره، متبسماتٌ عن ثغورِ الإحسان، منظوراتٌ بكل إنسان، منشوراتٌ[3] بكل لسان، يضيقُ نطاقُ الأزمنة، عن بعضِ ما أبداه، وتكلُّ الألسنة، عن عدِّ أيسرِ مزاياه، ومن محاسنه المأثورات، ومناقبهِ المشهورات، إخراجُ زكاتهِ، وإسعافُ المحتاجِ بصلاته، ومواظبته على عزائمِ صلاته، ومراعاته من جاوره، وملاطفة من حاوره، ومصافاة الأفاضل، ومعاداة الأراذل.

أُحِبُّ مزاياهُ لأني رأيتُها ... محببةً طُراً إلى كلِ فاضلِ[**]
وإني أُسامي من رأيتُ بفخرِهِ ... فتشهدُ لي في ذاك بيضُ المحافلِ
فلا عيبَ فيه غيرُ مطرفِ سؤددٍ ... على هامةِ الجوزاءِ والنثرِ ذائلِ

---

(١) نسبة إلى الأكراد.

(*) من البحر السريع.

(٢) في المطبوع: قبلهم.

(٣) في المطبوع: منشورات.

(**) من البحر الطويل.

وعزمٍ إذا أمضاهُ في حلِ معضلٍ　　أراكَ به بيضَ الظبـا والمناصلِ
وأبيضِ عِرضٍ لم يُدنَّسْ ومحتدٍ　　هوَ البدرُ إلا أنهُ غيرُ نازلِ

وإنهُ بالحقِ قائم، غيرُ مصغٍ للائم، أبقاه اللهُ في قيد الحياة، فائقاً للنظائرِ والأشباه، وُلِدَ غرةُ الأماجدِ الميامين، بعد الألفِ والمائةِ قريباً من السبعين[1] .

[ترجمة الشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم]

ومن عُرِفَ بصحبته، بعدَ تعرفه إليه بصلته:

ناصرُ بنُ سليمان، بن سحيم[2] الثابتُ الإيمان، الباهرُ الفضلِ والإحسانِ، هوَ روضٌ زَهَرُهُ الفوائد، وحوضُ علمٍ لا يَنزفُ[3] لكثيرِ الوارد، لا بل بحرٌ لا يُنْعَتُ بالجزر، ولا يُمَدُّ باليسيرِ النزر، تَدَرَّعَ بالصيانة، وتطلعَ ثنايا الرفعة والمكانة، وتأزرَ بالعفافِ والديانة، وتعطرَ بالإنصافِ والأمانة، إن صارَ في الحسبِ الريحانة[4]، فهو لعقدِ الأدبِ اليتيمة[5]، ولوردِ النسبِ الروضةُ الشميمة، ومن مُصاصِ الشرفِ، بمنزلة الدرِ من الصدف، ألقى إليه العلمُ باللبب، ومَلَّكَهُ ناصيةَ[6] الأدب، وجالَ في مضمارِ الإيجاز، فسلَّمَتْ له البراعةُ زمامَ الإعجاز، وبرزتْ(♦) من خدور البيان، لهُ مخدراتٌ لم تبرز قَبْلَهُ لإنسان،

---

(١) ولد عام ١١٧٠هـ/١٧٥٦م، وفي هامش المطبوع: وفاته رحمه الله سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م.

(٢) له ترجمة في: علماء نجد (٦/٤٦٥)، إمارة الزبير: (٣/ ٧٠).

(٣) النزف : نزح الماء من البئر أو الغمر شيئاً بعد شيء، والفعل ينزف (العين ١٧٨٠).

(٤) في المطبوع: ريحانة.

(٥) إشارة إلى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي.

(٦) في المخطوط: الناصية، وأثبتنا ما في المطبوع.

(♦) بداية ص ٥٧ في المطبوع .

بحثَ في مشكلاته فأبانها، وأعربَ مبهماته فزانها، وأماطَ اللّثامَ عن وجوه أبكاره، وفتَقَ[1] الكمامَ عن أزهارِ أسراره، ونظمَ ببنانِ ابتكاره، لآلئ تقصاره، ووشي حِبَرَ بيانه ببنانِ أذهانه.

حَبْرٌ إذا وَشَّى[2] بُرودَ أُلوكَةٍ[3] ... أمستْ على كلِ المآلكِ[4] فاخِرَهْ[*]

وإذا أبان وجوهَ بحثٍ غامضٍ ... نُظِرَتْ بألحاظِ البصائرِ سافِرَهْ

وإذا جرى ذكرُ الحديثِ وأهله ... فهوَ الذي بالحفظِ قيّدَ نافرَهْ

وإذا الأصولُ تبرقعت أبحاثُهُ ... فَسَرَ[5] البراقعَ عن وجوهٍ وافرَهْ

فكأنما جمعُ الجوامعِ قلبُهُ ... إن قامَ بالتحريرِ يطلبُ نادره[6]

تمكّنَ من العلومِ النقلية والعقلية[7]، وعُنِيَ بجمعِ[8] الشواردِ الأدبية، وآلتْ إليه الرئاسةُ الحنبلية، وعُرضتْ عليه المشكلاتُ الحديثية، فأزهرتْ به للحديثِ رياض، وطار صيتهُ في الأمصار واستفاض، وانثالَ للروايةِ عنه الطلاب، فأتوه من كلِ أوبٍ وباب، وظهرت بركتهُ في القاصي والداني، وبهرت مروءتهُ حتى

---

(١) في المطبوع: وفتقت.

(٢) في هامش المطبوع: يُقال وشى مخففاً ومشدداً.

(٣) الألوكُ والألوكة : الرسالة (القاموس ٨٥٨).

(٤) في المطبوع: الألائك.

(*) من البحر الكامل.

(٥) في المطبوع: قسر، وهو تصحيف. وفسر مأخوذ من الفسر: الإبانة وكشف المغطى. (القاموس ٤٢٥).

(٦) نادرة واحدة النوادر.

(٧) في المطبوع: العقلية والنقلية.

(٨) في المطبوع: بجميع، وهو تحريف.

قيلَ ليس له فيها مداني، وابيضَّتْ لياليه، ببدور مساعيه، وأثنى عليه ليلهُ ونهاره، وتشرَّف بمباشرته رداؤه وإزاره، وشهدَ له بعلوِّ الرتبةِ فخاره، وتَوَقَّرَ[1] فيه سكينتهُ ووقارهُ، وحُمِدَتْ في المحافلِ مزاياهُ وآثاره، وأقرَّتْ بزهده معاصروه، وبمجده أضدادهُ ومعادوه، صَحِبْتُهُ في الصغر، وذاكرتهُ فألفيتهُ نسيمَ السحر، قَبَّلَ خدَّ الزهر، فعادتْ عَلَّي بركته، وشملتني دعوته، أخذَ العلمَ عن الجامعِ بينَ المنقول والمعقول[2]، والآتي في فنِّ الأصول، بما فاقَ على الحاصلِ والمحصول، والناقد المميزِ بنقدهِ المردودِ والمقبولِ، الكائنِ من نحرِ الابتداع كالعامل[3] المركوز، محمدِ بنِ عبداللّه بنِ فيروز، وعن ابنه عبدالوهاب، وغيرهما كابنِ سَلُّومٍ في الحساب، وشيخنا الكرديِّ في النحوِ والقرآن، وشيئاً من فَنّيِ[4] الأصولِ والميزان، وروى البخاري، وشرحَهُ إرشادَ الساري، إجازةً وسماعاً لغالبهما، وقراءةً لبعضهما، عن شيخه قدوةِ المحدثين، وحافظِ عصره في الأحسائيين، ومنتهى إرادة الطالبين، المشارِ إليه أولاً[5]، المعولِ عليه فيما أَسْنَدَ وأَرْسَلا، وأخذَ عنهُ المعانيَ والبيان، والبديعَ والنحوَ حتى بَرَّزَ على الأقران، والعروضَ والقوافيَ والأصلين[6]، فقرت له بذلكَ العين، وغيرَ ذلك مما يخرجُ ذكرهُ إلى الإسهاب، ويخرجُ بسطهُ إلى إفرادِ كتاب.

---

(١) في المطبوع: وتوقر، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: المعقول والمنقول.

(٣) في المطبوع: كالعلم.

(٤) في المطبوع: فن.

(٥) يقصد به محمد بن عبد اللّه بن فيروز.

(٦) يقصد به أصول الفقه وأصول الحديث.

وبالجملةِ فهوَ الصدرُ في أصحابه، والنحرُ لقلادةِ الفضلِ وسخابه، والسماءُ لكواكبِ آدابه، إن اختصرَ فإليه المنتهى والغاية، وإن أطنبَ فهوَ في الإطنابِ الآية، لم يزلْ مثابراً على الأخلاقِ الزاهرة، المُبَعِّدةِ عن الدنيا المقربةِ إلى الآخرة، يقومُ الليلَ بأجفانٍ باكية، ويصومُ النهارَ بأحشاءٍ طاوية.

لـلّـه دَرُّ إمــــــــامٍ	لم يغفُ في الليلِ غفوةْ[*]
وإن يقلْ لا[1] تجــد في	مـقـــاله قطُّ هفــوةْ
له مُـحَـيّـاً بـهـيـجٌ	كـأنة الزهرُ غـدوةْ
ومـهـجـةٌ ليسَ فـيـهـا	لهــذهِ الدارِ شـهــوةْ

انتقلَ من نجدٍ يافعَ السن، منفرداً عن التِّرْبِ[2] والخَدَن، فوصلَ إلى هجر، وحاربَ كراه[3] وهجرَ، ليالَيَ الطلب، حتى بلغَ الأرب، ونَوَّرَ روضُ إقباله، وأسفرَ صباحُ آماله، وفُتِحَ له وردُ مجده[4]، وترنحَ غصنُ سعده، بمشاهدةِ ذلك الجنابِ الكريم[5]، واهتدائه بصراطه المستقيم، وتطلعه في صفحاتِ وجهه القسيم، وموالاته إياه، موالاةَ الأبِ الرحيم، ومصافاته[6] رضاه، مصافاةَ الماءِ

(*) من البحر المجتث.

(١) في المطبوع: لم.

(٢) في المطبوع: الرب، وهو تحريف.

(٣) الكرى : النعاس (العين ١٥٧١).

(٤) في المخطوط: وفتح ورد مجده، وكلاهما صحيح.

(٥) يقصد به محمد بن عبد الله بن فيروز.

(٦) في المطبوع: ومصافاة.

النسيم، وتنويرِ عينِ بصيرته[١]، وتحليةِ عاطلِ فكرته، وإتحافهِ بتهذيبه[٢]، وإسعافهِ بتأديبه.

ولما تنقلتْ بهما الحال، وانقلب[٣] الدهرُ بهما ومال، بإخراجهما عن الأوطان، وإيحاشهما من الخلان، قَصَدا زيارةَ[٤] أحمد، فزادَ إكرامهما وجدد، وأبدلهما من الدُّورِ الغرف، ورفعهما بعد الانخفاضِ إلى الشرف، ووصلهما بصلات، عوائدهُما لم تُضْمَر، وأمدهما بتبجيلات، قلائدها[٥] النضارُ والجوهر، فما زالا على هذا الإكرام، حتى نقلتهما الأيام، إلى البصرةِ قبةِ الإسلام، فتبوآ من مقاعدها الصدر، وأسفرَ بهما وجهُ المِصرِ والعصر، وارتفعَ لهما في أهلها الجاهُ والقدر، وتولىَّ شيخُهُ[٦] المدرسةَ السليمانية[٧]، وأقامَ الوظائفَ العلمية، وهو يقررُ البخاريَ عليه، ويثابرهُ على إلقاءِ الدروسِ بين يديه، نازلاً من إكرامهِ منزلةَ الإنسانِ من المقلة، أو منزلةَ الرابطِ من الجملة، إلى أن انتقل شيخُهُ بالرحمة، بعدما أفاضَ عليه حفظَهُ وعلمه، فتصدر بعدَهُ فيها، ناهجاً منهجَهُ في إكرامِ ساكنيها[٨]، قائماً بوظائفها[٩] كما هو شرطُ واقفها، وقد حضرتُ

(١) في المطبوع: تبصرته.

(٢) في المطبوع: وإتحاف تهذيبه.

(٣) في المطبوع: فانقلب.

(٤) في المطبوع: زيارة.

(٥) في المطبوع: بتجميلات قائدها، وهو تحريف.

(٦) المقصود به محمد بن عبد الله بن فيروز.

(٧) كان موضعها في محلة المشراق. (التحفة النبهانية: ص ١٠٠).

(٨) في المطبوع: الإكرام لساكنيها.

(٩) الوظائف بالمشالة ما يوظف من قراءة وأوراد وغيرهما.

درسَهُ[١] مراراً، فوجدتُهُ بحراً زَخَّاراً، يعتقدُ معتقدَ السلف، ولا يتعرضُ للسادةِ الخلف، لم يزلْ جِلْسَ[٢] داره، ملازماً لسكينتهِ ووَقاره، محافظاً على إكرامِ جارهِ، مباركاً في إيرادهِ وإصداره، طويلَ الصمت، جميلَ السمت، فهوَ الدرَّةُ التي ببقائها يُدعى، ولزيارتها على الرأسِ يُسْعى.

[ترجمة الشيخ عبد الله بن عثمان بن جامع]

ومن محبيه في إعلانه وإسراره، ومجاذبيه أزمةَ أسماره، وملازميه في ليله ونهاره، الأديبُ الأريب، واللوذعيُ النجيب. عبدُاللّهُ بنُ عثمانَ [بنِ عبداللّه][٣] بنِ جامع[٤]. البليغُ في المحاضرِ والمجامع، والمهيبُ بالأبصارِ والمسامع، قد برعَ في المعرفة وهو غلام، ورامَ المعالي فأدركها قبلَ الفطام، وتأزرَ بالعفاف حالَ البروزِ من الأرحام، وارتدى بالإنصافِ حتى دُعي فيه الإمام، وتدثرَ بالسكينةِ والوقار، قبل اخضرارِ العذار، ولازم التقوى كما لازم الشمسَ النهار، فأبْرَضَ روضُ أثماره، وابيضَّ وجهُ افتخاره(♦)، وشمخَ عِرنينُ مقداره، واشتهر في الأنام، اشتهارَ البدرِ في الظلام، وبرزت في فلكِ الإقبال شمسه، وتفاخر فيه يومُهُ وأمسه، ودُعي إعجوبةَ أوانه، وريحانةَ مصرِهِ وأعيانه، وانفردَ بلطائفِ الآداب، عن أفاضلِ الأتراب، واتصفَ بأوصافِ[٥] الكمال، وأسعفَ بالنوال، إسعافَ العارضِ الهطال.

---

(١) المقصود به سليمان بن سحيم.

(٢) في المطبوع: جليس.

(٣) سقطت من المخطوط وأثبتناها من المطبوع.

(٤) ترجمته في : علماء نجد (٤/٣٠٦)، إمارة الزبير(٣/٦٧)، والسحب الوابلة (٢/٦٣٣).

(♦) بداية ص ٥٩ في المطبوع .

(٥) في المطبوع: باتصاف، وهو تحريف.

لم أجدْ فاضلاً من الناسِ إلا   وهو يثني بِمِلْءِ فيهِ عليه(*)
أتلامُ العُلا إذا لازَمَتْهُ   مثل ما لازمَ السخاءُ يديه

قد أخذَ النحوَ عن شيخنا الكردي، وقال فيه هو أجلُ منْ قَرأ عندي، وَوَرِيَ زَنْدُهُ من زندي، وعن ابن فيروزٍ ونجله[1]، علمَي الفقه وأصله، وعن ابنِ خنين، وغيرهم من علماء البحرين، لا غروَ أن شأى في البراعة، من مدَّ إلى تناوشها ذراعه، بنظمٍ هو سائلُ الأمثال، ونثرٍ هو فرائدُ اللآل.

فقراتٌ كأنهن لآلٍ   وقوافٍ كأنهنَّ سموطُ(**)
نظراتٌ كأنها زهراتٌ   باسماتٌ يزينهن السقيطُ

هزَّ للمعالي معاطفها، ومدَّ للمكارمِ وارفها، وحلَّى للمآثرِ سوالفها، وبلغَ من النجابة أقصاها، وحوى اللبابةَ[2] وطلعَ رُباها، حتى كأنما هي لفظةٌ هو معناها، ولَبَّتْهُ البلاغةُ حين ناداها، وتطأطأتْ له الفصاحةُ فامتطى مطاها، وبرزَ للمشكلاتِ فأسفرَ عن مُحَيَّاها، وشمست[3] المعضلاتُ فأزال شَماسَتَها، وشَرِست العَويصاتُ فألانَ شراستها، وتجلَّى للمكرماتِ فأعطته زِمامها، وجعلتهُ في مجامعها إمامَها ومقدامها.

(*) من البحر الخفيف.
(١) في المطبوع: نجله، وهو تحريف.
(**) من البحر الخفيف.
(٢) اللبابة مأخوذة من اللُب وهو العقل (القاموس ١٣٦).
(٣) شَمسَ الفرس شموساً وشماساً : منع ظهره (القاموس ٥١١).

[ترجمة الشيخ عثمان بن جامع]

وممن أمسكَ بزمامِ علمه، والتقطَ من زهرِ نثرهِ ونظمه. أبوهُ الإمامِ عثمانُ بنُ جامع،[١] بهجةُ صدورِ المجامع، وزهرةُ رياضِ الجوامع، وغرةُ وجوهِ الأفاضل، وعمدةُ المستفتينَ في النوازل، الأنصاريُ الخزرجيُ نِجاراً[٢] القطريُ البصريُ داراً، هو واللّهِ نادرةُ عصره، وناظرةُ بلدهِ وقطره، ذو دمعٍ ساكب، وقلبٍ خاشعٍ واجب[٣].

إذا قـرأُ القـرآنَ سـالتْ دمـوعُـهُ ولاحَ على الخدّينِ منه خشوعهُ[*]

إذا اسودَّ جِنْحُ الليلِ قـامَ مُصَلّياً وقَعْـقَـعَ من خوفِ الإلهِ ضلوعـهُ

إذا توسمتَ صباحه، استَبَنْتَ[٤] فلاحه، واستشمتَ نجاحه، وإذا سمعتَ قراءته، تيقنتَ إنابته، وحققتَ عبادته، وإذا سبرتَ طريقته، ذكَرْتَ[٥] النبيَّ وسيرته، لا تأخـذهُ في اللّهِ لومـةُ لائم، ولا تردعُـهُ[٦] عن الحقِ الصـوارم، أمّـا زهدهُ فـزهدُ إمامه[٧]، وأمّا شجاعتـهُ فشجاعـةُ آبائه وأعمامه، قرأ[◆] كابنه على ابنِ فيروز،

(١) ترجمته في: علماء نجد (١٠٩/٥)، السحب الوابلة (٧٠١/٢)، إمارة الزبير (٦٨/٣).

(٢) في هامش المطبوع: النجار ككتاب الأصل كالنجر وهو بالنون والجيم.

(٣) وجَبَ القلب وجباً ووجيباً ووجباناً : خفق (القاموس ١٤٣).

(*) من البحر الطويل.

(٤) في المطبوع: واستننت، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: ذكر، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: تدرعه، وهو تحريف.

(٧) في هامش المطبوع : أراد إمامه الإمام أحمد بن حنبل.

(◆) بداية ص ٦٠ في المطبوع .

وعرفَ به ما يحرمُ وما يجوز، وروى الأحاديثَ النبوية، وتصدرَ [به][1] في السادةِ الحنبلية، وشرحَ أخصرَ المختصراتِ في المذهب، شرحاً أبانَ عن فضله وأعرب، ووَلِيَ القضاءَ فَحَسُنَتْ سيرته، وحُمِدَتْ في الحاضرِ والبادي[2] طريقته، ورحلَ إلى مكةَ وطَيْبة[3]، فحَمِدَ غِبَّ هاتيكَ الغيبة، بقضاءِ واجباتِ المناسك، وحصولِ المُنى بالمثول[4] في هاتيكَ المسالك، قد قرأ الفقهَ والآداب، والمواريثَ والحساب، ففاقَ مشايخهُ بَلْهَ الأتراب[5]، كيف لا يفوقُ المعاصر، ويروقُ به وجهُ المحَاضر، ويحارُ في ذكائه المُناظر، وتُشَنِّفُ[6] الآذانُ بأخباره، وتتشرفُ الأجفانُ بإبصاره، وعبدُ الله ابنهُ والعلْمُ خلْمُهُ وخدْنُه[7]، رحل الابنُ الكريمُ إلى اليمن، فوُصِلَ له كلُّ صحيحٍ وحسن، وكَمُلَتْ لهُ الدراية، بعد ما حصلتْ له الرواية، ودخل مكةَ والمدينة، فكملَ له الوقارُ والسكينة، بمشاهدة تلك المشاهد، ومُعاهدة[8] هاتيكَ المعاهد، والشامَ وحلب، فأدركَ ما طلب، إن أطلقَ فكْرَهُ الشوارد، فكم قيَّدَ من أوابد، مع ما جُبِلَ عليه من الحِلْم، وملاطفةِ المُصادقِ والخِلْم[9]، وإسهارِ الأجفان، في تدبرِ معاني القرآن، وإتعابِ الفكرْ، في تحصيلِ الغُرَر، ومن الدليلِ على فخامةِ قدره، وسموِّ مجده وعلُّو فخره، صُحْبَتُهُ لأحمد،

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: البادي والحاضر.

(٣) هي المدينة المنورة (القاموس ١١٥).

(٤) في المطبوع: في المثول.

(٥) في المطبوع: بلا ارتياب.

(٦) في المطبوع: وتتشنف.

(٧) في المطبوع: والعلم خدنه.

(٨) في المطبوع: ومعاهد، وهو تحريف.

(٩) في المطبوع: المضادد والخضم.

وصيروورتهُ منهُ كالسِّمطِ من المِقْلد، يفيضُ عليه الأسرار، في الجهرِ والإسرار[١]، ويساعدهُ مساعدةَ الساعد، ويصلهُ بأتمِّ صلةٍ وعائد، فها هوَ وأبوه في قيدِ الحياة، كما نرجوهُ ونتمناه، [سائرَيْنِ][٢] أعدلَ السيَر، سالمَيْنِ من الآفاتِ والغِيَر، مُحَبَّبَيْنِ عندَ عامة البشر، معظمَيْنِ في كلِّ بدوٍ وحضر، جديرَيْنِ أن يُحْدِقَ بهما كلُّ بصر، وأن تُنْشَرَ أخبارهُما ببنانِ[٣] لسانِ السمر.

[ترجمة الحاج بكر لؤلؤ البصري القطري الزباري]

ومن سُمَّاره وحَمَلَةِ أخباره، ومُسَلْسِلِي[٤] أذكاره، ومُحَسِّنِي[٥] آثاره، ومواليه وأنصاره، ومُنْتَشِقِي[٦] أرَجِ افتخاره، بكرُ بنُ أحمدَ البصريُ القطريُ الزباريْ، سقى جدثَهُ هَطَّالُ عفوِ الباري، وهفا عليه رَوْحُ الجنة الساري، قدْ قرأَ القرآن، وأتقنه أتمَ إتقان[٧]، ونورٌ به المكانَ والزمانَ[٨]، وأعمل به الجنانَ واللسان، وأبكى به[٩] الأجفان، واعتصمَ بعراه، وانتظمَ في سلك اقتفاه[١٠]، واستنارَ بمصباحه، وتنشق عبهرَ أرواحه، وأتقنَ محكمه، ومؤخرَهُ ومُقَدَّمَه، فَآمَنَ بمُشْكله،

---

(١) في المطبوع: السِّرار: أي السر (القاموس ٣٧٩).
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) في المطبوع: ببيان.
(٤) في المطبوع: ومسلسل، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع: ومُحسِن، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع: ومنشق، وهو تحريف.
(٧) في المطبوع: الإتقان.
(٨) في المطبوع: والزمان والأجفان، وقد حذفناها لعدم ورودها في المخطوط، ولتكرارها بعد ذلك.
(٩) في المطبوع: عليه.
(١٠) في المطبوع: افتقاره، وهو تحريف.

ومُفَصَّله ومُجْمَلِه، أتجرَ بالأموال، فانثالت عليه النعمُ، وحَسُنَتْ له الأحوال، فما زَلَّتْ له عنِ الشرعِ قَدَم، وطلبَ الرزقَ من حِلِّه، وصرَفَهُ في مستحقيه وأهله، فَعَمَرَ المساجدَ للعبادة، والمقاعدَ للشرفاء والسادة، وأنالَ جداولَ النائل، على المُسْنِتِ والعائل، وأرسلَ إلى الحرمين، من غالي العين، ما لم تَرَهُ[1] عين، وأمَّلَ ذاتَ اليمين، بصدقاتِ[2] اليسارِ واليمين، وتواضعَ للعالة، واطَّرَحَ الأُبَّهةَ والجلالة، مع أنها لا تنبغي إلا لَهْ، فهوَ الغرةُ التي زان بها وجه الزمان، وتلألأ بها[3] ثغرُ المروةِ والإحسان، والدوحةُ التي تفرعتْ منها أفنانُ الكرم، والروضةُ المزهرةُ بأزهارِ الشيم، المفترةُ الكمائمُ عن أورادِ العِظَم، والدرةُ التي لا يُقاسُ مقدارُها[4] بالقِيَم

(◆)درةٌ قدْ سَمِحَ الدهرُ بها عَظُمَتْ عنْ أن تُوازى[5] بالقِيَمْ(*)

درّةٌ تَبْسَمُ ثغراً عن ندىً ما أتاهُ سائلٌ إلا سَجَمْ[6]

حرَّمَ الجودُ عليه قولَ لا وقضى حَتْماً عليه بنَعَمْ

قد نشأ في البصرة، مجبولاً على أحسنِ فِطْرةْ، منظوراً من القدر بأرأفِ نظرةْ، مرتضعاً من ثَدْيَيِ[7] الكمالِ والجلال، مرتفعاً على الأقرانِ والأمثال،

(١) المطبوع: تر.

(٢) في المطبوع: بصدقة.

(٣) في المطبوع: غرة، وهو خطأ وسبق قلم من الناسخ.

(٤) في المطبوع: يقايس مقداره، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ٦١ في المطبوع .

(٥) في المطبوع: توارى، وهو تحريف.

(*) من البحر الرمل.

(٦) سجمت العين تسجم سجوماً وهو قطران الدمع قل أو كثر وكذلك المطر (العين ٧٩٢).

(٧) في المطبوع: ثدي.

سائراً ذكرُهُ سَيْرَ الأمثال، محمودةً سيرتُهْ، مأنوسةً سريرتهْ، بيتُهُ ركنُ تستلمه العلماء، وتقبلهُ بالشفاه العظماء، مثابراً على أخلاقِ الكرماء، ذا[1] ألطافٍ أدبية، ووظائفَ حاتمية، لا يصحبهُ إلاّ أهلُ العفاف، ولا يتقربُ إليه[2] إلا ذوو الإنصاف، ولا تَرِدُ مجلسهُ إلا الأولياءُ أوِ الضعاف[3]، ولا تُنْشَرُ في ناديهِ إلا محاسنُ الأوصاف، ولا يسامرهُ إلا النبلاءُ الأشراف، ما مضى زمن، إلا وأودعهُ كلَّ حَسَن، ولا حلَّ مكان، إلاّ وَهَلَّ فيه بإحسان، إذا تصدقَ أخفى، وإذا كالَ أو وزن وفّى، وإذا لبسَ الظلامُ رِواقَه[4]، شدَّ للعبادةِ نطاقه، وأعظمَ للمستحقينَ إنفاقه، فما زالَ يُعْمِلُ بالقرآنِ[5] لسانه، وبالتفكرِ في الآلاءِ جَنانه، وبإسداءِ النَّعْماءِ بَنانهُ، وبالركوعِ والسجودِ أركانهُ، إلى أن ينفلقَ الصباح، ويُدعى إلى الفلاح، فيهرعُ إلى الصلاة، والخدمُ أمامه ووراه، فإذا قضاها انصرف، وأكَبَّ على القرآنِ وعكف، إلى أن تأخذه ذُكاء[6] في الإشراق، وتفزعُ الناسُ إلى اكتسابِ الأرزاق، فيدعو بالجفان، المترعةِ من الأطعمة بألوان، فَيَطْعَمَ مَنْ دارسهُ منها، فإذا قضى وقضوا انصرفَ عنها، فيتصدقُ على من حضر، في ذلك المحضر، ثم يقومُ إلى صلاة الضحى، فإذا قضى وطرَهُ منها انتحى، آخذاً في أمور دنياه، ليستعين بها على أخراه، فما زال كذلك فيها، حتى انتقل من

(١) في المطبوع: ذي، وهو خطأ.
(٢) في المطبوع: عليه، وهو تحريف.
(٣) في المطبوع: والضعاف.
(٤) في المطبوع: براقه، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع: القرآن، وهو تحريف.
(٦) في هامش المطبوع: ذكاء غير منصرف: الشمس.

نواحيها، عامَ انقضاءِ[1] محاصرةِ الزَّنْدِ لها[2]، وقد كان الساعدَ والزندَ لها، وسكن الزبارة وهي في عنفوانِ[3] العمارة، فسلكَ فيها العدل، وأوسعَ فيها البذل، وعَظُمَتْ له فيها الرتبة، إذ جَلَّتْ[4] له العطيةُ والقربة، وأعادَ فيها نضارةَ الإسلام، وغضارةَ المكارمِ في تلكَ الأيام، وحَسُنَتْ لها فيها الآثار، وصُحِّحَتْ له أخبارُ الافتخار، وارتفعَ [له][5] فيها العرنين، وانقطعَ له فيها القرين، سوى من أُعْمِلَتْ فيه هذهِ الرسالة، واشتهرَ في الآفاقِ اشتهارَ الغزالة[6].

فإنِّيَ[7] لا أُلْفِي[8] لهُ الدهرَ مشبهاً ولو أنه مسَّ السُّهى بيمينه[*]

نعم [بكرٌ][9] هذا هو الغايةُ بعده، ولا ادعىً أنْ[10] ينالَ مجده، ولكنه يفوقُ من عداه، ويحذو حَذوَ نداه، فبيتهُ مناطُ عقدِ الدراسة، ومجرُ ذيلِ الرياسة،

---

(١) في المطبوع: الحصار، وهو سبق قلم من الناسخ.

(٢) ذكر في مطالع السعود أن محاصرة كريم خان الزندي للبصرة كان في عام ١١٨٨هـ/١٧٧٣م، وقد توفي بكر في عام ١٢٠٢هـ أي إنه انتقل إلى الزبارة قبل وفاته بـ ١٤ عاماً. انظر: مطالع السعود: ٨١.

(٣) في المطبوع: عنوان، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: حلت، وهو تصحيف.

(٥) سقطت من المطبوع.

(٦) الغزالة كسحابة: الشمس لأنها تمد حبالاً كأنها تغزل، أو الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها أو عين الشمس (القاموس ٩٥٦).

(٧) في المطبوع: وإني.

(٨) في المطبوع: ألقى، وهو تصحيف.

(*) من البحر الطويل.

(٩) سقطت من المطبوع.

(١٠) في المطبوع: إذ، وهو تحريف.

ومُقَبَّلُ شفاهِ الأمراء، ومطمحُ آمالِ الفقراء، ومهبُّ أنفاسِ الكرم، ومَصَبُّ ما لَهُ من الديَمْ، يتلاقى[1] فيه الدارسُ والفارس، والمثري والبائس

(◆)فيا لك من بيتٍ زواياهُ للعُلا مقرٌّ وللقرآنِ خيرُ مدارسِ(*)

بنى في الأحساءِ من البحرين، مدرسةً أو مدرستين، ومسجداً في الزبارة كالبدرِ في رأيِ العين، متى ذُكِرَ له عالمٌ أرسلهُ إليه، وأفاض موائدَ بِرِّهِ عليه، وروى عنهُ ودرى، فإذا قضى منه وطرا، أرجعهُ حامداً لما جرى، لا تلذُّ له المسامرة، إلا بالمذاكرة، لا سيما في الفرائضِ[2] والحساب، فإنه ممَّنْ أماطَ عن مخدراتهما النقاب، ومنَ الدليلِ على باهرِ صفاته، أنه لما لاحتْ أعلامُ وفاته، وخافَ انقطاعَ خيراته، وكانت لهُ جملةُ ديون، مثقلةٌ بها الأعناقُ والمتون، أطلقَ رقابَ أهلها، من قيدِها وغلها، وأردفها من عينِ ماله بمثلها، وبالجملة فأوصافهُ محمودة، وإفضالاته غيرُ محدودة، وأيامهُ مشهورةُ مشهودة، وعطاياهُ مجرورة، ومزاياه مشكورة، تعيا الأقلامُ عن حصرها، والأفهامُ عن اكتناهِ قدرها، توفي بعد الألف والمائتين، مردفةً بسنتين ١٢٠٢هـ [١٧٨٧م] سقى قبرهُ ملثُ الرضوان، وغاداه العفوُ والغفران.

بُكاءً فإن المجدَ قد خرَّ نجمهُ وَصَوَّحَ[3] روضُ الفضلِ والفصلِ والحلمِ(**)

---

(١) في المطبوع: يتلاقى، وهو تصحيف.

(◆) بداية ص ٦٢ في المطبوع .

(*) من البحر الطويل.

(٢) في المطبوع: بالفرائض.

(٣) التصوح : التشقق (القاموس ٢٢٣).

(**) من البحر الطويل.

قضى فقضتْ مَعْهُ[1] المعالي وأصبحتْ خدودُ العُلا سودَ الجوانبِ باللَّدمِ[2]

وعادتْ قِسِيُّ الفضلِ لا وَتَرٌ لها ولا فُوقَ إلا وهو يبكي على السهمِ

وأضحت قناةُ الدينِ تبكي سنانَها فها عينُها قرحى وها دمعها يهمي

ووجهُ الهدى قد صارَ من عِظَمِ الأسى ولا مقلةٌ تجلو ولا أنفَ للشمِ

وأضحىٰ اليتامى والمُسِيفون بعده خواضعَ مما مسهم من ضنا اليُتْمِ

بَكَوْهُ بأجفانٍ لفَقْدِ جِفانه المكللة الأطراف بالخبزِ واللحمِ

فقدْ كانَ مأوىً لليتامى ومَعْقلاً يلوذُ به الهُلاكُ في الكُرَبِ الدُّهْمِ[3]

[ترجمة الشيخ أحمد بن الشيخ درويش العباسي الكوازي البصري]

وممن عاصره، وما صاحبهُ وعاشره، سَمِيُّهُ أحمدُ بنُ درويشٍ الأنجد[4]، فإنه وإن لم يكنْ يلقاه، فقد كان يحبُ أن يراه، ويهوى مكاتبته، ومسامرته [ومنادمته][5]

والمرءُ ما زال إلى شبهِهِ منجذباً يهواه بالطبعِ[*]

والمرءُ يهوى المرءَ عن رؤيةٍ من بعدِ أن يهواه بالسمعِ

---

(١) في المطبوع: منه، وهو تحريف.

(٢) اللدم : اللطم والضرب بشيء ثقيل يُسمع وقعه (القاموس ١٠٦٧).

(٣) الدُهم : ثلاث ليال من الشهر (القاموس ١٠٢٣)، ويقصد نهاية الشهر حيث يكون القمر محاقاً.

(٤) ترجمته في (تحفة المستفيد ٦٠٧ وما بعدها)؛ وعنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (١٧٠).

(٥) سقطت من المطبوع.

(*) من البحر السريع.

ولكن الأيامَ لم تسمحْ بالبُغْية، فلم تمنَّ على كلٍّ منهما بالرؤية، فهو وإن لم يحظَ برؤيته، فقد حظيَ بموافقته، في صِفَتِه وتسميته، نشأ في البصرةِ بلادِه، ومناطِ قرط سؤدد أجداده، ومطلع(◆) غزالة سيادته[١]، ومربعِ أوراد سياسته، ومرمى أنظارِ[٢] علائه، ومهمى أمطارِ سمائه، ومجرِ ذيلِ ثنائه، ومقرِ لآلئ آلائه، وبلدةِ بدرِ مجده، ووردةِ زهرِ حمده، ومرتعِ أذوادِ وُفَّاده، ومنبعِ عيونِ جوده وإمداده، ومدارِ سَيَّار[٣] أفضاله، ومنارِ اعتبارِه وكماله، ومغرسِ فسيلِ[٤] كرمه، وموطئِ أخمصِ عظمه، ومعقد عقد شرفه، ومورد لطائفه وطُرَفه[٥]، ومنهلِ إنصافه، ومهلٍ عفافه، فهي بلدةٌ يطيرُ إليها العافي، بالقوادمِ والخوافي، وتُحْكَمُ في مدحها الأعاريضُ والقوافي، وتطمحُ إليها الأنظار، ويسمحُ لوصولها الضنينُ بالنضار، فإنها وإن كانت قبةَ الدين، ومنجَعَ الأبرارِ المتقين، ومجرَ ذيولِ الكرماء الميامين، ومدارَ شموسِ العلماء العاملين، قد زادت بأحمدَ نضارتها، وانفلقتْ عن لآلئِ المفاخرِ محارتُها، وافترت عن المآثرِ منها الثغور، وأسفرت فيها للسيادةِ نجومٌ وبدور، وذالَ[٦] بردُ سعادتها، وطال ذراعُ سيادتها، وشمخَ عرنينُ ارتفاعها، وبَذَخَ رَعْنُ[٧] امتناعها، وحُمِيَتْ بالأسنةِ آجامُ سباعها،

(◆) بداية ص ٦٣ في المطبوع.

(١) في المطبوع: سيادة غزلاته، وهو خطأ.

(٢) في المطبوع: أنضار، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: سيال، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: مسبل، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: وظرفه.

(٦) في المطبوع: وزاد، وهو تحريف.

(٧) في المطبوع: ويذع عز، وهو تحريف.

وجَمَحَتْ[١] عن الإهانةِ رباعـهـا، وطلَع في منازلِ النصرِ إكليلُهـا وذراعـهـا، وأخصبت بسيبِ جدواهُ بقاعها، وافتخرَ بإقدامهِ يفاعها، وزان ببهجتهِ محيّاها، وضـاع بطيبهِ ريّاها، واكتحلت بإثمدِ رياسته عيناها، وأثنى على فعـاله لسانها[٢]، ونَظَرَتْهُ[٣] عن عظمِ أعيانها، وأخضلت بسعادتهِ أفنانها، فلا غروَ أن تسفرَ به جبيناً، وتفيضَ على بدنها من مهابته زرداً وضينا[٤]، وتذيلَ من مكارمهِ ذيولاً، وتنشقَ من أنفاسِ لطافته[٥] شمْألاً وقَبولا، وتزدادَ بظرافتهِ إلى الصدورِ قَبولا، إذ هو المشارُ إليه في ندوتها، والواجبُ التصدرُ في ذروتها، الملقاةُ إليه مفاتيحُ إيرادها وإصدارها، والمنتظمةُ ببنانِ آرائه فرائد تقصارها، المنادي حاتمها، وإن كان لأعدائه هاشمها، وحسامَ حمايتها، وغرةَ ناصيتها، ومصباحَ مشكاتها، ومفتاحَ خيراتها، وإنسانَ مُقلتها، وركنَ قبلتها، وبدرَ أفقها، وشمسَ غربها وشرقها، ومركزَ دائرتها، ومحيطَ قارّتها ودائرتها، وكبرى مقدماتها، ومعنى كلماتها، وسالفةَ تقصارها، وهامةَ افتخارها، ومعدنَ أسرارها، ومعقلَ فقرائها، وموئلَ أمرائها، ومرمى[٦] ثنائها، ومنتهى آمالِ أبنائها، ومنهاجُ عوارفها، وإمدادُ عواطفها.

قُرَشِـيٌّ النجارِ مـن سحٍّ كفيـهِ ... رياضُ النـدى تَفَتَّحْـنَ نُورا[*]

---

(١) في المطبوع: وحجبت، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع: لسانه أفعالها، وهو خطأ وسبق قلم من الناسخ.

(٣) في المطبوع: ونظرت، وهو تحريف.

(٤) الزرد : الدرع المزرودة (القاموس ٢٧٢). والوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ولا يكون من الجلد (القاموس ١١٤١). وفي المطبوع: وضئينا، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: أنفاس مهابته ولطافته.

(٦) في المطبوع: ومرقى.

(*) من البحر الخفيف.

أَلِفَ المكارمَ قبلَ الفصال، وقَصُرَ المكارمُ عن أن[1] يسابقه نوال، فرياضُ الكرم، منورةُ المُبْتَسَمِ[2]، مذ جادها وابلُ كفه، ورنا إليها بطرفِ عطفه، إن كانَ بالأنعام جَلَّلها، فقد أتمَّ نقصَها وكملها، وبدا لها مُعْوَجَّةً[3] فثقَّفَها، ومُنَكَّرةً فَعَرَّفَها، ومخفوضةً فرفعها، ومهانةً فمنعها

لولاه ما نبعت لمكرمةٍ   بها أبداً عيون[*]

[◆]لو لم تكن وجهاً لما   كانت مزاياه عيون

كيف لا تكون وجهاً مزاياه[4] عيونه، وروضاً وأفعاله أورادُهُ وغصونهُ[5]، وبيتهُ للوفَّادِ مشرع، وللأشرافِ والأجوادِ مجمع، يأتي إليه العائل، فيرجعُ عنه بكلِ نائل، يُحْيي به كرمَ جعفرَ ويحيى، ويفوحُ به خالدُ الفضلِ ريا، ويعيد ابن مامةَ ومعنا[6]، فيفوقُ من كارَمَهُ[7] لفظاً ومعنى، فلا غروَ أن تُقْصَدَ بلاده، وتُسْتَمْطَرُ مزنه وعِهادُهُ[8]، فقد اشتهرَ في الأمصارِ، اشتهارَ شمسِ النهار، مدحه الفضلاء، وقدحت بزندِ رأيه العقلاء، وضُرِبَ المثلُ بدماثة أخلاقه، وسعةِ إمداده وإنفاقه.

---

(١) في المطبوع: عمن، وهو خطأ.

(٢) في المطبوع: التبسم، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: وبد له معوجها، وهو تحريف.

(*) من مجزوء الكامل.

(◆) بداية ص ٦٤ في المطبوع.

(٤) في المطبوع: ومزاياه.

(٥) في المطبوع: وأفعاله غصونه وأوراده، وهو خطأ.

(٦) ابن مامة هو كعب بن مامة الإيادي كريم جاهلي يُضرب به المثل في حُسن الجوار. (الأعلام ٦/٨٥)؛ ومعناً يُقصد معن بن زائدة الشيباني.

(٧) في المطبوع: مكارمه، وهو تحريف.

(٨) في المطبوع: وتمطر مزنه وعماده، وهو تحريف.

ما فيــه مــن عيــبٍ سوى	أن كــان منطلــقَ اليــديــن[*]
إن كــان وجــهــاً للعــلا	ففخــارهُ للمجــد عَيــن

أو ليسَ[1] ينطبقُ بابه، بأنَّهُ[2] من الكرمِ عبابهُ، فإنه[3] على طولِ الأيام، مفتوحٌ للخاصِ والعام، ربما بلغت فيه الأضياف، في بعض الأيامِ آلاف.

يا حــبــذا نادٍ تَؤُمُّ	رحــابَهُ الأضيــافُ[**]
كيف ادعاءُ حصرها	وأقــلهــا آلافُ
فكأنه البيت الشريف	تَؤُمُّــــهُ الطُّوَّافُ

أُعمِلَتْ لزيارته يَعاملُ الآمال، فَرَجَعَتْ عنه بالإمدادِ والأفضال، وأما نسبه، ونصابهُ وحسبه، فهو نسبٌ ونِصابٌ[4] وَحَسَبْ، دونها عروقُ الذهب، ومن دونها ينزلُ البدرُ ولا عجب.

تمنت ذُكــاءُ أن تَمُــدَّ بنانَهــا	إليـه فلم تبلغ لذاكَ الأمـانيـا[***]
وكيف تنوشُ الشمسُ منصبَ مَحْتِد	متـى مـا ذكـرناهُ ذكـرنا المعـاليـا
من النفرِ القومِ الذين رمـاحـهم	أقامت على كسرى الملوكِ النواعيا
أكُــفُّــهُــمُ تَقْـرى بغـرٍّ فــواضلٍ	وأسـيـافـهم تفري الألدَّ المُعـاديا
بنو السيدِ العباسِ والأسُدِ الأُلى[5]	عزائمهم تحكي الخفافَ المواضيا

(*) مجزوء الكامل.
(1) في المطبوع: وليس.
(2) في المطبوع: لأنه.
(3) في المطبوع: وإنه.
(**) مجزوء الكامل.
(4) في المطبوع: نصب ونساب، وهو تحريف.
(***) من البحر الطويل.
(5) في المطبوع: العلى، وهو تحريف.

من معشرٍ عرفت البطحاءُ قدرهم، ونشرت الفيحاءُ في الأنداءِ ذكرهم، وفاخرت بفخرهم أبناؤهم، وتقاصرت عن مجدهم نظراؤهم، وتبسمت عن مآثرهم علياؤهم.

إن تفخرِ البطحاءُ بالآباءِ　　　فالفخرُ بالأبناءِ للفيحاءِ(*)

لم تزل البصرةُ ومقاليدُها في أيمانهم، ومضاحكها تفتر عن لألاء إحسانهم، شادوها ببنان المكارم، وحموها بكل سنانٍ وصارم، وأقاموا فيها شرفَ أجدادهم، ببذلِ طريفهم وتلادهم،(◆) قد وقعت لأجداده وقائعُ فيها[1]، تَحَيَّر أفكارَ واصفيها، وتشهدُ بعزهم وذُلِّ مُنافيها.

وقائعُ سُودٍ غَيّرَ أن سُيوفَهُمْ　　　لها غُرَرٌ تزهو بها وحِجالُ[2](**)

ونوازل، يندكُّ لها مواسل[3]، والظاهرُ أنهم العامرو هذه البصرة، والقائمون لها بالحماية والنصرة، فقد أخرجوا عنها كلَ حاكم، سام أهلها الخسفَ بالصوارم، وجَرَّعوا من اعتدى، كأسَ ذلةً وردى.

يَسُلُّونَ الصوارمَ مرهفاتٍ　　　على من سامها رجفاً وخسفا(***)

وكم قطعت سيوفهم لِباغٍ　　　يحاولُ ذلَّها زَنْداً وكفا

(*) من البحر الرجز.

(◆) بداية ص ٦٥ في المطبوع .

(١) في المطبوع: لأجدادهم فيها وقائع.

(٢) في المطبوع: وجمال.

(**) من البحر الطويل.

(٣) في هامش المطبوع: مواسل رأس جبل طي.

(***) من البحر الوافر.

إن حلوا سوالفَ أعدائهم بالبواتر، فكم حلَّوا أكفَّ أوِدائهم بالعطاءِ الوافر.

أكُــفُّــهُمُ فــيــهن شُــهْبٌ لمعــتــدٍ ... وفــيــهــا لمُسْتَجْدٍ نوالَهُمُ سُحْبُ(*)
إذا ما مـشى نحوَ المكارمِ غـيرُهُمْ ... رُويداً على الأقدامِ في فعلها خَبّوا

لا غـروَ أن المجدَ سمـاءٌ هُمْ أقـمـارُها، وروضـةٌ هم أورادها وأزهارها، وتقصارٌ[1] هم نحره وعقدٌ[2] هم دره، ولابدعَ أن الفخارَ فلكٌ هم أقطابه، وبناءٌ هُمْ شُرَفُهُ وقبابهُ، وأن السيادة محيّاً هم جماله، ومُقَلَّدٌ وفعلهم مرساله، ومِعْصَمٌ وكمالهم سواره، ومَعْلَمٌ وفضائلهم مناره.

مِنْ كل مـفـتـخرٍ بِجَدٌ[3] ... لم يكن إلا خليـفَـهْ(**)
يَهَبُ التـلادَ لمجـتـدٍ ... عـافٍ ويُتْـبِـعُـهُ طريفَـهْ

تجملت بآبائهم الإمامة، وتكملت بهم المهابةُ والقسامة[4]، وبرزوا في سماء الشرفِ بدوراً، وتَصَدَّروا فشأوا في الصدارةِ رؤوساً وصدورا، وظهروا على الأقران أتمَّ ظهور، وتمموا قصورَ الفضلِ بعد أن كان منهدمَ القصور، فهم وإن كانوا صدورَ المعالي، وبدورَ هذهِ الليالي، لم يكن فضلُهم إلا بأحمد، وأبيهِ وجدهِ الأنجد.

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: وبدراً، والنصب خطأ.

(٢) جاء في المطبوع بدراً ، وعقداً .. منصوب وهو خطأ.

(٣) في المطبوع: بحد، وهو تصحيف.

(**) مجزوء الكامل.

(٤) في المطبوع: الشهامة.

ثلاثةٌ بهمُ الفيحاءُ فاخرةٌ   بأحمدٍ أنَسٍ والقرمِ درويشِ[*]

قد سافر أحمدُ ليقضيَ نسكَه، ويَنْظُرَ منازل[١] آبائه بمكة، فصَحِبَهُ في ذلكَ السفر، بشرٌ كثيرٌ [من العسكر][٢]، وكلُ ضعيفٍ على الوصولِ لا يقدر[٣]، ناثراً[٤] فيهم النِّعَم، وحاملَهُم[٥] على الخيلِ والنَّعَم، ولما قدم على بلدِ ابنِ سعود، تلقاهُ بالبشاشة والجود، وعظَّمهُ تعظيماً، وكرّمهُ تكريماً، وسيَّرَ معهُ خَدَمَهْ، إلى أن دخلَ بلدَ اللهِ وحَرَمَهْ، وبعد أن قضى الوظائف، لهاتيكَ المشاهدِ والمواقف، رجعَ إلى البلد بالسلامة، راجياً قبولَ النُسُكِ وتمامه، فجازى ابنَ سعودٍ عن إكرامه، بالخلع[◆] السابغة لخُدَّامه، وهدايا وعطايا، تسفرُ عن غُرَرِ مزايا، ولما أن جاءَ البشير، بالبشارةِ للوزير[٦]، وكان له خالاً، خَلَعَ عليه وقالا:

جاءَ البشيرُ فكدتُ منْ   فرحي به أعطيهُ عيني
بَشرتَنِي بمهندٍ   في الحربِ يمضي كالرديني

ووَجَّهَ بالملابسِ الفاخرة، والهدايا الباسمة الزاهرة، إلى ذلك القادمِ من حَجَّته، وافَتْهُ مع الوصولِ لبلدته، فحصل له مع العملِ المبرور، الحبورُ التامُ

(*) من البحر البسيط.

(١) في المطبوع: وينزل منزل.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: لم يكن يقدر.

(٤) في المطبوع: نثر.

(٥) في المطبوع: وحملهم.

(◆) بداية ص ٦٦ في المطبوع .

(٦) في هامش المطبوع: أراد بالوزير سليمان باشا الكبير.

والسرور [وتَمَّ][1] في سنةِ السبع، بعد المائتين والألف هذا الجمع ١٢٠٧هـ/[١٧٩٢م]، فأقام في بلاده حَسَنَ السيرة، في الأباعدِ والعشيرة، رافلاً بالمسرة، كاملاً بكلِّ غُرَّة، عاملاً بكل مَبَرَّة، مطاعَ الأوامر، في البادي والحاضر، إلى أن فاجأه الحمام، وأُدْخِلَتْ رُوحهُ دارَ السلام، في عامٍ بجودهِ[2] أحْسِنَ الختام، سنة ١٢١١هـ/ [١٧٩٦م].

[ترجمة السيد محمود الرديني]

ومن معاصريه الغالين[3]، ومعاشريه الطالين[4]، السيدِ محمودِ بنِ عبدالرحمن الرديني النجار[5]، البصريِّ المسكنِ والدار، هو إمامٌ لا يُدركُ شأوه، ولا يُسْبَقُ في المعالي خطوهُ، ولا يُسْبَقُ في مضمارِ المفاخرِ فلوه، ولا يُقاسُ مع القدرة صفحهُ وعفوهُ، ولا تُرْتَقى معاليه، ولا تُعَدُّ مساعيه، ذو دينٍ صليب، ورأيٍ لا يزالُ مصيب.

كلُّ خطبٍ من الزمانِ بهيمٍ ... فلهُ رَأْيُهُ[6] المصيبُ المريحُ[*]
هاشميُ النجارِ ذو شرفٍ في ... أُفُقِ المجدِ والمعالي يلوحُ

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: لجوده.

(٣) في المطبوع: العالمين، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: الطائلين.

(٥) بيت الرديني بيت شرف وسيادة وفضل ومجد، نشأ فيهم رجال كرام، ومنهم محمود الرديني. (انظر: عنوان المجد ١٧٠)، وقد ذكر يوسف عز الدين أن محمود الرديني هو الجد الخامس للجيل الحالي من هذه الأسرة.انظر: (النصرة في أخبار البصرة ٥٤).

(٦) في المطبوع: الرأي، وبه ينكسر البيت.

(*) من البحر الخفيف.

وثناءٍ من نشره مِطْرَفُ الفخرِ بأيدي القريضِ دَأْباً يفوحُ
أَرْيَحِيٌّ يهتزُ نحوَ العطايا مثلما هزَّت الغصونَ الريحُ
ذو طباعٍ كأنهن رياضٌ لسقيطِ الندى عليها سفوحُ
وصباحٍ كأنه زَهَرُ الروضِ ومجدٍ هو المُصاصُ الصريحُ

ينتمي هذا الهمامُ إلى نسب، هو واللهِ عروقُ الذهب، كيف وواسطةُ عقْده[1] سَيِّدُ الكونين، وزَهْرَتا ورْدِهِ البتولُ وأبو الحسنين[2]، ووجنتا خده قرتا[3] العينِ، أفضلُ من يمشي على قدمين، فلا غروَ أن زاحمَ شَرَفُهُ النيرين، وداس مَجْدُهُ بالأخمصين، على المِرْزَمَيْنِ والشِّعْرَيَيْنْ.

كيفَ لا يَبْهَرُ[4] الكواكبَ قدراً سيدٌ ينتمي إلى الحسنين[*]
جدُّه المصطفى وجدُّ عليٌّ أَتَرى مثل ذَيْنَك الجدَّينِ
(♦)إنّما المجدُ مثل وجهِ صبيحٍ وهُما في صفاهُ كالغُرّتَينِ
كلُ مجدٍ لم يُبْرِزاه فمجدٌ ذو انخفاضٍ ولو سما النَّيِّرَيْنِ

قد نشأ في البصرة الرعنا[5]، فتسامى إلى المعالي فناً ففنا، وارتفعَ من متونِ الشرفِ متناً فمتنا، وانثالت إليه المحامدُ من هنا وهنا، وردّتْ إليه

---

(١) في المطبوع: كيف لا وهو واسطة عقد.
(٢) في المطبوع: وزهرة وردة البتول وأبي الحسنين.
(٣) في المطبوع: قرتان، وهو خطأ، وقد أثبتنا ما في المطبوع.
(٤) في المطبوع: يعلو.
(*) من البحر الخفيف.
(♦) بداية ص ٦٧ في المطبوع .
(٥) الرعناء: البصرة، تشبيهاً برَعن الجبل. والرُّعْن: أنف يتقدم الجبل. (القاموس ١١٠٦).

الرئاسةُ فزادها حسنا، وفتحت به السياسةُ عيناً وأذنا، وحنَّتْ إليه السيادةُ حنينَ قيسٍ إلى لبنى، ورمقته النجارةُ إذ صارَ لها ابنا، جرتْ له في بلدهِ أحوال، لا يصبرُ لها الجبالُ بل لا الرجال، فثبتَ لها وما اضطرب، حتى انجلت ولله الحمدُ كما طلب، وذلك عندما ولاه، ثويني بنُ عبدالله[1]، زِمامَ أمرها، وأخدمهُ عنقَ عبدِها وحُرِّها، فسار بها أعدلَ السَير، وبُورك له فيها بالوردِ والصدر.

يُؤَمِّلُ النفعَ في سكانها ومتى — توهمَ الضرَ من أعدائها دفعا(*)

لله خلقٌ له ألفيه[2] متسعاً — كجوده إذ غدا للناس متسعا

فهو لا زال حاكماً بالسوية، محموداً كاسمهِ في الرعية، راجعاً إليه أمرُ ذلكَ المقدم، ماضياً حكمُهُ في المؤخرِ والمقدمِ، حامياً لها عن بني كعب، بالعزمِ والحزمِ والعضبِ.

أرادتْ بنو كعبٍ هواناً لأهلِها — وقد كَلَحَتْ[3] عن عَضْلِ أنيابها الحربُ(**)

وما بلغوا فيها المرادَ لأنهُ — لقاطنها درعٌ وعن ضدِّها عَضْبُ

فآراؤه هنَّ البروقُ لوامعاً — ولو أنها في فلِّ أعدائها شُهْبُ

كما أن مجداً عَمَدَتْهُ جُدُودُهُ — سماءٌ لها أوتادُ سؤدده قطبُ

جرت له في تلك الأيام، وقائعُ كأوجهِ أولئكَ في الظلام، أسفرَ بها مُحَيَّاه وعَضْبُه، وشكرَ فيها رأيه وقلبه، وعرف بها صبره، وشَرُفَ بها قدره.

(١) ثويني هو ابن عبد الله بن محمد بن مانع ، من أمراء المنتفق. (الأعلام: ٢/٨٩).

(*) من البحر البسيط.

(٢) ألفيه بالفاء، أي أجده.

(٣) كلح : تكشر في عبوس (القاموس ٢٣١).

(**) من البحر الطويل.

إذا عَضَّتِ الهيجاءُ[1] واشتجرَ القنا	فما هوَ في الفيحاءِ إلا المهلبُ[*]
هو النقعُ ليلاً[2] غيرَ أن جبينَه	وصارمَهُ بَدْرٌ يحاذيه كوكبُ
إذا ما اختفى قدرُ الرجالِ وجدتَهُ	هو الشمسُ إن تطلعْ تزَحْزَحَ غَيْهَبُ

وبالجملةِ فهو الجوادُ لا يُشَقُّ غباره، ولا يُرتقى في عصرِه مناره.

كيف لي بحصر ندى	ماجدٍ هو الكَرَمُ[**]
عُودَّ الندى يَفَعاً	ليسَ فيه ما يَصِمُ
(◆)يشبهُ الصَّبا خُلُقاً	والرياضَ تَبْتَسِمُ[3]
سيدٌ له شَرَفٌ	راسخٌ له قِدَمُ
فاخرٌ بأُبَّهَةٍ	زانها له الشِّيَمُ
ينقضي الزمانُ ولا	تنقضي له الهِمَمُ
تُرْتَجى مواهِبُهُ	حينَ لم يَقُلْ نعمُ
ما به تُرى صِمَةٌ[4]	غيرَ أنهُ العَلَمُ
لم يزلْ يُصَدِّرُهُ	في الأفاضلِ العظَمُ
ما تَخالُ[5] من كَرَمٍ	عن يديه مُنْسَجِمُ

---

(١) في المطبوع: الفيحاء، وهو تحريف.

(*) من البحر الطويل.

(٢) في المطبوع: فيها.

(**) من البحر المقتضب.

(◆) بداية ص ٦٨ في المطبوع .

(٣) في المطبوع: تبسم، وهو تصحيف.

(٤) في المطبوع: سمة.

(٥) في المطبوع: تحال، وهو تصحيف.

لا غروَ أن كانَ للأجوادِ خاتِم، وفي سَعَةِ[1] الإرفادِ معناً وحاتم، ومن البرهانِ على فضله، وأن لا تجودَ الأزمانُ بمثله، عنايتُهُ برفعِ العلمِ وأهلِه، وتصديرِهم في المحافل، والرجوعُ إليهم في مهماتِ المسائل، وجمعُهُ لكتبِه، وتمسكُهُ بسببه، وتشرفُهُ بنسبه، واعتصامه بعراهُ، وانتظامه في سلك وِلاه.

يا لِفاضلٍ[2] سَفَرَتْ ... عن مديحه الكُتُبُ[*]

لم يَزَلْ يُرنِّحُهُ ... للمكارمِ الطَربُ

قد سمتْ بِنِسْبَتِه ... في فخارِها العَربُ

فارسٌ وقائعُهُ ... لا تزال تُرتَقَبُ

مُكْرِمٌ مكارمُهُ ... في الأكفِ تَنْسَكِبُ

رامَ أن يجاريَهُ ... راجفٌ إذ يَهَبُ

فانثنى وحقٌّ لَهُ ... ينثني وينقلبُ

ما الأجاجُ مُنْتَسِباً ... ما اللجينُ ما الذهبُ

قد بنى في بلاده[3] البصرة، مدرسةً[4] ذاتَ بهجةٍ ونَضْرَة، ووظفَ لها الوظائف، وجَمَّلَ منها النحورَ والسوالف، بالكتبِ الفقهية، والأسفارِ الحديثية، والدواوينِ الشعرية، والمجاميعِ اللغوية، فامتدت إليها الأعناق، وقامت على

(١) في المطبوع: سعد، وهو تحريف.

(٢) في المطبوع: بالفاضل، وهو تصحيف.

(*) من البحر المقتضب.

(٣) في المطبوع: بلاد.

(٤) المدرسة المحمودية وقد اشتغل ابن سند بالتدريس فيها حتى عُرفت باسمه، يقول النبهاني: وأما المدارس القديمة فهي مدرسة الشيخ عثمان بن سند الشهير وكان موضعها في محل. انظر: التحفة النبهانية، البصرة، ص ١٠٠.

أنها شقيقةُ الأزهرِ كلمةُ الاتفاق، فبالجملة هي مدرسةٌ[1] تدل على أن الباني، نادرةُ الأقاصي والأداني، فقد عَمَرَها أحسنَ عمارة، رفعت في الخاصِ والعامِ مقداره، ونطقتْ بلسانِ حالها، على أن لا يُصاغَ على مثالها[2].

شادها بهمَّته	آملاً رضا الملك[*]
شادها مُعَمَّدَةً	مثلَ قُبَّة الفَلَك

كيف لا تفوقُ المدارس، وتروقُ المناظر والمدارس، مدرسةٌ أحكمتها يداه، وشَمِلها ومدرِّسَها نداه.

سَرَحْتُ طَرْفِي في حسنها مُمْعِناً	فَخِلْتُها في الإشراقِ كالقمرِ[**]
كم مُسْنَدٍ قد صَيَّرْتُهُ مُرسلاً	فيها وبحثٍ حَقَّقْتُ[3] بالنظرِ
وكم أجلتُ الأفكارَ فيها إلى	أن أُنْتِجَ[4] التقريراتِ بالغررِ

(◆)وكانَ أولُ من تَصَدَّر، فيها فقرر وحَرَّر، وجلّى حالكَ الأبحاثِ ونَوَّر، وأزالَ لثامَ المشكلات، وأبانَ عن وجوه المعضلات، محمدُ بنُ عبد العزيزِ بن عبدالقادر، أفاضَ اللهُ عليه سجالَ كرمه الوافر، فقامَ بوظائف التقرير، وأتى بلُبابِ البيانِ والتحرير، وأوضحَ منهاجَ الإرشاد، وأفادَ حتى أبانَ عن التيسير والإمداد، وحجَّ

(١) في المطبوع: هي مصدره ومدسة، وهو خطأ.
(٢) في المطبوع: أمثالها.
(*) من البحر المقتضب.
(**) من البحر المنسرح.
(٣) في المطبوع: حففت بالبظر، وهو تصحيف.
(٤) في المطبوع: تنتج.
(◆) بداية ص ٦٩ في المطبوع.

بعد انتصابهِ بأعوام، ولما رجع بعد الانفتالِ من الإحرام، فاجأه حِمامه، وتصرمت أيامه، فَبَقِيَتْ من بعدهِ لا يُولجُ لها باب، ولا يفتحُ فيها سفرٌ ولا كتاب، [باكيةً عليه بالمدامع][1] حتى انتصب فيها عبد اللّهُ بنُ جامع، فقرتْ لها به العين، مدةَ شهرٍ أو شهرين، ثم عزلَ نفسَهُ منها، لأمورٍ أَعْرَضْتُ عنها، فأقامتْ بعد انعزاله، باكيةً على زِياله، إلى أن أَذَنَ[2] اللّهُ بتمكني من ناصيتها، وتصديري في رابيتها، فها أنا ذا فيها، مسروراً بطلعةِ منشيها[3]، أدامَ اللّهُ له البشارة، وأقامَ به أركانَ الصدارة، وبَيَّضَ وجوهَ مطالبه، ورفعَ ذِروةَ مراتبه، وباركَ في إيراده وإصداره، وأطلع شمسَ كماله، من أفق اعتباره، فإنه رجلُ عصره، وواحدُ صُقْعِهِ ومِصْرِه، تَرِدُ إلى رأيهِ أوامرُ بلده، وتُنْهى إليه مفاخرُ مَحْتِدِه، وأما عامُ ولادته، وبروزُ بدرِ سعادته، فإنه زَمَن، نُسبَ إليه كلُّ حَسَن، فلا غروَ أن أُنْشِدَ فيه، بعضَ ما هو لائقٌ بمعاليه.

بدا فـزمـانُ الهنا ... طلعتـه أسفرا[*]

فـهـا طيرهُ مُغْرِدُ ... وهــا وَرْدُهُ نــورًا

وتاريخــهُ إن تَرُمْ ... فقل نَبَأ أظهرا[4]

فيا لهُ من إمامٍ أدركَ النجابةَ وهوَ غلام، حتى صارَ مثلاً يُتْلى [بين][5]

---

(١) سقطت من المطبوع

(٢) في المطبوع: آذان.

(٣) يقصد به السيد محمود الرديني.

(*) من البحر المتقارب.

(٤) ويكون تاريخ ميلاده بحساب الجمل هو : (ن+ ب+ أ+ أ+ ظ+ هـ+ ر+ ا = ٥٠+ ١+ ١+ ١+ ٩٠٠+ ٥+ ٢٠٠+ ١+ ١١٦٠هـ (١٧٤٧م). ووفاته سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٣م).

(٥) سقطت من المطبوع.

الأنام، وبدراً يُجلى من دونِ ظلام، وسماءً تجودُ الأرضَ بلا غمام، وروضاً فَتَّحَ فيه[1] زَهَرُ الفضلِ بلا أكمام، ويداً للعلا لا تسترها الأكمام، ومِعْصَماً سِوارُهُ النجابة، ووجهاً تَتَلألأُ[2] فيه أنوارُ الإنابة، وثغراً يفترُّ عن لؤلؤِ الكرم، ونحراً قلادتهُ الأنفةُ والشيم، وسيفاً النجدةُ قائمه، وملكاً[3] السيادةُ خاتمه.

[ترجمة السيد رجب بن مصطفى الرفاعي]

وممن أدركه وعاصره، وشكرَ مكارمَهُ ومآثره، نقيبُ الأشرافِ في البصرة، والنجيبُ الذي هو في جبهةِ المجدِ غرة، والكوكبُ الغنيُّ عن الوصفِ بالشهرة، والقلبُ الذي له المكارمُ جثمان، والعينُ التي هي لأعيانِ الرؤساءِ إنسان.

مــقلةٌ وليس لهـــا ... غيــرُ مَجْـدِه حَـوَرُ[*]

لم يزلْ يُورِقُــهـــا ... في المكارمِ السـهــرُ

إن يكن لنا قـمـراً ... سـافـراً به العُـصُـرُ

فَـهْـوَ غـيـرُ منخسفٍ ... حيث يَخْسِفُ القمرُ[4]

حــبــذا بـه ملكاً ... فـاخـرت به مُضَرُ[5]

جــدهُ الرسـولُ ومنْ ... أُنْزِلَتْ لـهُ الســورُ

---

(١) في المطبوع: به.

(٢) في المطبوع: تلألأ.

(٣) في المطبوع: وملك، وهو خطأ.

(*) من البحر المقتضب.

(٤) في المطبوع: ما يخسف، وهو خطأ.

(٥) في المطبوع: مصر، وهو تصحيف.

(♦) جبرئيلُ[1] خادمهُ والصحابةُ الزهُرُ

برزَ والمكارمُ مَهْدُهُ، والنجابةُ قميصهُ وبرده، والعزُ ساعدهُ وزندهُ.

يدعونهُ رجباً[2] عن سمعِ كلِّ خناً مَعْ أنهُ عن سِماتِ اللومِ شعبانُ(*)[3]

مولانا رجبُ بنُ مصطفى الرفاعيُ النسبْ[4]، وإلى اللهِ عليه النعمُ وَصَبْ[5]، وكفاهُ كلَّ شرٍّ ووَصَبْ[6]، لم يزل حائزاً قصبَ السباق، مدعواً في حلبةِ المفاخرة[7] السبَّاق، محمودَ الآثار، مأمونَ العِثار، ذا رأيٍ وحزم، وعزمٍ يُشانُ بالجزم، وهِممٍ عليَّة، وحكمٍ غير محصيَّة، وكرأتٍ هاشمية، وشجاعةٍ علوية، وبراعةٍ عربية، وأَنَفَةٍ بَدَوِيَّة، وفصاحةٍ قرشية، ووقائع حاكتها السنابك، وطرَّزها باللَّمْعِ كلُّ باتك.

وقائعُ من وقعِ السنابكِ كالدجى يُطَرِّزُها من لمعِ أسيافهِ فجرُ(**)
وناهيكَ من بُرْدٍ وَشَتْهُ سنابكٌ وطرَّزهُ بالكفِ مصلتةٌ بُتْرُ

(♦) بداية ص ٧٠ في المطبوع .

(١) في المطبوع: جبرائيل.

(٢) الرَّجَب : الحياء والعفو (العين ٦٥٤).

(*) من البحر البسيط.

(٣) شعبان مأخوذ من الشعب : البُعْد والبعيد (القاموس ١٠٧).

(٤) انظر ترجمته في: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص ١٦٨.

(٥) مأخوذ من الوصوب : ديمومة الشيء (العين ١٩٥٦) . أي أدام.

(٦) الوَصَب : المرض (العين ١٩٥٦).

(٧) في المطبوع: المفاخر.

(**) من البحر الطويل.

يلقى الشجعان، بجنانٍ أثبتَ من الرعان

إذا ادّرع [الأسْدُ][١] السوابغَ في الوغى تدرعَ من حدِّ الظُّباةِ بقلبهِ[*]
هزبرٌ يرى الحكمَ السوى حكمَ رمحه وشاهدهُ في ذاكَ قائمُ عضبهِ

والأزمانُ بعزائم، هي في المَضاءِ[٢] الصوارمِ، وأما حِلْمُهُ فَطَوْد، وأما مجدهُ فَعَوْد، وأما علمهُ فعبُاب، وأما كرمهُ فماطرُ سحاب، وأما معشرهُ فبدورٌ وأقطاب:

بالمولىً يسمو السماءَ عُلُواً بأناسٍ للفضلِ كالأقطابِ[**]
كلُّ ذي همةٍ إذا قَدَحَ[٣] الخطبُ أزالَ العنا بوجهٍ شهابِ
وإذا ما النوالُ أعرضَ يوماً بهرَ المُزْنَ منه فيضُ العبابِ
وإذا قالَ في نديِّ أناسٍ جاءَ في قولهِ بفصلِ الخطابِ
علويٌّ قد أرْضَعَتْهُ المعالي بلَبانِ الندى ومحضِ اللبابِ

برزَ في البصرةِ الجديدة، فأبرز فيها كلَّ خَلَّةٍ حميدة، ونقب فيها عن مآثرَ أجداده، حتى حازها على انفراده، ودُعِي في زمانه المفرد، ونُوِّهَ بذكرِه في كلِّ محفلٍ[٤] ومشهد، أُعْطِي من كمالِ الآداب، ما لا يسعه نطاقُ كتاب، وبرز في أبهةِ جلالة، لا تنبغي أن تكون إلا له.

---

(١) سقطت من المطبوع.
(*) من البحر الطويل.
(٢) في المطبوع: الامضاء.
(**) من البحر الخفيف.
(٣) في المطبوع: قدح، وهو تصحيف.
(٤) في المطبوع: ونوه بذكره كل محفل.

لَيسَ بِدْعاً[1] إذا تألَّقَ بدراً ... علويٌ له المهابةُ هالَه
[◆]فاطميٌ لو رامَ بدرُ الدياجي ... أن يحاكِيَهُ ما استطاعَ كمالَه
ما رأينا من وصفه ما ازدرينا ... غيرَ مجدٍ وعفةٍ وعدالَه

استوعبَ من الكمالِ كلَّ طَرَفْ، وهزَّ من أغصانِ الإفضالِ كلَّ مَعْطِفٍ وَعَطَفْ، واغتربَ من الإجلال كلَّ غاربٍ وشرف، وملكَ من الفضائلِ الناصية، ولم يدعْ من الفواضلِ دانيةً وقاصية، أنجدَ في طلابِ المعالي وأعرق، وغرَّبَ في جمعِ أشتاتِها وشَرَّق، وسقى كلَّ غصنٍ منها فأورق، وأمطرَ ربعُ الفضلِ فأزهر، وصَحَّحَ جمعَهُ بعد ما كان مُكَسَّر، وبرعَ في مُكَمِّلاتِ السيادة، وتدرَّعَ مدارعَ السعادة، حتى كان من السيادةِ عينها، ومن السعادةِ جمالها وزَيْنَها، إنْ عُدَّ أفضلَ الأكياس، فقد عُدَّ أبذَلهم للأكياس[2]، وأصبرَهم في كلِ خطب، وأصدقهم في الطعنِ والضرب، لا غروَ أن صارَ العمدة، من أشرافِ كلِ مصرٍ وبلدة، والصارمَ الذي لا يَألفُ غِمْدَه، والحازمَ الذي يُرْجَعُ إليه في الشدة، والمصباحَ المُسْتَهْدَى بصباحه، والمقتبسَ من آرائه وصلاحه، واليعسوبَ لعشائره، والمحبوبَ في كافة مآثره، فهو الجديرُ بأن يُنْسَبَ إليه الأخلاقُ المحمودة، والأوصافُ الكاملةُ إلا أنها غيرُ معدودة، كيف تُعَدُّ فضائله، أو يوجدُ مقابله ومماثله، ومفاكهته الزلالُ العذب، ومسامرته اللؤلؤُ الرطب، تتمنى البدورُ مجالسته، وتشتهي الصدورُ موانسته، وإن لم تَرُمْ منافسته، علماً أنها لا تنالُ

---

(١) في المطبوع: بدعى، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ٧١ في المطبوع .

(٢) الأكياس الأولى جمع كَيْس : الجود والعقل والغلبة بالكياسة. والثانية جميع كِيس وهو وعاء الدراهم (القاموس ٥٢٩).

موطئ أقدامه، ولا تتجاسرُ على المشيِ من أمامه، إلا وهي معدودةٌ من خُدَّامه، منذ عرفته وصحبته وألفته، لم أره عبس واكفهر، أو نفر جليساً وهجر، بل لم أره إلا مُطْلَقَ[1] المباسم، متدفقَ اليدينِ بالمكارم، يُحَلِّي الأيدي السائلة، بالعطايا السائلة، ويُجَمِّلُ المجالس، بالفوائد والنفائس، تُرَدُّ إليه المشورة، وتنسبُ إليه الخلالُ المبرورة، وإذا تَوَسَّمَ الناظرُ أساريره، تيقن أن النجابةَ فيه مقصورة.

من أناسٍ وليدهم ألِفَ الفضلَ ... رضيعاً وما أتَمَّ فِطامه(*)

كلهم مُتَّقٍ فمن كان مِنْهُمُ ... فهو لا شك في الورى ذو كرامه

قرشيون جدهمْ قرشيٌّ ... ظَلَّلَتْهُ من حرِّ شمسٍ غمامه

وبالجملة فلهُ مآثر، يضيقُ عنها نطاقُ الدفاتر، وتتقاصرُ عن إدراكها همةُ كلِ معاصر، وها هو ذا في قيدِ حياته، رافلاً بذيلِ مسراته، بين أسرته وسُراته، مأمولُ الإكرام، موصوفاً بكلِ خلقٍ تام[2].

[ترجمة عبد الله أفندي الرحبي فاضل البصرة]

وممن حلَّ ساحته، وعرفَ رياستَهُ وسيادته، وشكرَ مروتَهُ وراحتَه، ونظرَ بهجتَهُ وصباحته، قاضي البصرةِ عبدالله الرحبي[3]، الدرةُ التي صدفُها الجلالة،

---

(١) في المطبوع: طلق.

(*) من البحر الخفيف.

(٢) وفاته سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١م).

(٣) انظر ترجمته: المسك الأذفر (٣٦٢ - ٣٦٥) وقد نقل المؤلف معظم ترجمة عبد الله الرحبي من سبائك العسجد.

والغزالةُ(◆) التي لها الفضائل هالة، والبحرُ الذي بوروده يذهبُ الإملاقُ والجهالة، والكعبةُ المقصودةُ بالإكرام، المشهودةُ عند فصلِ الخصام، والجنابُ الجامعُ بين العلمِ والكرمِ، والبارعُ في الحِلْمِ[1] ومعالي الهمم، والجوهرةُ التي لا تقابلُ بالقيم، نشأ في بغداد، فأدرك السيادةَ إبَّان الميلاد، واشتغل بالعلمِ من صغرِه، ودأبَ فيه في عشيِّه وبُكَرِه، فاجتنى ببستانِ ذوقه يانعَ ثمرِه، وسَرَّحَ[2] طرفَ فكره، في وردِه وزهرِه، وعُنِيَ[3] بجمعِ أطرافِه، وهزِ أغصانِه وأعطافِه، وتطريزِ أبوابِه، وتطريفِ أثوابِه، واستمطارِ سحابِه، وتفصيلِ فصوله، وتأصيلِ أصولِه، وتحقيقِ مسائله، وتحريرِ دلائله، ونشرِ مَطْوِيِّه، وإيضاحِ مَخْفِيِّه، وتبيينِ طرائقه، وتحسينِ مفارقه، وإرسالِ أمثاله، وإكمالِ أذياله، حتى برع فيه أتم براعة، ودعا قَصِيَّهُ فلبّاه وأطاعه، وحاولَ مُمْتَنَعَهُ فأزال امتناعه، فهو ريحانةُ المجامع، وأُقْحوانةُ[4] ما لهُ من المرابع، ومادةُ أنهاره، وشمسُ نهاره، ووردةُ أكمامه، وزهرةُ ابتسامه، وزهرةُ سمائه، ودرةُ دأمائه، وغرةُ ديباجته، وعقدُ جلالتِه، وروحُ جثمانه، وشجرةُ أغصانه، ومقلةُ أجفانه، وعرنينُ أنوفه، ومعقدُ شنوفه، وإكسيرُ كيميائه، ونظيرُ أعيانِ أبنائه، وخطيبُ منبره، وفارسُ مُشَهَّرِه، وزينةُ معشره، وعامرُ معاهده، وجمالُ مشاهده، ومُجَلِّي غياهبه، ومُحَلِّي خرائده وخراعبه، ومفتاحُ مُقْفَلِه، وإيضاحُ مُشْكِلِه، ومصباحُ مشكاته، وهدايةُ سُراته،

(◆) بداية ص ٧٢ في المطبوع .

(١) في المطبوع: العلم، وهو تحريف، لأنه ذُكر في الجملة السابقة.

(٢) في المطبوع: وشرح، وهو تصحيف.

(٣) في المطبوع: وغنى، وهو تصحيف.

(٤) في المطبوع: واقحوان.

ونقايةُ سَراته، والكاشفُ اللثامَ عن وجوهِ مخدراته، والمُوَضِّحُ ببيانه مناهجَ إبداعِه[1] وافتنانه، والمُرَشِّحُ استعاراته، والموشحُ بفرائده عباراته، والناظُم في سوالفه كلَّ خريدة، هي في عقودِ السطورِ [اليتيمةُ][2] الفريدة، طَلَبَ[3] العلمَ كما ذكرنا[4] يافعاً، فكان بعِلْمِه[5] سعيداً ونافعاً، روى عن أجلاَّءِ مصره، وعُبَّادِ عصره، فبلغَ الغايةَ في الرواية، ودُعي الكنزَ لأسرارِ الدراية، والوقايةَ من كلِّ غاية، والهدايةَ للطلاب، والمنيةِ للفضلاءِ الأنجاب، والبغيةَ لآمالِ الأصحاب، والبحرَ إلا أنه بلا ساحل، وأنه يزخرُ فيقذفُ بغُررِ المسائل.

بحرُ العلوم إذا جرى — يروي الأحاديثَ الغُرَرْ[*]
وإذا بدا في محفلٍ — فأبو حنيفةَ أو زُفَرْ
ومتى يحاولُ مُشكلاً — تبصرهُ أبيضَ من قَمْرْ[6]
وإذا الأحاجي أظْلَمَتْ — جلىً دُجاها بالفِكَرْ
وإذا مكارمهُ جرتْ — فهي العبابُ إذا زَخَرْ
وإذا نظرتَ صباحَهُ — فهوَ الربيعُ مع الزَهَرْ
ولو مَنٌّ بلا يعطي[◆] — أنَّ الذي أعطى الدُرَرْ

(١) في المطبوع: ابتداعه.
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) في المطبوع: طلبه، وهو تحريف.
(٤) في المطبوع: ذكرناه، وهو تحريف.
(٥) في المطبوع: يعلمه، وهو تصحيف.
(*) مجزوء الكامل.
(٦) شطر البيت فيه كلمة زائدة.
(◆) بداية ص ٧٣ في المطبوع.

ولي الإفتاءَ قبل قضاءِ البصرة في الحلَّة، فأجاد فتلَهُ وأحسنَ ذكره، وعرفَ الخاصُ والعامُ علمَهُ وقدره، ولما تولَّى القضاءَ عامَ أربعةَ عشر[1] بعد المائتين والألفِ من الهجرة[2]، [١٧٩٩م] في قبةِ الإسلام، وخزانةِ العربِ من قديم الأيام[3]، اجتمع بأحمدَ المترجم، وأثنى على أوصافه كما تقدم، وأحمدَ فضلَهُ كما أحمدَ [أحْمَدُ][4] فصلَهُ، وما بَرِحا يتعاشرانِ طوراً بالمكاتبة، وآونةً بالملاطفةِ والمصاحبة، تجري بينهما مراسلات، مُضَمَّنةً عوائدَ مُرْسَلات، ولقد سمعتهُ مراراً، ينشرُ محامدَهُ أصيلاً وإبكاراً، ويقول:

مَنْ مِثْلُ أحمدَ إن سَمَحْ ... منه الأيادي بالمنَحْ[*]
كالروضِ يبسمُ وجههُ ... إن يُسْأَلَنَّ ويُمْتَدَحْ
يزدادُ جُوداً في الورى ... إن ضنَّ غيمٌ أو كَلَحْ

وكم نشرَ في ناديه من محاسنه بُرْدا، ووشى ببنانِ مقولهِ [له][5] شكراً وحمداً.

لا تعجبوا من نشرهِ أوصافَهُ ... حتى يفوحَ على الأنامِ ثناؤهُ[**]
هذا صديقٌ في المودةِ مخلصٌ ... يُبْدي له حُسنَ الصفاتِ صفاؤهُ

---

(١) في المخطوط: أربع عشرة، وهو خطأ، وقد أثبتنا ما في المطبوع.

(٢) وقد ذكر المؤلف التاريخ في كتابه : مطالع السعود ٢٣١.

(٣) زاد صاحب المسك الأذفر هنا بعد أن نقل الكلام المذكور سابقاً حرفياً: «قضى بين الناس بالعدل والانتباه، وامتثل نص¤ ومن لم يحكم بما أنزل الله ' . والظن أنه اعتمد نسخة أخرى.

(٤) سقطت من المطبوع.

(*) مجزوء الكامل.

(٥) سقطت من المخطوط، وأثبتناها من المطبوع.

(**) من البحر الكامل.

فلكم عدوٌّ قد أذاعَ جميلهُ والفضلُ ما ترويهِ عنهُ عِداؤهُ

والقاضي المترجَمُ له، حنفيُّ المذهبِ كالملة، ذو همةٍ عالية، وعزمةٍ ماضية، وأحكامٍ شريحية، وإن تكنْ حنفية، عَرَضْتُ عليه بعضَ ما أَلَّفْتُهُ فقرضه، بعد ما نظرَهُ وعرف غرضه، له في الفقهِ يدٌ طولى، تقضي بفضلهِ في الآخرةِ والأولى، وأما حرفةُ الأدب، فهو حَرِيرِيُّها[1] إن نظم أو كتب، أبقاه اللّه للأنامِ رُكْنًا، مَحْبُواً[2] من اللّهِ بالحسنى، مختوماً له بصالحِ الأعمال، مضافاً إليه كلُّ كمالٍ وإكمال[3].

[ترجمة عبد الله آغا متسلم البصرة]

وممن راسله، وعامله أحسنَ معاملة، وعرف من قدرهِ ما عرفَ بالمراسلة، قبلِ الملاقاة والمواصلة، عبد اللّهُ بنُ سليمان[4] حاكمُ البصرة مدّة أزمان، هو بحرُ نوال، وبدرُ إجلالٍ وكمال، تشهدُ أيامهُ بأنه المفردُ في كل سؤدد، وينطلق لسانُ كلِّ مشهد، بأنَّ نظيرَهُ في ذكائه لا يُعهد[5]، نشأ في بغدادَ دارِ السلام، رافلاً بأرديةِ الاحتشام، فقرأ الأدبَ وهو غلام، ذو سبعةِ أعوام، فبرع فيه، وأتى على دانيهِ وقاصيه، حتى قيلَ لا أحدَ يساويه، عُني بجمعِ شوارده، وتحريرِ نقوله

---

(١) في المطبوع: جريريها، وهو تصحيف، والمعني إشارة إلى الحريري صاحب المقامات.

(٢) في المطبوع: مُحَيّاً.

(٣) ووفاته سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م).

(٤) له ترجمة في: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة، (١٦٤).

(٥) في المطبوع: بأنه لا نظير له في ذكائه يعهد.

وشواهده، وتحقيقِ قوانينه، وتدقيقِ براهينه، وتشييدِ قواعده، وإعادةِ رسومهِ ومعاهده، وتزيينِ محافلهِ ومشاهده، ونشر دراريه، ونظمِ فرائده، قد ملكَ زمامَ الخط، وعِذارهُ مادبَّ وما خط، حتى دُعي فيه ابنَ(◆) مقلة[1]، وإن كان في وجوهِ مقلة، ولصدورهِ مستلماً وقبلة، فكم خطٍّ لدفترٍ من عذار، أبرزَ فيه الظلامَ من خدِّ النهار، وكم وشيَ من خطب، على مثلها تنهلُّ دمعةُ الأدب، وكم لهُ من نوادر، هي الأورادُ تفترُ عن الأزاهر، وكم لهُ من أبحاثٍ دقيقة، تدل على أنه النعمانُ[2] في الحقيقة، وتقضي له بالفضلِ على المُباري، ولو أنه النجمُ الساري، وتُقَدِّمُهُ على الأقران، تقديمَ قسٍّ أو سحبان[3]، وترفعهُ في البيان، رفعَ العاليةِ والسنان، وتخبرُ أنهُ من هذهِ الأزمان، بمنزلة الإنسانِ من سوادِ الإنسان، وكم له من حِكمٍ حِسان، لولا التقى قلت هي وصايا لقمان، وكم له من عائدٍ هو صلة، وقاصدٍ لا يريمُ منزله، وحامدٍ لم يرم حامده، ومُسْتَجدٍ يستمري فوائده، ويهزُ بالمدائحِ أعطافه، وينشرُ ببنانِ البيانِ أوصافه، لم تزلْ أيامهُ بشموسِ أفضالهِ سافرة، ورباعهُ برياضِ أسمارهِ ناضرة، وعيونُ آمال آمليه إلى منهمرِ أياديه ناظرة، قَدِمَ البصرةَ حاكماً فَعَمَرَهَا، وكان فيها بُوحها وقمرها، وحرسها بصوارمه، وغرسها بمكارمه، وقمع أعداءها وأضدادها، وأرجع يُمْنها وإسعادها، وجرت له فيها صنائع، هي في غيرها الغُرر والبدائع، وشُهِدَتْ له فيها وقائع،

(◆) بداية ص ٧٤ في المطبوع.

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة وزير وشاعر وخطاط، توفي(٣٢٨هـ) (الأعلام ٧/١٥٧)

(٢) إشارة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان.

(٣) إشارة إلى قيس بن ساعدة الأيادي (ت حوالي ٦٠٠م) خطيب العرب وحكيمهم، وكذلك سحبان وائل (ت ٦٧٤م) الذي ضرب به المثل في الخطابة.

تشهد ألسنةُ المداعس، بأنها البسوسُ وداحس، أعَزَّ فيها العلمَ وأهله، ورفعهُ إذ عَـرَفَ فـضله، وهرعَ الناسُ في أيامـه، إلى تعلمِ العلمِ وإكـرامـه، وتوقـيـرهِ واحترامه، يكاد تُباع تمائمُ الصغار، لاشتراء دفاترِ الأشعار، حتى أنشدَ فيها، بعضُ مصافيها.

أرى العلمَ في أيامــه باسمَ الثـغـرِ ضحوكاً كما افتر الرياضُ عن الزَهْرِ (*)

تثـوبُ إليــه الخلقُ من كل جـانبٍ فــتطلبــهُ حــتى من الأنجمِ الزُهْرِ

ولو حــالَ متنُ الجـودِ دونَ حــصــوله لخــاضــوا إلى إدراكــهِ ثبجَ البــحــرِ

ولو قيلَ غوصوا البحر للعلمِ أصبحوا على الغوصِ أمضى من سيوفٍ على نحرِ

وفي أيامِ حكومتـه، وزخورِ بحرِ دولتـه، وابتـسامِ ثغرِ سلطانه، وارتكام سحاب إحسانه، وارتفاع عرنينِ شانه، قَدِمَ الإمامُ الجليل، والحبرُ الجهبذُ النبيل، محمدُ بنُ عبدالله بنِ فيروز، فنشرَ عليه أرديةً جميلة، وحاطهُ بكنفِ إكرامهِ وتبجيله، وصدَّرَهُ في هاتيكَ البلدة، وكانت له يَدَهُ وزنده، وبنى له فيها جامعاً أقام فيه للحديثِ المنار، وأبان فيه عمّا لَهُ من الآثار، وأعادَ شرخه بعد ما آذن بالانصراف، ونشرَ أعلامه بعد الانكفاف، وبالجملةِ فأيامهُ شاهدة، بأنه للفضلِ القانونُ والقاعدة، ولياليه الصِّباح، شاهدةٌ بأنها غَنِيَتْ بوجهه عن الصَّباح(١)، ارتُجِلَتْ فيه القصائد، وانثال إلى رفدهِ الولدُ والوالد، وعَظُمَتْ صلاته كما عَظُمَ العائد، كيف لا وقد زاحمَ بالمناكب النَيِّرَيْن، وودت أن تقبله شفاهُ الشِّعْرَيَيْن، وتمنت أن تكون له نَعْلين، أنجمُ الجوزاء والمرزمين.

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع : المصباح.

(◆)في مدحهِ قد أصبحتْ غـررُ القـوافي سـائره(*)
تجـري على شبحِ الطرو سِ لكي تنالَ مــآثرهْ
تفـتـرُ ثغـراً عن مـعـا لِ كـالـرياضِ الزاهرهْ
وتودُّ شـمسُ الجـوِّ أنْ تُثْنِي عليـهِ شـاكـرهْ

أرسلَ إليـه أحمدُ وهو في الزبارة، هدايا هي الدررُ المختارة، وسُبَحاً من اللآلئ هي النجومُ السيارة، فودَّ كلٌّ منهما الآخرَ قبلَ أن يراه، وتمنى لقاءَ صاحبهِ ومرآه، ولم يزالا خليلين، من قبلِ أن تنظرَ العينُ العين، حتى تنقلت بعبدِ الله الأحوال، وتزعزع ملكُهُ بعدَ الاستقرار وزال، وولاه والي بغدادَ على ماردِين(١)، فعزَّ به الأتقياءُ دونَ الماردين، وأقامَ فيها بُرهةً من الزمان، وعُزِلَ عنها ورجعَ إلى بغدان(٢)، وودَّ أن يَخْلَعَ نفسَهُ من الديوان، ويألفَ المساجد، ويدعَ المقاعد، ويثابرَ على التلاوة، ويلْقيَ للمـلْكْ الهراوة، فما حصلَ له ما أراد، من وزيرِ بغداد، إلى أن جرت وقعةُ خالد(٣)، فَصُفِّدَ معه بصفاد واحد، وأُدْخلا في القلعة، وانخفضا بعدَ الرفعة، واسود بياضُ أيامهما، وتمنيا أن يجريا على

(◆) بداية ص ٧٥ في المطبوع.

(*) مجزوء الكامل.

(١) ماردين: قلعة مشهورة على رأس جبل الجزيرة مشرفة على دُنَيسر ودارا ونصيبين. انظر: (معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/٣٩).

(٢) في الهامش المطبوع: بالنون كما هو : أحد لغات بغداد.

(٣) هو خالد بك الذي كان وكيلاً للكتخدا علي باشا قبل توليه ولاية بغداد، قُتِلَ في عام ١٢١٩هـ/١٨٠٣م. انظر : مطالع السعود، ٢٥٤.

أقدامهما، إلى أن آذن اللهُ بالفرج، فقُتِلَ خالدٌ وعبدُ الله خرج[1]، وأُنزلَ إلى البصرة، متلهباً بنارِ الحسرة، ولما قَدِمَها اجتمعَ بأحمد، ففكَّ قيدَهُ وما تردد، وسيرهُ بمركبهِ إلى أبي شهر، ونجا من حرِّ تلك القدْر، فها هو ذا نازلاً في تلكَ البلدة، آمناً في سِرْبِه من كلِّ شدة، أقر اللهُ به العينَ عما قريب، إنه للدعواتِ مجيب، أنْزَلَتْهُ تلكَ البلدةُ القدرة، عامَ تسعَ عشرةَ بعدَ المائتين والألف من الهجرة [١٨٠٤م].

[ترجمة السيد عمر أفندي دفتر دار البصرة]

وممن أولعَ بنشرِ أذكاره، ورواية آثاره وأخباره السيدُ عمرُ دفتردارِ البصرة حُمِيَتْ من كلِّ مَضَرَّة، هو فلكُ دوار، بأحاسنِ الآثار[2]، ذو همم عالية، ونعمٍ متوالية، وعزائمَ ماضية، وآراءَ هي مصابيحُ مُضِيَّة[3]، وسَيَرٍ لم تزل علويةً عمرية، وفطنٍ نَقَّادة، وفكرٍ وَقَّادة، ونفسٍ مُولَعة[4] بالسيادة، ومزايا لا تكونُ إلا للكرامِ السادة، ومكارمَ تربو على البحرِ بالزيادة، وسيادةٍ تالدَة، وسعادةٍ[5]

---

(١) قال ابن سند في مطالع السعود ص ٢٥٤ في حديثه عن علي باشا كتخدا : «وفي السنة المتممة للعشرين بعد الألف والمائتين من هجرة النبي الأمين، سما ذروة ذلك المنصب وذلك بعد ما قُتلَ خالد وعُذِّبَ، وغُضب على عبد الله آغا وغُرِّب».

(٢) في المطبوع: بإحياء سنن الآثار.

(٣) في المطبوع: مضيئة.

(٤) في المطبوع: مؤلقة.

(٥) في المطبوع: وسيادة بالذرورة والسعادة، وهو تحريف.

حتى بعد الموتِ خالدة[١]، وتدبيرات على صحةِ عقله [شاهدة][٢]، ونظراتٍ إلى المعالي متصاعدة، وحلمٍ هو الجبالُ الراسية، وفضلٍ أفرادهُ غيرُ متناهية، وحزمٍ ولا حزمُ المهلب[٣]، ونظمٍ عنده امرؤ القيسِ المُغَلَّب، وإقدامٍ كإقدامِ ابنِ شهاب، ومهابة بوقارِ الانحجاب، وكرمٍ لا يُحْوِجُ السائلَ إلى الاتّهاب[٤]، ومقدارٍ يتسامى عن التقدير، وفخارٍ لا يتناوشُ أدناه البدرُ المنير، ينتمي إلى السِّبْطين[*]، ويسمو بالمجدِ لا بالذهبِ واللُّجَيْن.

نسبٌ دونه تَحُلُّ الثريا ... وتَداني من دونه المرزمان[**]

[◆]ويودُّ السماكُ أن حلَّ فيه ... أو تراهُ من السهى المقلتان

إنَّ نَجْلاً يُنَمِّيه للمجد أصلٌ[٥] ... هو لاشك في الورى الحسنان

وعليٌ وأحمدٌ خيرُ فرعٍ ... دون علياهُ يسقطُ النيران

قد نشأ في بغدادَ أحسنَ نشوٍّ، وسما للمعالي أحسنَ سموٍّ، فقرأ القرآنَ والأدب، حتى حاز فيه للسبقِ القصب، وتفننَ في تفنينِ أفانينه، وتمكنَ من نواصيهِ وعرانينه، وكتَبَ فدُعِي الكاتب، وسامرَ فسبقَ بالمسامرة [الصاحب]،[٦]

(١) في المطبوع: باقية خالدة.

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) إشارة إلى المُهلب بن أبي صفرة.

(٤) في المطبوع: الالتهاب، وهو تحريف.

(*) إشارة إلى الحسن والحسين سبطي الرسول .

(**) من البحر الخفيف.

(◆) داية ص ٧٦ في المطبوع .

(٥) في المطبوع: إن نجلا بيمنه المجد أصل، وهو تحريف.

(٦) سقطت من المطبوع، وهي إشارة إلى الصاحب بن عباد، إسماعيل : (٩٣٨-٩٩٥) الوزير الشاعر والكاتب.

وطارَ إلى [لَمِّ][1] القوافي، بالقوادمِ والخوافي، وبرعَ في فنِ البراعة، ومارس الفحولَ حتى شأى بالشجاعة، رُدَّتْ إليه سياسةُ بلده، وصار أميرُها ومأمورُها طوعَ يده، فلا نقضٌ ولا إبرام، إلا وقد[2] أمسكَ منه بالزمام، كيف لا وهو قطبُ دائرتها، وإنسانُ ناظرتها، وأما ذكاؤه وفهمه، ويراعه[3] ورقمه، فحدِّثْ عن العجَّاج، ولا تخف من الاعوجاج، وأما نجابته فأنورُ من الروض إذ أنور، وأسفرُ من الصباح إذا أسفر، وأما خُلقُه فالنسيمُ إذا هب، والسحابُ إذا صب، وأما سماحَتُهُ فالزهر، باكَرَهُ وَسْمِيُّ المطر، فهوُ الجديرُ بأن تُنْشَرَ أخبارُهْ، وتُسَلْسَلَ في كلِ ندوةٍ أذكاره، ويُرْفَعَ على هامِ السماكينِ مقداره، وهو كما قدمنا لقيَ أحمد، فأثنى عليه وأحمدْ، وأقرَّ له بالفضلِ المفرد، ونشر فرائدِ مدحه ونَضَّد، ونَوَّهَ بذكرهِ في كلِّ ندوة، وأبان بأنَّ له المكانةَ[4] والحُظْوة، وأنه في أيامه للكرماء القدوة، وأن كلَّ نوالٍ وإن عم، وكمالٍ وإن تناهى وتم، ليسيرٌ عندَ نواله، وناقصٌ عند كماله، وأنَّ الكبيرَ المشارَ إليه، المعولَ في المهمات عليه، إذا لاقاه في مشهد، حافلٍ بكلِّ صدرٍ وأمجد، لا تنظرُ مقلتاه، ولا تعشقُ سُوَيْداه، إلا مرآهُ وسجاياه، ثم أنشدَ فيه من فيه.

يا مُطْلِقاً طَرْفَهُ في حُسْنِ غُرَّتِهِ	نَظَرْتَ بدراً ولكنْ ليسَ ينكسفُ[*]
نظرتَ بدراً وحيداً في شمائِلِه	وطالعاً ليسَ فيه يُبْصَرُ الكلفُ

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) في المطبوع: قد.
(٣) في المطبوع: ويراعته، وهو تحريف.
(٤) في المطبوع: المكاثر، وهو تحريف.
(*) من البحر البسيط.

[ترجمة سليم آغا متسلم البصرة]

وممن أدركهُ وعاصره، وعرفَ مآثرهُ ومفاخره، وأعظمَ مقداره، ونشرَ بمقوله آثاره، ووشى له برودَ الإكرام، ومشى له على قدمِ الاحتشام، وبسطَ له نمارقَ الإجلالِ والاحترام، حاكمُ البصرةِ الكريم، مولانا المفخرُ سليم، القادمُ لها سنةَ الحادي والعشرين، بعد المائتين والألف [١٨٠٦م] بالعدلِ المبين، وأماطَ عنها المظالم، وأناطَ في أجيادها أطواقَ المكارم، وسَوَّرَ منها المعاصم، بأساورَ صاغتها الصوارم، وأضحكَ منها مباسم، كُنَّ قبلَ ورودهِ قواتم، وشيَّدَ منها قواعدَ ودعائم، كاد يزعزعها من الظلمِ هادم[١]، وأعاد فيها الدينَ وهو باسم، ونشرَ فيها الخصالَ الحميدة، ونثرَ فيها من المحاسنِ كلَّ فريدة، وأوضعَ فيها من العدلِ[◆] منهاجه، وأقام أودَهُ واعوجاجه، ورفعَ فيها الأبطال، كما خفضَ فيها الإبطال، وأقامَ فيها مواسمَ الآمال، وكَمَّلَ منها النقص، وتلا في رباعها آياتِ الإحسانِ وقَصّ، [حتى قامَ على أنَّهُ نافعُها النصّ، وفَصَمَ عُرى الأباطيل فيها وقص][٢] وشهدَ لسانُ حالها بأنه خاتمُ الكرماء بلا فصّ[٣]، كيف لا وهو المشهورُ بالمآثرِ المُرْضِيَّة، والمقصورُ عليه كلُّ سيرةٍ عمرية، إن حمى البصرةَ بأسِنَّته، فقد حنى على ذويها بنعمته، وقصرَ الباطل، ومدَّ فيها النائل، فنصرَ الحقَ وأغنى العائل، وأحيا فيها المدارس، وأعز المُذاكرَ والمُدارس، وحَسَّنَ فيه

---

(١) في المطبوع: الهادم، وهو خطأ.

(◆) بداية ص ٧٧ في المطبوع .

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: قص، وهو تصحيف.

أخبارَ الرياسة، وأجادَ العدلَ مقروناً بالسياسة، وزين ليالي أيامه، ببدورِ أحكامه، وجمعَ أشتاتَ مصالحها، بعد إذلالِ مُعاديها وإعزازِ مُصالحها، وشيّد سورها، وسددَ أمورها، ونَظَّمَ عقودَ تدبيرها، وطَوَّقَ بآلائه سالفةَ مأمورها وأميرها، وسقاها[1] بكأسِ عدله شرابا، وألبسها من حِبْرِ[2] الحمايةِ سرابيلَ وأثواباً، وأطال فيها للمجدِ متالعَ وهضاباً، وأجرى فيها من فواضله بحراً صَبَّاباً، ورفع مقدارها، وأصلح آثارها، وقد شارَفْنَ[3] خراباً، وقمعَ فيها البدع، ونصبَ السُّنَنَ فيها ورفع، فهي سافرةُ الجمال، باهرةُ الخصال، منتصبةُ الأحوال، ناطقةٌ بلسان الحال.

لِيَ الفخرُ إذْ أصبحتُ مُلْكاً لسيّدٍ إذا ذُكِرَ الأخيارُ فهوَ المُخَيَّرُ(*)
أقامَ قناةَ الدينِ بعد اعوجاجِها وقد كَرِبَتْ لولا مزاياه تكسرُ
سليمٌ بلا عيبٍ يَرى فيه من يرى سوى أنه بالفضلِ والفضلِ يذكرُ
أغرُّ إذا استودقْتَ وادقَ جُوده تلألأَ منه المُتَّقى والمعذَّرُ
على وجههِ نورُ السيادةِ لائحٌ فها هو ذا في فحمةِ الليلِ يُسْفِرُ
يداهُ لنا بحرانِ لكنْ يمينُهُ هيَ البحرُ لكنْ بالجواهرِ تزخرُ
ويسراهُ إن مدّت فيا يُسْرُ فاحضراً[4] ويا عسرُ فاذهب إنَّ هَتْفَكَ مُحْضَرُ

(١) في المطبوع: وسقى، وهو تحريف.
(٢) في المطبوع: حيز، وهو تصحيف.
(٣) في المطبوع: كُنّ.
(*) من البحر الطويل.
(٤) في المطبوع: فاحضرن.

وبالجملةِ فهو الإنسان، لعيونِ الأناسي وصدورِ الأعيان، والعنوانُ على كلِّ مجدٍ وفخار، والعَلَمُ على كلِّ مَبَرَّةٍ ويسار، والخِضَمُّ[1] في كل عسرة، والمستغني عن الوصفِ بالشهرة، والشمسُ التي ليس لها من مَغْرِب، والبدرُ الذي فلكه المَنْصِب.

هي الرتبةُ القعساءُ وجهاً وبهجةً ... وغرةُ ذاكَ الوجهِ فضلُ سليمِ[*]
بحلمٍ أيا بحرٍ تراه وإن يكن ... هو البحرَ تجري منه كل كريمِ[2]

والمبتدأُ الذي أخبارهُ لا تحصر، والفاعلُ الواجبُ أن لا يضمر، والمضافُ إليه كلُّ[◆] فضلٍ إلا أنه لا يكسر، والمتعدي فعْلَ[3] نواله فلا يلزم، والمعدومُ مضارعهُ ولو كان مُقَدَّم[4]، والمرفوعُ الهممِ بعزمٍ لم يزل يُجْزَم، والمنصوبُ المجد فلا يُهدم، والمباركُ له في مسعاه، والمنفردُ بعلاه عمن عداه.

يا سائلي عن رأيهِ ونوالهِ ... هذاكَ فجرٌ قد أضاءَ وذا خِضَمْ[**]
وإذا سبرتَ العزمَ منه فإنه ... عَضْبٌ شَباهُ يَحُدُّهُ[5] منهُ الهِمَمْ
فإذا دَجى ليلُ النوائبِ خلتَهُ ... بدراً يزحزحُ نورهُ سُودَ الظُّلَمْ

---

(١) في المطبوع: والخصم وهو تصحيف.

(*) من البحر الطويل.

(٢) في المطبوع: هو البحر مجري بكل كريم.

(◆) بداية ص ٧٨ في المطبوع.

(٣) في المطبوع: فضل.

(٤) في المطبوع: متقدم.

(**) من البحر الكامل.

(٥) غطت شبأه بحده، وهو تحريف.

إن تفردَ بسيادتهِ عن القرين، وبنباهتهِ عن المعاصرين، فإنه المستبدُ بالأخلاقِ الزاهرة، والأوصافِ التي هي البدورُ السافرة، والطباعِ التي هي الرياضُ المفتحة، واللطائفِ التي هي المرنحة.

أيامـه غـرّ الوجـو ... ه كـأنهـا الأعـيـادُ(*)
وطبـاعـه هُنَّ الرياض ... يـزيـنـهـا الأورادُ
وأكـفـه هُنَّ البحـار ... يـرودهـا الـورّادُ

وإن كانت جلساؤه النجومُ الزواهر، فندماؤه هي أناسِيُّ النواظر، ومدائحه إكسيرُ الدفاتر.

أكـرمْ بمـن ندمـاؤه ... أبـداً أناسـيُّ النواظـرْ(**)
ونَـديُّـهُ(١) روضٌ ولا ... كـن صحبـةُ فيـه الأزاهـرْ
مـن مـثلهُ فـي المكرمـاتِ ... وفـي المعارفِ والمفـاخرْ
فَـخَرَتْ بـه الفيـحا على ... كـلِ الممـالك والدَّسـاكـرْ
لا تعـجـبوا من فـخرهـا ... بوجـوده فـالأمـرُ ظاهـرْ
كـلٌّ لـه فـضـلٌ ولا ... كن فضلهُ كالشمسِ باهرْ
أبـداً يُـرى مـتـعـديـاً ... وسـواهُ في الإعطاءِ قـاصـرْ

وفي العامِ الرابعِ والعشرين، بعد المائتين والألفِ من مهاجرِ أفضلِ المرسلين، [١٨٠٩م]، أرسلَ إليَّ نقيبُ الأشراف، بأن أسْعِفَهُ أتمَّ إسعاف، بقراءة جامعِ

(*) مجزوء الكامل.

(**) مجزوء الكامل.

(١) في المطبوع: وأكفه.

الإمام، البخاري في كلِّ الأيام، فأسْعَفْتُهُ بما أراد، وقرأتُهُ على رؤوسِ الأشهاد، بحضورِ صدورِ دولته، مع ما هو عليه من أبهتِهِ وصَوْلَتِه، فلم يزل مثابراً على استماعه، بخَوَلِه وسائرِ أتباعه، مُتَخَلِّقاً بآدابه، مُصْغِياً لتراجمه وأبوابه، فازدادت سيرتُهُ حُسناً، وكَمُلَتْ مزاياهُ حِساً ومعنى، وولعَ بالآياتِ القرآنية، وبالأحاديثِ النبوية، فجمع من يقرأُ القرآنَ في مجمعِهِ الرحيب، ونشرَ عليه موائدَ الإكرامِ والترحيب، لا زالت أيامهُ باسمة، وأياديه على مواليه ساجمة، وتعطفاتهُ شامله، وأوصافهُ كامله.

[ترجمة الشيخ عبدالله بن داود النجدي]

وممن بصحبته عُرِف، وعُرِّفَ بمحبته وَوُصِفْ، ورحل إليه(◆) ولاقاه، فاغترَفَ من برِّهِ ونداه، عبدُ اللَّه بن داودَ النجدي[1] المضارعُ[2] في العزمِ مضاءَ الهندي، ذو الكرمِ الذي يحيا به فضلَ يحيى وجعفر، والهممِ التي عن حملها الدهرُ يعيا ويصغر، والآراءِ التي هي الصباحُ إذا أسفر، والوقائعِ التي هي الظلامُ إذا عكر[3]، والأخلاقِ التي هي أنفاس، والطباعِ التي هي الوردُ الآس، والصبرِ الذي تعجزُ الجبالُ عن احتماله، والفخرِ الذي عُدِمَ من أشكاله، والمجد الذي لا يُسْتَطاع رقيّه، ولا يُلْفَى مضارعُهُ وسَميُّه، والقَدْرِ الذي لا يُسَامى ارتفاعهُ، والفناءِ[4] الذي لا تُداس بالضَيْمِ رباعه، والبراعةِ التي يُضْرَبُ بها المثل،

(◆) بداية ص ٧٩ في المطبوع.
(١) ترجمته في: إمارة الزبير (٣/ ٧٠)، والسحب الوابلة (٢/ ٦١٩)، وعلماء نجد (٤/ ١١٤).
(٢) في المطبوع: الماضي.
(٣) في المطبوع: عسكر.
(٤) في المطبوع: والفتى، وهو تحريف.

والمحاسنِ التي تتوقُ[1] لها القلوبُ والمُقَل، وتتفاخرُ بسماعِ أخبارها، مسامعُ أشراف الأقيال[2] وأخيارها، ونفائسَ يتنافسُ فيها المتنافسون، ويتسامرُ فيها في المحافلُ المتجانسون، وفتاوى إليها يرجعُ المتشاكسون، وحِكَمٍ يجبُ تقليدها، ولا يُحصى تعديدُها، ومعارفَ إلى مثلها يُهرع، وعوارفَ إلى نَيْلِها يُسرع، ولطائفَ هي الشَّمول، وطرائفَ أرقَ من القَبول، وعفَّةٍ هي بياضُ النهار، وأريحيةٍ هي رَوْحُ العُقار، ورزانةٍ هي الأطواد، وديانةٍ تتقاصرُ عنها العباد، وصيانةِ أعراض، ومتانةٍ على ذوي الأعراض، وسهامِ أفكارٍ مصيباتٍ للأغراض[3]، ومعالمِ علومٍ تهتدي بها الفهوم، وهضابٍ من الفضائل، تَقْصُرُ عن إدراكها يدُ المتطاول، وبدائعَ رسائل، تعجزُ عن مضارعتها المدارةُ والمَقاول، لابدعَ أن تتشرفَ برُقيِّه المنابر، ويرومَ أن يحاكيَهُ المثلُ السائر، فيرجعُ على الأعقابِ وهو قاصر، فما الحريريُ في مقاماته إذا سجع، وما البديعُ إذا ارتجلَ وابتدع. وأما ورعه فما أظنُ أن يباريَهُ ورع، وأما علمهُ فهو البحرُ إذا هاج، وشرعَ في التبرهنِ والاحتجاج.

ولد في حرمة من قرى نجد، بإهمالِ الحاء والراء عند ذوي النقد، فقرأُ الفقهَ على الفاضلِ التويجريِّ، وهو بأن يأخذُ عنه جديرٌ وحريّ، ثم تحولتْ به الأحوال، فنزلَ البصرةَ القديمةَ بالأهلِ والمال، واغتربَ غاربُ الرحلة، واكتهلَ كاهلُ النُّقْلة،

---

(١) في المطبوع: تشوق.

(٢) في المطبوع: القبايل. والقيل من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الأعظم. (المعجم الوسيط ٧٦٧).

(٣) في المطبوع: الأغراض.

إلى الديارِ الشامية، فلقِيَ من المشايخِ جملة، وقرأ النحوَ والمصطلحَ وغيرهما مما سنح، وذلك على مشايخَ أجلهم العقاد، لا سيما في الأداءِ والإسناد، ثم رجَع إلى منتجعِ أهله، وألقى فيه عِصِيَّ ارتحالهِ وحلِّه، وأقامَ ينشرُ الفوائد، ويدعو بلسانِ كرمه إلى الموائد. ثم رحل من ذلك المنتجع، للأخْذِ[1] عن الرحلةِ المتبع، شيخِ[2] السادةِ الحنابلة، وقدوةِ الفرقةِ الناجيةِ الفاضلة، محمدِ بن عبدالله بن فيروز، فقرأ كتابَ التحريرِ[3] في الأصول، الجامعَ بين الحاصلِ والمحصول، مع زيادةِ فوائدَ واجبةِ القبول، فلقيَ في سفرتهِ هذه أحمد، فحصلَ له الإكرامُ من ذلك الأمجد، ثم رجعَ إلى مستوطنه، فأقام [به][4] مثابراً على سَنَنِه، مكاثراً بإفادةِ علمهِ ومننه، إلى أن دعاهُ داعي الأجل، ونزلَ به موتهُ وحل،(◆) ودُفِنَ في تُرْبَةِ الزبير، مشهوداً له بالصلاحِ والخير، وذلك في الثانية عشر بعد المائتين والألف من الهجرة [١٧٩٧م]، سقى الله [تعالى][5] بشآبيبِ الرُّحَمِ[6] قبره.

[ذكر ما وقع لأحمد بن رزق مع وزير بغداد]

ولما ذكرتُ من أصحابِ أحمدَ هذهِ الجملة، أحببتُ أن أذكرَ ما جرى لهُ من النقلة، وما وقعَ له مع وزيرِ بغداد، مما حقهُ أن يُذكَرَ ليُستْفاد، ويُنَوَّهَ به في كلِ

(١) في المطبوع: ليأخذ.
(٢) في المطبوع: بشيخ، وهو تحريف.
(٣) في المطبوع: التجريد.
(٤) سقطت من المطبوع.
(◆) بداية ص ٨٠ في المطبوع .
(٥) سقطت من المخطوط، وأثبتناها من المطبوع.
(٦) في المطبوع: الرحمة.

مَحْفَلٍ ويُعـاد، وتُطَرَّز[1] به الطروس، وتُرَوَّحَ به النفـوس. فقلتُ: ثم إنَّ المولى أحمد، مازال يتسامى إلى المعالي ويَصْعَد، ويدأبُ في محاسنِ الأمورِ وينصب، ويسيلُ في أوديةِ المكارم وينصب، ويُوَشّي بُرودَ الأفضال، ويودعُ الأيامَ أكرمَ[2] الخِلال، في بلدته[3] المحكمة العمارة، المُشَرَّفَة الصدورِ بذوي[4] الصدارة، وينشرُ فيـهـا أوصـافَـهُ المبرورة، ومكارمَ أيادٍ لاتزالُ مجرورة، وينظمُ في سلك الزمان، خرائدَ حسانٍ غيرَ محصورة، ويطوقُ الحاضرَ والبادي. بجواهرِ الكرمِ البادي[5]، فَيَرْوي كلُّ صادي، إنْ طَوَّقَ[6] الأعناق، بأطواقِ الأرفـاق، فكم أزالَ من أدواء إملاق[7]، بأدويةِ إنعامٍ وإنفاق، وجَلَى ظُلَمَ إفلاس، ببدورِ بدرٍ وأكياس، وعَطَّرَ ندوةَ جُلاَّس، بكلمـاتِ أذكيـاءَ وأكيـاس، وأتْعَبَ أقلام، بتطريزِ بُرْدِ[8] نظام، وزَيَّنَ أوراق، بسطورٍ كسوادِ[9] أحداق، فلا غروَ أن تفخرَ به الأيام، افتخارَ اليدِ بالحسام، والسماءِ بالغمام، والروضِ بالكِمام، والوردِ بالزهر، والصَّدَفِ بالدُرَر، والوجوهِ بالغـرر، والرمحِ بالسنان، والشجرِ بالأفنان، وأيَّارَ بالأوراد، والظباءِ بتلعِ الأجياد، والمقلةِ بالسواد، والحسناءِ بالجمال، والأفقِ بالهلال، والأغمادِ

---

(١) في المطبوع: وتطرس.
(٢) في المطبوع: لأكرم.
(٣) في المطبوع: بلده
(٤) في المطبوع: بذي.
(٥) في المطبوع: المبادي، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع: فيطوق.
(٧) في المطبوع: أدواء وإملاق.
(٨) في المطبوع: برود.
(٩) في المطبوع: كسوار، وهو تحريف.

بالنصال، والربْعِ[1] بالنزَّال، والساقِ بالخلخال، والعقدِ باللآل، والنحورِ بالعقود، والآجامِ بالأسود، والترائبِ بالنهود، وتُنْشَرَ أذكاره في الأكوان، فيعطرَ أرجُها كلَ مكان.

نَشَرَ الفضلَ بالبنانِ فأضحى	عطِراً منه بُرْدُ كُلِّ زمانِ[*]
وأضاءت في الناسِ شمسُ نداه	فهي منظورةٌ بكُلِّ مكانِ
أتعبَ النفسَ لابتغاءِ المعالي	فاستراحتْ منه بنيلِ الأماني
أطلقَ الكفَ بالنوالِ ففكت	من إسارِ الزمانِ أيدي العواني[2]

[غرق مركب أحمد زرق]

وفي هاتيكَ الليالي، التي هي ببدورِ كرمه حوالي، أُغْرِقَ[3] له مركب، بجملة أموالٍ لا تُحسب، وحينَ بلغه الخبر، صَبَرَ وما اكفهر، وتبسمَ وما أبدى الضجر، بل زادَ تبسُّمُه، وتعاظمَ تفضُّلُهُ وتكرُّمُهُ. فتزوجَ في الحالِ بكراً، ونشرَ موائدَ الكرمِ نشراً، وأظهرَ بشاشةً وبِشراً، فرأى أعداؤهُ منه العجب، وأقروا [له][4] بعلُوِّ الرتب، والفضلُ ما شهدتْ به(◆) الأعداء، والكريمُ من أعطى بلا إكداء، والصبورُ من عضَّ بنابِ زمانه، ولم يُبْدِ أثرَ العضِّ لإخوانه. فازدادت

---

(١) في المطبوع: والمربع.

(*) من البحر الخفيف.

(٢) في المطبوع: الغواني، وهو تصحيف.

(٣) في المطبوع: غرق.

(٤) سقطت من المطبوع.

(◆) بداية ص ٨١ في المطبوع.

دولتهُ أضعافاً، وسمت رتبتهُ أوساطاً وأشرافاً، واعترفَ له ذوو[1] الهمم، بأنه الإنسانُ المتعالي عن القيم، واستظلَ كل مسيف[2]، بظلالِ أمواله الوريف.

[ذكر علي باشا كتخدا بغداد]

ومن زُخورِ بحرِ دولته، وظهورِ كلمتهِ وعلوِّ مكانته:

أنه لما توجهَ الوزيرُ المفخم، والأميرُ المعظم، علي باشا كتخدا[3] بغداد، إلى هَجر وما والاها من البلاد، للاستيصالِ على ما تملكه ابن سعود، وقتلِ ما سَيَّرَهُ إليها من الجنود، وإعادتها على ما هو المعهود، والتولي على ما فيها من القصور، وإصلاحِ ما عراها من الخللِ والقُصور[4]، وتشييدِ أركانِ الإسلام، وإراحة الأنام، من تلكَ البدعة الطامة، وإخماد تلكَ الفتنة العامة، فضربَ فيها أوتادَهَ، ليبلغَ بالمحاصرةِ مراده، أرسلَ إلى آلِ خليفة، برُسُلٍ وصحيفة، يرومُ منهم النجدةَ والمناصرةَ والعدة، والمعنيُّ بذلك من فَوَّفْتُ[5] حمده[6]. وحين اطلعَ على تلكَ الرسالة، أيقن أنها لم ترسلْ إلا لَهْ، فقام على ساقِ الاجتهاد، بإنجازِ ما منه الوزيرُ أراد، فأرسلَ عساكرَ وهدايا، وصحائفَ منطويةً على وصايا، فأما

---

(١) في المطبوع: ذو.

(٢) في المطبوع: مصيف.

(٣) في المطبوع: كدخدا.

(٤) القُصور الأولى جمع قصر، والثانية أي النقص.

(٥) في المطبوع: فوقت، وهو تصحيف.

(٦) المقصود أحمد بن محمد بن رزق في الزبارة، بينما كان آل خليفة حينذاك في مرير شمال الزبارة.

الهدايا فإنها يجبُ أن لا ترد، وإن كانت لغزارتها[1] لا تعد، قد اشتملتْ على أنواعٍ فاخرة، تُذكِرُ من رآها حُلَلَ الآخرة، وتُخْبِرُ عن مكارم، لم تُعَبْ إلا بأنها خضارم، وتحكمُ له بالفضلِ على من ناظره، فلا غرابةَ أن تَغْدُوَ الأمثالُ بها سائرة[2]، وتُمْسي أذكارُها على كلِ مقولٍ دائرة، وتَعْبِسَ من جَرَّاها وجوهُ الحَسَدَةِ[3] فهي باسرة، وترجعَ أيادي المُطاولين[4] عن تناوشها قاصرة. ومن جملتها ركاب، كالرياحِ في الهِباب[5]، والسحابِ في الانصباب، حُلَّينَ[6] بالبُرى، وسبقْنَ البرقَ بالسُّرى، إن اشْتُرِينَ بألوفٍ من العينِ، فما أكوارهن إلا الذهبُ اللجين، وإن كُنَّ هدايا، فقد أُثْقِلَتْ متونَهُنَّ العطايا، ولقد أجاد القائل، في أوصافِ هذه المراسل[7].

إنَّ تلكَ النياقَ خيرُ ركابٍ ... ومطايا أشْبَهْنَ مِسْعَ[8] الرياحِ[*]

يتنازعن مرسلاتٍ بُراها ... بذميلٍ حكى سُلافَ الراحِ[9]

خافقاتِ الرؤوس طبعاً بقومٍ ... كغصونِ الربى لفعلِ السماحِ

(١) في المطبوع: غزاراً.

(٢) في المطبوع: فلا غرابة أن تعد بها الأمثال سائرة، وفيها تحريف.

(٣) في المطبوع: وتقبس من حرها وجوه الحد، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: المتطاولين.

(٥) في المطبوع: الحباب، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: تحلين.

(٧) في المطبوع: الرسائل، وهو تحريف.

(٨) في المطبوع: مشي، وهو تحريف.

(*) من البحر الخفيف.

(٩) في المطبوع: الرياح، وهو تحريف.

بوجوهٍ كأنهن بدورٌ   وأيادٍ عُوِّدْنَ للانفتاحِ
وصدورٍ ما زِلْنَ دَأْباً صدوراً[1]   في طباعٍ في اللطفِ كالأرواحِ[2]

وبالجملة فهي من أجلِّ الهدايا[3]، وأجزلِ المواهبِ والعطايا[4]، وقد أَصْحَبَ[5] تلكَ الركابِ عشرينَ ألفاً، أو تزيدُ عليها ضعفاً، وملابسَ من الحريرِ الغالي، وعقوداً منظمةً باللآلي، فلما أوصلها(◆) الرسُل بالتمام، إلى حضرةِ الوزيرِ الهمام، عَظُمَ لديه قدرها، وطار[6] في الآفاقِ ذكرها، وصارَ لا يتحدثُ اثنان إلا بها، ولا تدورُ رَحَى سَمَرٍ[7] إلاَّ على قطبها، حتى بلغَ صِيْتُها المشرقَ والمغرب، وتدارسها في الأنداءِ[8] كلُّ معرب، وفاح نَشْرُها وضاع، وشُنِّفَتْ بأقْرَاطِها الأسماع، وقامَ الاتفاقُ والإجماع، على أنها هديةُ بلقيس، وإن حُمِلَتْ على العِيس[9]، وحصلَ لها حالَ الوصول، من ذلكَ الوزيرِ القبول، وبلغَ الرسلُ بها كل سول[10]، ولما ضَمَّتْها رحابه، ونظرها جلساؤه وأصحابه، قال أعني

(١) في المطبوع: وصدور ما زادهن صدود.

(٢) جاء هذا البيت في المطبوع الثالث في الترتيب.

(٣) في المطبوع : العطايا.

(٤) في المطبوع: الهدايا.

(٥) في المطبوع: أصحبت.

(◆) بداية ص ٨٢ في المطبوع .

(٦) في المطبوع: وطاف.

(٧) في المطبوع: السمر.

(٨) جمع الندأة، وهي الحمرة في الغيم إلى غروب الشمس أو طلوعها (القاموس ٦٣).

(٩) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شُقْرة (القاموس ٥١٨).

(١٠) السول : ما سألته (القاموس ٩٣١).

الوزيرَ المشارَ إليه، المفوضَ زمامَ الأمرِ بيديه: إن هذه لهديةٌ عظيمة، لا تخرج إلاَّ من يدٍ كريمة، ولا تَصِلُ[1] في هذهِ الأزمان، إلا من أحمدَ لعليٍّ[2] وسليمان[3].

[ذكر محمد بن عبد الله الشاوي]

وكان [في ناديه][4]، واقفاً بين أياديه، عندَ فضِّ ختمِ هذه الرسالة، ونسجِ بُرُودِ تَلك المقالة، محمدُ بنُ عبدالله الشاوي[5]، وقد كان من عذبِ أفضاله راوي، [فقال:][6] أيها الوزيرُ المعظم، والهمامُ المطاعُ والمقدم، إن العربَ على ما

(١) في المطبوع: ولا تسل، وهو تحريف.

(٢) المقصود علي باشا كتخدا.

(٣) المقصود سليمان باشا والي العراق.

(٤) سقطت من المطبوع.

(٥) محمد بن عبد الله الشاوي (... - ١٢١٧هـ /١٨٠٢م) من أمراء العراق، كان داهية عاقلاً فصيحاً. انتدبه سليمان باشا (والي بغداد) سنة ١٢١٣هـ، للسير في حملة بقيادة «الكتخدا» علي باشا، لمحاربة الأمير «سعود بن عبد العزيز» في الأحساء، وانتهت الحملة بصلح مؤقت بين سعود والكتخدا. وأرسله سليمان باشا أيضاً في سفارة إلى الدرعية (مقر آل سعود) بنجد، وبعد عودته اتهمه التُرك بالميل إلى «الوهابيين» وبأنهم «أغووه» ويقول كاتب فرنسي كان معاصراً للحوادث: إن آل سعود استمالوا الشاوي بكثير من الهدايا حتى تخلى هذا عن صلته بباشا بغداد وأصبح وسيطاً في الإصلاح بينه وبينهم، وآلت ولاية بغداد إلى الكتخدا علي باشا بعد وفاة سليمان باشا، فأمر بخنق الشاوي ومعه أخ له اسمه عبد العزيز، فخنقا ودفنا بقرب الموصل، قال ابن سند: كان محمد في أيامه من ملوك العرب وأهل النجابة والمروءة والنخوة، أمضى عمره وهو جليس الملوك (يريد الأمراء والوزراء) ونديمهم وسفيرهم وأمينهم ومستشارهم بحيث يضرب به المثل في اللطافة والأدب وطلاقة اللسان وبداهة الجواب، وكان يشارك العلماء في كل فن. انظر: الأعلام للزركلي، ج٧، ص١٢٠.

(٦) سقطت من المطبوع.

لها من الكرم، لتعلمُ أنها الأنهارُ وهو الخِضَمّ، وأن الكرمَ قد مات فأحياه، وأن الشرفَ وجهُ هو سناه، حتى أن الناسَ في زمانه، يتفاخرون بلثمِ بنانه، والتقاطِ جواهر امتنانه، التقاطهم الفصاحةَ من بيانه، ويتباهَوْنَ بمشاهدته، فضلاً عن معاشرته، وأنّ[1] الفردَ الكامل، والأشرفَ من عِرنين[2] القبائل، هو الواقفُ بين يديه، الممتدةُ ألحاظُهُ[3] عليه، فاستقر عند الوزيرِ صدقُه، بعد أنْ[4] أعربَ عن فضلِ أحمدَ نطقه، وعلمَ عينَ اليقين، أن المومى إليه خاتمةُ الأكرمين، وكعبةُ الراجينَ والآملين، وهل تَخفى الشمسُ على الناظرين، وقال: يا محمد قد عَرَفْنا المقصد، وتَبَيَّنَ أنه كريم المَحْتِد، وأنه خلاصةُ الزمان، وصفوةُ هذه الدنان، وأن إكرامه ألزمُ من أداء الفرضِ المُحَتَّم، كيف لا والبادي بالفضلِ أكرم، ففاهَ محمدُ عند ذاك، وقال: جلَت عطاياك، وعلَت أوصافُك ومزاياك، إني أرى أن تستريحَ من العنا[5]، إن الثواقبَ لا تُناوشُ باليد.

أتَرى أنك تقابلُ هديته، أو تُطاولُ في الكرم راحته، كلا لن ينالَ أحدٌ[6] ما ناله، ولا يفاضلُ الخضارمُ أفضاله، على أنكم وإن قابلتم هديتَهُ في الدنيا، لكانت يدُهُ في ذلكَ هي العليا، فالأقربُ أن تُفَوِّضَ [إليَّ][7] زمامَ هذا الحال،

(١) في المطبوع: وأنه.
(٢) عِرْنين: عَظمُ الأنف حيث يكون الشم «شُمّ العرانين» أي أعزة أباة.
(٣) في المطبوع: والممتدة الألحاظ.
(٤) في المطبوع: بعد ما أعرب.
(٥) في المطبوع: القنا، وهو تحريف.
(٦) في المطبوع: أحمد، وهو تحريف.
(٧) في المطبوع: يفوض، وسقطت (إليّ) من المطبوع.

فانظرْ ما يليقُ بِقَدْرِنا لا بقدرِه العال، فإن قَدْرَهُ لا يُقْدَر، كما إن فضائله لا تحصر، قال الوزير: ذلكَ إليك، وأمرهُ موكولٌ عليك. قال محمد: اجعلْ أموالَهُ لا تُعَشَّر[١]، ليشيعَ ذلكَ في كلِّ محضر، وهو يسيرُ في كثيرِ هباته، وشيءٍ نزرٍ من وافرِ صلاته، فعندَ ذلك وَجَّهُوا إليه بالأوامر، منشورةً في مشاهدِ العساكر، بأن لا يُعَشَّرَ ماله، ولا يُنازعَ مقالهُ، وأن يُشْهَرَ في الآفاقِ إجلالُه.

ولما وصلتِ الأوامرُ لبلدته[٢] المحمية، وحصلتْ في رحبتِه الأحمدية، وفضَّ ختامها ببنانِ الاحتفال، ورنا إليها نظرَ تَوَدُّدٍ وإجلال، وقُرِئت في مشهده، على سُراة مَحْتده، أمرَ على الرسلِ الواصلين بها، الفائزين بنقلها ومنصبها[◆]، فأُلْبِسوا أفخرَ الملابس، وجُعلوا في أرفعِ المجالس، المفروشة بأظرف الطنافس[٣]، وأُمدُّوا بالنُّضَّار، وأُنِّسوا بألطف الأسمار، وأُطْعِمُوا من أطيبِ المطاعم، ونُظِموا في سلكِ أصحابه الأكارم، إلى أن قَفَلوا عنه بالإكرام، ورحلوا عنه وهم باكونَ على ذلكَ المقام، قائلون: إن الأيام، عقيماتٌ بمثلِ هذا الإمام، آيسونَ من أن تُنْقَلَ إلى نظيرِه الأقدام، أو يَرَى لحظُ نظيرَهُ من الأنام، أو تدركَ الهممُ منه المرام، مصحوبين منه بسبحِ اللآلي، إلى الجنابِ المولوي العالي، وهدايا قُلْ فيها ما شئتَ ولا تبالي، وتُحَفٍ تشهدُ أنه أبو المكارم وأخو المعالي، وأنه الشمسُ وسائر الكرامِ الكواكب، وأنه البحرُ إلا أنه غيرُ ناضب، مصحوبةٍ تلكَ التحفُ

(١) أي لا يؤخذ منها العُشر.

(٢) في المطبوع: لبلده، والمقصود الزبارة.

(◆) بداية ص ٨٣ في المطبوع.

(٣) البساط.

برسائل، وكتبٍ شاهدةٌ بفضلِ القائل[1]، مسفرةٍ عن وجوه آداب، ومكارمَ دونها سَبَلُ السحاب، وآراءٍ هي البروقُ السواري[2]، وعزماتٍ هي السيارةُ من الدراري، ولطافةٍ هي نسائمُ السحر، وحلاوةٍ هي السقيطُ فوقَ شفاهِ الزهر، وظرافةٍ هي الزهرُ المطلول، وعفافةٍ هي الصباحُ المسلول[3]، وميامنَ هي الحُلَلُ المُوَشَّيات، وقرائنَ هي العرائسُ المُجلَّيات.

[ترجمة الشيخ صالح بن سيف النجدي الحنبلي]

قد وشّى برودها، ونظمَ عقودها، الألمعيُ اللوذعي، صالحُ بن سيف النجديُ الحنبلي[4] سقى ثراهُ من الرحمِ وَسْميٌ ووليٌّ، فقد كان عندهُ بمنزلة، لا ينزلها إلا الكَمَلَة[5]، كيفَ لا وقدْ رَمَقَتْهُ نواظرُ الكرم، وسَحَّتْ عليه من أيديه شبآبيبُ النعم، ورفعتهُ عواملُ احترامه حتى صارَ للفضلِ العَلَم، وانضافَ إليه فتصدر، وانتصبَ لأوامرِه فكانَ للخيراتِ مصدر، وبالجملة فهوَ من أجَلِّ اللائذينَ بجنابه، وأبرعِ منشئيه وكُتَّابه، جمعَ مع العلم أدباً وافراً، ونظماً كالأمثالِ أمسى سائراً، وفضلاً جلياً كالنصِ ظاهراً، ودماثةَ أخلاق، وبهجةً لم تزلْ ذاتَ إشراق، وبياضَ أعراض، وإقبالاً على الطاعةِ بلا أعراض، وأفعالاً لم تُدَنَّسْ باعتراض، أخذَ

---

(١) في المطبوع: المقابل.

(٢) في المطبوع: البرق الساري.

(٣) في المطبوع: الملول.

(٤) ترجمته في : السحب الوابلة (٢/٤٢٩)، إمارة الزبير (٣/٨٨)، وعلماء نجد (٢/٤٧٤).

(٥) في المطبوع: الكمل، وهو تحريف.

العِلْمَ عن العَلَم، بعد ما رحل إليهِ من نجدٍ وبه انتظم، مولانا ابنِ فيروزِ الأفخم، عالمِ الأفاقِ الغربيّة[1]، وسيدِ الطائفةِ الحنبلية، وعن الزواوي[2] وابنِ مطلق[3]، فأنارَ[4] بعلومهما قَلْبُهُ وأشرق، وسلسل عنهما كلَّ مُقَيَّدٍ ومطلق، وحرَّرَ عنهما كلَّ بحثٍ وحَقَّق، واتصلَ نسبهُ العلمي بهما وتَحَقَّق[5]، إلا أن أكثرَ روايته، وأعظمَ درايته[6]، عن ذلكَ العَلَمِ الأول، فقد أبانَ لهُ ما أشكل، وحَقَّقَ له المجملَ المُفَصَّل، وأخذَ عن غيرهم من علماءِ البحرين، ونجدٍ والحرمين، وقرأ صحيحَ البخاري بين يَدَيْ شيخهِ المُقَدَّم، فبرزَ في فهمِ معانيه وتقدم، وحصلتْ لهُ الشهرةُ في هاتيكَ الأطراف، وسَلَّمَ له أضدادهُ مع العِلْمِ الإنصاف، وكان مع ذلك الفضلِ[7] التام، ذا صوتٍ يُصْغِي لسماعهِ الحَمام، وجراءةٍ[8] لا توجدُ في غيره من الأنام، نَقَلَتْهُ الأقدار، عن تلكَ الديار، فأناخَ راحلةَ آماله، بساحةِ كرمِ أحمدَ وأفضاله، فنظرَ إليه بعينِ عطفه، وأنزلهُ في ظلالِ حمايته وكهفه، وأذاقهُ بَرْدَ إكرامه، وكساهُ بُرْدَ[9] أفضاله وأنعامه، فولاهُ ديوانَ الكتابة(♦)، والتدريسَ

---

(١) في المطبوع: العربية، وهو تصحيف.

(٢) هو السيد عبد الرحمن الزواوي، وكان عالماً في الحساب (علماء نجد، ٥/ ٦١).

(٣) ابن مطلق هو الشيخ عيسى بن مطلق، وكان عالماً في النحو وأصول الفقه. (انظر: علماء نجد، ٥/٦١).

(٤) في المطبوع: فأنام، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: وحقق.

(٦) في المطبوع: روايته، وهو تحريف.

(٧) في المطبوع: العلم.

(٨) في المطبوع: وجراء، وهو تحريف.

(٩) في المطبوع: برود.

(♦) بداية ص ٨٤ في المطبوع.

بجامعهِ والخَطابة، فحكى بِرِقَّةِ نَظْمِه ديوانَ الصبابة[١]، وبوَعْظِه ابنَ نباتةَ[٢] ولا غرابة، وصار عنده، يده وزنده، هذا وعندما قَفَلَ الوزيرُ عنِ المحاصرة، لقلة الزادِ وضعفِ المناصرة، وبلغ خبرُهُ الزبارة، وكانت لأحمدَ[٣] ترجعُ الاستشارة، أمرَ أهلها بالارتحال، إلى جزيرةِ أوال، حذراً من استيلاء العدوِّ[٤] عليها، وبلوغِ الشرِّ إليها.

[الكلام على بلدة جو من البحرين]

فنزلَ موضعاً موسوماً بِجَوٍّ[٥]، وبنى فيه منازلَ شاهقاتٍ إلى الجو، وعَمَّرَ منها الأراضي، بالطاعاتِ والمراضي، وأقامَ فيها وهو قُطْبُ رحاها، وبدرُ سمائها، وقلبُ حشاها، يختالُ في برودِ الكرامة، وَيَنْهى عن الاعوجاجِ ويأمرُ بالاستقامة، ويدأبُ في التدبير، وينصبُ في مصالحِ التعمير، ويتألفُ النصير، ويتعرفُ إلى كلِّ مأمورٍ وأمير، ويجهدُ في التأليف، بينَ القوي والضعيف، ويُقَرِّبُ ذوي الرياسة، ويصطفي أهلَ الإصابةِ في الفراسة، ويتلطفُ بذوي

---

(١) إشارة إلى ديوان الصبابة لابن أبي حجلة (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

(٢) ابن نباتة: عبد الرحيم بن محمد، توفي سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م، صاحب المواعظ والخطب المنبرية. (انظر الأعلام ٤/١٢٢).

(٣) المقصود أحمد بن محمد آل خليفة الملقب بالفاتح.

(٤) المقصود جيوش سعود بن عبد العزيز أمير نجد.

(٥) جَوّ، قرية من قرى البديع في المنامة بالبحرين وأول من نزلها أحمد بن رزق. وما جاء في التحفة النبهانية بمقارنته هنا يحتاج إلى مراجعة، حيث قال: «ثم ظعن عنها ونزل الزبارة». (التحفة النبهانية، البحرين، ص ٧٧).

النفرة[١]، رجاءَ أن تكونَ منهم النصرة، فأياديه وإن كُنَّ ذوارف، فهن معقلُ لكلٍّ خائف، ونواديهِ وإنْ أصبحَتْ مآلف، فهي لأطواقِ عوارفهِ سوالف، ورحابُهُ وإن أمستْ منفسحات، فهن معاطنُ لذَوْدِ[٢] المبرات، وعزائمهُ وإن حاكت الصوارِم، فهي لأفعالِ الشر جوازم، فلا بدعَ أن أصبحت منازله ضاحكةَ المباسم، مرفوعةَ الذرى مشادة الدعائم.

حَلَفَتْ أوالُ بأنَ أحمدَ ذا الندى ... سبقَ البرامكةَ الكرامَ مكارما[*]
وشأى المهلبَ في إصابةِ رأيه ... وشأى ابنَ ثعلبةَ الأغرَ وحاتما
وشأى ابنَ قيس أحنفاً[٣] في حِلْمِهِ ... ومُهَلْهَلاً[٤] في عِزِّهِ ومزاحما[٥]

فلقد أَطْلَعَ فيها كواكبَ السعود، ونَظَّمَ فيها من المكارمِ قلائدَ وعقود، وحين أَتَمَّ عمارتها، وقصدَ الخاصُ والعامُ زيارتها، ورحلَ إليها القاصي والداني، وتمنى رؤيتها المطلقُ والعاني، نزعَ بينَ حُكَّامها الشيطان[٦]، وبينَ سلطانِ عمان[٧]، فَسَيَّرَ إليهم الجنودَ والمراكب، واستولى على الكاهلِ والغارب،

(١) في المطبوع: النضرة، وهو تحريف.
(٢) في المطبوع: لذوي.
(*) من البحر الكامل.
(٣) إشارة إلى الأحنف بن قيس وضرب به المثل في الحلم والورع.
(٤) المهلهل: هو عدي بن ربيعة التغلبي، خال أمرئ القيس وجد عمرو بن كلثوم. قيل إنه أول من هلهل الشعر ولذا قيل له المهلهل. انظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج١، ص ١١١.
(٥) قد يكون مزاحم بن عمرو بن مُرَّة بن الحارث، شاعر غزل بدوي، من الشجعان وكان في زمن جرير والفرزدق. (الأعلام: ٨/ ١٠٠).
(٦) المقصود: آل خليفة.
(٧) المقصود: الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد السعيدي (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، حميد بن محمد بن رزيق، عمان، ١٩٧٧).

من دونِ أن يكونَ لهُ مُطاعنُ ومُضارب، وصَيَّرَ حُكَّامها من جملةِ الرعايا، وما كانتْ منهُ إلا إحدى البلايا، فالتجأوا بعدَ ذلكَ إلى ابنِ سعود، فأمدهم بقبائلَ وجنود، فركبوا عليها بعد انصرافِ العمانيِّ إلى أقطاره، ووصولهِ إلى قرارةِ سُلْطانِهِ وقراره، وارتحالِ جناب مولانا المترجم، إلى البصرةِ كما سَيُعْلَم، واستولوا على أوال، بعد قتلِ كثيرٍ من الرجال، ونهب جَمٍّ من المال، وملَّكوا ابنَ سعود زمامها، وحَكَّمُوه عليهم بعد ما كانوا حُكَّامها[1].

[الكلام على مدينة البصرة]

ولعلَّ التجاءَهم إلى ابنِ سعودٍ السببُ[2]، في انتقالِ شمسِ الفضلِ وكنزِ الأدب، عن أوالَ إلى البصرة، الغنية عن الضبط بالشهرة، البلدة التي عن فضلها لسانُ الحصرِ يقف، ويعجزُ عن تعداد أوصافها الماهرُ حينَ يصف، ويتباهى في نزولها(♦) الأشراف، ويتزاحمُ عندها الملوكُ بالأكتاف، ويَبَرُّ الحالفُ بأن ليسَ لها من نظير، وتَوَدُّ الشمسُ أن تنزلها بَلْهَ[3] البدرِ المنير.

[ذكر نزول الشيخ أحمد بن رزق البصرة]

فَحَطَّ فيها رحله، وبسطَ في سُكَّانِها فضله، حين تَلَقَّوهُ من بعيد، وجعلوا يومَ قدومهِ يومَ عيد، واستنشقوا لما واجهوه أخلاقه، واستصبحوا بهجَتَهُ

(١) المقصود: آل خليفة.

(٢) في المطبوع: بالسبب، وهو تحريف.

(♦) بداية ص ٨٥ في المطبوع .

(٣) في المطبوع: بدل.

وإشراقه، واستغنوا عن المصابيحِ منهُ بالطلاقة، ولما بَلَغَ والي بغداد[١]، وصولَهُ بالسلامةِ إلى هذهِ البلاد، وَجَّهَ إليه بأوامرَ شريفة، وملابسَ فاخرةٍ ظريفة، بأن يَنْزِلَ من البصرةِ ما يختار، وأن يُعاملَ كالملوكِ لا التجار، فانتجعَ من تلكَ البلدة، منجعاً[٢] رأى أن ينزلَهُ وحده، وذلك في عامٍ خمسَ عشرة، بعد المائتين والألف من الهجرة [١٨٠٠م] فأفاض على سكانِه، موائدَ كرمِه وإحسانه، وأخذَ في إقامةِ بُنْيانِه[٣]، وتشييدِ[٤] قواعده وأركانه، وصنعَ فيه[٥] الآطامَ المحكمة، وأعلى فيه الشرفَ وقَوَّمَهْ، وعَمَّرَ فيه مسجده، وأكْرَمَ رُكَّعَهُ وسُجَّدَهْ، فصار كعبةً يُقْصَدُ من الآفاق، وتنثال إليه الرفاق، للعبادةِ والارتزاق.

يا لهُ مسجداً منيراً مضيئاً ... لن تراهُ إلاّ وفيه مُصَلٍّ (*)
قد بناهُ تقرّباً ثُمَّ نادى ... يا أُهَيْلَ الصلاحِ هل من يصلي

وبالجملةِ فبلدتهُ التي أحكمها، يجبُ على كلِ فاضلٍ أن يُعَظِّمَها، فإنه زَيَّنَها بقصور، هي بروجٌ للبدور، وأفلاكٌ شموسها الحور، ونثَر فيها على من جالسه، أو سامره وآنسه، الدرَّ المُنَظَّم، وقَمَّصَهم[٦] بالعطاء وعَمَّم، وأعلى منها

---

(١) المقصود: سليمان باشا أبو ليلة، تولى ولاية بغداد عام ١٧٤٩، انظر: داود باشا والي بغداد، ص ٢٧.

(٢) ورد في النصرة في أخبار البصرة أنها «قردلان»: «وخط في قردلان قلعة بيتاً فائقاً وإلى الآن له آثار»، ص ٢٧.

(٣) في المطبوع: إقامته ببنيانه، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: وتشيد، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: فيها، وهو تحريف.

(*) من البحر الخفيف.

(٦) أي ألبسهم القمصان.

المَجالِس، وعَظَّمَ فيها المجالِس، ونادى منادي أياديه، هَلُمَّ إلى روضِ مآديه، وعكفَ على بابهِ الناس، ونمى فرعُ الغنى كما ولّى به الإفلاس، وجُلِبَتْ له عتاقُ[1] المذاكي، وحاكاه[2] الخِصَمُّ فَرَدَّ عنهُ وهو باكي، وزُفَّتْ له الكواعبُ من خدورها، وخَطَبَتْهُ المعالي بعد بذله لمهورها، وأطاعته العوالي والظُّبا[3]، وخدمته الأقيال[4] قبل حَلِّ تمائم الصِّبا[5]، ورَنَّحَ تلكَ البلدةَ الطرب، فكادت تطيرُ من الفرحِ ولا عجب، إلا أن مُحَتَّمَ القدر، جَعَلَ اسمها مما يتشاءم به البشر، فنزلها حذاراً من الطِّيَرة، واعتماداً على أن ليسَ إلا ما قَدَّرَه، وأن لا يمنعُ الحذرُ وقوعَ ما عُلِم، في الأزلِ أنه سَيَلِم[6]، فَشَيَّدَهَا بالسور، وأيّدها بالخميسِ المنصور، وكَسَرَ شوكةَ من عاداه، ونطقَ لسانُ حالها وفاه.

لِيَ الفضلُ في الدنيا على كلِّ بلدةٍ ... ولو أنها ذاتُ العماد وبغدانُ[*]

وأقصرُ قصرٍ فيَّ ليسَ يطولهُ ... خورنقُ نعمانٍ ولا القصرُ غمدانُ

فلا غرو أن استعبَد كلَّ حر، بتطويقِ النضارِ والدر، ولقد ألقى إليه ذَوُو[7] الصدارة، زمامَ التدبيرِ والإمارة، وأجمعوا على ما أراده، وعرفوا له المقدار

(١) في المطبوع: وجليت له أعناق.

(٢) في المطبوع: فحاكاه.

(٣) الظُبا جمع الظُّبَة وهو حد سيف أو سنان (القاموس ١٢٠٢).

(٤) أي الملوك، مفرده القيل (القاموس ٩٦٩).

(٥) في المطبوع: الظبى، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: يسلم، وهو تصحيف.

(*) من البحر الطويل.

(٧) في المطبوع: ذو.

والسيادة، وبالغوا في امتداحه، وانقادوا لصحائفه وصِفاحه، واعتقدوا النجحَ في إصداره وإيراده، وتيقنوا أن اليُمْنَ في(♦) مراده، ورفعوه لما سبروه، وارتفعوا حين صَدَّرُوه، وخدموه بالأنفسِ والأولاد، وفَدَوْهُ بالأرواحِ بَلْهَ الأحفاد[1]، وأنشدَ فيهم شاعرُهُمْ وأجاد.

قالَ الحواسدُ ما رأينا في الندى ... أبداً كأحمدَ في الزمانِ الأولِ(*)

إن كانَ للفضلِ بنِ يحيى جعفرٌ ... فنواله لم ينحصرْ في جدولِ

زعمَ الملوكُ بأن ينالوا مجده ... لو كان يمكنهم وصولَ الأعزلِ

هيهاتَ أن يسمو عُلاه واحدٌ ... ولو انه في مجده أبداً علي

أفاضَ على الأيام، ملابسَ الأكرام، فابتسمت ثغورُها، وانشرحت صدورُها، وأشرق حبورُها[2]، وفاخرت أزمانهُ الأزمان، وبلدهُ سائرَ البلدان.

أكسب لمجدَ والسناءَ[3] بلاداً ... حلَّ فيها وما لُه من نظيرِ(**)

كلُّ مَجْد فإنهُ منهُ يبدو ... كبدوِّ البدورِ في الديجورِ

فَضَّلتهُ الأنامُ فوقَ بنيها ... فلذا كان فوقَ أعلى الصدورِ

فاقَ كيوانَ رفعةً وشأى الأقمارَ ... نُزْلاً وفي ابتسامِ الثغورِ

فَهْوَ لاشكَ للعلا مقلتاها ... ونداهُ من عينها كالنظيرِ

(♦) بداية ص٨٦ في المطبوع .

(١) في المطبوع: بالأرواح والأحفاد.

(*) من البحر الكامل.

(٢) في المطبوع: وأشرقت نحورها.

(٣) في المطبوع: والثناء.

(**) من البحر الخفيف.

عَظَّمَتْهُ أعداؤه إذ رأوه   صاعدَ الجدِّ سامياً بالظهورِ
إن حَمَتْهُ بيضُ الظباةِ فكم كا   ن حَمَى بالصِفاح بيضَ الخدورِ

ولما أكملَ تأطيدَ تلكَ البلدة، وأجرى فيها على سُكّانِها رفده، وأعزَّ منها التَلْعَةَ والوَهْدَة، وحماها بالصمصامة والصعدة، وعَمَّرَها أتمَّ عِمارة، ورفعها حتى حسدتها السيارة، وحصلَ لها من الاشتهار، ما [لا][1] للشمسِ في رابعةِ النهار، وتناقلتْ أخبارَها الركبان، وضَرَبَ بها المثلَ كلُّ إنسان، وقيلَ فيما لها من البنيان، ما للخورنقِ أن يطاولَها ولا غمدان، فحُقَّ لمن نظرَ عمارتها، وتأملَ حسنها ونضارتها[2]، أن يفاخرَ بها بغداد، أو إرمَ ذاتَ العماد، وأن يُنْشِدَ فيها، على رغمِ معاديها:

هذه الجنةُ التي حار فيها   كلُّ طَرفٍ وحارَ كلُّ بصيرِ[*]
هل رأى الناظرونَ إحكامَ مبناها[3]   وهل كان مثلها في القصورِ

(◆)اشتكت إليه باكيةً بين يديه، وقالت وهي راجفةٌ عليه، أيها الهمامُ المُصدَّر، والأميرُ على كلِّ مُؤمَّر، والمُفَخَّمُ على كلِّ مُوَقَّر، عَلَتْ كَلِمَتُك، وسَمَتْ همَّتُك، إن الأبنيةَ وإن عَلَت، والأفنيةَ وإن زَهَت وحلَت، لا تروقُ الناظر، أو تَسُرُّ

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: ونظارتها، وهو تحريف.

(*) من البحر الخفيف.

(٣) في المطبوع: مبنيها.

(◆) بداية ص ٨٧ في المطبوع.

الخاطر، إلا بالسامر[1]، الناظِمِ الناثر، يُلقِحُ الأذهان، ويُقَصِّرُ الأزمان، ويزيحُ الهم، ويريحُ أخا الغم، وينشرُ مطارفَ الآداب، ويُعَطِّرُ بالحكاياتِ الرحاب، ويُطْرِبُ بالنغماتِ الأصحاب، بطبعٍ كنسيمِ السحر، وصباحٍ كالقمر، وخُلُقٍ كالروضِ ذي الزهر، فأجابها بعدما عَلِمَ صوابها، وقال: أيتها الأبنية، والأفنيةُ المعتلية، قد أَسْمَعْتْ من كانت له أذنان، ونَبَّهْت منه إنساناً غيرَ وسنان، قد اتخذنا فيك سُمَّاراً، إن شئت شموساً أو أقماراً، من كُلِّ غَنِيٍّ[2] بأدبه، عن وَفْرِه ونَشَبِه، وكلِّ مولعٍ بإنشاده، ولعَ الحمامِ بأغراده، كلِّ ذي طبعٍ أريحي، وخلقٍ عطرٍ أُفَيحي، يتناثرُ من فيه السمر، تناثُرَ السقيطِ من شفاه الزهر، يسمو بالآداب، سموَّ السلاف بالحُباب.

[ترجمة الشيخ محمد بن علي بن سلوم]

كالفاضلِ الحيسوب، الكائنِ من الأفاضلِ كاليعسوب، محمدِ بنِ عليِّ بنِ سلوم[3]، المشهورِ في غزارةِ العلوم، فإنا قد اتخذناهُ لنا سميراً، وجعلناهُ من مقلة إكرامنا نظيراً، لمَّا لم نجد لهُ في الفضلِ نظيراً، حافظاً لأسرارنا، واقفاً على وَفْقِ اختيارنا، مثابراً على الآداب، مثابرتَهُ على حقوقِ الأصحاب، عارفاً بدقائق الحساب، معرفته بشقائق الأنساب.

---

(١) في المطبوع: بالمسامر.

(٢) في المطبوع: من كل ما غنى.

(٣) ترجمته في: السحب الوابلة (١٠٠٧/٣)، علماء نجد (٢٩٢/٦)، إمارة الزبير (٥٩/٣).

كل مـا يُسْـألُ عنـه عنـده خبـرٌ منه فإن شئتِ اسألي(*)
واسـئلـي أقـرانـهُ هل وجـدوا مـثلهُ في الزمنِ الماضي ولي
بحـرُ علـمٍ زاخـرٌ كـم واردٍ جـعـفـراً منـه ولمـاً يسـألِ

أبْرَزَتْهُ القدرة، كما أبرزت من الصدفة الدرة، من نجد عندما وَجَبَتْ عليه الهجرة، فرحلَ إلى هجرِ البحرين، بالتُقى والعفاف والزين، فوردَ من عيونها أعذبَ عينٍ، أعني عينَ عيونِ المعارف، ومنبعَ الإفضالاتِ والعوارف، محمدَ بنَ عبداللّه بنِ فيروز، فأخذَ عنه في الحساب، وحرَّرَ عنهُ الفقهَ والآداب، فروى من عينِ تحقيقه، وتَمَيَّزَ على الأقرانِ بتدقيقه، واهتدى بواضحِ طريقه، وأحبَّهُ حتى صارَ كشقيـقـه، وروى عنه كلَّ صحيحٍ وحسن، وأرسلَ عنه كلَّ نوالٍ ومنّ، وانضافَ إليه[1] فاكتسبَ الصدارة، واعتمدَ عليه فيما انتقاهُ واختاره، فصارَ عمدةً في نظرائه، وقدوةً يُقْتَبَسُ الصوابُ من آرائه، وبالجملة فقد تأدبَ به أُدبا، تباعُ في تحصيله أيامُ الصبا، وترنو إليه بالأحداقِ أفنانُ الربا، ودأبَ في اقتناصِ ما ندّ، وسلكَ للعلومِ كلَّ يفاعٍ وخد [وهَصَرَ من غصونِها كُلَّ قَدّ][2]، واقتطفَ من رياضه أزهى ورد، ومدَّ إليها الباع، فبلغ الكفَّ والذراع، وأدركَ الدقائقَ الحسابية، ودعا من علمِ الفرائض عَصِيَّه[3]، فلباهُ وملكهُ ظاهرهُ(♦) وخفيه، حتى صارَ فيه العَلَم، ودُعي في بحارِهِ البحرَ الخضم، وأُرْسِلَتْ إليهِ

(*) من البحر الرمل.

(1) في المطبوع: عليه ، وهو تحريف.

(2) سقطت من المطبوع.

(3) في المطبوع: عصبية، وهو تحريف.

(♦) بداية ص ٨٨ في المطبوع .

العُويصاتُ فحلها، والأحاجي فأزاحَ شكلها[1]، وكشفَ عن وجوهها اللثام، حتى نُظِرَتْ كالبدرِ ليلةَ التمام، أَلَّفَ مؤلفاتٍ تُعْقَدُ عليها الخناصر، وتُحْدِقُ بها النواظرُ من كلِّ مُناظِر، فلو قابَلَتْها الأشباهُ لم يكن[2] لها نظائر، لا غروَ أن صارتْ لعينِ المعادي أرقا[3]، وفي حَلْقِ المُبادي شرَقا، قد أخذتُ عنهُ طرفاً من علمِ الفرائض، والفلكِ فكانَ كألف رائض، وعاشرتُهُ في مدةِ أعوام، فما أغضبني يوماً من الأيام، على أن الفضلَ منه عَلَيَّ، والعلمَ منه أبداً يجري إليَّ، إن يكن أحمدُ قد أهَلَّه، لمفاكهتِه وبَجَّلَه، فقد وافقَ شنٌّ طبقة، وسقطَ الخبيرُ[4] على الثقة.

إن يكن أحـــمـــدُ رآه نديماً	فَهْوَ لاشكَ مقلةُ الندماءِ[*]
أو رآهْ إلى الملوكِ سـفـيـراً	فـهوَ في العينِ قدوةُ السفراءِ
أشبـهَ البدرَ في عـلاهُ ولكن	مـا لـهُ مطلعٌ سوى العليـاءِ
كم نظيـرٍ وجـدتُـهُ لأريـبٍ	ولشيـخي مـا خلتُ من نظراءِ
[هل رأيتم نظيـره في المعـالي	أو شبيهاً لـه بفرط الذكاءِ][5]
أرضـعتـه مـن المعـالي ثُديٌ	منعـتـهـا عن سـائرِ الأبناءِ
فـهوَ في الفضلِ خيرُ بنيهـا	فـاسألـوا عنـهُ أنجمَ الجوزاءِ

(١) في المطبوع: مشكلها.
(٢) في المطبوع: تكن.
(٣) في المطبوع: أزقا، وهو تصحيف.
(٤) في المطبوع: الخير، وهو تحريف.
(*) من البحر الخفيف.
(٥) سقط البيت من المخطوط وأثبتناه من المطبوع.

صَدْرٌ في كلِّ مجلس، وبدرٌ في عينِ من إليه يجلس، النجابةُ عليه لائحة، واللَّبابة[1] من حركاته رائحة، قد أخذَ من كلِ فنٍّ جملةً صالحة، مع أنه لايزالُ للخمولِ مُظْهِراً، وبدثارِ التجاهلِ[2] متدثراً، ولكن إذا نطق، أسكت سائرَ الفرق، وإذا كتب، انقاد له الأدب، ولَبَّتْهُ المعاني من كثب، وإذا قَرَّرَ في الأصول، أوضحَ منهاجَ الوصولِ إلى الحاصلِ والمحصول، وبالجملة فهو ريحانةُ أوانه، وجمانةُ الفضلِ في أقرانه، وغايةُ كمال، وآيةُ إفضال، ومنتهى الإرادات، ومقنعُ الإفادات، وإقناعُ طلاب، وغنيةُ أصحاب، ورعايةُ آداب، وجامعُ شرف، وحاوي طرف، وروضةُ نُظَّار[3]، زَهْرُها القولُ المختار، ولد عام المائة والستين، والألفِ من هجرةِ أفضلِ المرسلين [١٧٤٧م] وها هو في سربالِ الحياةِ رافل، وبِغُررِ الأوصاف ولله الحمد كامل.

[ترجمة عبد المحسن بن مسلم]

واستتبعَ ذكرُ هذا الإمام، ذكرَ بعضِ الظرفاء الكرام، عبد المحسن بنِ مُسلَّم، بفتح اللام كمُعَظَّم، وهو وإن كانَ عامياً، أراهُ بصحبةِ أحمدَ حرياً، ذو نُكَتٍ غريبة، وحكاياتٍ مضحكةٍ عجيبة، يكاد يؤلفُ بين الماء والنار، ويرأبُ صدعَ الزجاجِ بعد الانكسار، هاجرَ من نجدٍ بعد ما خَطَّ عِذاره، وقبلَ(•) أن يلوحَ

---

(١) في المطبوع: والنباهة.

(٢) في المطبوع: التجاهد، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: نضار.

(•) بداية ص ٨٩ في المطبوع .

في مسودةِ نهاره، فأولعَ بصحبةِ الكرماء، والجهابذةِ العلماء، ليكسبَ إما درهماً، أو نصائحَ وحِكَماً، وأجلُّ من صاحبه، وأُجْلَتُهُ منهُ المصاحبة، أحمدُ المطرزُ لهُ هذا الكتاب، المفوفةُ في[1] مدحهِ برودُ هذا الخطاب، فكانَ معه يكثرُ الدعابة، مع ما هو عليه من المهابة، والأنفة التي لا توجدُ إلا في أُسْدِ الغابة، ويُفْضي لهُ بعضَ أسرار، يخافُ عليها من الإظهار، وبالجملة فهو في العوامِ عجيب، وفي صناعة التأليف بينَ المتهاجرينَ غريب، فإنهُ لا يزالُ يُسْدي وينير، في إصلاحِ ذات البين، ويسيرُ فتراهُ يَفْتِلُ[2] في الذروة والغارب، من المحارب حتى يعودَ مصاحب، وها هو في قيدِ حياته، لا عَدِمْنا غرائبَ نكاته، وظرائفَ مضحكاته.

[ترجمة سليمان بن حمد]

وممن اتخذه وكيلاً في ماله، مُعَظَّماً بإضافته إلى كماله، سليمانُ بنُ حَمَد، بفتحتينِ كعَمَد، فإنه عندهُ كإنسانِ مقلته، أو كالبياضِ من غرته، أو الدرِّ من محارته.

رقَّ طبــعــاً وراقَ منه المحـيــا   فَهْوَ كالروضِ في الصباحِ البهيجِ[*]
خَـرَّجَـتْــهُ[3] على يَدَيْهـا المعـالي   فـتـســامى لهـا على التـدريجِ

---

(١) في المطبوع: من، وهو تحريف.
(٢) في المطبوع: يقتل، وهو تحريف.
(*) من البحر الخفيف.
(٣) في المطبوع: أخرجته.

ذو فضائلَ ومناصب، تسمو على السيارةِ من الكواكب، ومراتبَ ومناقب، يُتَزاحَمُ عندها بالمناكب، ومواهبَ ومكارم، تُسْتَقَلُّ عندها الخضارم، وتُتُفَاخَرُ بتناولها الأكفُ والمعاصم

كريمُ متى ما جئْتَهُ تبتغي الندى ... تَجِـدْ وَجْهَهُ بدراً وراحتـه بحرا[*]
ومنزلَـــهُ رحبـاً ورؤيتَــهُ شـفـــاً ... وعـزمتَــهُ عـضبـاً وهمتَــهُ دهــرا
ومنطقَـهُ أريـاً ومـفـرقَـهُ هُـــدى ... ورتبتَـهُ قـعسـاً ورحبتَـهُ خضرا
أيا طالبـاً منـه الجَـدا وهو معسـرٌ ... أمِنْتَ فلا تخشى الكآبـةَ والفقرا[1]
ألستَ ترى في وجهه البِشْرَ لائحاً ... وتنظـرُ كَفَّيْـهِ وقـد جَرَتـا تبـرا
تـرى فـيه حلماً أحنفـاً وابنَ مامةً ... نـوالاً وفـي الآراء تلقى بـه عَمْرا[2]

كيفَ لا وقد كان عندَ ذلكَ العليِّ القدر، بمنزلة القلب من الصدر، والروحِ من البدن، والطلاقة من الوجه الحسن، فهو حريٌّ أن يُعَطَّرَ بذكره النديّ، ويتفاخرَ بمسامـرته القطبُ والجـديُ السَّنِيّ[3]، وينثـالُ لندوته المملقُ والغني، ويرتفعُ بمصاحبتهِ المخفوضُ والدَنِيّ :

كلمــا رمتُ من مــزاياه عــداً ... قــيل لي كُفَّ إنّهـا لن تُعَـدا[**]
فـقـصـارى الثنـاءِ إن كـان بحـراً ... كلمــا ظُنَّ جَــزْرُهُ جــاشَ مــدا

(*) من البحر الطويل.
(1) في المطبوع: والعسرا، وقد جاءت هذه الرواية في هامش المخطوط.
(2) إشارة إلى كل من : الأحنف بن قيس وكعب بن مامة وعمرو بن العاص.
(3) في المطبوع: النسبي، وهو تصحيف.
(**) من البحر الخفيف.

(◆) وحساماً على النوائبِ يسطو   غيـرَ أن لا يكلُّ قطعاً وقدا
ذا صباح أغرَّ إن أبصرَ الضيفَ   أراك الرياضَ يُظْهِرْنَ وردا
وفناءٍ يخضرُ من سَيْبِ كفيه   ويُبْدِي للوَفْدِ حُسْناً ورفدا
أكسبَ البصرةَ البهاءَ كبيراً   وصغيراً أولى المفاخرَ نجدا

غير أن هذه الخلالَ البارزةَ فيه، الفائقةَ بها معاصريه، إنما هي من خلالِ مُوَليه:

إنما أحمدُ سحابُ عطاءِ   وسليمانُ منهُ كالميزابِ(*)
ينشرُ الدرَ أحمدٌ في يديه   فَيُحَلّي بها أكُفَّ الصحابِ
ألمعيٌ من النجابةِ فيه   بهجةُ الروضِ وانصبابُ السحابِ

قد وُلِدَ عام إحدى وتسعين[1]، بعد المائةِ والألفِ من هجرةِ أفضل[2] المرسلينِ، وخاتمِ الكرامِ النبيين [١٧٥٧م].

[ترجمة محمد بن سيف النجدي البصري]

ومن أصحابه الملازمينَ لِبابه، الفائزينَ بلُبابه، محمدُ بنُ سيفٍ النجديُ البصري[3]، ذو الطباعِ التي هي الشمولُ إذا تسري، وُلِدَ في نجد، فتردى برداءِ

(◆) بداية ص ٩٠ في المطبوع.

(*) من البحر الخفيف.

(١) في المطبوع: وسبعين.

(٢) في المطبوع: سيد.

(٣) ترجمته في: السحب الوابلة (٣/٩٢١)، علماء نجد (٥/٥٦٣)، إمارة الزبير (٣/٨٨).

المجد، ورحلَ مع أبيهِ إلى هجر، وقرأ القرآنَ أيامَ الصغر، وشُغلَ به آناءَ الليلِ والنهار، وعَمِل به رجاءَ الفوزِ في دار القرار، وعادت عليه بركته، وتمت به خيراتُهُ ونعمته، واستحقَ ببركته مصاحبةَ الأخيار، وتقديمَهُ في الإيرادِ والإصدار، والإشارةَ إليه بأناملِ الأكرام، وإجلاسَهُ على فُرُشِ الإجلالِ والإعظام، وانتظامَهُ في سلْكِ الأفاضلِ الأعلام، وارتقى به أعلى مرتقى، وألحقَ ببركته بنسبِ من اتَّقى[1]، ولعلَ السببَ في محبةِ أحمدَ إياه، ما يراه من إنابته وتقواه، وصدقِ معاملته ووفاه، وحسنِ طَويَّته وصفاه، وصحة عَقْد[2] وداده، وطهارةِ باطنه وفؤاده، لم يزل على أقومِ سيرة، وأصفى نيةٍ وسريرة، واصلاً للأرحام، عارفاً بالحلالِ والحرام، بعيداً عن العقود الفاسدة، قريباً إلى كلِّ خَلَّةٍ ماجدة، كريمَ الطبع، رحيبَ الربع، لا يمنعُ من اجتداه، وإن كان من أعداه، وما ذَكَرْتُ فيه، فمن بعضِ خِلال أبيه.

فلا تحسباً أن الندى فيه حادثٌ ... ولكنه فيه قديمٌ وتالدُ(*)
فمن قبلِه أعطى أبوه نوالَهُ ... أَيَبْخَلُ نَجلُ قبله جادَ والدُ

وهو وإن كان ابنَ سيف، فإنه في الهيجاءِ أبوه، وإن كان في اللواءِ خادمَ الضيف، فهو مولاه على من يجفوه.

(١) في المطبوع: التقى.
(٢) في المطبوع: عقود.
(*) من البحر الطويل.

حـاتميٌ إذا رأى الضـيفَ لاقـاه بوجـهٍ من المكارمِ طَلْقِ(*)

(◆)فيه راقَ الحيا وأما المحيا فـهو للضيفِ إن أتى وجه بَرْقِ

وأما مفاكهتُهُ، ومعاشرتُهُ ومداعبته، فألطفُ من هبوبِ الرياح، وأرقُ من السقيطِ على شفاهِ الأقاح

يُغْني الجليسَ بنطقِه وبِكَفِّه مهما حكى أو جادَ بالأفضالِ(**)

إنْ يفتخرْ ملكٌ بِسُمْرٍ عواملٍ[1] فَفَخَارُهُ بصوالحِ الأعمالِ

ولد في عام مائة وسبعة[2] وسبعين، بعد الألف من هجرةِ أفضلِ المرسلين [١٧٦١م] وها هو في قيدِ الحياة، وفقه اللهُ لما يرضاه.

[ترجمة الحاج يوسف الزهير]

ومن مُجالسيه الأفاضل، ومرافقيه[3] الأماثل، الحاجُ يوسفُ بنُ زهير[4]، المجبولُ على فعلِ الخير، السائرُ في أوقاته أحسنَ السير، ولد في البلد[5] المَنْمِيَّة

(*) من البحر الخفيف.

(◆) بداية ص ٩١ في المطبوع .

(**) من البحر الكامل.

(١) في المطبوع: عواسل.

(٢) في المطبوع: وخمس.

(٣) في المطبوع: موافقيه.

(٤) هو من بيت الزهير، بيت مجد وتجارة ورئاسة وخير وصدقات، وقد كان من أكابر الناس وخيارهم ذا تقوى وصدقات، عاش في الزبير وله بيت في البصرة. انظر: (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ١٦٩).

(٥) في المطبوع: بلدة.

للزبير، فاشتغلَ بالتجارة، وأعملَ فيها لُجُيْنَهُ ونُضاره، من قبل أن يَخْضَرَّ عذاره، فارتفع في الخيراتِ مناره، وانتفعَ بالثروةِ ونفع، ولكنه إن جمعَ ما جمع، فما جَبَهَ سائلاً[١] ومنع، وما عاملَ إلا وَسَلَكَ الورع، لم يزل ذا عطاءٍ جمّ، وعملٍ صالحٍ ما نواه إلا وَتَمّ.

فيا لـه من كـريمٍ	يعتادُ نفعَ البرايا[*]
لم تأتهِ في زمانٍ	إلا وتُعْطي العطايا

كم عاش بسيبه من أرملة، وأُعْمِلَ[٢] بنعمهِ متنَ يعملة.

قد قيلَ لي لما عُنِيتُ بِمَدْحه	صِفْهُ سماحاً قلتُ بحرٌ زاخرُ[**]
قالوا طباعاً قلتُ روضٌ زاهرٌ	ولطافةً قلتُ النسيمُ العاطرُ
وطلاقةً قلتُ الصباحُ إذا بدا	وشجاعةً قلتُ الهزبرُ الهاصرُ
وسيادةً قلتُ ابنُ قيسٍ أحنفُ	وعزائماً قلتُ الحسامُ الباترُ

ولما وردَ أحمدُ إلى البصرة، ووقعتْ منْهُ عليه نظرة، اتخذَه لِمُقْلَتِه قُرَّة، ولجبهةِ مَجْلسِه غُرَّة، ولِصَدَفَةِ أُنْسِه دُرَّة، وصارَ أعزَ ندمائه، وأجلَ أصحابه ورفقائه، يُحِلُّهُ من مجلسه الصدر، ويرفعهُ على كلِّ ذي جاهٍ وقدر، ويفاخرُ من فاخره، بمزاياهُ الكاملة العاطرة، ويطلعهُ على أسراره، ويشاورهُ في إيراده

---

(١) في المطبوع: جاءه سائل، وجبه: ضرب جبهته، ورده، أو لقيه بما يكره. (القاموس ١١٤٦).

(*) من البحر المجتث.

(٢) في المطبوع: وأثقل.

(**) من البحر الكامل.

وإصداره، حتى إنه لا يَحْسُنُ أنسه، وتنشرحُ نفسه، إلا إذا جاذبهُ أطرافَ الكلام، وداعبَهُ مداعبةَ الطلِ للبشام[1]، وعاطاه أقداحَ المسامرة، تحتَ ظلالِ المحاضرة، وبالجملة ففضلُ يوسفَ بنِ يحيى، يَحْيا به الفضلُ وجعفرُ يحيى، ولقدْ أجادَ القولَ فيه، من قالَ بفيه:

لهُ همةٌ تسمو الثريا وسؤددٌ ... يُسامي علاهُ النسرَ أو هامةَ البدرِ(*)

(♦)منازلُهُ أصْبَحْنَ بَهْجَةَ ناظرٍ ... وَمَعْقِلَ مَطْرودٍ وَمَوْئِلَ ذي فَقْرِ

يَؤوبُ[2] إليها الوافدونَ رجاءَ أن ... تجودَهُمُ منه السحائبُ بالتِبْرِ

فلا عيبَ فيها غيرَ فيحِ مجالسٍ ... إذا قستَهَا بالبرِ زادت على البرِ

إذا أبصرتْ ضيفاً تكادُ وجوهُها ... تَهَلَّلُ من بُعْدٍ عليه من البِشْرِ

فيا لها من منازل، شموسُها غيرُ أوافل، وللهِ من مسارح، لم تزل لألحاظ الشرفِ مطامح، مجملةٍ صدورُها بكلِّ صدر، ضاحكةٌ وجوهُها بكلِّ ثغر.

منازلُ تزهيها شموسُ فواضلُ ... لكَ اللهُ ليست مذ تبدت أوافلا(**)

فلا عجبٌ أن يدركَ التيهُ عطْفَها ... فتصبحَ في ذيلِ الفخارِ روافلا

ولا عيبَ فيها غيرَ أن كريمها ... لَدُنْ شبَّ حتى شابَ يُعْطِي النوافلا

---

(١) الطل: المطر الضعيف القطر الدائم (العين ١٠٩٢). والبشام: من شجر السواك ترعاه الظباء (العين ١٦٦).

(*) من البحر الطويل.

(♦) بداية ص ٩٢ في المطبوع.

(٢) في المطبوع: تؤوب، وهو تصحيف.

(**) من البحر الطويل.

كيف لا يهزُ إعطافَها الطرب، وقد طلعتْ في أرجائها شموسُ القرب، وحجَّ إليها مُسْنتو[1] العجم والعرب، وامتُدِحَ عامرها بالقصائد وحُبِّرَتْ فيه برودُ المحامد، فها هو فيها في غاية، من الفرحِ ونهاية[2].

[ترجمة الشيخ إبراهيم بن جديد]

وممن ارتضاه أحمدُ للصحبة، واصطفاه بالمحبة والقُرْبة، واتخذهُ في أيامه صفيا، ورآه بعينِ اعتقاده وليا، إبراهيمُ بنُ جديد[3]، الكائنُ من سالفة زمانه العقدَ الفريد، رحلَ إلى الشام، فلقيَ أجلةً من الأعلام[4]، وحَصَّلَ علوماً جمة، وفوائدَ مهمة، فانثنى بعد طولِ الإقامة، منها إلى بلده بالسلامة، واجتازَ في طريقه بغداد ثم رحلَ إلى هجر، وأخذَ عن عالمِها وصدر، أعني به نادرةَ الدهر، وحسنةَ الأوانِ والعصر، محمدَ بنَ عبدِ الله بنِ فيروز، ونزل بعد مرجعه بلدةَ الزبير، فقضى بها ونشرَ فيها كلَ خير، ودَرَّسَ في جامعها، حتى دُعِي ريحانةَ مجامعها، واعتقدَ فيه الخاصُ والعام، وحصلَ له من الملوكِ الإكرامُ التام، وما ذاكَ إلا لزهده، وصحةِ دينه وعقده، يلازمُ صحبةَ الفقرا، وينهى عن الأمرا[5]، إلا إذا أمرٌ جرى، ويتصدقُ على الضعاف، ويكرمُ الأضياف، مع ما هو عليهِ من

---

(١) في المطبوع: سنتوا، وهو تحريف، والمعنى في اللغة: أسْنَت أجدب (القاموس ١٥٥).

(٢) في هامش المطبوع: ووفاته ١٢٣٩ [١٨٢٣م].

(٣) ترجمته في : السحب الوابلة (٧١/١)، علماء نجد (٤٢٣/١)، إمارة الزبير (٥٤/٣).

(٤) في المطبوع: أجلة أعلام.

(٥) في المطبوع: الفقراء.. الأمراء، وقد أثبتنا رواية المخطوط لاتفاق السجع مع كلمة جرى.

العفاف، [والديانةِ](١) والإنصاف، يتعففُ عن أموال اللئام، ولا يتكلفُ لأحدٍ بالإكرام.

كريمٌ متى ما جئتَهُ تطلبُ الجَدا ... تجدْ غيرَ فحاشٍ ولا متعبسِ(*)
شفاءٌ لذي تقوى سقامٌ لمعتدٍ ... ونَورٌ لجُلاَّسٍ ونُورٌ لمجلسِ
وغايةُ طُلاَّبٍ ومقنعُ سائلٍ ... وغنيةُ مُسْتَجْدٍ ومنيةُ كَيِّسِ

وبالجملةِ فهو غريبٌ في عصره، نادرُ الوجودِ في مِصْره، كثيرُ التنفلِ من الليل، قريبٌ إلى(◆) العدلِ بعيدٌ من الميلِ، محمودُ السيرة، طاهرُ السريرة، ذو دمعةٍ من خوفِ اللهِ غزيرة، وأيامٍ بالأعمالِ منيرة، وصبرٍ لا يوجدُ إلا فيه، وحلمٍ لا يستخفه الطيشُ والتيه، ولا تناظره الرواسي وتساويه.

صبورٌ على عضِّ الزمان ونابه ... حليمٌ عليه للمهابة مِطْرَفُ(**)
هوَ البحرُ علماً غيرَ أن طباعَهُ ... أرقُّ من الروضِ الشميمِ وألطفُ
إذا قُرِئَ(٢) القرآنَ أقبلَ دمعهُ ... على الخدِ من فرطِ المخافةِ يذرفُ

قد صَحِبْتُهُ أعواماً، وجالسته نهاراً وظلاماً، فألفيته محمودَ الصحبة، جمَّ الطاعةِ والقربة، ذا أوصافٍ حلَتْ، ومزايا كملت.

---

(١) سقطت من المخطوط وأثبتناها من المطبوع.
(*) من البحر الطويل.
(◆) بداية ص ٩٣ في المطبوع .
(**) من البحر الطويل.
(٢) في المطبوع: قرأ.

[ترجمة الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز]

وممن ناله إحسانه، وضمَّ عليه فناؤه ومكانه، ونَظَرَتْهُ من تعطفاته العين، وانثالَ في يديهِ منه الذهبُ واللجين، ونزلَ عندهُ أعلى مكانة، وقواهُ على نوائبِ الحقِ وأعانه، محمدُ بنُ عبدالله بنِ فيروز[1]، الغنيُ عن الذكرِ بالظهورِ والبروز، العالمُ الجهبذُ الكريم، الجامعُ أعلى خلالِ التعظيم.

هو المُفْضَلُ الحَبْرُ الذي دونه البحرُ ... إذا مدَّ فارحل أيها الجهلُ والعسرُ[*]

أمينٌ على سرِّ النبيِ يصونُهُ ... وينشرهُ في الناسِ إن حَسُنَ النَشْرُ

يُسَلْسِلُ آثارَ النبيِ وصحبِهِ ... كما سلسلَ الأمواهَ في الروضةِ النهرُ[2]

يضوعُ[3] أريجُ الحقِ من نشرِ علمِهِ ... كما ضاعَ من أذيالِ بهنانةٍ عطرُ[4]

ويروي فَيَرْوِي[5] كلَّ ظامٍ من الهدى ... أسانيدَ عن دينِ النبيِ هي التبرُ

تقاريرهُ[6] تُحيِي العلومَ وتبعثُ ... القلوبَ كما أحيا الفلا الوَدْقُ والقطرُ

أرى فيه إن يُرْوي البخاريُّ مسلماً ... يقررُ فيه أنه كَعْبُ الحَبْرُ

على فقدهِ من يبكِ من لم يلاقه ... فما مثلهُ في عصرهِ يُبْرِزُ الدهرُ

---

(١) ترجمته في: السحب الوابلة (٣/٩٦٩)، علماء نجد (٦/٢٣٦)، إمارة الزبير (٣/٥١).

(*) من البحر الطويل.

(٢) في المطبوع: كما سلسل الأموات في روضه، وهو تحريف.

(٣) ضاعت الريح: نفحت (العين ١٠٥٨)، أي انتشر. (وفي القاموس ٦٨٥) ضاع المسكُ: تحرك فانتشرت رائحته.

(٤) في المطبوع: تيهانة، وهو تحريف، والبهنانة: الطيبة النفس والريح، أو اللينة في عملها ومنطقها، والضحاكة الخفيفة الروح. (القاموس ١٠٨٩).

(٥) في المطبوع: يروى فيرى، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: أقاريره، وهو تحريف.

قد وُلِدَ في هجر، وكفَّ له البصر، إبانَ الصغر، فانفتحت بصيرته، وطابت سريرته، وحسنت في الطلبِ[1] سيرته، وَجَدَّ في اقتناصِ الفوائد، وتقييدِ العلومِ الأوابد، ودأبَ في روايته، حتى سبقَ في درايته، وَعُدَّ من [أكبر][2] آياته، وَرُدَّتْ له وهو شباب، منه معضلاتٌ وصعاب، وبرز كالغزالة ليس عليها سحاب، وتصدر وهو غلام، فيه على كلِ إمام، روى عن أجلة أعلام، وجبالٍ من العلومِ وهضاب، وجهابذ[3] ما منهم أحد إلا وهو عُباب، ولاحت لهم فيه شواهد، (◆)تدل على أنه للعلمِ أقوى القواعد، وأنه ستشيعُ له أخبار، يضيقُ عنها نطاق الانحصار، وتملأُ علومه الآفاق، وتقومُ على أنه مجددُ العصرِ كلمةُ الاتفاق.

وكم قائلٍ هذا الغلامُ أظنُهُ ... يُطَبِّقُ منه العلمُ واسعةَ الأرضِ(*)

ويجرى له في كل نادٍ ومحفلٍ ... أحاديثُ علمٍ صانها أبيضُ العرضِ

وإن أصبحتْ منشورةً حِبراتها ... مطرزةَ الأذيالِ بالضبطِ[4] والعرضِ

[ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف]

وممن أخذ عنهُ هذا الجهبذ، وبهر حتى استحقَ أن يُعَوَّذْ، الإمامُ العارف، والناقدُ في التليدِ والطارف، عبداللهُ بنُ محمدٍ بنِ عبدِ اللطيف، الآيةُ في

(١) في المطبوع: الطب، وهو تحريف.
(٢) سقطت من المطبوع.
(٣) في المطبوع: وجهابذة.
(◆) بداية ص ٩٤ في المطبوع .
(*) من البحر الطويل.
(٤) في المطبوع: بالطول.

التصحيحِ والتحسينِ والتضعيف، أخذ عنه المعانيَ والبيان، والمصطلحَ وغيرَ ذلك من العلومِ الحسان، التي[1] يضيق عن عدها نطاقُ الإمكان.

[ترجمة الشيخ محمد بن عفالق]

والعالمُ الرباني، المفردُ في علمه عن الثاني، المقرُّ له في الفضلِ القاصي والداني، محمدُ بنُ عبدِالرحمنِ بنِ عفالق[2]، سقى سراهُ من الرحمِ كلٌّ غادق[3]، وخَلَقٌ من أعلامِ بلده، كالفاضلِ الكاملِ والده، ولما برز في بلاده، على نظرائه وأنداده، تاقت نفسهُ إلى النقلة، فاغترب غاربَ الرحلة، إلى الأقطارِ الشاسعة، لتحصيلِ العلومِ النافعة، وحيازةِ الفضائلِ الساطعة، والخلالِ الباهرةِ الرائعة، فدخلَ الحرمين، فقرت له العين، وانشرحَ صدره، واتَّقَدَ[4] بالذكاء فكره، بروايته عن علمائهما، وتردده في محاسنِ آثارهما، واصطباحه بمصابيحهما النيرة، واستظلاله تحتَ شجراتهما المثمرة، واقتطافه من نَوْرِ أورادهما المزهرة، واستنشاقه[5] من أنفاسهما العطرة، واغترافه من بحارهما الزاخرة، وتسريحِ طرفه في رياضهما الناضرة، وأفاضته في رباعهما الشريفة، واكتسائه من فضولِ مكارمهما اللطيفة.

---

(١) في المطبوع: الذي، وهو تحريف.

(٢) ترجمته في : السحب الوابلة (٣/٩٢٧)، علماء نجد (٦/٣٨).

(٣) في المطبوع: غارق، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: وانتقد، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: وانتشاقه.

[ترجمة الشيخ أبي الحسن السندي]

وممن استصبحَ بنبراسه، واقتبسَ من نورِ مقباسه، من علماءِ طيبةَ النبوية، ذو العلوم السنية، والنفسِ المطمئنة المرضية، أبو الحسنِ السندي الحنفي، أفاض اللّه عليه سجالَ برِّهِ الحفي، إجازةً وسماعاً لبعضِ العلوم، من منثورٍ ومنظوم، وحصلت له عندَ أبي الحسن رتبةٌ عالية، وتعطفاتٌ لا تزالُ جارية، حتى إنه قبّل يديه، وأخذَ عنه بعدَ قراءته عليه، وغيرُهُ من أعلامها، واستجازه الجمُّ من مدرسيها وحكامها، حتى دُعِيَ بإمامها، وقيل ألا لا يصدرُ شيء من أحكامها إلا من جهته، ولا يُعْتَمَدُ على راوٍ إلا بتوثقته، وأُشيرَ إليه فيها بالأصابع، واجتمعَ عليه للإقراء ما اجْتُمِعَ على مالكٍ ونافع.

أتاها فاحيا بالروايةِ مالكاً ... وَرَدَّ فأحيا بالقراءةِ نافعاً(*)

وكمْ من فقيرٍ جاءهُ يبتغي عطاً ... فنالَ رباحاً بعدَ ما كان خاضعا

(◆)وأما(١) مكةُ فإنه استنار بأقمارها، واقتطفَ من أورادها وأزهارها، فأخذَ فيها عن علَماء، هُمْ كواكبُ سماء، واستجازه فيها زواخر، وبدورٌ للمعارفِ سوافر، وعيونٌ هي لأجفانِ الفضلِ نواظر، اشتهرَ فيها صيتهُ وارتفع، وأسفرَ في أفقها فجرُهُ وطلع(٢)، وأُقرَّتْ بفضلهِ أركانها، وكان يُحْيِي به خالدها وسفيانَها.

(*) من البحر الطويل.

(◆) بداية ص ٩٥ في المطبوع.

(١) رجع المؤلف إلى الحديث عن محمد بن عبد الله بن فيروز.

(٢) في المطبوع: ولع.

أغــرُ تميــميٌ كــأن جــبــينَهُ ... إذا سَرَدَ الأسنادَ قادمةُ الفجرِ[*]

تَرَدَّى رداءَ العلمِ والزهدِ يافعـاً ... وزاحمَ سيـارَ الكواكبِ بالصدرِ

فلا فضلَ إلا وَهْوَ عنه مُسَلْسَلٌ ... ولا بذلَ إلا وَهْوَ من كفِه يجري

له غررٌ مشهورةٌ وفضائلٌ ... مكملةٌ تزهو بها جبهةُ الدهرِ

فيا علمُهُ لا ترضَ بحراً مناظراً ... ويا مجدُهُ فاشمخْ إلى قنَّةِ النسرِ

ويا عصرُهُ فافخرْ به إنَّ فَخْرَهُ ... بدا في ليالٍ كُلُّها ليلةُ القدرِ

ويا بلداً مازال إنسانَ طرفِهِ ... تسامَ فقد أصبحتَ منزلةَ البدرِ

ويا كُتْبَهُ إن كنتِ للعلمِ أبحراً ... ولاشكَ في هذا فسيلي على البرِ

ولما ضاعَ في أرجائها عطرُ ذكاه، وضاءَ في آفاقها من علمه ذُكاه[1]، انصرفَ منها إلى أوطانه، وأَحَبَّتْهُ القدماءُ وإخوانه[2]، فاستقرَّ في وطنه، مباركاً في رزقه وزمنه، مُفْرِغاً وسْعَهُ في إغناءِ عائل، وإرشادِ ضالٍ[3] وتعليمِ جاهل، يصدعُ بالحقِ ولا يخافُ عذلَ عاذل، ويثابرُ على قيامِ الليل، مثابرتَهُ على البذلِ والنيل.

كريمٌ إذا استمطرْتَ مُزْنَةَ كَفِّهِ ... جَرَتْ بعميمِ البذلِ عَشْرَةُ أَبْحُرِ

ولكنها لم تشبهِ المُزْنَ إذ جرى ... بماءٍ ومدتْ من نداهُ بجوهرِ

(*) من البحر الطويل.

(١) ذكاه الأولى: أي ذكاؤه. ذُكاه الثانية بمعنى الشمس.

(٢) في المطبوع: من إخوانه.

(٣) في المطبوع: فعال، وهو تحريف.

قد حصلتْ له رياسةُ عامة، وسيادةُ على الخاصةِ والعامة، فصارت تصدرُ عن رأيه[١] أحكام، لا يعارضها لاستقامتها الحُكّام، إن كان يُعطي ويجزل، فما زال يُولّي ويعزل، ويرفعُ وينزل، مع ما هو عليه من التواضع للفقراء، وعدمِ المداراة للكبراء، هذا وأما من تخرجَ عليه، وامتدت بركةُ علمه إليه، فَجَمٌّ غير محصور، وعددٌ لا يحيطُ به نطاقُ سطور، مع أن أغلبَهُمْ من أخذَ هو عنهم، وطلعت شمسهُ منهم، وإذا كان لا يحويه نطاقُ دفتر، ولا تناظرهم[٢] كواكبُ إلا كانوا أكثرَ وأظهر، مع أنا ذكرنا منهم ما تيسر، فلنصرف عنانَ الكلام[◆]، عجزاً عن ذكرِ تلكَ الأوصافِ[٣] الجسام، وإعلاماً أنها تحوجُ إلى أسفار، وتخرجُ بنا من الاختصارِ إلى الإكثار، ومع أني قد ذكرتُ منهم، في تاريخي الغُرر، في وجوهِ القرنين الثاني عشرَ والثالثَ عشر[٤]، جملةً تدلُ على غزارةِ علم، ووافرِ بذلٍ وراسخِ حلم.

ثم مازال في أقطاره، يروي العلمَ في رواحه[٥] وإبكاره، شاكراً اللّهَ[٦] على الأنعام، مُعَظَّماً في صَدْرِ[٧] الخاصِ والعام، تُعَطَّرُ المجَالسُ بذكره، ويتحلى

---

(١) في المطبوع: آرائه.

(٢) في المطبوع: يناظرهم.

(◆) بداية ص ٩٦ في المطبوع .

(٣) في المطبوع: الأفضال.

(٤) هو كتاب في التراجم، ذكره إسماعيل البغدادي في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١٤٥/٢.

(٥) في المطبوع: أرواحه، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: لله.

(٧) في المطبوع: صدور.

المجَالِس بجواهر[١] يدهِ وفكره، حتى تنقلَتْ به الأيام، ونقلت منه الأقدام، عن وطنهِ الأول، وزلزلتهُ عنهُ حتى تحول، من فتنةٍ[٢] كم زلزلتْ من مُلْكٍ قواعد، وأيقظت من نائمٍ وأقامت من قاعد، فنجا من شرها، ولم ينلهُ شيءٌ من شررها، فقدمَ الزبارةَ على أحمد، فأكرمه إكراماً مثله لم يُعْهَد، فإنه أجرى عليهِ بعطيات، ما هي إلا حاتميات، وإن كانت أحمديات، وأقام عنده، مستودقاً[٣] رفده، إلى أن نقلتهُ الأقدار، عن هاتيكَ الديار، فألقى عِصِيَّ الارتحال، وحلَّ رحلَ السيرِ والانتقال، في البصرةِ الرعنا، والبلدةِ التي لم تزل حسنا، فتولى تدريسَ السليمانية، وانتهت إليه فيها الرياسةُ العلمية، وراسلهُ وزيرُ بغداد، وزادَ ذكرهُ حتى ملأ اليفاعَ والوهاد، وعظمتْ مودتهُ في الصدور، ونفدتْ كلمتهُ في الرؤوس والصدور، وفي خلالِ هاتيكَ الأيامِ الحسان، والليالي التي أسفرتْ منه ببدورِ الإحسان، حصلَ لي اتصالٌ بذلك الجناب، وقراءةٌ[٤] ما قُدِّرَ من كتاب، فهو من أجلِّ مشايخي الأعلام، وأعظمِ أساتيذي الفخام، هذا وأما كرامتهُ فلا يَشُكُّ[٥] فيها، إلا من كان جاهلاً أو سفيها، ومن كرامتهِ الظاهرة، وخوارقهِ الباهرة، أن طعامَهُ يزيدُ في حفظِ الطالب، كما صحَّ ذلكَ بالتجارب[٦].

---

(١) في المطبوع: بهمام، وهو تحريف.
(٢) يقصد موقفه تجاه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(٣) في المطبوع: مسترفداً.
(٤) في المطبوع: وقرأت.
(٥) في المطبوع: لا شك.
(٦) في المطبوع: في التجارب.

[ترجمة الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن فيروز]

وممن أخذَ عن هذا الحَبْرِ الجليل، ورَوِيَ عن علومه أعذبَ سلسبيل، ولدهُ عبدُ الوهاب[1]، المعدودُ من جملةِ ما لأحمدَ من الأصحاب، بلغَ مع صِغَرِ سنه، من العلمِ غايةَ فنه، ونقايةَ دنه، ورحلَ إلى البصرة، وحصل لهُ فيها أتمُ الشهرة، وولاه ثويني بنُ عبدالله[2] زمامَ أحكامها، وعُرى حلها وإبرامها، حينَ تولى عليها، ونزع سوارَ مُلْكِ حاكمها من يديها، حقَّقَ كأبيه وألَّفْ، ودققَ غوامضَ البحوثِ ورَصَّفْ، وصدعَ بالحقِ وما راعى وما توقف، وانعزلَ بعدما حَقَّ على ثويني الانعزال، ووهت قواعدُ سلطانهِ وزال، وقدمَ هَجَرْ، فمات بعد أشهرٍ من ذلك السفر[3]، [سنةَ ١٢٠٠][4] [١٧٨٥م].

وأما أبوه المقدم، فإنه أتاه أجلُهُ المحتم، عامَ ستةَ عشرَ[5] بعدَ المائتينِ والألفِ من الهجرة، [١٨٠١م] وَدُفِنَ في مقبرةِ الزبير، قريباً من تُرْبَةِ طلحةَ الخير، سقى [اللهَ][6] قبرَهُ من الرضا هطال، وحشرهُ في زمرةِ النبيِ والصحبِ والآل، وأما ولادته، الظاهرةُ فيها سيادته، فإنها عام مائةٍ واثنينِ وأربعينِ

---

(١) ترجمته في : السحب الوابلة (٢/٦٨١)، علماء نجد (٥/ ٦٠).

(٢) ثويني بن عبد الله رئيس بني المنتفق . انظر تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، القسم الثاني ، تأليف محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي ، ص ٦٣٢.

(٣) في المطبوع: أشهر من قدومه المصر.

(٤) سقط التاريخ من المخطوط، وأثبتناه من المطبوع.

(٥) في المخطوط: ست عشرة، وقد أثبتنا ما ورد في المطبوع.

(٦) سقطت من المخطوط، وأثبتناه من المطبوع.

وألف[1] [١٧٢٩م] من هجرةِ أفضلِ من قَدَرَ وعف، وأُسْرِيَ به حتى انتهى، إلى سدرةِ المنتهى، صلى الله وسلم عليه، وبالإكرامِ تم[2].

[ترجمة آل عبد الرزاق]

وأما آلُ عبدالرزاق[3]، الفائقونَ بمكارمِ الأخلاق، فهم إبراهيمُ وابناه[4](♦) عبدالوهاب، وسالمُ الكريمُ المثاب، وهم من أجلاَّءِ أصحابِ أحمد، وأعزِ أخلائه وأنبلَ وأجود، ثلاثةٌ هم في سماءِ المناصب، شموسٌ أبناؤها كواكب، وأقطابُ مكارم، أكفها للناسِ غمائم، وأسودُ ضراغم، آجامُها من السرِّ[5] معاصم، وأفنانُ سيادة، تميسُ بها نسائمُ النجادة، ورياضُ شرف، أورادها الطُرَف[6]، وصحفُ كمال، سطورها آمال، وشجراتُ أفضال، ثمراتها كرائمُ الأموال، وزهراتُ إقبال، [تحيا][7] بِوَدْقِ صالحِ الأعمال، وغررُ أعياد، تزهو في وجوه الإسعاد، وبحورُ زواخر، ليس لها إلا الأكفُ مواخر، وسيوفُ نوائبَ لم تغمد، وأنوفُ مناقبَ وسؤدد، لم تشمَّ إلا أنفاسَ الشيم، ولم تشمخْ إلا إلى معالي

---

(١) في المطبوع: الستة وأربعين ومائة وألف، وهو خطأ.

(٢) في المطبوع: صلى الله تعالى عليه وسلم، وبالإكرام تمّ.

(٣) آل عبد الرزاق: من الأسر الغربية التي هاجرت من السدير، من قرية العطار من قرى نجد إلى الكويت وامتدت صلاتهم التجارية إلى البصرة. (النصرة في أخبار البصرة: ٦٢).

(٤) في المطبوع: وأبناؤه، وهو خطأ.

(♦) بداية ص ٩٧ في المطبوع.

(٥) في المطبوع: الشرف.

(٦) في المطبوع: الظرف، وهو تصحيف.

(٧) سقطت من المخطوط، وأثبتناها من المطبوع.

الهمم، ورعانُ رزانة، وبدورُ رياسةٍ ومكانة، وصدورٌ لم تألفْ إلا الصدور، ورؤوسٌ أبَتْ إلا الارتفاعَ والظهور، وعيونٌ لم تُرَ إلا جارية، ونجومُ فضائلَ لا تنفكُّ سارية، ومُقَلُ عوارف، لم تزلْ ذوارف، وأركانُ عواطف، كلٌ بها طائف.

أكفهمُ سُحْبُ العفاة وإن تكن ... وجوهُهُمُ يومَ الهياجِ كواكبا[*]

مطاعيمُ في اللأوا[1] مطاعينَ في الوغى ... مضاريبُ بالبيضِ[2] الخفاف المضاربا

إذا ما بدت أسيافهُمْ ووجوهُهُمْ ... دجى الليلِ لم يبقينَ منه غياهبا

ولا عيبَ فيهم غيرُ بيضٍ مكارمٍ ... وأقمارِ آراءٍ أزَحْنَ النوائبا

وَغُرٌ أيادٍ في وجوه[3] زمانهم ... طلعنَ شموساً ما طلبْنَ مغاربا

غطارفٌ[4] أخيارٍ إذا ما تَعَصَّبُوا ... أناطوا المعالي في الرؤوسِ عصائبا

صوارمهم تفري الرقابَ[5] جوازماً ... وإن كُنَّ في رفعِ الفخارِ نواصبا

وأرماحهم تقري[6] العدوَ لهاذماً[7] ... ترى فَوقَهَا سُمَّ المنيةِ ذائبا

لهم هِمَمٌ لا تنتهي وعزائمٌ ... حكينَ بِقَطْعِ المعضلاتِ القواضبا

فما تركوا من غايةٍ لِمُفاخِرٍ ... وإن يكُ قيساً في الفَخار وحاجبا[8]

(*) من البحر اللطويل.

(1) اللأواء : الاحتباس والشدة (القاموس ١٢٢١).

(2) في المطبوع: في البيض.

(3) في المطبوع: وجود، وهو تحريف.

(4) جمع غطريف : السيد الشريف (العين ١٣٤٦).

(5) في المطبوع: العدو.

(6) في المطبوع: تفري، وهو تصحيف.

(7) جمع اللهذم : كل شيء حاد من سنان وسيف قاطع (العين ١٦٥٨).

(8) يُقصد بقيس : قيس بن عاصم المنقري. وحاجب: هو حاجب بن زرارة.

ومـا فـخـروا إلا بكلٍ قَلَمَّسٍ[١] إذا ضَنَّتِ الأنواءُ جـادَ مـواهبـا

منَ النَفَرِ القـومِ الذين سيـوفـهم أقامت على الباغي عليهم نوادبا

وَمَنْ[٢] نظموا بالسُّمْرِ كلَّ مطاعنٍ وَمَنْ[٣] نثروا بالمصلتاتِ الكتائبا

(♦)وَمَنْ صَدَّرَتْهُمْ في الأنامِ صوارمٌ أبتْ من رؤوسِ الأُسْدِ إلا الذوائبا

لِيَـهْنهم مـجـدٌ تليـدٌ وسـؤددٌ عـريقٌ وعـزٌ يتـركُ الذلَ جـانبـا

وجـاهٌ عـريضٌ لا يُرَدُّ[٤] ومنصبٌ به زاحـموا بدرَ الدجى والكواكبـا

فـيـا لهمُ أقـمـارُ تَمٍّ تلألأت ومـا كـانت الأفـلاكُ إلا المناصبـا

[ترجمة الشيخ إبراهيم آل عبد الرزاق]

فأما إبراهيم، فإن الزمانَ بمثله عقيم، مذ برزَ ألِفَ العبادة، قبلَ خلعِ تمائمِ الولادة، وتطلعَ للسيادة، حتى ألقتْ إليه بالمقادة[٥] وولعَ بالمكارم، قبلَ فصلِ الفواطم، وحفَظَ القرآن، مع الضبطِ التامِ والاتقان، وقام بواجبِ حقه، ولم يُلْهِه عنه[٦] طلبُ رزقه، وولع بأدائه، حتى شغله عن أبنائه، لم يزلْ ذا دمعةٍ سكّابة، ورهبةٍ عند قرائتهِ وإنابة وكان مع هذا الحال، حصلَ له حظٌ وافرٌ من المال، فأكثر صدقاتهِ، على أهلهِ وقراباتهِ، وصارَ يتفقد بِنوالهِ الفُقَرا، لاسيما إذا الليلُ

(١) الرجل الداهية (العين ١٥٢٠).

(٢) في المطبوع: وقد.

(٣) في المطبوع: وقد.

(♦) بداية ص ٩٨ في المطبوع .

(٤) في المطبوع: يؤد، وهو تحريف.

(٥) أي انقادت له (في العين ١٥٣٨) : أعطيته مقادي أي انقدت له.

(٦) في المطبوع: عن.

سرى، وَمِنْ مناقبه، التي لا توجدُ في أصاحبه، أنه كلما مرَّ عيد، كسا جيرانَهُ الأحرارَ والعبيد، وكلَّ مُنْتَسِبٍ إلى علم، وكلَّ شريفٍ وخِلّم.

فلم أرَ في الإعطاء مُشْبِهَ أحمد ولا مثلَ إبراهيمَ إن بَخَل القَطْرُ[*]
ولكنَّ ذا غيثٌ عميمٌ لمجتَدٍ وذاكَ هو البحرُ الذي مدّه الدّرّ
وَمَنْ مِثْلُ إبراهيمَ وَهْوَ إذا انتمى لأحمدَ مَنْ عمت فواضلَهُ الصهرُ
على أنه من غُرِّ قَومٍ أكارمٍ إلى مُنْتَماهم ينتمي المجدُ والفخرُ
وما فيهمُ إلا كريمٌ أكفُّهُ إذا اجتديَتْ مَدَّتْ لها سُحُبٌ عشرُ[1]

وبالجملة فإبراهيم، حُقَّ[2] له الإكرامُ والتعظيم، لما جُبِلَ عليه من طباعٍ هي النسيم، ومفاخرَ هي العقدُ النظيم، ومكارمَ هي الروضُ الوسيم، ولطائفَ هي في الرقةِ تسنيم، وكان من أصحاب أبي أحمدَ من الصغر، إلى أن دعاهما داعي الهرمِ والكبر، ومات أبو أحمد قبله، فبكاه وصحبَ بعده نجله، لمّا لم يرَ في النجابةِ مثله، وأقامَ في الزيارة، يشكرُ الواردونَ إيرادهُ وإصداره، إلى أن دعاه حِمامه، وَحُمَّ من أجله تَمامُه.

[ترجمة الشيخ عبد الوهاب آل عبد الرزاق وترجمة الشيخ سالم آل عبدالرزاق]

وأما عبدُ الوهاب وسالم فإنهما بدرا سيادةٍ وبحرا مكارم، اتصلا بأحمدَ ونسبته، اتصالَ الزهرِ بوردته، فنالا باتصالهما به أشرفَ نسبة، ومن وثيقِ تلكَ

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: اجتذبت مداً بها.

(٢) في المطبوع: وحق، وهو تحريف.

الصحبة أعلى منصبٍ وأجل رتبة، سارا سيرةَ والدهما، فَبُورِكَ لهما في طارفهما وتالدهما، وَعَوَّدا أكفهما البذل، حتى حمدهما اليافعُ والكهل، وضارعهما الماطرُ بالوبل، وصار منزلهما كعبةَ آمل، ومنيةَ عاقلٍ وفاضل، ومعقلَ هاربٍ وآجل، وبهجةَ(◆) ناظر، وهدايةَ حائر، وكوكبَ ساري، وخضارمَ كل جاري.

أيا منزلاً ما زال تألفه العُلا ... وتصدرُ عنه للعفاة المكارمُ(*)

نَعِمْتَ صباحاً أيها المنزلُ الذي ... بناكَ بأيدي الفضلِ والمجدِ سالمُ

وساعدَهُ فيه أبوهُ وعمهُ ... وإخوتهُ والكلُ غرٌّ عيالمُ(١)

بنوا سؤددٍ لايبرحُ الدهرَ شامخاً ... إذا ريمَ هدماً أمسكته الدعائمُ

بنونَ وإخوانٌ كرامٌ كمالُهُمْ ... سوارٌ له بيضُ المعالي معاصمُ

وبالجملة فهذانِ الأخوان، نادرتانِ في هذا الزمان، فأما عبدالوهاب، فهو من ذوي الألباب، الواجلينَ إلى التقوى(٢) من كلٍّ باب، يقوم الليلَ بالتلاوة، ويمزجُ منه النيلَ باللطفِ والحلاوة، ذو معرفةٍ بالجواهرِ وقيمتها، وبحسابِ منتثرها ومنتظمها، وأما سالمٌ فهو ذو رياسة، ونجابةٍ ونباهةٍ وسياسة، ورفعةٍ وحدسٍ وفراسة، وها هما [ذانِ](٣) في قيدِ الحياة رافلين، وبأوصافِ السعادةِ كاملين.

(◆) بداية ص ٩٩ في المطبوع.

(*) من البحر الطويل.

(١) جمع العيلم وهو البحر. (القاموس ١٠٥١).

(٢) في المطبوع: التقى.

(٣) سقطت من المطبوع.

[مراث في الشيخ أحمد ابن رزق]

هذا ولمّا ذكرتُ ما لأحمدَ من المفاخر، مع الاعترافِ بأن لسانَ الحصرِ عنها قاصر، وأن ذكرها على التفصيلِ لا يحيطُ بها نطاقُ الدفاتر، ولا يتخيلهُ فكرٌ ولا يتوهمه خاطر، وَحَبَّرْتُ تراجمَ بعض أصحابه، وملازمي رحابهِ وأبوابه، آسياً بمحضِ النظمِ ولبابه، ثانياً عن[1] التكليفِ العنان، متحرياً من الألفاظ ما تعشقه الأذهان، قبل سماعِ الآذان، طاوياً كشحَ المقال عن الغرابةِ والتعقيد[2]، مائلاً عن التكرارِ والترديد.

أحببتُ أن أُذَيِّلَهُ بمراثي، تُذيبُ أدمعَ الوارثِ والراثي، وتُجْعَلُ في لَبّاتِ القصائد، عقوداً وقلائد، ويتفاخرُ بسماعها الأسماع، وتذوبُ عليها من الرقةِ الطباع، ويتدارسها في المشاهد، القائمُ والمضطجعُ والقاعد، وتتباهى بكتابها الطروس، وتتسلى بها عن منادمةِ [البعلِ][3] العروس، وتتغابنُ في حفظها الأفكار، وَيَفْضُلُ الليل إذا تُلِيَتْ فيه على النهار، لما اشتملتْ عليه من جَوْدَةِ[4] السبك، وحسنِ التطريزِ وإحكام الحبك، وانسجامِ المباني، وائتلافِ المعاني، وذلك أنه لما تسامى قدره، وطارَ في الآفاق ذكره، وراق بمفاخره عصره، وألقتْ إليه بالزمامِ العُلْيا، وأطاعته بالتمامِ الدنيا، وكادت تضيقُ بمالِهِ الأرض، ويطيقُ بنوالهِ منها الطولُ والعرض، دعاهُ داعي الحمام، وآذنه بأن ليسَ بعدَ التمام، إلا

(١) في المطبوع: على.
(٢) في المطبوع: والتقييد.
(٣) سقطت من المطبوع.
(٤) في المطبوع: وجود، وهو تحريف.

النقصُ وما بعدَ الالتئام، إلا الصدعُ وما بعدَ الانتظام، إلا النثرُ لقلادةِ الحياةِ بهذا الحسام، ففارقتْ جثمانَهُ روحهُ، وغابت من أنسهِ بُوحُهُ، وهُدِمَ بيتُ المكارم، وشِيدَ خِباءُ[1] المآتم، ونُظِمَتْ فيه المراثي، وكَثُرَ الناعي والراثي، وشُقَّتْ جيوبُ المفاخر، ودُقَّتْ صدورُ المآثر، وعَزَّ الجَلَد، وفَنِي الصبرُ ونفد، فلم أر بُدّاً من إنشاءِ[2](◆) قصائد، هي في سوالفِ المراثي قلائد، قضاءً لبعض مآثره التالدة، ومفاخرِهِ التي لا تزالُ خالدة.

جديرٌ لَعَمْرُ اللهِ أن ينضبَ البحرُ ... ويَكْسفُ قرنُ الشمسِ أو يخسفُ البدرُ(*)

وأن تَبْرُزَ الحسناءُ تَنْدِبُ حاسراً ... فتلطمَ خداً شأنُهُ الحسنُ والسترُ

وأن تَسْقُطَ الزهرُ الطوالعُ في الثرى ... فقد خرَّ من لا شانه عن علاً خرُّ[3]

وأن تُنْهضَ الغبراءُ[4] أبناءَ بطنها ... لينزلَ منها الصدرَ مَنْ حَقُّهُ الصدرُ

وأن تَقْعُدَ[5] الأشرافُ في مأتمِ الندى ... تنوحُ فقد[6] ماتَ الندى وانقضى الفخرُ

وتُنْفَدَ أمواهُ الجفونِ تلهفاً ... كما أُنْفِدَتْ بالموت أيامُهُ الغرُّ

وَيُخْلَعَ ثوبُ الصبرِ عن كلِ صابرٍ ... ففي رُزْءِ هذا القَرْمِ لا يُلْبَسُ الصبرُ

---

(١) في المطبوع: جناء، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: إنشاد، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ١٠٠ في المطبوع.

(*) من البحر الطويل.

(٣) في المطبوع: خسر، وهو تحريف.

(٤) الغبراء: الأرض. (القاموس ٤١٧).

(٥) في المطبوع: تعقد، وهو تحريف.

(٦) في المطبوع: وقد.

وليسَ يسوغُ الصبرُ في رُزْءِ سيدٍ | عليهِ عيونُ المجدِ أدْمُعُها حُمْرُ
بَكَتْهُ المعالي فَهْيَ محروقةُ الحشا | وفي يدها كَسْرٌ وفي قلبها فَطْرُ[1]
وإنَّ[2] جناحَ المجدِ هِيضَ[3] بموتِهِ | فما مِنْ جناحٍ قطُّ إلا به كسرُ
تولّى فأولى كلَّ قلبٍ مصابُهُ | صدوعَ أسىً مِنْ مَسِّها يُفْطَرُ الصخرُ
وقد فُقِئَتْ عينُ الكمالِ بِرُزْئِهِ | ففي نَجْلِها قَرْحٌ وفي جَفْنِها شَتْرُ[4]
به أنْفَذَتْ سُودُ الليالي سهامَها | فَخَانَتْهُ والأيامُ من شأنِها الغدرُ
وكمْ لليالي من صريعٍ مُجَنْدَلٍ | وَقِدْماً له الشطرانِ منها أو الشطرُ
فكم من عظيمِ القدرِ أصْمَتْ نبالُها | فما رَدَّ عنه حَتْفَهُ ذلك القدرُ
وكم من شديدِ الأسرِ أوثقَ أسْرَها | فأودى ولم يمنعه من أسرِها الأسرُ
هي الفرسُ الشقراءُ لم يَعْدُ شرّها | مواطئَ رِجْلَيْها ولو أنها المُهْرُ
فأخْنَتْ[5] على كسرى وَأَوْدَتْ بقيصرٍ | ولم يمنعِ النعمانَ من فَتْكِها القصرُ
وَأَرْدَتْ بجساسٍ كُليباً وما حمى | حذيفةَ من أسيافِها ذلكَ النهرُ
وَقَدَّتْ بأشقاها علياً وغادرَتْ | حُسَيْناً بيومِ الطفِ يصرعُهُ شِمْرُ
(♦)ودارت على الزَّبَّا بكيدِ قصيرِها | وما ردّ منها السهمَ عن نحرِهِ عمرو
وكم لبني مروانَ بأساً وسطوةً | فنابهمُ من بطشِها النابُ والظفرُ

(١) الفطر: الشق. (القاموس ٤٢٥).
(٢) في المطبوع: فإن.
(٣) هاض العظمَ يهيضه: كسره بعد الجبور. (القاموس ٦٠٥).
(٤) الشتر: انقلاب في جفن العين الأسفل قلما يكون خلْقة (العين ٨٨٧).
(٥) في المطبوع: فأخفت، وهو تحريف. وأخنى عليهم: أهلكهم. (القاموس ١١٧٨).
(♦) بداية ص ١٠١ في المطبوع.

وخـانَتْ أخـا الخـضـرِ الكـثـيـرِ نماؤُهُ ولم يمنعِ الخابورُ عنه ولا الحَضْرُ[1]

وَأَسْقَتْ بني العـبـاس كـأسـاً مريرةً ومـا ردَّ بغـدادُ ومـا منع الجـسـرُ

وَضَـرَّستِ الأمـلاكَ من آلِ تُبَّعٍ ومـا سَلَمَتْ من وقعِ سطوتِهـا بكرُ

وما خلصتْ ساسانُ من مَخْلَبِ الردى[2] وكم لهمُ في[3] غـابرٍ خـدمَ الدهرُ

وإنَّ مـصـيـبـاتِ الزمـانِ لجَـمَّـةٌ وَأُعْظَمُها في النفسِ ما أوقعَ العصرُ

مـصـيـبـةُ من أودى فَكُفِّنَ بالندى وأُشْعِرَ في التقوى فَحنَّطَهُ الغَفْرُ

فـتىً أُرْيَحِيُّ الطبعِ أيسـرُ رِفْـدِهِ هوُ البحرُ لكن ليسَ يَنْقُصُهُ الجزرُ

رشـيـدٌ ومـأمـونٌ أمينٌ وواثقٌ ومنتـصـرٌ باللّهِ إن يُرْتَجى النصرُ

ومـقـتـدرٌ باللّهِ في كلِ حـادثٍ ومعتصمٌ باللّهِ إن أعْضَلَ[4] الأمرُ

فـويحَ المنايا كـيف مدّت يداً إلى فتىً كَفُّهُ الجوزاءُ والمعصمُ النسرُ

وَهِمَّـتُـهُ تسـمـو الثـريا وباعُـهُ يَطُولُ السهى مداً وَمغْفَرُهُ الغفرُ

قضى ما قضى حتى إذا يومُهُ انقضى تَقَضَّى به المعروفُ وابتهجَ النكرُ

عَـجِـبْتُ لفـتـيـانٍ تَوَلَّوا بنعـشـهِ أما علموا أنْ فَوقَهُ الطودُ والبحرُ

فـيـا حـاملي أعـوادِهِ إنَّ قَـبْـرَهُ مـحـارةُ فـضلٍ فـاعلموا أنه الدرُّ

دَفَنْتُمْ فتىً لم يَحْصُرِ العدُّ بعضَ ما تمدُّ به يومـاً أناملُهُ العـشـرُ

وأخفيتمُ شمسَ العوارفِ في الثرى ولولا وجودُ الشمسِ لم يُسْفِرِ البدرُ

---

(١) في المطبوع: الخضر، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: الذرى، وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: من.

(٤) في المطبوع: عظم.

فـلا غـروَ أن الكونَ أظلمَ وجـهُـهُ ... بليلٍ من الأحـزانِ ليسَ له فـجـرُ

هنيئاً لقبرٍ ضم أعضاءَ جسمِهِ ... فـفيـهِ الندا والحلمُ والعـزمُ واليسرُ

لِيَبْكِ عليـه كلُّ ضاوٍ وَمُـقْـتـرٍ ... أضـاقَ فـأهداهُ إلى جُودِه البِشْرُ

(◆)وَيَبْكِ عليـه كلُّ سـارٍ تَطوَّحَتْ ... بِهِ البـيـدُ لا زادٌ لديه ولا ظَهْـرُ

وَيَبْكِ عليــه الوفــدُ أمَّ فناءَهُ ... فـوافاهُ منه الصُـفْرُ والحُلَلُ الحمرُ

وَيَبْكِ عليــه كلُّ نادٍ ومحــفلٍ ... جـوانبُـهُ من سيبِ راحتـهِ خـضرُ

وَيَبْكِ عليـه كل مُـهْـرٍ وَمُـهْـرَةٍ ... فَـقَـدْ عَلِما أن ليس كرٌّ ولا كـفرُ

نَعَمْ تَضْحَكُ الكومُ[1] الهجانُ لِموْتِهِ ... فـقـد علمت أن ليس عَـقْـرٌ ولا نحرُ

وَيَبْكِ عليــه النظمُ والنثـرُ إنَّـمـا ... على مـثلهِ يُسْتَعْـذَبُ النظمُ والنثرُ

أيا شـعـراءَ العـصـرِ لا درَّ دَرُّكُمْ ... تعـالوا لنرثي مَنْ مـواهبُـهُ التبـرُ

فلو أنَّ مـروانا[2] رأى سَـيْبَ جُـودِهِ ... لما مَـدحَتْ[3] مَـعْنـاً أعـاريضُـهُ الغرُ

ولو أنَّ بكراً شاهَدَتْ منه ما جرى ... لما افـتـخرتَ في مَـعْنِهـا أبداً بكرُ

به جَـدَعَتْ أيدي المنايا يدَ الندى ... فـلا كـرمٌ يُرْجى ولا يُرْتَجَى ذُخْـرُ

فَوَيْحَ المعالي كيف يَرْقَأ[4] دَمْعُها ... وها هي مــذ رِيعت به أبداً بتـرُ

وويحَ وجُوهِ المجدِ كيف ابتسامها ... ولا وجــهَ إلا بالكآبة مُـغْـبَـرُّ

(◆) بداية ص ١٠٢ في المطبوع.

(١) جمع كوماء: الناقة طويلة السنام. (العين ١٦٠٦).

(٢) إشارة إلى الشاعر العباسي مروان ابن أبي حفصة الذي كان يمدح معن بن زائدة الشيباني. انظر ترجمته في (الأعلام ٨/٩٥).

(٣) في المطبوع: صدحت، وهو تحريف.

(٤) في المطبوع: يرفأ، وهو تصحيف.. رقأ الدمع: جف وسكن. (القاموس ٥٢).

ولولا التآسي كنتُ أقضي من الأسى ... وكيفَ يُطيقُ الصبرَ من لا له صبرُ

فيا أحمدَ الخيراتِ أصبحْتَ في الثرى ... رهيناً ولا بِيْضٌ لديكِ ولا صُفْرُ[1]

ويا طالما أطْلَقْتَ من أسرِ فاقةٍ ... أخا عَيْلَةٍ أيديه مغلولةٌ صُفْرُ

ويا طالما أطلقتَ بالبذلِ راحةً ... إذا أُطْلِقَتْ في عُسْرَةٍ ذهبَ العسرُ

وكم فَتَحَتْ يُمناكَ بابَ مكارمٍ ... وكم فاضَ من يُسراكِ من[2] كرمٍ نهرُ

لَئِنْ مُتَّ ما ماتت مآثركَ التي ... بها يَقْتَدي في الجودِ أبناؤك الزُّهْرُ[3]

فكم لكَ من نَجْلٍ شَرُفنا بمجده ... كما بهلالِ[4] العيدِ قد شرفَ الشهرُ

عرانينُ فضلٍ للكمالِ معاطسٌ ... وليس لهم إلا الندى والثنا عِطْرُ

بهاليلُ[5] كالبيضِ المواضي عزائماً ... إذا ما دها خطبٌ وحارَ به فكرُ

(◆)وإن فروعاً أنت قاعدةٌ لها ... لأغصانُ آمالٍ ذوائبها خضرُ

محمدهم في الفضلِ[6] والحسنِ يوسفٌ ... ومُحْسِنهم في الناسِ خالدُ البَرُّ[7]

فيا وارثي أموالَهُ إنّ مالَهُ ... عن البذلِ والإعطاءِ ليسَ لهُ صبرُ

فلا تقصروهُ عن مكارمِ كفهِ ... فيدركَ ممدودَ الندى بعده القصرُ

---

(١) الصفر : ما يتخذ من النحاس الجيد. (العين ٩٩٥).

(٢) في المطبوع: في.

(٣) في المطبوع: الغرُّ.

(٤) في المطبوع: بها كهلال، وهو تحريف.

(٥) جمع بُهلول وهو الحييّ الكريم. (العين ١٩٨).

(◆) بداية ص ١٠٣ في المطبوع .

(٦) في المطبوع: للفضل.

(٧) في المطبوع: خالدهُ اليسرُ، وهو تحريف.

ولا تسمعوا للقيلِ والقالِ[1] فيكمُ ... فبالقيلِ فيما بينكم يحدثُ الشرُ
ولا تكسروا يوماً عصا ذاتِ بينكم ... فكسرُ عصا الأصحابِ ليس له جبرُ
وكسرُ عصا القُربى أشدُ مضاضةً[2] ... وأجدرُ أن يُلْحَى به العظمُ والهبرُ[3]
ولا تَقْعُدوا فوضى[4] ولا رأسَ فيكمُ ... متى كانت الفوضى[5] فقد فسدَ الأمرُ
ولا تهدموا مجداً بناهُ أبوكمُ ... وشيدهُ حتى بنى المآتمَ القبرُ
إذا لم تكونوا في الشباب أكارماً ... وجاهُكُم وافٍ ومالُكُم وفرُ
وأيديكمُ ملأى وأيامُكُمْ رضىً ... وأخلاقكُمْ بِيض وأوجهكم غرُّ
فما أنتمُ بالكائنين ذوي ندىً ... إذا لاح فجرُ الشيبِ وانتقضَ العمرُ
فلا تحسبوا أن المعالي ملابسُ ... مفوّفةٌ بالطُّرْزِ مصبوغةٌ حمرُ
ولكنها شمُّ الذرى مُشْمَخِرَّةٌ[6] ... فمسلكهُا إلاّ على مثلكم وعرُ
ودونكمُ مني مراثيَ جمةً ... ولكنها في فضلِ والدِكُمْ نَزْرُ
وليسَ بِبِدْعٍ أن فكريَ ناظمُ ... وخدي لها طِرسٌ ودمعي لها حِبْرُ
وقد جاءَ تاريخاً لعامِ وفاتِهِ ... لأحمدَ جناتٍ لها حَسُنَ البِشْرُ

١٢٢٤ [١٨٠٩م]

(١) في المطبوع: للقال والقيل.
(٢) في المطبوع: غضاضة.
(٣) البهر : القطع في اللحم. (العين ١٨٦١).
(٤) في المطبوع: فلا تعقدوا أمراً.
(٥) في المخطوط: الشورى، وقد أثبتنا ما ورد في المطبوع لصحة المعنى.
(٦) المشخر : الجبل العالي. (القاموس ٣٩١).

ولما أطربتِ المسامع، وعَطَّرتِ الرحائبَ والمجامع، وحركتْ ببلاغتِها الطبائع، وَشَأتْ في مضمارِ البيانِ طلائع، وَجَرَتْ بردُ فصاحتها فخراً، على كلِ خريدةٍ وعذرا، أُعْقِبْتُها بفريدةٍ أخرى، تكادُ تكتبُ في الخدودِ سطرا.

إن مـاتَ أحـمـدُ لم تمت ... مـنـهُ المـآثـرُ والمـكـارمْ(*)

قـد سنّ من طُرُقِ(١) الندى ... (◆)مـا لا لَمِعْنٍ أو لحـاتمْ

فـشـأى البـرامكةَ الكِرا ... م مكارمـاً وَهُمُ الخـضارمْ

ولقـد قـضى فـقضى الندى ... وبـكـى الأراملُ والأيـائـمْ

جَـدَعَتْ به الأيامُ عـر ... نينَ العـلا ويدَ المراحمْ

وتضعـضـعت أركـانهـا ... وتواضعـت منهـا الدعـائمْ

رُزْءٌ كـسـا الآفـاقَ أسـودُ ... فـاحمٌ كـالليلِ قـاتمْ

وألانَ كلَّ شـراصـةٍ(٢) ... وأذابَ للصـيـدِ الشكائمْ

وطوى المسَـرةَ والهـنا ... وأحـال ينشـرُ للمـآتمْ

فـالفـضْلُ(٣) صَوَّحَ(٤) نَبْتُـهُ ... وتَقَـشَّـعَتْ منه الغـمـائمْ

والفـخـرُ مـهـدومُ البِنا ... والمجدُ مطمـوسُ المعـالمْ

(*) من الكامل المرفّل.

(١) في المطبوع: طرف، وهو تحريف.

(◆) بداية ص ١٠٤ في المطبوع .

(٢) الشَرَص : الشدة والغلظة. (القاموس ٥٧٣). في المخطوط: شراسة، وقد أثبتنا ما ورد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: فالفصل، وهو تصحيف.

(٤) التصوح : أن ييبس البقل من أعلاه. (القاموس ٢٢٣).

والسـعـدُ أصـبحَ طيـرُهُ مـقـصـوصَ أطرافِ القوادمْ
دفنوا نداهُ بشـبـرِهِ ولَكَمْ[1] بهِ شَـمِلَ العـوالمْ
فـمـصـابهُ حلَ العُـرى وعن الورى ألقى العمـائمْ
وسطا علينا قـاصمـاً صُلْـبَ المروةِ بالمناسِمْ[2]
مَنْ للنسـاءِ المُعْـولاتِ المُرمِـلاتِ[3] وكلِ غـارمْ
ومَنِ الذي تُـرجى المدا ئحُ نحـوه من كلِ ناظمْ
ومَنِ الذي يُـرجى إذا اغـبَرَّتْ من الأُفْقِ المباسمْ
ومَنِ الذي يُدعى لحلِ المشك لاتِ من القـواصمْ
إن النسـاءَ الحـامـلاتِ بمثله أبداً عـقـائمْ
يا دهرُ غـيَّـرْتَ الوجـوهَ فـلا ضـواحكَ أو بواسمْ
ولَطَمْتَ وَجْـهـاً لم يزلْ للشـرِ والآفـاتِ لاطمْ
وأصَـبْتَنَا بمصيـبـةٍ أوْهَتْ من الدينِ الدعـائمْ
وكَـويْتَ أفـئـدةَ الورى بمِيـاسمِ الموتِ الطُلاخمْ[4]
وكَسَرْتَ جَمْعَ الفضلِ حتى لا يُرَى للفـضلِ سـالمْ
وَصَـدَعْتَ أبْنِيَـةَ العُـلا وبَنَيْتَ أبْنيَـةَ المآتمْ
وَطَـوَيْـتَ أثـوابَ الـهَـنـا ونَشَـرْتَ أكْـمـامَ اللواطمْ

---

(١) في المطبوع: وثلم، وهو تحريف.
(٢) المناسم: جمع «منسم» وهو خُف البعير. (العين ١٧٨٨).
(٣) في المطبوع: المهملات، وهو تحريف.
(٤) الطلاخم ربما يقصد بها الشديد. (وفي العين ١٠٨٨) أطلَخمَ الظلام : اشتد.

وَقَطَعْتَ عِـرْقَ المكْرُمَـاتِ ... بصـارمٍ للمـوتِ هاذم[١]

وكَسَفْتَ شمسَ سمائِهـا ... فـالكونُ بالإظلامِ واجمْ

غَـيَّبْتَ في بطنِ الثرى ... بَحْرَ الندى الغَمْرِ الخُضارمْ

إن رامَ يحكيـه العُبـابُ ... فـإنهُ في ذاك زاعمْ

فَـالبَحْـرُ يُوليكَ الأجاجَ ... وَمَدُّهُ مَحْضُ[٢] الدراهِمْ

والبَحْـرُ يُعطي هائِجـاً ... وَبزجرها تَهَبُ الغمـائمْ

(♦)وَيَمينه سَحّاً وَفَجْرُ صَباحه ... طَلْقُ المبـاسمْ

يَادَهْرُ مَزَّقْتَ القلوبَ ... فَكُلُّهـا[٣] فيـه شَبـارمْ[٤]

وَهَدَمْتَ رُكناً باذخـاً ... وَسَطَوْتَ بالأسَدِ الضُّبارِمْ[٥]

وَقَطَعْتَ وَرْدَةَ روحِـه ... بمخالبِ الأُسْدِ القَشَاعمْ

وأَغْـبتَ بَرْقَ سُرُورِنا ... وَلَكَم سَرَى تحت المكارمْ[٦]

وَبَنَيْتَ في أحشائنا ... أطُمـاً من الأحزانِ قائمْ

وَنَصَبْتَ أسبابَ الردى ... لِتَصِيدَ أكرمَ من يُكارمْ

أنْشَبْتَ فيه صارمـاً ... وَلَكَمْ غدا[٧] للشرِ صارمْ

(١) في المطبوع: هادم.

(٢) في المطبوع: محظ، وهو تحريف.

(♦) بداية ص١٠٥ في المطبوع .

(٣) في المطبوع: فعلها، وهو تحريف.

(٤) جمع شبرُم وهو القصير. (القاموس ١٠٣٧).

(٥) في المطبوع: الضبارم، وهو تصحيف.

(٦) في المطبوع: ولكم على كل المكارم، وهو خطأ.

(٧) في المطبوع: عدى، وهو تصحيف.

لولاهُ عن قَـــدَرٍ جــرى	لَرَدَدْتُ عنهُ ولم تُقــاوِمْ
لَكِنْ جـرىَ القـدرُ المتـاحُ	فـمن ترى من بَعْـدُ دائمْ
لـو دامَ إنســانٌ لَـدا	مَ مُـشَـرَّفٌ للرُّسْلِ خـاتمْ
فـالصـبرُ أولى إن دهَى	خطبٌ بحـالةِ كلِ حـازمْ
صَـبْـراً بنيـهِ فـإنما	صبـرُ الفتى عندَ العظائمْ
مـا مـاتَ من أنتمْ لهُ	خَـلَفٌ وَمَنْ أبـقـى المكارمْ
فَسَلوا الصِّحَافَ المُتْرَعاتِ	فـإنها تَدْري[1] الأكـارمْ
وَسَلُوا الصِّفاحَ المُصْلَتا	تِ وللشداقِمِ والصَـلادِمِ[2]
وَسَلُوا الضيـوفَ فـإنهمْ	لاَقـوا به مـعناً وحـاتمْ
وسلوا القــوافي والأعـا	ريضَ الصِّعـابِ[3] وكلَّ ناظمْ
هل كــان غـيـرُ جنابه	يُرجى ويُمدحُ بـالمَنَـاظمْ
فَـسَـقَى ثرىً فيـه يُرى	صـوبَ المبـرةِ والمراحمْ
وسـقى الرضـا جدثاً لهُ	فـيـهِ الندى جـارٍ وساجمْ
إنـي لأبكِيْـهِ دَمـاً	وأرى بأنـي غـيـرُ قـائمْ
فـاقْـفُـوا بَنيـهِ مكارماً	سَـحَّتْ بهـا منهُ غـمـائمْ
مَنْ لم يَكُنْ كـأبـيـهِ في	فَـضْلٍ يَعَضُّ على الأباهم[4]
فـالجـودُ فـيكمْ خـالدٌ	فَـذَرُوه مـركـوزَ الدعـائمْ

(١) هكذا جاءت في المطبوع، وقد وردت مطموسة في المخطوط فلم نهتدِ لها.

(٢) الصلادم: جمع صِلْدِم وهو الأسد والصلب. (القاموس ١٠٤١).

(٣) في المطبوع: الصباح، وهو خطأ.

(٤) الأباهم جمع الإبهام.

واســـقــــوه مــن أيديـكُمُ ‏ لِيَـدومَ مُـفْـتَـرَّ الكمـائمْ
ودَعَـوا الخِـصـامَ فـإنه ‏ لِمـآثـرِ الآبـاءِ هـادمْ
وذَرواْ لِئـامـاً هَمُّـهُـمْ ‏ نَـقْلُ البطـونِ إلى الـولائـمْ
عِيٌّ سِـوى عن غِـيْـبَـةٍ ‏ أو نشـرِ مَطْوِيِّ النمـائـمْ
وَمِنَ الغـبـاوةِ والعنـا ‏ تـقـريـبِكُمْ مَنْ لا يُلائِمْ
فـابغـوا[1] جليسـاً صـالحـاً ‏ مُـغْـرىً بصـحبـةِ كلِ حـازمْ
إمـا كـأحنفَ حلمِـهِ ‏ (♦)أو خـالِهِ قيسِ بنِ عـاصمْ
هاؤم نصـيـحـةَ ناصحٍ ‏ مـا غشَ في النُصْحِ المخـاصمْ
يبكـي أباكم طرفُـلـهُ ‏ كـالساجعـاتِ من الحـمـائمْ
وَخُذوا مـراثِيَـهُ فـهـا ‏ هي للمـراثي كـالتـمـائمْ

ولما فَوَّفْتُ بُرْدَها، ونظمتُ في سالفةِ البيانِ عِقْدَها، وأطْلَعْتُ من كمائمِ الرثاءِ وَرْدَها، وارتشفت المسامعُ رضابَها، وتَجَلْبَبَتِ الطروسُ جِلْبابها، اقتضى الحال، أن أنْشِدَ على الارتجال.

وقائلـةٍ قـد مـاتَ أحمدُ ذو العُـلا ‏ ومـاتَ النـدى من بعدِه والمفـاخـرُ
أقولُ لهـا كُفِّي لَئِنْ مـاتَ لم تَمُتْ ‏ مَـآثِـرُهُ اللاتـي بهـا القولُ سـائرُ
وبِيضٌ غطاريفٌ كـأنَّ وجُوهَهُـم ‏ بُـدورٌ إذا جَـنَّ الظـلامُ سـوافـرُ

(١) في المطبوع: فابقوا، وهو تحريف.
(♦) بداية ص ١٠٦ في المطبوع.

بنوهُ الألى أضحى بهمْ ناظرُ الندى — كحيلاً لهُ مِنْ مُجْتَديهم نواظِرُ[1]

منَ النَفَرِ الأُسْدِ الذين عُزُومهم — كأسيافِهِمْ في المشكلات بواترُ

مواردُ فضلٍ غيرَ أنَّ أكُفَّهُمْ — لكل جميلٍ في الأنامِ مصادرُ

مقاولُ أقيالٍ فلا غروَ أن زَهَتْ — منابرُ في أيامِهِمْ ومحاضرُ

كأن المعالي قد خُلقْنَ خواتماً — لها منهمُ في كلِ عصرٍ خناصرُ

فما تركوا فَخْراً طريفاً وتالداً — لِمُفْتَخَرٍ إنْ جاءَ يوماً يفاخرُ

وما افتخروا إلا بكلِ مُتَوَّجٍ — نماهُ إلى المجدِ المُؤَثَّلِ عامرُ

فما شئْتَ فيهم مِنْ ثَناءٍ فَقُلْ بِهِمْ — فَعَمَّا بهم مدحاً تضيقُ الدفاترُ

يقولونُ أُسْدٌ في الهياجِ كواسرٌ — إذا لم يكن إلا السيوفُ نواصرُ

أما عَلِموهم أبْحُراً[2] في رحابِهِمْ — نَمَتْهُمْ إلى البَذْلِ العميمِ زواخرُ

يُطيلُون أرواقَ الجيادِ وإنّما — جيادُهُمُ أرواقُهُنَّ الخواطرُ

فضائلُهُمْ لا ينتهينَ فَقُلْ لِمَنْ — يُكاثِرُهُمْ في الفضلِ أينَ المُكاثرُ

يَروقُ بهم وجهُ الزمانِ طلاقةً — ويغدو بهم وجهُ الدُّنا وهو سافرُ

(◆)فطاولْ بِهِمْ من شئتَ مجداً وسؤدداً — فكلُ طويلٍ عنهمُ فَهْوَ قاصرُ

على كلِ فضلٍ في الأنامِ أدلةٌ — وفضلُهُمُ فيه النصوصُ ظواهرُ

فلا عيبَ إلا محتدٌ وسيادةٌ — يُزَيِّنْهُما بين الأنامِ المآثرُ

---

(١) في المطبوع: كحيلاً له مجديهم ونوادر.

(٢) في المطبوع: أما علموا هم أبحر.

(◆) بداية ص ١٠٧ في المطبوع .

[ترجمة أبناء الشيخ أحمد بن رزق]

فَلْنَعُدْ بعدَ الإنشاد، إلى إنشاء تراجمِ الأولاد، فنقولُ: لما غَرَبَتْ في رَمْسِهْ، محاسنُ شَمْسه، ورِثَهُ خُمسةُ بدور، أشرقتْ بهم بُروجُ[1] الصدور، قد غَذَتْهُم المروة بلبانها، وقَلَّدَتْهُمْ بلألائها[2] وجُمانها، وفَتَّحَتْ بهم أورادَها، وحَضَنَتْهُمْ إذ كانوا أولادها، واعتنقوا ولائدها[3]، ولَفَّقوا فرائدها، وزَيَّنوا مقاعدها، وسَهَّلوا لطالبها مصاعدَها، وحَلُّوا منها المقاعد، وقَرَّبوا منها المقاصد، وأعادوا شبابها، وشادوا بعدَ الهدمِ قبابها، وأمطروا سحابها، في الحضيضِ واليفاع، وخاضوا عبابها، بسفنٍ مكارمَ شراعُها الطباع، وأحرزوا قَصَبها، ورفعوا حَسَبها، وعمروا منها الديار، وحَسَّنوا منها الآثار، وتسنموا منها السنام، وفتقوا منها الكِمام، وأهبُّوا منها الأرواح، وأعادوا منها الأرواح إلى الأشباح، وأفجروا منها الصباح، وأجروا منها الحياض، ووَرَّدوا منها الرياض، وشرحوا صدورها، وأشعُّوا بدورها، ودَبَّجَ في ثنائهم المنظومُ والمنثور، حتى غدا كلُّ ممدودٍ من المدحِ عليهم مقصور.

مضريّون عامريّون حازوا ... قصباتِ السباقِ للمكرمات[4](*)
أرْضَعَتْهُمُ لِبانَها فرَعَوْها ... بأيادٍ من جُودهم مُرْسَلاتِ

---

(١) في المطبوع: وجوه.

(٢) في المطبوع: بلآليها.

(٣) في المطبوع: ولادها.

(٤) في المطبوع: للكرمات، وهو تحريف.

(*) من البحر الخفيف.

ووجــوه إذا رأتْ وجــهَ ضـيـفٍ أشرقتْ كـالرياضِ مبـتـسـماتِ

كلُّ يومٍ لم يلقـهمْ فـيـه ضـيـفٌ فـهـو في رأيهم من النَّحِسـاتِ[1]

بِـعُـــــزُومٍ كـــــأنـهـنَ بُـروقٌ أو سـيـوفٌ غـدون مُنْصَلتـاتِ

لا تَحِنُّ[2] العُـلا إلى من سـواهم بل إليـهم كـالطفلِ للمرضعـاتِ

أبرزوا المجـدَ منْ خِبـاهُ[3] وأبدوا في سـمـاء النـدى بدورَ الصـلاتِ

وبدوا في الورى شـمـوسَ جـلالٍ لم تكنْ في الأنامِ منكسـفـاتِ

ولقد أجاد فيهم القائل.

كلُ امـرىء لاقَـيْـتَـهُ منهمُ تقـولُ فـيـه إنه المَطْلَبُ[*]

(♦)مـحـمـدٌ يوسفـهمْ مـحـسنٌ وخــالـدٌ ذو الشـرفِ الأطيبُ

وَخَـتْـمُـهُـمْ عـبـدُ العـزيزِ الذي عَنْ فَضْلِهِ كلُّ فَتىً مُعْرِبُ

[ترجمة الشيخ محمد بن أحمد بن رزق]

وها أنا أسردُ تراجمهم على هذا الترتيب، ذاكراً ما اطلعتُ عليهِ من أحوالهم على التقريب، جاعلاً ذلك خاتمةَ هذا الكتاب، مُطَرِّزاً للنثرِ بالنظمِ

(١) في المطبوع: البخسات، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: يحن.

(٣) في المطبوع: في جناه.

(*) من البحر السريع.

(♦) بداية ص ١٠٨ في المطبوع .

المستطاب، فأما محمدُ [فهو أكبرهم سنًا][1] وأصلبهم[2] على الأعباء متناً، ذو عزمٍ يُضاهي مضاه الحسام، وحزمٍ لا يوجدُ في سواهُ من الأنام، وحلمٍ أرزنَ من الهضاب، وكرمٍ كم مَدَّ لَهُ من عُباب.

هُوَ الفاضلُ القرمُ الذي في ثنائه ... يروقُ ويحلو منيَّ النثرُ والنظمُ[*]

معَ الكرمِ الفياضِ حازَ لطافةً ... وخِفَّةً[3] طبع زانها الصمتُ والحلمُ

لهُ الشرفُ المشهورُ والمنصبُ الذي ... تقاعسَ فيه عن منازلِهِ النجمُ

أغرٌّ عقيليٌّ كأن جبينَهُ ... إذا ما رأى وُفّادَهُ القمرُ التمُّ

مساعيه بيضٌ في الأنامِ يزينها ... وقائعُهُ اللاتي كأفراسِهِ دُهْمُ

ولو أنها غُرٌّ بكلِ مهندٍ ... له عملٌ في ضدهِ وهو الجزمُ

إذا ارتعشَ المتنانِ منهُ تراعَشَتْ ... يدا كُلِّ ضرغامٍ وأدركه الهزمُ[4]

وإن فتىً يَنْمِيهِ أحمدُ للعُلا ... لخيرُ فتىً ينمو به الكرمُ الجمُّ

لقد ماتَ من بعدِ البرامكةِ الندى ... ولم يبقَ منهُ بعدَ موتِهِم رسمُ

فأحياهُ بالإعطا أبوهُ وجدُّهُ ... ولما بدا ما زالَ في عصرهِ ينمو

---

(١) سقطت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: فأصلبهم.

(*) من البحر الطويل.

(٣) في المطبوع: ورقة.

(٤) في المطبوع: الحزم، وهو تحريف.

وُلِدَ في بلدِ والدهِ الزبارة، في أيامٍ هي الرياضُ في النضارة[1]، وليالٍ ما أنورَها، وأسعدَها وأقصرها.

لما بدا نُور مُحَيَّاهُ بها	لم يبقَ وجهٌ ما علاه الفرحْ(*)
ولم يكنْ من فَنَنٍ ما انثنى	وطائرٍ في دوحهِ ما صدحْ
قد أرضعته الدَّرَّ بِكْرُ العلا	وَعَوَّدَتْ يمناهُ بذلَ المِنَحْ

إن برزَ بروزَ الغزالة، فلهُ الرياسةُ هالة، والكمالُ مدار، والأفضالُ أنوار، والجلالُ مطلع، والنبالةُ مسطع، فهو الواحدُ في المعالي، والبدرُ لِما وُجِدَ فيه من الليالي.

(◆)حَسَنُ الطباعِ كأنما	أخلاقُهُ الأرواحُ(**)
كالغصنِ يُبْصَرُ عِطْفُهُ	إن هزّهُ المُداحُ

مكارمُ أخلاقه، أوضحُ دليلٍ على طيبِ أعراقه، وتبسمُهُ في وجوهِ الوُفَّاد، أمارةٌ على شرفِ الأجداد، ورحيبُ[2] فنائه، دالٌّ على سعة عطائه.

لئِنْ أَصْبَحَتْ منهُ المنازلُ رحبةً	لأوْسَعُ منها للوفود مكارِمُهْ(***)
يضيقُ الفضا عن بعضٍ ما هو مُفْضِلٌ	ولم تعيَ عنهُ كفهُ ومعاصِمُهْ

---

(١) في المطبوع: بالنضارة.

(*) من البحر السريع.

(◆) بداية ص ١٠٩ في المطبوع .

(**) من البحر الكامل.

(٢) في المطبوع: ورحب.

(***) من البحر الطويل.

فهو قطبٌ تدورُ عليهِ رحى المفاخر، وترنو إليهِ من المعالي النواظر، وفلكُ شرفٍ لم يزلْ بالمكارمِ دائر، وروضُ مجدٍ بالنجابةِ زاهر.

فلا غروَ أن تزهو بساطعِ فضلهِ ... محاضرُ فيحُ عطَّرَتْها الفواضلُ[*]

وغُرٌّ قوافٍ جاذبته زِمامَها ... مصاقعُ غُرْبٍ ساعدتها الفواضلُ

يقيمون مُعْوَجَّ القوافي كأنها ... إذا ثَقَّفوها في يَدَيْهِمْ ذوابلُ[1]

يكادُ إذا قالوا مقالاً بمشهدٍ ... تعي عنهمُ ذاكَ المقالِ الجنادلُ

إذا قوَّموا شعراً ففي مدحِ جَدِّهِ ... ومدحِ أبيهِ ذلكَ الشعرُ كاملُ

إن فخرَ به زمانه، وأقرَّ له بالفضلِ أقرانه، فقد رامَ كيوان، أن يساميه في علوِ المكان، فَرَدَّ عن مضاهاته خجلان.

لا يرى في علاه عيبٌ سوى أن ... كان ذا سؤددٍ وذا ألمعيهْ[**]

أغزرَ البذلَ أظهرَ الفضلَ حتى ... حلفَ الدَهرُ ما رأيْتُ سَميَّهْ

هِمَمٌ تُعْجِزُ الزمانَ احتمالاً ... وأيادٍ مهما جَرَتْ حاتميهْ

لَمَّا[2] تُوُفِّيَ أبوه، وحفَّ به راثوه، صَبر وجانبَ الضجر، وشَمَّرَ عن ساعدِ الجدِ وحسر، وقامَ مقامَ والده، ودرجَ على مدارجهِ ومقاصده، وأعطى كلَّ وارد، ما لهُ من صلةٍ وعائد، حتى عرفَ فضلَهُ المسودُ والسائد، ونَوَّهَ بذكره الغائبُ والشاهد، ونُظِمَتْ فيه المدائحُ والقصائد.

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: ذلائل.

(**) من البحر الخفيف.

(٢) في المطبوع: فلما.

ثوَى الكرمُ الثجاجُ في قبرِأحمدٍ فـأبرزه من قبـرهِ بعـدهُ النجلُ(*)
مـحمدُ القرمُ الذي أقسمَ الندى بأن لا لهُ في عـصـرهِ أبداً مـثلُ
(◆)تعـوَّدَ بذلَ المالِ حتى كـأنما تراضعَ معـه مُرْضَعـاً ذلك البذلُ

قد فَوَّضَ إخوانُهُ إليه من أمرهمِ الزمـام، وداروا به دورانَ الكواكبِ ببدرِ الظلام، ونظروا إليه بأعينِ إجلالٍ واحترام، واتخذوه في محرابِ المهماتِ إماما، ولنوائبِ الزمـانِ عُدَّةً وحسـامـا، ولأعينِ المفاخرِ إنسـانا، ولعـاليـة المآثرِ سنانا، ولسهامِ أسرارهمِ كنانة، ولمعاطسِ آرائهم ريحانة، وافتخروا بوجوده، افتخَارهُ بأبيه وجدوده، وطاوعوه مطاوعةَ يده، لا مطاوعةَ أعْبُده[1]، ونزلوا عندهُ منزلةَ عينه، لا منزلةَ نُضارهِ ولجينه، ونهض بأعباء والده، فأقَرَّ عينَ خلْمه[2]، وفقأ عينَ حاسده، وأعملَ الهمم، في اتباعِ ما لأبيهِ من الكرم.

يا لَموْلًى أبدى مكارمَ شـتى بعد ما مات ذو السماح أبوهُ(**)
كلُ جـودٍ إلى أبيـه تناهى فلهُ الخَلْقُ كلهمْ نَسَـبُـوهُ

لا بِدْعَ أن صارَ من المكارمِ عينَها الباصرة، ومن المفاخرِ روضتَها الزاهرة، ومن الشيمِ أرجهَا الشميم، ومن الأيامِ صباحَها الوشيم، ومن التعظيمِ غُرَّتَه، ومن التكريمِ زهرتَه، ومن التفخيمِ ناصيَتْه، ومن الشرفِ رابيتَهْ، ومن المجدِ

(*) من البحر الطويل.
(◆) بداية ص ١١٠ في المطبوع .
(١) في المطبوع: عبده.
(٢) في المطبوع: مُوَدِّه.
(**) من البحر الخفيف.

ساريَتْه، لم يدعْ منه شامخاً إلا ارتقاه، ولا فَنًا إلا هَصَرَه[1] وثناه، ولا قنْواً من الكرمِ إلا أدناه، ولا زُلالاً من اللطافةِ إلا احتساه، ولا بُرداً من الظرافةِ إلا اكتساه، ولا مِطْرفاً من البيانِ إلا وشَاه، ولا مِعْصَماً من المعالي إلا سَوَّرَه، ولا ورداً منها إلا أزهره، ولا مقلَةً إلا وهي إليهِ رانية، ولا دوحةً إلا وهي عليهِ حانية، ولا خلةً من الخيرِ إلا وهي إليه منسوبة، ولا مهرةً منه إلا وهي له مركوبة، ولا محمدةً إلا وهي ملفوفةٌ في برده، ولا منقبةً إلا وهي منتميةٌ إلى زنده، وبالجملة فهو من الرفعة والمكانة، والنزهة والصيانة، بالمحلِ الأسمى، والمنازلِ التي دونها الهممُ تُرْمَى، ومن الرأيِ والتدبير، بحيث لا يوجدُ له نظير، أبان اللهُ سيادتَه ومقداره، في البلدة المعروفة بالزبارة، في العامِ الخامسِ والتسعين، بعد المائة والألفِ من هجرة الأمين [١٧٨٠م]، وتربى في حجرةِ الدلال، إلى أن أدركَ الكمال، ونظرته عيونُ السعادة، بعد تَرَدِّيه[2] بأرديةِ السيادة، وقَدَّمَهُ أبوهُ المقدَم، فكمّل به نقصَ الفضلِ وَتَمَّمْ، وعقدَ له عقدَ الرياسةِ ونظَم، وتفرَّسَ فيه النجابةَ وتوسَّم، فها هو ذا في المحلِ الأعلى من أجفانِ العناية، بالغاً من المفاخرِ كلَّ غاية.

[ترجمة الشيخ يوسف بن أحمد بن رزق]

وأما يوسفُ فهو ذو فضائلَ جمة، تقصرُ عنها كلُّ همة، ومحامدُ عديدة، زَيَّنَتْ من الكمالِ جيدَه، ونزلت من سمائه، منزلةَ بَدْرِه وذُكائه[3]، ومكارمَ لا

---

(١) في المطبوع: عصره.

(٢) في المطبوع: ترديته.

(٣) في المطبوع: بردة ذكائه.

تُحْصى بالعدة، قد أترعت كلَّ يفاعٍ[1] ووهدة، وبرزت لحاتمٍ فبهرت عطاياه، وشهدتْ بأن[◆] الكرمَ في يوسفَ[2] لا يتعداه، ولَمعْنٍ فأدركه الخجل، ولابن مامةَ فاكتسب منها ما بذل، وأنشد فيه وارتجل.

ترومُ أيادُ أن تكاثرَ يوسفاً | مكارمَ لا تنفكُ ذاتُ أياد[*]
وليسَ لها إلا يدانِ ويوسفُ | أياديه لا تحصى بعدَ أياد

لم يزلْ مذْ فتحت عيناه، تشنَّفُ بالثناء أُذْناه، وتتحلّى بالإعطاء كفاه، وتهتزُ إلى المحامد عطفاه، وتَتَبَسَّمُ[3] ثناياه لمن وافاه، ببذلٍ يقصرُ منه مدُّ السحاب، ويعجبُ من زخورهِ كلُ عُباب، ورأيٍ في المهماتِ ساطعٍ كالشهاب، وعزمٍ كالحُسامِ إلا أنه بلا قراب، وهمةِ ضرغام، تعجزُ عنها الأيام، ورحابٍ ليس عليها حُجَّاب، يَرِدُها ضيوف، ربما بلغوا الألوف، عَشِقَتْهُ المعالي وهو في مهده، وحسدته العوالي في شرفهِ ومجده.

فتىً في ذُرى العليا يلوحُ فخاره | كما لاحَ في عليا القناةِ سنانُ[**]
ولم تنِ عن مدّ الندى منه راحةٌ | ولم يُثْنَ من علياه منه عِنانُ

---

(١) في المطبوع: بقاع.
(◆) بداية ص ١١١ في المطبوع .
(٢) في المطبوع: ليوسفَ.
(*) من البحر الطويل.
(٣) في المطبوع: وتبتسم.
(**) من البحر الطويل.

لكلِ فتىً يبدو مكانٌ يُكِنُّهُ[١] وهذا له بيتُ الثناءِ مكانُ
لهُ كرمٌ ما صانهُ بُرْدُ ضِنَّةٍ وأبيضُ عِرضٍ بالكمالِ يصانُ

فهو الجديرُ بأن يُعَظَّم، ويُصَدَّرَ في كل صدرٍ ويُقَدَّم، وتُلْقى إليه من المعالي الأزِمَّة، ويُعْمَلَ في زيارتهِ كلُّ قدمٍ وهِمَّة، وأن يُهتدى به في كُلِّ ظلمة، وأن تَمْتَدَّ إلى ثنائه أعناقُ القصائد، وتتفاخَرَ بالمثولِ بين يديه الأماجد، وتُغْبَطَ بجلسته المَجالس، وبحكَمه المُسامرُ والمُجالس.

نمتهُ جدودٌ من عقيلٍ سموا به إلى شرفٍ يسمو السماكين والنسرا[*]
فزادَ به عُلْيا عقيلٍ وعزَّها وفاتتْ به من[٢] غيرِها مُضَرَ الحمرا[٣]

وُلِد في الزبارةِ عامَ المائتين، بعدَ الألف فقرتْ به العين، واستنارت أرجاءُ بلاده، بشموسِ سيادته وإسعاده، وهُنِّئَ أبوه بوروده، وطلوعِ شمسِ سُعوده، وانهمالِ سحابةِ جوده، فما زال يترقي إلى قُنَنِ[٤] السيادة، متفيئاً في أفياءِ[٥] السعادة، متأدباً بكلِ ذي عفة، خلقهُ النسيمُ في الخفة، ووجههُ الروضُ في القسامة، وكفُّهُ في الجودِ[٦] سيلُ الغمامة.

---

(١) في المطبوع: لسكنه.
(*) من البحر الطويل.
(٢) في المطبوع: عن.
(٣) في القاموس ٣٥٥ : مضر الحمراء : لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه وربيعة أعطي الخيل، أو لأن شعارهم كان في الحرب الرايات الحمر.
(٤) في المطبوع: فنن.
(٥) في المطبوع: بأفياء.
(٦) في المطبوع: بالجود.

يكادُ يَسيلُ اللطفُ من عطفِ طبعِهِ مسيلَ[١] سقيطِ الطلِ فوقَ أُقاحِ[*]
إذا افترَ ثغراً في وجوهِ ضيوفِهِ أراكَ صباحاً لائحاً بصباحِ

[♦]ولما انتقلَ بالرحمة أبوه، وقصدهُ للتعزية مُعَزُّوه، وجدوه أخا جَلَدٍ وصبر، وهمةٍ من دونها همةُ الدهر، قائماً بوظائفِ أبيه، قيامَ أخيه، متلطفاً بخدمهِ ومواليه، متعطفاً بكرمِه على راجيه، عاشَرْتُهُ فوجدته في الملاطفةِ الشمأل، وفي المفاكهةِ الصاحبَ بل [هو][٢] أكمل.

[ترجمة الشيخ عبد المحسن بن أحمد بن رزق]

وأما عبدالمحسن فإنه البحرُ الذي لا يقربُ من الضنَّة، ولا يُكَدِّرُ المنُّ أنعامَهُ ومَنَّهْ، ذو ملاطفة حسنة، ومباشرةٍ لا تُعَبِّرُ عنها الألسنة، وهمةٍ لا تزالُ إلى المعالي صاعدة، وعَزْمَةٍ عن المكارمِ غيرِ متقاعدة، ومكارمَ على ممرِ الأيامِ خالدة.

مكارمُ تُجريها يدا خيرِ محسنٍ[٣] إذا طُلِبَتْ جدواهُ أبْصَرْتَهُ معنا[٤][**]
أغرُ عُقَيْليٌّ رأينا به الندى متى سار معناً جارياً [أبداً][٥] معنا

(١) في المطبوع: كسيل.
(*) من البحر الطويل.
(♦) بداية ص ١١٢ في المطبوع .
(٢) سقطت من المخطوط.
(٣) في المطبوع: يد الخير محسن.
(٤) إشارة إلى معن بن زائدة الشيباني.
(**) من البحر الطويل.
(٥) سقطت من المطبوع.

حسَرَ عن ساعد جِدِّهِ وشمَّر، فأدركَ مآثرَ أبيه وما قَصَّر، ودأبَ في اكتسابِ المحامد، حتى خُيِّلَ أنه فيها الوالد، واتصفَ بأوصاف، من بعضها المروةُ والإنصاف، وأوْسَعَ[1] فناءَه، ليوسعَ ثناءَه، وتُزُوحِمَ[2] على أبوابه، وأُصْغِيَ لسماعِ[3] خطابه، ذو آنفةٍ وشجاعة، وإقدامٍ وحزمٍ وبراعة.

بِخفَّةِ طَبْعٍ لا يَزالُ يَزِينُها ... رزانةَ حلمٍ فَوْقَهُ ووَقارُ[*]

ووجهٍ غداةَ البذلِ يزهو كأنه ... وجوهُ رياضٍ زانهنَّ بهارُ

وعزمٍ كأن العضبَ باترُ حده ... وجاهٍ عليه للفخارِ إزارُ

هوَ البدرُ إلا أنه غيرُ كاسفٍ ... هوَ الشمسُ والمجدُ الأثيل مُدارُ

وجوهرةٌ لم يبرزِ الدهرُ مثلَها ... ولكنْ لها من الكمالِ محارُ

وبالجملةِ فلسانُ الحصرِ عن فضلهِ ذو قصور، والكرمُ وإن نسبَ إلى غيره فبالحقيقةِ عليه مقصور.

لكلِ امرىءٍ فخرٌ ولكنَّ فخرَهُ ... إذا طلعتْ أقمارُهُ لم يَدعْ فَخْرا[**]

كَشَمْسِ الضُحى إن تَبْدُ لم تُبْقِ كوكباً ... وبَحْرٍ طمى زخَّاره فعلا النهرا

فلا تعجبوا من قذفهِ الدرَ في الورى ... فمنْ عادةِ القاموسِ أن يقذفَ الدرا

---

(1) في المطبوع: واسع، وهو تحريف.

(2) في المطبوع: وتزدحم.

(3) في المطبوع: لمسامع.

(*) من البحر الطويل.

(**) من البحر الطويل.

وُلِدَ في الزبارةِ كأخيه محمد، فقَمَّطَهُ السعدُ بقماطِه ومَهَّد، وتواترت الأفراحُ بطلعته، وأُعمِلَتْ القصائدُ لأبيهِ في تهنئته، وصارت الشعرا، بالإجازات عليه أُمراَ، وقال فيه من قال:

فَمَنْ مِثْلُ عبدِ المحسنِ القرم واردُ ... ولا كأبيهِ الخيرِ في العصرِ والدُ[1](*)
فذاكَ إلى الإعطا يَشُبُّ وذا لهُ ... مكارمُ في نحرِ الزمانِ فرائدُ

(◆)فبقيَ في أيامِ والده، يقتفيه في مناهجه ومقاصده، مسروراً بالأخلام[2]، من الإخوان وبني الأعمام، يتسابقُ وإخوتُهُ[3] إلى الكرم، ويتفاخرونَ في معالي الأمور والشيم، إلى أن غابت شمسُ والده، فصبرَ تجلداً في عينِ شامته ومُكائده، برز من الرحمِ إلى الدنيا، ملحوظاً بألحاظ العليا، عامَ اثنتين، بعد الألفِ والمائتين [١٧٨٧م] وها هو ذا وأحالها[4]، إليه في المهمات المنتهى.

[ترجمة الشيخ خالد بن أحمد بن رزق]

وأما خالدُ فإنه ذو مكارمَ طامية، وعزائمَ لا تزالُ في المشكلاتِ ماضية، ومحامدَ في أُذُنَي الزمانِ كَقُرْطَي مارية، ومعالٍ أشهرَ من السنانِ في العالية،

---

(١) في المخطوط: ولا كأبيه عصره خيل والد، وأثبتنا ما في المطبوع لاتساقه مع المعنى.

(*) من البحر الطويل.

(◆) بداية ص ١١٣ في المطبوع .

(٢) جمع الخِلْم : وهو الصديق والصاحب. (القاموس ١٨ - ١٠).

(٣) في المطبوع: يسابق إخوانه.

(٤) في المخطوط: وها هو ذا أخابها، وأثبتنا ما في المطبوع.

وشرفٍ له الكواكبُ السارية سارية، ومجدِ عُمُدَ[1] بالصفاح، وأُتُد بالرماح، وعَطَّرَ أرَجُهُ الهضابَ والبطاح، وجاهٍ امتدَ في الطولِ والعرض، حتى طبقَ أرجاءَ الأرض، وسؤددٍ البدرُ عِماده[2]، والجوزاءُ نطاقه، والثريا مهاده، ونجابةٍ تُحَيِّرُ الأفكار، ولبابةٍ هي الزهرُ والبهار، وطلاقةٍ هي الصبحُ في الإسفار، وعرضٍ هو في النقاء النهار.

طلاقَتُهُ[3] الصبحُ البهيجُ وعِرْضُهُ نهارٌ وأما طبعُهُ فبهارُ[*]

وأما مزاياهُ فغرٌّ كواكبُ لهنَّ سماءُ المكرماتِ مدارُ

يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ لائحاً يُكَلِّمُهُ بَيْتٌ لهُ وَجِدارُ

كريمٌ عليه للمهابة مَلْبَسٌ يُجَرُّ لهُ فوقَ السِّماك إزارُ

هوَ البحرُ إلا أنَ سائلَ كَفِّهِ لُجَيْنٌ وطوراً جوهرٌ ونضارُ

نَمَتْهُ إلى العُلْيا عقيلُ بنُ عامرٍ وأعطته أعلامَ الفخارِ نزارُ[4]

فيا لَنِجارٍ في الأنامِ كَمِعْصَمٍ لهُ الشرفُ الضخمُ التليدُ سوارُ

ويا خالدَ الذكرِ الذي فَوقَ مَجْدِهِ إليكَ بأيمان العِظامِ يُشارُ

وأشبهْتَ في الإعطا أباكَ فهل ترى يُجاريكَ في سَحِّ اليمينِ بِحارُ

---

(١) في المطبوع: غمد، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: غماده، وهو تصحيف.

(٣) في المطبوع: طلاقة، وهو تحريف.

(*) من البحر الطويل.

(٤) في هامش المخطوط: نزار بكسر نونه من النزر وهو القليل. أقول: وربما يكون المقصود نزار بن معد بن عدنان.

وُلِدَ في إبّانِ سعادة، وأيامٍ مستطابةٍ مستجادة، فنشرت للأفراحِ الأعلام، وأزهرتْ من الأُنْسِ الأكمام، ونظرت مقلَ المسرةِ إلى الأنام، وهُنِّئَ به أبوه، واستغنى بالجوائزِ مادحوه، وزُيِّنَتِ المحافلُ والمجَالس، ونثرَ الدرُ على المسامرِ والمُجالِس، ونُودي في المعاهدِ والمشاهد، من رامَ العوائد، فَلْيُهنِّئْنا بخالد، فانثالت الشعراءُ من كلِّ فج، وشُهِدَ ذلك اليومُ فكان يومَ حج، وطمى فيه بحرَ أبيه وعج، وتفاخرت الشعراءُ بالتهاني، واستغنى عند ذلكَ القاصي والداني، وفُكَّ إكراماً له كلُّ عاني، ومُدَّ بساطُ المكارم، قبل أن تُناطُ به التمائم.

(◆)فيا لكَ مولودُ بدا نجمُ سعدهِ	بإبّانِ خيرٍ ما وجدنا لـهُ نـدِا(*)
بدا في ليالٍ زانها بجمالهِ	كما زينَ الزهرُ الكمائمَ والوردا
به افترِ وجهُ الدهرِ حُسْناً وبهجةً	وَشَدّ عليه من مفاخرهِ عقدا
لقد فارقَ الرحْمُ الزكيُّ مَقَرَّهُ	كما فارقَ البيضُ المهندةُ الغِمدا

فما زال يَشُبُّ إلى المكارم، شبابَ الوردِ في الكمائم، ويرتفعُ في المعالي، ارتفاعَ السنانِ في العوالي، يألف كلَ كريم، ويأنف عن كلِ لئيم، ذو ثغرٍ بسام، وفخرٍ وافٍ تام، ومنطقٍ ذي[1] بيانٍ عذب، يَتَحَدَّرُ منه كاللؤلؤِ الرطب، إذ أشبه أباه في اللسان، فقد أشبهه بعلوِ الشان، وكرمِ الأخلاقِ والبنان.

(◆) بداية ص ١١٤ في المطبوع .

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: ذا، وهو خطأ.

فـلا تُنْكِروا منه مكارمَ جمـةً   فـقد أشْبَهَتْ يُمنى أبيـه يمينُهُ(*)
فلا عيبَ فيه غيرُ تقوى وعفةٍ   ولطفِ طبـاعٍ للكرامِ يَزِينُهُ[1]
ومن يشبـهُ الآباءَ في أيِ خصلةٍ   يَدُمْ أبداً منه إليـهـا حنينهُ

قد برز عامَ السبعِ بعد المائتين، والألف بكلِ خلقٍ رزين [١٧٩٢م]، وقد ذُكِر لي عن أبيه، أنه يقدمه على كافةِ بنيه، فلا بِدْعَ أنه في المكارم، هو الكاملُ الخاتم.

[ترجمة الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن رزق]

وأما عبدُ العزيز فإنه شقيقُ خالد، معدودٌ على صغرِه من الأماجد، معروفٌ بمكارمِ الأخلاقِ والمحامد، نَهّاضٌ إلى المعالي غيرُ متقاعد، ذو وسامة، وَحِدَّةٍ وشهامة، وكرمٍ لا يوجد في ابن مامة، وطبعٍ أرقَ من المدامة، وظرافةٍ باهرة، ولطافةٍ هي الأرواحُ الناشرة، وشراحةٍ هي الغمامُ الباكرة.

عـزائمـهُ لا ينثنين عن العُلْيـا[2]   فلا تنكروا أن تبلغَ القطبَ والجَدْيا(**)
ولا تنكروا منه اتسـاعَ[3] يمينه   بوافرِ بذلٍ عنه قـد ضاقتِ الدنيـا

(*) من البحر الطويل.

(١) في المطبوع: تزينه.

(٢) في المطبوع: العُلا.

(**) من البحر الطويل.

(٣) في المطبوع: اتباع، وهو تحريف.

ومنْ أحمدُ السامي أبوهُ وخالدُ أخوهُ لأحْرى أن أُفَضِّلَهُ سعيا
وأن أنظمَ الدرّ الثمينَ من الثنا واجعلَهُ في نحرِ سؤدده حليا

وُلِدَ عامَ التسعةِ[1] والمائتين بعدَ الألف [١٧٩٤م] فارتدى برودَ السيادةِ والتف، وَعَظُمَ الهنا إبّان ميلاده، ووفاءِ[2] الزمانِ بإنجازِ ميعاده، وصدحتْ بلابلُ الفرح، واخضلّتْ غصونُ المِنَح، وأزهرَ روضُ السعادة، وأسفرَ بدرُ المروةِ والسيادة، وأخذَ بحرُ الكرمِ بالزيادة، وترنحتْ أعطافُ(◆) المسرة، وبدا في وجه الدهرِ منها أبيضُ غرة، بقدومِ تلكَ الدرة، وطلوعِ شمسِ المبرة، وتأرجِ ريحِ هذه النفحة، وورود هذه المِنحة.

لقد عَظُمَتْ أفراحُنا مذ تبسمتْ وجوهُ الدُنا منه بأبيضَ ماجد(*)
كريمٍ له فخرانِ فخرٌ بأحمدٍ أبيه وفخرٌ بالمقدمِ خالد
فما نزلا عن سؤددٍ يعرفانه ولا صفةٍ محمودةٍ بعدَ والد
ولا عجبٌ أن يصبحا ضُرَّ مُعْتَدٍ[3] ونعمةَ ذي قربى ونقمةَ حاسدِ

هذا وعبدُ العزيز وإن صَغُرَ سنه، فقد كَبُر قدره وكَثُر مَنُّه، أبقاه اللّه إلى أن يبلغَ من آماله، غايةَ إفضالهِ ونهايةَ كماله .

---

(١) في المخطوط: التسع.
(٢) في المطبوع: ووفى.
(◆) بداية ص ١١٥ في المطبوع .
(*) من البحر الطويل.
(٣) في المطبوع: عز محتد.

[الخاتمة]

يقول مُوَشّي بروده، وناظمُ قلائدِه وعقوده، ومُفَوِّفُ مطارفه، وثاني معاطفه، ومُحَلِّي سوالفه، وجاني ثمره، ومُنْبِتُ زهره، ومُطْلِعُ غُرَرِه، في وجوهِ أسطره، الملتجي إلى كرمِ الصمد، عثمانُ بنُ سند، وفقه الله في القولِ والعمل، وغفرَ له الزلل والخطل[١]: قد آن أن أُعْرِيَ يَعامِلَ[٢] الأقلام، عن تدآبِ السيرِ في مهامه الإنظام[٣]، وأن أنيخَها في مباركِ الختام، من كتابي الموسوم بسبائكِ العسجد، في أخبارِ أحمد، ومن لهُ من مكارمَ أصحاب، هم لفلكِ السيادة أقطاب، ولنحرِ الفضائلِ سحاب، خدمتُ به حضرةَ أبنائه الكرام، المستحقينَ نهايةَ التوقير والاحترام، الشائدينَ من المعالي قبابَها، الشادِّينَ بالمكارمِ أطنابَها، المُديرينَ[٤] أفلاكَها على أقطابِها، المبحرينَ في أوداء الأكف جودَ سحابِها، المعيدينَ بعد ذبوله غصنَ شبابِها، المسلسلينَ صحيحَ أخبارها، المحسنينَ طُرُقَ[٥] آثارها، المطلعينَ في أفقها، أنوارَ أقمارها، الناظمين لآلئ تقصارها، المشهورينَ في قحطانِها ونزارِها، شهرةَ ذُكاءَ في رابعةِ نهارها.

أكارمُ تنميهم إلى المجدِ عامرٌ وتسمو بهم يوم الفخارِ نزارُ(*)
مقاولُ أما في الوغى فضياغمٌ أُسودُ وأما في الندى فبِحارُ

---

(١) الخطل : الكلام الفاسد الكثير. (القاموس ٩١٤).

(٢) جميع اليَعْمَلة : الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة. (القاموس ٩٥٤).

(٣) في المطبوع: النظام.

(٤) في المطبوع: المدبرين، وهو تصحيف.

(٥) في المطبوع: طرف، وهو تحريف.

(*) من البحر الطويل.

فهم الجديرونَ أن يُخْدَموا بمثلِ هذا الكتاب، وتُقَرَّطَ آذانهُمْ بجوهرِ كلِ ثناءٍ مستطاب

وإنَّ أُناساً قد تساموا بأحمدٍ حَرِيُّونَ أن تَسمو بهمْ هامةُ الشِعْرِ (*)

فيا لَيْلَةً فوفَتُ فيها مديحَهُمْ أُنيري لعَيْني تحَسْبَي ليلةَ القَدْرِ

فدونكم سبائكُ عسجد، وفرائدُ في سِلْكِ البيانِ تُنضَّد، وخرائدُ حسان، اخْتَلَسْتُها من يدِ(◆) الزمان، وعقودُ جمان، نَظَمَتْها يدُ البيان، وعرائسُ أفكار، زَفَّتْها يدُ الابتكار، وزهراتُ فؤاد، أنضرُ من زَهَراتِ[1] الأوراد، وبناتُ ذكا، أنورَ من ذُكا، وعذارى سطور، أفخرَ من ربات الخدور.

عذارى قريضٍ ما تَخَدَّرْنَ عن ذكا وإن حُجِبَتْ يوماً بخدرِ سطورِ (**)

تَبَهْرَجُ في زيِّ المديحِ ولم تُعَبْ فيا لَعذارى لم تُعَبْ بِظُهورِ

فجديرٌ بها أن تفخر، على منظمِ الجوهر[2]، وأن تكونَ لها المكانة، على السلافةِ والريحانة، لِما انطوت عليهِ من أوصافِ والدِكُمْ الحميدة، وذكرِ أحواله التي لم تزلْ سعيدة، ونشر مكارمه ببنانِ كلِ قصيدة، فهي وإن اخْتُلِسَتْ من يدِ الزمان، جديرٌ أن يُضَمَّ عليها بالأجفان، وأن يَشْنَفَ[3] بها كلُّ سمع، وأن تُكْتَبَ بمدادٍ هو الدمع.

(*) من البحر الطويل.
(◆) بداية ص ١١٦ في المطبوع.
(١) في المطبوع: زاهرات.
(**) من البحر الطويل.
(٢) هو كتابه: منظم الجوهر في مدائح حمير، وهو مخطوط، ذكره الزركلي في الأعلام (٤/٣٦٧).
(٣) في المطبوع: تشنف.

فـإن تقبلوها فـهي كـفـوٌ كـريمةٌ ... ووالدكم بَعْلٌ[1] لها ولَهُ[2] الفَخْرُ
وإن تَرْجِعـوها بعـدما وَصَلَتْكُمُ ... فـما هيَ إلا غـادةٌ خـانها الدَّهْرُ

فـالمأمـولُ ممن وقفَ على هذهِ العـجـالة، واسـتـصـبحَ بنورِ هذهِ الذُبالة[3]، وارتشفَ من هذه الزُلالة، أن ينظرها بعينِ الإنصـاف، ويسلكَ منهجَ الاعتـذار، عما فيها من الخلاف، فأيُ مقالٍ، ثبتَ له كمال، وأنا أحمدُ اللهَ على الإتمام، وأُصلي مع السلام، على أشرفِ الأنام، وآلهِ وصحبِه الفَخام، ما حُبِّرَتْ مطارف الختام[4].

لَئِنْ كُنْتُمُ عَـوَّضْـتُـمـوني عن الثنا ... وَمَـدْحِ أبيكمْ من فـواضلكم رِفْـدا
وألْبَـسْـتُمُ جِسـمي وقد كـان عـارياً ... ملابسَ تحكي الروضَ والزهرَ والوردا

---

(١) البَعْلُ : السيد.

(٢) في المطبوع: وهو.

(٣) الذُبالةُ : فتيلة المصباح.

(٤) جاء في نهاية المطبوع:

«تم بحمد الله طبعُ كتابِ سبائك العسجد، في أخبارِ أحمدَ نجل رزقٍ الأسعد، تأليف الإمامِ الأوحد، والعلامة المفرد، الشيخِ عثمانِ بن سندٍ البصريِ رحمهُ اللهُ بمنّه وكرمه، وقد اشتملَ هذا الكتابُ على تراجمَ أعيانِ البصرة، ومشايخِ الزبارةِ والبحرينِ والكويت، وبعضَ أعيانِ نجدٍ والبلاد العراقية، الذين كانوا في أوائلِ القرنِ الثالثَ عشرَ من الهجرةِ النبوية، وما تَضَمَّنَهُ من إيرادِ فضائلهمْ السَنية، ومحاسنِهمْ الفائقة البهية، وقد جرى طَبْعُهُ بمطبعةِ البيانِ الكائنة بمنبئ مشمولاً بنظرِ مالكِ المطبعة، حضرةِ السيدِ محمد رشيد بنِ المرحوم السيد داود السعدي، على ذمةِ صاحب الفضيلة الأبديةِ الباهرة، والهمةِ العليةِ الفاخرة، حضرةِ الشيخِ عبد الله أفندي العباسي، الشهيرِ بباش أعيانِ دامَ كما رام، وبلغَ ما شاءَ بعونِ اللهِ الملكِ المنّان، وكانَ الإتمامُ على هذا النظامَ في الخامسَ عشرَ من شهرِ محرمِ الحرام، سنةَ ثلاثمائةٍ وستٍ بعدَ الألف، من هجرةِ من خَلَقَهُ اللهُ على أكملِ وصفٍ، صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبهِ وسلمَ وعظمَ وشرفَ وكرمَ - ١٨٨٨م.»

لقد ألبستكم فكرتي كلَّ مطْرَفٍ من الحمدِ لا يَبْلى ولا يقبل الردا
لقطتُ جُمانَ القول حتى نظمتُهُ وصَيَّرْتُهُ في نحرِ مَدْحِكُمُ عقدا

وكتبه عثمان بن سند ناظمه ومؤلف هذا الكتاب سنة ١٢٢٥/[١٨١٠م]

الحمة لله، رُقِمَتْ هذه النسخةُ الميمونة، ونُسِجت سطورها الموضونة، برسم الهمام المعظَّم، والإمام المصدَّر على كل مقدَّم، خالدِ بن أحمد، أسعده الله وأيّد، من يد مؤلفها، ومطرِّف برودها ومفوِّفها، وذلك في البصرة، الملحوظة بألحاظ القدرة، وقد وافق التاريخ لعام الفراغ من إنشائها، ونسج برود أسطرها ونظم لألائها، شطراً من بيتين، جديراً أن يجعلَ نجلاً لكل عين، وأن تبذلَ لسماعه كل عين:

ليسَ بِدْعاً أن تفخرَ الغيدُ طُرّاً ... غـادةٌ من حُـرِّ البدائعِ ناهدْ

إن تأريخَ خطهـا إن تَرُمْـهُ ... حَسَّنَتْهـا بِمَدِّها يَدُ خـالدْ

١٢٢٥ [١٨١٠م]

نمَّقَ ذلك ووشاه، راجي عفو الله ورضاه، والملتجى إليه في كل ما يخشاه، والمحتاج إليه في آخرته ودنياه، عثمان بن سند، غفر الله خطاه، وعامله بالألطاف ووالاه، إنه كريم متعال، عفوٌ عن العبد مفضال، وصلى الله على محمد الإنسان الكامل، وآله وصحبه الأكامل، ما شَرُفَ بالكرم حاتم، وتجملت إصبع بخاتم.

صورة من كتاب سبائك العسجد

المطبوع في بومبي بمطبعة البيان

سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)

الحمد لله، وكملت هذه النسخة الميمونة، ونُسجت سطورها الموضونة، برسم الهمام المعظم، والإمام المصدّر على كل مقدّم، خالد بن أحمد، أسعده الله وأيّد، من يد مؤلفها، ومطرِّف برودها ومفوِّفها، وذلك في البصرة، الملحوظة بألحاظ القدرة، وقد وافق التاريخ لعام الفراغ من إنشائها، ونسج برود أسطرها ونظم لآلئها، شطراً من بيتين، جديراً أن يجعل كحلاً لكل عين، وأن تبذل لسماعه كل عين:

ليس بدْعاً أن تفخرَ الصيدُ طُرّاً ... عُـدَداً من خُـبرُ الـبـدائعِ ناهدْ

إن تاريخ خطهـا ... يـدُ خالدْ

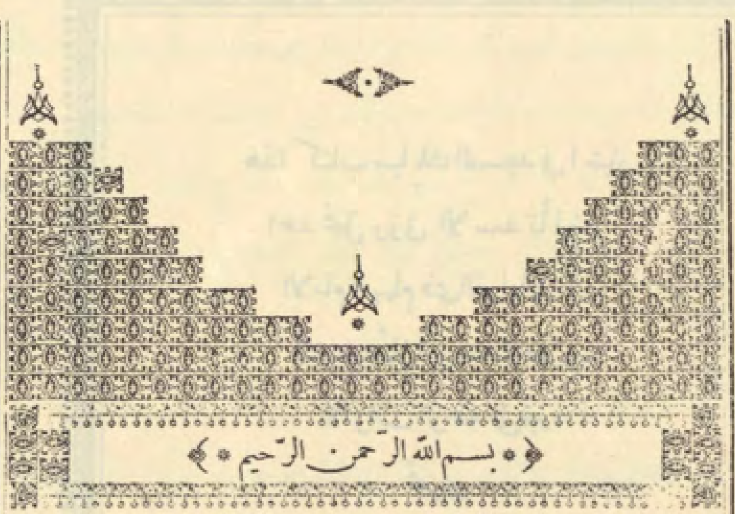
١٢٢٥ [١٨١٠م]

ثم ذلك وبشاه، راجي عفو الله ورضاه، والملتجي إليه في كل ما يخشاه، والمحتاج إليه في آخرته ودنياه، عثمان بن سند، غفر الله خطاه، وعامله بالألطاف والآلاء، إنه كريم متعالٍ، غفورٌ عن العبد مفضالٌ، وصلى الله على محمد الإنسان الكامل، وآله وصحبه الأكامل، ما ترنّم بالكرم حاتم، وتحلّت إصبع بخاتم.

هذا كتاب سبايك العسجد فى اخبار
احمد نجل رزق الاسعد تأليف
الامام الهمام ذى القول الاسد
الشيخ عثمان ابن سند البصرى
لا زالت الرحمة على قبره
تجرى
آمين

وكان وفات المصنف ببغداد سنة ١٢٤٢
ودفن بجوار الشيخ معروف الكرخى
عليه الرحمه

﴿طبع﴾
فى بمبى بمطبعة اليان سنة ١٣١٥



ان اولى مارنمت فيه انوف اليراع . ونسجت فيه برود الابداع * وطرزت مطارفه ببنان الابداع * حمد من نشر المكارم والويتها . وروض رياضها واقنيتها * ورفع آطامها وابنيتها . واحب تسانمها . وادر غمائمها . وفتح كمائمها . احمده حمد من اعمل بالحمد لسانه * واشغل بالشكر اركانه وجنانه * وزين بالمكارم بنانه * وبالطلاقة واللطافة احسانه . واشكره شكر معترف بامتنانه * مغترف من بره واحسانه . عارف بعلوشانه * واصلى على من نطقته البلاغة بنطاقها . وطوقته السعادة باطواقها واحاطته السيادة برواقها واركبته النجادة براقها وجلت به العبادة اجيادها واعناقها . وزينت به الرسالة اغصانها واوراقها . وكحلت به النبوة اجفانها وكلت به الرياسة نقصانها . ونظمت به السياسة جمانها . واغترب من البلاغة غاربها وشاى فى البراعه طالعها وغاربها . وتطوف الكمالات مشارقها ومغاربها * واذدرى منها ذراها . واصطفى من افراسها صهاها . وسايرته اربابها فاسرعه وابطاها

من الخفيف

هو لاشك للكمالات شمس ∗ غير ان ليس يعتريه كسوف

انجبته من الكرام جدود ∗ كلهم للعلا رؤس انوف

ان ارضعته بدرها المعالى * واسفر بمصباح هديه الليالى . فانه الانسان الكامل . وواسطة عقد الرسايل . وغرة وجه المكارم والشمائل

منه ايضاً

ان يكن راضعاً ثدى المعالى ∗ فهو لاشك اشرف الانبياء

او

(٣)

﴿ او يكن للعلا سماء فهذا ٭ قمر نير لتلك السماء ﴾

﴿ اويكن مصدر العلوم فكم كا ٭ ن لباغي البذل مصدر الاعطاء ﴾

اطلعته العلياء في سماها ٭ حتى شاى كيوانها وذكاها ٭ لاغرو ان صار احمد اباها ٭ واكرمهم كفا وانداها ٭ واعظمهم منصباً وارفعهم جاها ٭ محمد الذى نشر المكارم ٭ وكسر المصادم بالصوارم ٭ ونثر الغنائم للغانم

من السريع

﴿ كم ارسلت يمناه من جدول ٭ وسلسلت يسراه من جعفر ﴾

﴿ ان امطرت تلك فقل مزنة ٭ لكن بغير التبر لم تمطر ﴾

﴿ وان جرت هذى على معسر ٭ فهو مدى الايام لم يعسر ﴾

﴿ ارسله الله لنا رحمة ٭ فى هذه الدار وفى المحشر ﴾

﴿ قد قصر الكفر ومد الهدى ٭ مداً على الاسود والاحمر ﴾

﴿ كل المزايا ينتهى عدها ٭ الا مزاياه فلم تحصر ﴾

﴿ بذل بلا اكد اومن بلا ٭ من بما يلقيه من جوهر ﴾

﴿ اجود من ريح كما انه ٭ اشجع يوم الروع من قسور ﴾

﴿ ومن يكن جبريل خدناً له ٭ فقدره للناس لم يقدر ﴾

ارى تجاريه السحائب ٭ فى اسداء الرغايب ٭ اوشفرات القواضب ٭ فى فل النوائب ٭ لا ولا الرياح المرسله ٭ فى الهبات المجزله

من الرمل

﴿ كل جود فاليه ينسب ٭ او كمال فهو عنه السبب ﴾

﴿ رام ان يحكيه بحر زاخر ٭ فانثنى عنه فكيف السحب ﴾

﴿ كوكباً للمجد قد خلته ٭ غير انى لا اراه يغرب ﴾

﴿ كم نوال من اياديه جرى ٭ فجرت منه اياد تطلب ﴾

﴿ ولدى الحرب اذا ابصرته ٭ فهو بدر وظباه الشهب ﴾

﴿ كل حمد قاصر عن وصفه ٭ وعجيب فهو منه اعجب ﴾

(٤)

﴿ قل به ماشئت من اعجوبة * فهو فى الفضل البديع المعجب ﴾

به زوال كفر ذيال * والباطل متبختر مختال * فدحض الكفر بالابطال * والباطل بالنقض والابطال * ختم الرسل ورشحها * وفتح السبل واوضحها * واوسع المكارم وفسحها * ورفع الصدور وشرحها * وراود ته الدنيا فسرحها * و بدت اليه الآمال فنحها * والقيت اليه المشكلات ففتحها * ارتاحت الاكوان لطلعته * وتجملت وجوه الازمان بغرته * وتشرفت عدنان بنسبته * واخبرت الرهبان بنبوته * ونسخت الاديان بملته * واقرت الجمادات بمعجزته * ونطقت الايات بعلو كلمته * وتواترت البشارات بنصرته * وتكست الاصنام من مهابته * وارتفعت اعلام الاسلام برفع همته * وازهرت رياض الايمان بقواضبه * ازهار رياض الاحسان بمواهبه * كم انار لليقين من مصباح * وخفض فى رفع الدين من جناح * ورفع عن الموحدين من جناح (صلى الله عليه) وعلى آله المقتطع كالهم من كماله * الفائزين بتلقى ارساله * واتباع اقواله وافعاله * الذين كانوا من الرياسة اعيانها * ومن شجرة السيادة اغصانها * ومن السعادة اعلامها وعنوانها * ومن النباهة عمادها واركانها * ومن المروءة سحائبها ومن الفتوة كواكبها * ومن الملة قواضبها * ومن الارآء اقطابها * ومن الآلاء عبابها * ومن النجابة رقابها * ومن المهابة شبابها

﴿ تعطر من علياهم الكون فاكتسا * مطارف ذكراهم فزادجماله ﴾

اصبحوا من العليا صدورا * وتالقوا فى سماء الكمال بدورا * وارسلوا جداول الافضال فاضحوا بحورا

من الخفيف

(قرشيون هاشميون حلوا * من سماء العلا محل الثريا)

(وتساموا الى المثانى فحلوا * من بروج الثنا مكانا عليا)

(ادركوا بالهدى مآرب لما * قلدوا واقتفوا رسولا نبيا)

(قرشى النجار اضهر فينا * دينه الحق والقويم السويا)

وعلى آله واصحابه نجوم سماء المعالى * ورجوم المعادى باطراف العوالى

من الخفيف

(غرر فى الدنى صباح ولكن * فى وجوه من المكارم بيض)

(كلهم تابع بدين متين * فمذيل اذيال جاه عريض)

(قرضتهم آى الكتاب بمدح * جل عن مدحهم نسيج القريض)

كلهم

(٥)

(كلهم مهتد فمن يتقـد هم * فهو لا شك ذو فؤاد مريض)

دأ بوا فى المآ ثر الصالحه * ونصبوا فى تعاطى التجارات الرابحه * ورمقوا الدنيا بالبصائر فازروها . واقبلت عليهم بالحذافر فالقوها وتزخرفت لهم بالمفاخر فمارتوها وتولت عنهم فما بكوها تجردوا للعبادة عن الموانع وتفردوا بالسيادة عن المنازع الفوا المكارم قبل القاء التمائم * وشادوا المكارم قبل الاعتمام بالعمائم * وولعوا بثغور الصوارم عن مضاحك المباسم ورضوا بصهوات الشباظم بدلا عن ربوات المقاعد وعانقوا نحور الخاذم معانقة لبات الولائد صلى الله عليه وعليهم صلاة وسلاما منى اليهم ما ضحكت ثغور الدفاتر عن درر اخبـارهم وضحكت وجوه الاعصار عن غرر انشادهم وتعطرت برود المجالس بارج اذ كارهم وابيضت وجوه الاتباع باشعة انوارهم وفتحت كمائم الافئدة عن ازهـار اعتبارهم وماهفت رياح الاخبار * وصفت موارد اسمار الاخيار وطلعت شموس افتخار فى مطالع اشتهار وتألقت بروق الاسمار فى سحاب الاسجاع والاشعار واورقت اغصان الافراح وضاع رند المسرة وفاح ﴿ وبعـد ﴾ فانى مذ لبست للاداب قصارهـا واحتسيت صهباءها وذقت عقارها وتدثرت دثارها وشعارها وتنقلت فى اوطانها وتفيئت ظل اغصانها وتنشقت ارج اردانها وجريت طلقاً فى ميدانها لم ازل اعطن فى اعطانها . واسرح طرف الطرف فى رياضها واورد ذود الفكر فى حياضها وامرح مختالا فى خمائلها يميناو شمالا استشيم بارقها اذا سرى واجري مع هواها حيث جرى فارتاح للاسجاع ارتياح بنانى الى اليراع ومسمعى الى السماع اجرى فى امثالها الشارده جريان الوافد للعائده انضم فرائدها واتقلد قلائدها واعانق خرائدهـا واقيد اوابدها واحل معاقدهـا وادل على مقاصدها واعوج الى معاهدها نادبا دمنها واطلالها مصاحبا آرامها وآجالها متفرعا ذوائبها مغتربا كاهلها وغاربها منبسطا فى الطويل والبسيط هارجا مع كل خفيف الطبع بسيط واصلا فى مساها بين مروتها وصفاها ملتمسا ار كانهـا مقبلا سائلا فى غيطانها مترسلا ممتطيا ميطانها موجزا ومطولا حانيا بابانها جانيا جنانها مشنفا اذنى بشنوف امثالهـا مرتشفا بفى سـلافة اقوالهـا

من الخيف

(كم ظلام واصلته بصباح * ونهار واصلته بظلام)

(ساهراً فيه بين نثر ونظم * مرعفاً فيه آنف الاقلام)

(انتقى منـه كل معنى بديع * فى بديع من الا كارم سامى)

(٦)

(انما لذة الفتى نظم لفظ * رائق السبك باهر الانسجام)

(يتوخى فيه ثناء كريم * ألمعي الطباع مثل الحسام)

(كأبي يوسف الذي الف المجد * وبذل السماح قبل الفطام)

(راق منه الزمان وجهاً فاضحى * حاكياً وجهه بحسن ابتسام)

(كل جود من جوده مستعار * فاسئلوا عنه السن النظام)

(هل رأت مثل جوده من قديم * او رأت مثله بكل الكرام)

(فهو بحر للجود لم يعرف الجزر * راق بدر للمكرمات الجسام)

فمازلت ارقى فيهما من فن الى فن واتعاطى منها زماناً دناً بعد دن اتطوف البلدان واتعرف الوجوه الحسان من عدنان وقحطان اغزل تارة وامدح واعرض اخرى واصفح فاغزل ان غزال سنح وامدح ان جواد منح واصفح ان بخيل جمح كم وشحت من الوكه وكم رشحت من سبيكه وكم اجتزت في مجازماله من مجاز اقتنص الامثال اقتناص القانص الغزال وا كحل المقل بالسهاد كحل الاوراق بالسواد واولع بالرقم ولع الغانيات بالوشم

من الرمل

﴿ كل ماذاك لتحصيل فتى * مثل نصل السيف معطاء الّهى ﴾

﴿ او اغاني رشئاً ذا حور * ما رناء زاهد الا لهـا ﴾

فمحافلي حافلة باد با ارق طباعاً من انفاس الصبا وانظر وجوها من ايام الصبا واميل الى المفاكهة من افنان الربى تاخذ ازمة الاشعار بايمان الابتكار فمن مقلال ومن مكثار * فمن مسامر بغزل الطف من نظرات المقل ومن مادح لكريم ذي صباح وسيم

من الخفيف

﴿ رب ليل سهرته في وجوه * من سلاف الهوى تراهم سكارى ﴾

﴿ كلما انشدت عليهم صفات * لغزال امسوا سكارى حيارى ﴾

﴿ كغصون البانات في الطبع لكن * كنصال الظبي تشق الغبارا ﴾

﴿ كلما عسعت دجى كشفوها * بوجوه تشابه الاقمارا ﴾

﴿ يجمع الليل منهم كل وجه * تحسب الليل من سناه نهارا ﴾

﴿ اكسبتهم آدابهم كل طبع * اكسب الروض بهجة وبهارا ﴾

فينما

(٧)

فبينا نحن كذلك تسيل بنا اودية تلك المسالك تتنازع اطراف الاعاجيب ونتعاطى اللهو مع الرعابيب في ليلة ذات اسفار بوجوه السمار لا بالاقمار في رياض حفت بالازهار ورقت فيها بالاجنحة الاطيار في زمان ارق من طبع صب ومكان كوجنة المعشوق اذا صب اذا سالت بالاعناق الاسمار اودية مدائح الاخيار فاخذ كل ما ينشد ما عنده ويقرض من اجزل رفده ومده فياتي من اشعاره بالطفها ومن اسماره باظرفها ومن امثاله باجمعها ومن بدايعه بابدعها حتى انشد بعض من حضر في ذلك المحضر فاجاد وما قصر

من الطويل

﴿ سبرت الورى فلم اجد * سوى احمد بن الالمعي محمد ﴾

﴿ فتى ار يحي الطبع لو ان حاتما * رآه لرام الفضل من راحه الندى ﴾

فلما سمعه بعض من دأب في اقتناص حرفة الادب . انشد مرتجلا حتى اعجب الملا وقال كل منهم له بلى

منه ايضا

﴿ تذاكر صحبي بالاكارم ايهم * اجل اذا تطرى الكرام وافضل ﴾

﴿ فقلت لهم ان الاكارم جمة * ولكنهم عندي باحمد كملوا ﴾

﴿ هو البحر لكن مده غير جازر * هو السحب لكن كل وقت يؤمل ﴾

ولما فرغ من انشاده ما كمن في فؤاده قفاه بعض الجلاس مهتديا بهذا النبراس

منه ايضا

(يقولون لي فضل ويحيى بن خالد * كرام لكل منهم مد جعفر)

(فقلت صدقتم غير ان لكف من * ارى انه روح الندى مد ابحر)

(اولئك ناس انفقوا عن امارة * واحمد يعطي ماله وهو يتجر)

ولما استحسن الجالسون انشاده وعرفوا ما اراده وشكروا الاجاده نهض بعض من سمع فانشد من السهل الممتنع مايسكر الاسماع وياخذ بتلابيب الطباع

منه ايضا

(رايت الندى قد مات حتى نعيته * وحتى بكته بالدموع النواظر)

(فلما بدت في الكون غرة احمد * تألق منه ما طوته المقابر)

(فاصبح منشور الذيول كانه * لنا مثل بين البرية ساير)

(فما من يد الا وفيها عطية * ولا بلد الا له فيه شاعر)

(فلو رقموا بعض الذي فيه من ثنا * لضاق الفضاعنه فكيف الدفاتر)

(يداه لنا بحران والكل زاخر * وكل بسيط بالنوال ووافر)

ولما طرز بردشعره و كظم على اللؤلؤ نغره انبرى له آخر ورزله وفاخر جاريا على اسلوبه سارياً على مصاحبه الى مطلوبه

من الخفيف

(ايها المادحون احمد كفوا * ليس يحصي اوصافه شعر شاعر)

(انما احمد سماء كمال * ومزاياه كالنجوم الزواهر)

(كل بحر له مفاخر شتى * ونداه ما ان له من مفاخر)

وحين اطرب السماع بقصيده ، ورنح العقول بنشيده ، حاكاه بعض واوجز ، ولكنه اجزل واعجز .

من السريع

(قل للذي يزعم في عصره * ان الندى في احمد مفرد)

(احسنت لكن لا خصوص الندى * بل الحجى والعلم والسودد)

(كل له في عصره مشبه * ومثله في الناس لا يوجد)

ولما اقلع عن المقال ، وصمت بعد الارتجال ، وكنت ممن جمعه القدر ، بين تلك الوجوه الغرر ، اسرعت في انشادي ، واجريت في الحلبة جوادي ،

من السريع

(يا منشدي الاشعار في سيد * طلق الايادي في الجدي والجبين)

(يساره يسر لقصاده * واليمن معقود له في اليمين)

(كيف يجاري شعر كم فضل من * ما زال كالغيث على المعسرين)

(ابلج وضاح اذا يجتدي * ولو تناهى زمن المجتدين)

(يساره مثعنجر مزنه * والغيم بالقطر بخيل ظنين)

(قد اقسم العصر وصدقته * بانه ليس له من قرين)

(كل المزايا فيه محصورة * اعني مزايا السادة الاكرمين)

(لا يبرز الدهر له مشبها * فان يرم فهو من الكاذبين)

(خاتمة الاجواد في عصره * فهل ترى من بعده باذلين)

١ يابحر

(٩)

(يابحران كنت نظيراً له * فلا تكن يوماً من الجازرين)
(عطاؤك الماء وذا مدّه * درّ منق او نضار ثمين)
(كم نظمت يمناه من سودد * متثر اعي على الناظمين)
(وكم اياد منه مجرورة * مرفوعة الا عن اللائمين)
(قداتعبت اوصافه الغرّمن * كان له من جملة المادحين)
(اوصافه الامثال لكنها * سارت بها السنة الحاسدين)
(لا قطر الّا فيه ذكر له * يفوح كالمسك على الناشرين)
(يا مضر الحمراء نلت العلى * بسيد جمّ المزايا رزين)
(اصبر من طود اذا عضه * ناب من الدهر طريوسنين)
(اصدق فى الهيجاء من قسور * ولم يكن الا العوالى معين)
(كانه تحت طوال القنا * ليث تبدّى فى خلال العرين)
(يسطو بعضب قدحكى وجهه * او ثاقباً خرّ على المار دين)

فلما اكملت المقاله* ورشحت التماله* واطلعت بدور الجلاله* فى خلال تلك الهاله* واسرجت نورهده الذباله . من انوار تلك الغزاله . انصت القوم* ولم يفه احد بلوم* فعلمت اجماعهم على فضله* وان من عارض لايبعؤ ابنقله* فايقظت نائم الهم* واشحذت كليل العزم* وارعفت انوف البراع . واسجد تهافى محاريب الدفاع . ووشيت برود الاشعار* وحركت سواكن الافكار . لنشر ماانطوى له من الاثار . وزوجت بين المعانى والمبانى . لانتاج ماله من المثانى . واخذت انشر مطارف اذكاره . واذيع مكارم اخلاقه ومحاسن آثاره . واكشف عن وجوه مخدرات مقدراه . وان كن ذكاء فى رابعة النهار . وقفا نبك فى الاشتهار . فانظم لئالى البراعه فى عقود الاسطار . واجلو عرائس الافكار على منصات ماله من افتخار فان جواهر آثار الاجواد . مما تقرط به الاذان وتطوق به الاجياد .

ذكر احوال الشيخ احمد ابن رزق

من الطويل

﴿ سانظم من اخباره فى طلا العلى * خرائد لم تخطب الى الآن بالفكر ﴾
﴿ اذا جليت فوق المنصات القيت * معطرة الاذيال باسمة الثغر ﴾

على اني وان نظمت في مدحه الدراري . وجارت باقلامي كل نجم ساري . لاارا ني الا مقصرا . وان كنت مطنباً ومكثرا . كيف البلوغ لغاية كماله . والوصول لاحصاء افضاله . وقدافع الافاق بقطره . وحمل الاعناق بقلائد بره * ووجوه الاعصار تفرر بفخره * ورياض الامصار تزهر بذكره ، وسماء المعالي بانجم محاسنه ، وصدور الليالي بمراسل ميامنه حتى ادبرت افلاك الثناء على اقطابه ، وانيخت نياق الامال ببابه ، واستميحت جداول الكرم عن عبابه ، ولفت المروة بين اثوابه ، فصار جديراً ان يقرض بالدر المنثور * وتقرط آذان مكارمه بالنجوم والبدور ، ويتافخر بالوصول اليه ، والمثول في ناديه بين يديه *

من الخفيف

﴿ كم شريف سميدع ذي مقام * طلب العز بالوقوف لديه ﴾

﴿ امطرته من فضله مرسلات * ترسل الجود منه دأباً اليه ﴾

﴿ كيف لا ترفع الايادي الى من * خالص التبر صار مد يديه ﴾

﴿ ان يكن للكمال تاجا فهذا * مجده خاتم على خنصريه ﴾

عبق صيته في الاكوان فعطرها ، وظهر على ذكاء فغلبها وقهرها ، وتجلى على السيارة فسبقها وتصدرها ، وتبسم وجه اقباله في الاعصار فنورها ، وسجم وابل معروفه في الامصار فازهرها ، وطاولته الرواسي فما اطوله واقصرها ، وكاثرت مكارمه النجوم فكثرها ، وجارته الكرماء فكان اغزرها ، وبارته الحكماء فكان اشهرها ، قلد الرقاب منه ، وعلم الشباب سنه ، وارسل النوال وعنه ، وصحح الكمال وحسنه ،

من المجتث

﴿ فاق الملوك نوالا * فكيف يبقى التجارا ﴾

﴿ فكم له من اياد * معروفة لا تجارا ﴾

﴿ اذا تألق وجهاً * ابصرت فيه اليسارا ﴾

﴿ وان مشى للمعالي * ادركت فيه الوقارا ﴾

﴿ يأبى اللجين احتقاراً * ويصطفيك النضارا ﴾

﴿ يلقى الضيوف بوجه * تخال منه النهارا ﴾

﴿ من وجنتيه تسامى * سنا الندى واستنارا ﴾

﴿ بدا والبخل اسر * ففك منه الاسارا ﴾

واكثر

﴿ واكثر البذل حتى * منه استقل البحارا ﴾

وبالجملة فهو الجوهر الفرد فى عصره . والعلم المرفوع على اقران مصره . والمشار اليه بالانامل فى قطره . والمبتدأ الواجب تصديره والفاعل اللازم بروزه وظهوره * والعالم المفقود فى الايام نظيره . والمعروف باداء التعظيم ولم يعهد تنكيره . والمخصوص من جنسه بالتكريم فامتنع فى الانام تصغيره . والمنعوت بنعوت الاجلال* والمصدر لكل كمال واكمال* والمستثنى بكرم الايادى * فى الحضر والبادى* والمميز بالاحوال المرضيه * والمضاف اليه الكمالات الانسانيه . والموصول الا انه ذو صلات . وعوائده غير منتهيات* والظاهر بكل فضل* والمضمر فى كل عقل * فهو قطب تدور عليه افلاك المواهب ، وطالع لا تناظره الطوالع والغوارب . وسحاب لا تماطره ندى السحايب . وعباب تنصب منه جداول الرغايب ، وقبلة يستقبلها القاصد . ويحن الى زيارتها الغايب والشاهد . وزمزم يستعذب نبعها الصادر والوارد . ويترحل الى سقايتها المسنت العائل . على الغارب والكاهل ، وركن يستلمه السائل ، فيرجع بالفضل السائل

من السريع

(يا كعبة المجد وركن الندى * ويامنى السؤال والراغبين)

(ادركت مجداً شامخاً باذخاً * يسموا على الماضين والآخرين)

(خلقت من ماء الندى خالصاً * فانت تعطيه من المخلصين)

(كم قائل احمد كم مسرف * نعم ببذل الكف للمعتفين)

(كم من مسيف جاءه طالباً * فرد عنه بالعطايا سمين)

(يادهر ان حاكيته عزمة * فكن كما كان من المنصفين)

(ويا سحابا ظن شبهاً به * امطر بلا رعد على المجدبين)

(وافعل كما يفعل عند الجدى * فانه الضحاك للمجتدين)

(احلم من قيس على انه * كبخله حلما عن الجاهلين)

(افعاله بيض وغاراته * اسود من ليل على المعتدين)

(كم غارة شعواء يسمو بها * يقدمها ربط جاش رزين)

(والنقع كالليل ولمع الظبا * كدينه المتضح المستبين)

(لولا بريق البيض فى النقع لم * يك فى الطعن من المهتدين)

(كانه فى مضر عنتر * وحاتم فى طئ الا كرمين)

(اعزجاراً من كليب وان * يكن لغالى المال بذلا مهين)

(يبيت من جاوره آمناً * كانه فوق الثريا رهين)

(قد ضربوا الامثال فى جوده * حتى على السنة الكاشحين)

(كم حاسد رام علاه فما استطاع لها فهو من الخاسئين)

(يا بدر ان قاومته رفعة * فلا تكن يوما من الكاسفين)

(تلك معاليه التى شادها * اظهر من نور الضحى المستبين)

(يعرفها اعداؤه جهرة * عرفانهم للشمس عين اليقين)

(لن يطفئ الحاسد من نوره * ما اظهر الله فقطعاً يبين)

رام حساده ان يدركوا مقداره ، او يسبقوا آثاره ، ولم يشقوا غباره ، وارادوا ان يطمسوا مناره ، فابى الله الا اعلائه واظهاره ، مهدهو والمكارم فى مهد ، وارتضعا فكان راضعهما المجد * وكفلا فما كفلهما الا السعد ، وحضنا فما حضنهما الا السعاده ، وختن هو فما خاتنه الا السياده * حتى تنقل من الاحوال السعيده ، الى الاطوار الطيبة الحميده ، وبلغ مبلغ الرجال * وهو اخو الكمال وابو الجلال * ينشر للفضائل كل طى ، وينشر الفواضل لنشر اخى طيء ، وينادى لسان المكارم له اننى انا حاتم

من الطويل

(الا ايها العافون ان رمتم الندى * فمن كفى السخاء لا من يد البحر)

(فكفى لم تفترعن المدّ لحظة * وذلك ان يمدد فكم كان ذا جزر)

(وذاك اجاج الماء دأبا عطاؤه * وكفى تعطى الدرّ اوخالص التبر)

(وان سحاب الجوّ يمطر ساعة * وكفى سحاب للنوال مد الدهر)

(ولا فضل فى الايام الا لراحتى * فكم معسر قد اطلقته من العسر)

وانى

(وانى من قوم نمتهم جدودهم * الى شرف يسمو على قنة النسر)

(لهم شرف لا يرتقى وفضائل * اذا حسبت اعيت عن العد والحصر)

(وقايعهم سود وان تك دائما * مطرزة اذ يالها بالظبى الحمر)

(لئن كان آبائى لهم كل سودد * على كل من رام التصدر فى الفخر)

(لما تم ذاك الفضل الا بطلعتى * كما تمت شمس الضحى طلعة الفجر)

(فسل عنى الآفاق هل كان نائلى * يسيراً وهل كان افتخارى لايسرى)

(وهل كان مجدى يستطاع سموه * وها هو مركوز الدعائم بالتبر)

(اولئك قومى خير قوم وجدهم * اذا ماجرى حيان يوما الى فخر)

(هم يحسنون الضرب فى طلب العلى * كما يحسنون الضرب والطعن بالسمر)

(بهاليل غران الوجوه اذا سجى * غبار ازاحوه بمصيبة غر)

(شفاميم لا يرضون مركوبهم سوى * ضهور خيول تحت اسيافهم تجرى)

(جروا تحت اضلال الرماح تظلهم * صوارم سلوهن من وهج الحر)

(اذا اصلتوها خلتها من اكفهم * ثواقب زهر اوشقايق فى زهر)

(حيون الا انهم فى نزالهم * اشد بروزاً من سيوفهم الحمر)

(منازلهم اعلى الندى وهى فى الطلى * اذا ركبوا ظهراً نزلن على نحر)

(لهم كل فخر لا يجارى وسودد * عظيم ومقدار يجل عن القدر)

وحين قضى لسان حاله * من نعت بعض احواله * صمم العزم على ماقصد . واحال يستنجز به ماوعد . من انشاء ترجمته . ونشر برود مكرمته . وذكر احواله من مولده لموته . بعبارات هى السلسبيل . واشارات ارق من نظرات الخليل . واسجاع تشفى العليل . وتروى الغليل . اشم وجنات الطروس بالسطور . واصباح الازواج بالديجور . اجانب القصر مجانبة الشارب الخصر

من المرسل

﴿ كلماذاك لتحصيل هوى * كلما سكنته لا يسكن ﴾

﴿ فى مزاياه التى اقلامنا * عجزت عنها فكيف الالسن ﴾

﴿ كلما ابصرته قلت به * كل شئ فيه فهو الاحسن ﴾

سيدسوده اصله ، ومجده على كل ماجد فعله ، ان نطق فصل ، وان انفق ارسل المثل ، او رنا انكسرت المقل ، وطوطئت الرؤس من الخجل ، ان نظرت الى مرابعه فخضره ، اوالى وقائعه فقائمة محمره ، اوالى صوارمه فهي للنقع غرره ، اوالى دراهمه فهي لم تألف الصره ، اوالى وجهه فباسم ، اوالى راحته فسحاب ، اوالى رفده فساجم ، اوالى افنيته فرحاب ، اوالى جلسائه فاقطاب ، اوالى ندمائه فالطف من الافنان واظرف ؛

من الطويل

﴿ تكاد على الاوراق منهم طباعهم * تسيل ولكن لا تسيل الطبايع ﴾

﴿ اذا ما تعاطوا للفنون تفننت * جوامع من افكارهم وبدايع ﴾

اراد بها الكويت

قد ابرزته قدرة القادر ، من الرحم الطيب الطاهر ، منتميا الازكي العناصر ، في بلدة مصغرة فكبرها ، حين تبوئها وتدبرها ، ولعمرى انه اجل مقداراً ، من ان تخذها دارا ،

من الخفيف

﴿ شرّفتها واوصافه الغرّ لما * ان تسامى في دوحها وتعالى ﴾

﴿ وتعالت على البلاد ولما * ان قلاها كانت بعيني تعالى ﴾

وكان اول ما رزقيها ، مصدرا كابيه في زوائيها ، تخال النجابة فيه ، والبراعة ظاهرة من فيه ، تسمو به نفسه وهو رضيع ، الى كل مقام خطير رفيع ، حتى ان الصبيان ، لتعرف له الشان ، وترفع له المكان ، حتى ذكر لي بعض الاتراب ، الملازميه ايام الشباب ، انه جلس مع الاولاد ، عام عشر من الميلاد ، فبرز له معاشر ، في صورة شاعر ، فانشده من منظوم تلك البلده ، ليعلم بذلك رفده ، وعندما كل ماعنده ، قام اليه وكساه برده ، فانثنى الغلام جذلا ، بما امده يمشى الخيزلا ، ولما اخبر ابوه استبشر ، وقال لابني شان يظهر ، ثم لم تمض الايام ، اقصر من لي الزمام ، حتى اخذ يبتاع الجواهر ، استعانة بذلك على المآثر ، وهو مكفول بابيه ، مختالا بالدلال بين ذويه ، ملحوظاً بلواحظ الاكرام ، من الخاص والعام * مشاراً اليه بالاصابع * معروفا بكريم الصنايع * مالوفاً بظريف الطبايع * ملقية اليه المعالى بعنانها * ناظرة اليه بانسان اعيانها .

من الخفيف

﴿ سيد ماجد كريم عظيم * حاتمىّ بطبعه مضرىّ ﴾

﴿ علويّ مقدم في المعالى * ليس يحكيه همة عربىّ ﴾

﴿ ما راينا نظيره فهو لا شك * وحيد في عصره اوحدىّ ﴾

المى

(١٥)

﴿ المعي يحار طرفك فيه * كل وصف يسمو به احمدي ﴾
﴿ كفل الناس بالمكارم طرّاً * فهو لاشك للعفات الوصي ﴾
﴿ رمقته العلى بطرف خفي * وهو بالمهد والرضاع صبي ﴾
﴿ قلدته قلادة الفضل حتى * غارمنه وفضله البرمكي ﴾
﴿ قام سوق الندى بفيض اياديه * كما قام بالكرام الندي ﴾
﴿ اورقت مذبدى غصون المثاني * اذسقاها من صوبه ثروي ﴾
﴿ اسد فى الوغى هزبر ومهما * كلح الدهر فهو غيث روي ﴾
﴿ عامري فى الطبع نجل معاذ * وابوه ان صرصر السمهري ﴾
﴿ خطبته بكر المعالى صبياً * فابتناها والفضل فيه الولي ﴾
﴿ رام اعداؤه صعود معاليه * فردوا والكل عنها قصي ﴾

فمازال يحيي الآمال من حلها ، ويصرفها فى الاحوال على اهلها ، ويعدها لفل النوائب وحلها ، ويثابر على مفروضات المكارم ونفلها ، ويدعو العفاة الى طرقها وسبلها ؟ ويدعو الى سننها ويهدى الى سنتها ، ويدلى افنا ـ فننها ، حتى تناقلت اخباره الركبان ، ونشقت عطر اذكاره معاطن الاوطان ، وسالت بسيبه الغيطان والميطان ، وارسلت جداول راحته فى الراحات ، وجرت بمجرور مده بطاح الساحات * وسرحت ذوائب اغصانها * ونشرت مطارف ريحانها ، وصفت مشاربها ، وكرع بالفم شاربها ، فالاذان باخباره مشنفه . والاعيان بنظراته متشرفه ، والعطايا من يساره مغترفه ، والكمالات به مؤتلفه ، والافضالات بصلاته متعرفه ! واذيال المروات ببنانه مطرفه ، ووجوه السادات فى ناديه مصففه ، لا تنتهى كالاته كالاتتاهى صلاته ، ولا تحصر افراد ماله من احسان ، بنطاق يراع ولا لسان ، منهجه اقوم المناهج ، ومدرجه افضل المدارج ؟ يعرج عروج البدور ، ويدرج مدرج الصدور ، هو قس فى فصاحته ، وكعب فى سماحته ، ووائل فى عزته وحمايته ! وجساس فى فتكه وانفته ، وملاعب الاسنه ! ومجير الجراد فيما نسه ، اشجع من ابن عباد ، وابدع من ابن عباد ، وامنع عزة من ابن زنباع ، واصدق من القطا بالاجماع ! واسرد من السهم ، واحد من المخذم فى العزم ، واصبر من ذى ضاغط فى النوب ، ومن عود بجبيه جلب !

جساس هو ابن مره قاتل كليب

(١٦)

(صري عزم من ابي سمال * ان فدح الخطب على الرجال)

يصمت عن وقار * وينطق فيرتفع المقدار * بلفظ يؤلف بين النهار والظلام * وتفهم اعجازه من صدوره قبل التمام

من الكامل

(مولى اذا ما حاك بردمقالة * فى مجلس عرفوا له المقدارا)

(يوليك الفاظا كدرّ محارة * بمضاحك تدع الضلام نهارا)

(قد البس الايّام حسن بهائه * وكسى الانام مهابة ووقارا)

(طلعت على زهر الكواكب شمسه * فرايتها رأي العيان صغارا)

نجم نجم سعوده فى سماء الشرف * فاخفى ضوئه كل سدف ؟ دأب فى تقييد اوابد الاداب دابه فى تقليد المنن الرقاب ، حتى لم يبق جيدالاوله فيه سخاب ، وحتى قبل منه الايادى ، الحاضر مناوالبادى ؟ كيف لا وهو ابن رزق العفاه ؟ واحمد من اهتز للندى عطفاه ؟ وافصح من نطق بالحكم فاه ، وامجد من ظهر فى الافاق سناه * واسعد من تلألأ فى وجه الشرف سناه * واشجع من هز عطف قناة وثناه * لم يبق معطس الاانتشق من رياجده ، ولازند جلال الاوتحلى بسوار مجده ، ولاخنصر آمال الاوهى حالية بخاتم مده ! ولاعقد كمال الاوهو واسطته ، ولا نحر شرف الاوهو قلادته * ولاسموالاوقدانيطت به سيادته * ولاافق الا وهلت فيه سعادته * قام على انه المفرد فى كماله ؟ المتعالى على نضرائه واشكاله ، ادلة لا ترد نصوصها * ولا تقلع من خاتم البرهان فصوصها ! لايدرك فضله بالقياس ! ولايدانيه زحل فى الشرف ولا ايقاس *

من الخفيف

(ان يكن اشرف الكواكب دارا ، فهو لاشك عدّ اشرف منه)

(ليس من سود دفا حلّ فيه ، ونوال الّا وارسل عنه)

(ان يكن البس الوقار رداء ، فهو رضوى حلما متى ماتزنه)

(مسرف فى العطا فان رمت سرّاً ، قد ثوى فى الفوآد منه يصنه)

(مالاحسانه المواصل حدّ ، لاولا فى الورى له حدّ كنه)

لاجرم ان نعت باكمل الاوصاف * ونظرته نظر تودد الحاظ الانصاف ؛

من الخفيف

كيف تحصى عاداته الاقلام ، او تحاكى عزماته الايام

٢

هو

هو كالبدر فى الصعود ولكن ، ما عليـه من مبصر به ظلام
لم يزل للثنآء يدأب حتى ، ادرك السودد الذى لا يرام
نظرته عين السعود فاضحى ، مسعداً فيه للسعود ابتسام
ان دهراً امسى به لزمان ، فيـه للفضل والمعالى قيام
اقسم الدهر وهو فيـه صدوق ، ان هـذا للمكرمين الختام

عود المروة فما صبر عنها ؟ ومازجته السيادة كانه خلق منها ؟ وتجلى على الرياسة منكرة فعرفها * وعلى السياسة متفرقة فالفها ، وعلى اعباء المكارم وهى لم تطق فتكلفها ، كم جمع من شارده * وقيد من آبده ، وافاد من فائده ، واجاد من عائده * وامد من مائده * واسقى من وارده * واغنى من وافده ، اعرق للمجد واشأم ، وانجد للحمد واتهم * وغار للعليا ولم يسأم ، حتى فوق حمده كل فم ، ونشق مجده كل معطس وشم ، ورقم فضائله كل قلم ووشم ، وحتى قيل فيه مادرج ، حدث عن البحر ولا حرج ، ان صدرت عن كفه الالاء ، فكم صدرت من فكره الارآء ، وان كان مصدر للتقوى ، فانه مصدر فى الرتب القصوى ، طاول الشم فطالها ، وزعمت مضارعته فانى لها ، فلا غرو ان زهت به وجوه الصداره ، وزادت به المكارم بهجة ونضاره ، اذ هو الكشاف للمعضلات ، والمصباح للمشكلات ؟ والغاية فى الكمالات : والمنتهى اليه فى المهمات ، والغنية للطلاب ، والحاوى لنضافة الاثواب ، تلتقط درر الفصاحة من فيه ، ويقتطف زهر السماحة من روض اياديه ،

من الرمل

(ياله من سيد ما فتحا ، كفـه الا وفضلا منحا)
(واذا ما انفتح الثغر له ، فاق فى الافصاح قس الفصحا)
(هو قطب فى سما المجد بدا ، ماله الا معاليـه رحا)
(علم السحب الندى ان زجرت ، اوجه الافق وابدت كلحا)
(للنـدى يهتز عطفاه متى ، ماجرى ذكر الندى اومدحا)

وازن الاطواد عقلا فرجحها ، وبدى على الفاقات فزحزحها ؟ وتعاضت المعضلات ففتحها ، وابتهمت طرق المروة فدمثها وشرحها ، وعقمت قضايا المواعيد فانتجها وانجحها وانقشعت غمائم المكارم فانشأها والقحها * وبارزته الاسد فنطحها اذناطحها ، وعارضته الجهلة فاضرب وصافحها ، ان اتعب نفسه ، فقد فاق بالفضل جنسه ، وان اكثر بذله فقد

(١٨)

شأى من قبله ، هذا وحيث اشرنا الى بلده المصغرة وضعا ، المكبرة بطلعته عظما ورفعا ، فنقول هي ﴿الكويت﴾ بضم الكاف واسكان الياء بلاخلاف على ساحل بحر العمان ، بفتح العين فى ضبط ذى الاتقان ، لم تعمر قبل ورودابيه المعظم الشان ، الاربعة من الزمان ، سكنها بنوعتبه : ولهم فى عنزة بن اسد نسبه ، والذى يظهر انهم متباينوا النسب ، لم تجمعهم فى شجرة ام واب ، ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض ، وماقارب الشئ يعطى حكمه على الفرض ، والمقدم عليهم حين ورودابيه اليهم (عبدالله بن صباح) وفقه الله للصلاح ، وكان لماقدم ابوالمشار اليه ، يفوض ابرام الامور ونقضها اليه ، حتى انهم قبل وصوله شرذمة قليله ، ذووامسكنة وذله ، وحين جعلوه لارآئهم قبله ، وفوض خواصهم الامر اليه كله ؟ شداسرهم وسد ثغرهم ؟ ورأب صدعهم ؟ ونصب جمهم ؟ فمافرع الثروة فى تلك البلاد ؟ وطمى بحر المكارم وزاد ؟ واقبل العز بعجره وبجره ؟ واطلع المجد فى سما ئها وجه قمره ؟ وذلك ايام صغره ؟ فتصدرابيه فى اموره ؟ ارهاصا لظهوره ؟ وعلامة على انه صدر بدوره ؟ وانه الدرة التى سمح بها القدر ؟ حتى اغلقت ولله الحمد عن درر ؟ هى لرياض الفضل زهر ؟ ولوجه العدل غرر ؟ على ان اباه كان ذا ايمان ؟ ثابت البنيان مشيد الاركان ؟ يعمر المجالس بالنفاسه ؟ والمساجد بالتلاوة والدراسه ؟ ذارأى ثاقب وتدبير صائب ؟ اثبت من الرعان ؟ ان قلب المجرة الزمان ، واكرم من السحاب الهتان ؟ عظيم المقدار ؟ خصوصا عند الاخيار ؟ واصلا للارحام ؟ بالهبات الجسام ؟ دائم الابتسام وافر الاحتشام ؟ يضيق نطاق الحصر عن افراد شانه ؟ ويعجز الزمان عن حمل اعبائه ، وماذاك الالاسفار نجله الكريم ؟ على صفحات وجهه الوسيم ؟ فلقدلف الجد اباه بعطرف الجد ؟ وعطف عليه بطرف السعد ؟ حال ايجاده ؟ فى الرحم وقبل ميلاده ؟ فممت السعادة اباه ؟ مذتلا لاسناه ؟ ولقد اتجر فى التالى ؟ بثلاثة دنانير اقترضها من الوالى ؟ فبلغت فى زمان يسير ؟ ثلثمايه على التحرير ؟ كماروى ذلك افضل مجالسيه ؟ والطف مسامريه ومؤانسيه ؟ كما تقف على ترجمته ؟ وتشر بعض برودصفته ؟ فى ذكر اصحابه ومسامريه فى رحابه (الشيخ محمد بن سلوم) حرسه الحي القيوم ؟ وفى عام مبارك البدء والختام ؟ ارخه ختام ودوسلام سنة ١١٨٨ انتقل ابوهذا القمقام الى الاحسا من البحرين ، وصار فيها بمنزلة الانسان من العين ، فاتدفيها الاوتاد واجزل فيها الارفاد ؟ وبذل فيها المعروف ؟ على المجهول والمعروف ، وحصل له ببركة هذا الغلام ؟ اتم الاكرام من الحكام ؟ وصار الخاص والعام ، له بمنزلة الخدام ؟ تناخ على بابه الركاب ، وتأتيه الوافدون من كل اوب وباب ، فاقام فيها تنشر محاسنه ؟ وتحمد مساعيه وميامنه ، بطانته خير بطانه ، تأمر بالمعروف

وتنهى

الكلام على بلدة الكويت

ترجمة عبدالله بن صباح شيخ بلدة الكويت

ذكر انتقاله من الكويت الى الاحسا من البحرين

(١٩)

وتنهى عن الخيانه ، تبتسم ثغور مكارمه ، وتمترى اخلاف غمائمه . فازال كذلك ينهج هذه المسالك ، ويدمث تلك المبارك ، باقدام الاحسان المتدارك * والنجل العظيم ، منظور بنواظر التعظيم ؟ قائل فى افيا ، رواق السياده ، طائل بر كوب براق النجاده ، مصحوب بالصدور ، محبو بالحبور ؟ سائر ابان الطفوليه ، احسن سيرة احمديه ، باسمة فضائله ، ساجحة فواضله ، يتنافس مع اقرانه ، لو وجدوا فى ارسال احسانه ، يفوح فى ناديه عبير الانشاد : ويلوح فى سحاب اياديه بارق الامداد ، ماجلسائه الا النبلاء ، وماسمار دموه الا العقلاء ، يتشرف بالوصول اليه المجالس ؟ وتتطاول بطى اقدامه المجالس وتتفاخر بلمس بنانه ، واستلام كعبة احسانه ،

من الرمل

(فتى الوفّاد تقبيلهم ٭ يده اذ هى و كن للندى)
(شرف من دونه هام السهى ٭ اترى تبلغه ايدى العدى)
(ليس فيه قط عيب ماسوى ٭ انه فى الجود يدعى مفردا)
(اتعب النفس ابتغاءً للعلى ٭ فغدى فيها الامام الاوحدى)
(لا تراه ابداً الا ترى ٭ عنه موصول المثانى مسندى)
(جادروض الفضل منه ديمة ٭ اوما تبصره قد وردا)
(مطلق الافضال فى اصحابه ٭ كل يوم منه فضل جدّدا)
(زان نحر الدهر من افعاله ٭ حيث من افضاله قد قلدا)
(لا ارى بدر كه فى شأوه ٭ قمر الجو اذا مدّ اليدا)
(لو درى الناس الذى اعلمه ٭ نظموا فيه الدرارى ابدا)

فاكان الايام ، كانها لطافتها طيف منام ، حتى انتجع ابو هذا السيد الهمام ، منتجعا منه بروق العز لائحه ، وارواح الكرامة فى اندائه فائحه ، ونتائج التدبير فى جوانبه صالحه ، وسروح الفضل فى مرابعه سارحه ، وغزلان الادمى فى كلاعبه سانحه . بعد ان عمل الراى فيه ، ان يتخذه منزلا ويصطفيه ، اميز كه ولابانيه ، ووافقه على تدبيره ، فى اتخاذ ذلك المنتجع وتعميره ﴿ خليفة بن محمد اشرف بنى عتبه ﴾ الحائز من رتب الفضل ارفع رتبه ، فتعاضدا بعد الاستخاره ، وتسديد سهام الاستشاره ، على تعميره وتسميته بالزباره ؛ فعمراه واحكما منه العماره ، وزيناه بالعدل فى البداوة وذوى الحضاره ، حتى ضرب المثل

ترجمة خليفه شيخ بنى عتبه

الكلام على بلدة الزباره

بمحاسن آثارها * وشنفت الاذان بمحاسن اخبارها * ووضعا المكوس عن الاموال ، وساويا بين الغنى والمقلال * عمرا فيه المساجد للراكع والساجد وشيدا فيه المدارس ، للقارى والمدارس ، فلله ايامهما ما ابهجها ، واكثر خيرها وفرجها * اعملت لزيارتهما يعملات العلماء ، وجلت بجمالهما وجوه الكرماء ، وهما وان سبقاه عصرا * فقد سبقهما مجدا وقدرا ، فقاما سايرين احسن السير ، لولا التقى قلت هما كعمر ، عادمين النضير ، ماضى الابرام فى الصغير والكبير ، ما نقضاه لم يبرم ! وما ابرماه فهو الحكم المحكم ، حاكمين على وفق السنه ، قامعين لكل جور وفتنه ، وبالجملة فهما فى سماء المعالى ، النيران فى الايام والليالى ، غيران فضلهما الاتجارى فضله ، وان كان فى الايجاد قبله ، بل لا اظن الزمان يبرز مثله ، هذا وهما وان كانا الغاية فى الشرف ، ولؤلؤين السودد المعترف ، وسحابتى النوال المغترف ؟ مكتسبان من نير اقباله ، منتسبان الى كماله ، ففضلهما فرع فضله ! فقد يتشرف الاصل بفصله ! فتبين انما سبقا اليه ، مقدمة بين يديه ، فهو الحقيقة فى ابرازه ، وهما بمنزلة مجازه ، فاز الاسعدين بطلعته ! متيمنين بمشورته ! عارفين لمنزلته ، متفرسين فى ظهور دولته ، عالمين ان المجد عقد هو واسطه ، وروض هو وردته ، وصدفة هو دردتها * وطرة هو عزتها : وسماء هو زهرتها ؟ وشجرة هو ذروتها ، ورحى هو قطبها ، وصمصامة هو غربها ، وجنة هو قلبها * وهالة هو بدرهـا * وعدة هو جذرها ؟ ومقلة هو انسانها * ورسالة هو عنوانها ، وقصيدة هو بيتها ، وذبالة هو زيتها ، وعين هو نبعها ، ونبعة هو فرعها ، حتى مات ابوه ، وكثرت فى الافاق ناعوه وتعاكف على قبره دانوه ،

من الطويل

(سقى جدثا فيه عفاف وسودد ، وساكب جود لا تكال سحائبه)
(ورأي وتدبير وحزم وهمة ، وثابت حلم لا تزعزع جانبه)
(فيالك قبرا ضم اعضاء سيد ، اذا ضن خلف المزن هلت مواهبه)
(كريم نعاه جوده ووقاره ، وناح عليه حلمه ومناصبه)
(وناحت عليه الكائنات باسرها ، فما بلد الا وفيه نواد به)
(وناح عليه السيف صلتا ومغمدا ، وناح عليه فى الحروب سلاهبه)
(فامسى به افق المروة قائما ، تساقط من حزن عليه كواكبه)
(فلولم يكن ربع الثنا منه خاليا ، لما لطمت منها الخدود كواعبه)

ولولم

(٢٦)

{ ولولم يكن بدر المكارم كاسفاً ، عليه لمااسودت بحزن غياهبه }

{ لئن غاب منه الجسم فى القبر لم تغب ، مواهبه من بعده ورغائبه }

{ وما مات من ابقى له مثل احمد ، وان مات فى رأى النواظر قالبه }

فبقى بعد موت الوالد ، ليس له من مساعد * على كرمه الا الكف والساعد ، حتى بقى اكثر من عام لا يألف المنام * حذرا من معاديه ، ان يقصر عن مكارم ابيه ، فمازال يسدد ويقارب ، ويعمل سهام الرأى الثاقب ، فى اصابته اعلا المراتب ؟ الى ان نظرته السعاده ، وصدرته على ربى ابيها السياده ، ورقته على منابرها ، واقبلت عليه بحذافرها ، فلا ألهى بعظم الملهى * والقت اليه المروءة قلائدها ، وسلمت اليه الفتوة مقالدها * فترقى الى مقام لا يستطاع ارتقاؤه * ولا يطاق الا منه بناؤه .

{ تقاصر عن ادرا كه كل فاضل ، ولو انه بدر الدجى فى تمامه }

{ورام ضحوك المزن يشبه وجهه، اذا مارجى الاضياف ودق غمامه}

{ فيالك من مولى سعدنا بكفه ، كما شقيت اعداؤه بحسامه }

{فما الفضل الا كعبة انت ركنها ،فها نحن نرجو الفضل عند استلامه}

{ تمسك من افضاله بحباله ، تمسك مطرود بحبل ذمامه }

{ ارى كلنا يسعى ولكن خيرنا ، فتى دام يسعى نحوه لاحترامه }

بنفس ابيه : وشيمة عربيه ، وهمة اسكندريه * وسياسة شرعيه ، ومكرمة حاتميه ، وشجاعة علويه ، فمازال كذلك والايام له مساعده ، واجفان الردى عنه راقده ، محفوفا بالصحاب * هم لدوائر اللطافة اقطاب ، ولجيد الضرافة سحاب ، ولرياض النباهة ازهار ، ولافلاك السماحة اقمار ، فمن اصطفاه للمجالسه ! وارتضاه للموانسه ، ور آه معدنا لاكبير اسراره ، ومطلعا لشمس اسياره ، وصدفة لئالى اخباره ، الهمام الالمعى ، والامام اللوذعى ، (على بن فارس) الذى هو فى كل فضل فارس ، الجانى ثمر الثنا ، اذ كان لاصوله غارس : يطبع ارق من انفاس الصب : واميل من معاطف الغصن الرطب : يفئ من افيا ، الادب افيح في ، ونشر مكارمه فطوى ذكرطى : وبسط موائد زينها اخلاق : الطف من نظرات الاحداق : فكم كسى سائلا برده بحر جامن جبهه ورده على ان هذه الطباع : من طباع احمد بلا نزاع : ان مدح بالقصائد : فكم منح الفوائد : حتى قال فيه لسان الحال

ترجمة الشيخ على ابن فارس

(٢٢)

من الطويل

﴿ اليه تناهى الجد والعز والبذل • فكل ثنا • تم فهو له اهل ﴾

﴿ يحن الى الاعطا • حنة عاشق • الى الحل لما ان جفاه ذلك الخل ﴾

قدروينا عن بعض الثقات ، اللائذين بفناه ، كالاذت بفنا قناه ، ان بعض المملقين : وقف عليه في جماعة ماشين ! فالتفت الى احدهم وقال : مانعطي هذا من نوال ! فقال اعطه درهمين ، فانهما عنده بمنزلة العين ، فقال هذا اللائق به لابنا : ونزع ملابسه فكساه فانثنى ! وانشد بعد ماولى معلنا :

منه ايضا

(على قدرنا لاقدر من جاء سائلا ، تطاوعنا فيما نريد المكارم)

(اذارام مناسائل الرفد قدره ، اتت فوق مايبغيه منا العزائم)

(لنا كرم تأبى العزايم انه ، يحاكى ولوان المحاكى الخضارم)

وبالجملة فبذله واف سار كالمثل : وملأ الوهاد والقلل ! فانه من جود احد مختزل ! كما ان جود الميزاب : من جود السحاب ! فمازال او كلاهما لايعدل احداً بصاحبه ! ولايميل لجانبه عن جانبه ! حتى قال بعض من الفهما ؟ وعلم ماعليه حالهما ! اذا قال ابن فارس له وهو سقيم : قم قام وهو مما يشكوه سليم ، وسبب تفضيله له ! وتعاطيه تعظيمه وتجيله : ماخول من النجابه : والظرافة واللبابه ! ان ملك ناصية الكتابه ، فقد كان فيها الصاحب ! اوابن العميد الكاتب ! بلغ من الحكمة غايتها حتى صار آيتها ! سريع الترسل ؟ بديع التامل : ان انشأ رساله ! فهى للبلاغة هاله ! وبالجملة فهو الكامل فى ادبه ؟ الواصل الى اصحابه بسبب نشبه : هذا وقد كان البديع فى زمانه : والربيع بطيب اوانه ! والجلال فى اتقانه والامام فى برهانه صدراً فى المجالس ! وبدراً للمعاشر والمجالس ! ونهراً يمده البحر الزاخر ؟ بالنضار المنثور والجواهر ! فبقيا على ذلك اعوام ؟ كانها فى القصر ايام : وسنوات كانها غفوات يتجاذبان اعطاف الاداب ! ويميلان مع الكرم حيث آب ؟ يفوفان برودة ! وينظمان فى الاجياد عقوده ! ويعرفان منكره ! ويؤلفان كامله ومشطره :

من الخفيف

رب ليل قداحييناه بصحب ، كنجوم السما كرام صباح

ينثران النضار فيهم كما ينثر طل فى مزهرات الاقاحى

كل من طبعه نسيم رياح ، قدهفت فى الرياض عند الصباح

اريحي يهتز عطفاه مهما ، هزه المادحون نحو السماح

كشفار الصباح عزما ولكن ، فى المعالى هم عوالى الرماح

بشاطهرن

يتعاطون للنشيد فنوناً ، فيهزون كل روح وراح
وقف الوجد منهم كل طبع ، لم يزل للندى كثير ارتياح

وبالجملة فهم كواكب ؟ ولكن ليسوا بغوارب ! وبدور عوارف ، ولكن غير كواسف ! وشموس معارف ! لاينسخها ليل سادف ! ورياح كرم ولكنها على الاعداء عواصف ، واغصان شرف على ذوى الامال عواطف ؟ وافيا ء مروة كل منها ظليل وارف ؟ ولكنهم انما شرفوا بشرفه ! والتقطوا الدر من صدفه ! وتعرفوا الى الفضائل بتعرفه ! لاسيما من صار وزيره ، ونصيحه ومشيره ! الذى اوجبت النباهة تصديره ! ورفعت الرياسة مكانه ! وزان به الفضل بعد مازانه ! وذلك حين عرف احمد قدره ! واشاع فى اندية الشرف ذكره ! وزره (والى اوال احمد بن محمد ذو الكمال) فزين تلك الوزاره ! وجمل وجوه هاتيك الاماره ، بآراء هى السبعة السياره لابل البدور الثواقب ! وعزمات هى البوارق فى السحائب ؟ وسيرة هى السيرة العمريه ! وان كانت فى النسبة علويه ! ولاعجب فى ذلك يوجد ان فضل على باتباع احمد ! ومن اصحابه الكمل ! وجلسائه الذين بهم لايعدل (عبد العزيز بن موسى الهجرى) هو بان تعطر الاذيال اردية الاخبار بذكره حرى ! قرء الادب وهو ابن عشر * وبرع فيه حتى ضاع منه النشر ، ان نظم فاق من نظم ! او نثر اراك نثر الجرة فى الظلم ! كم وشح فيه ورشح ؟ وكنى فى مجازه وصرح ! واشار الى دقائقه ولوح ! دمث طرائقه وحقق حقائقه ! وفوق اوديته ! وشرف اندبته ، ونشر الويته ! وجمل بذكائه غرته ! عرج الى معارجه ! ونهج اوعر مناهجه : حتى صار غاية فنه ! ونقاية سلافة دنه ! وصناجة اربابه ، ومفتاح بابه ! ومشكوة اشكاله ! ومصباح اعضاله ! تادب بالفاضل ابن خنين النازل من العلم منزلة الانسان من العين ؟ الراشد كاسمه لاسنى المقاصد ! الساعى لتقييد الاوابد ! ونشر الفوائد ! ونثر الفرائد * الحافظ للحماسة ابى تمام ! والها ملية الحنفية فى الاحكام ! وغير ذلك من الكتب الحسان ! كالرائية لابن وهبان ، مع عفاف وديانه ، واتقان واف وصيانه وتؤدة كالطود فى الرزانه ، رحل الى البصرة وبغداد ! والحرمين وما والاها من البلاد ؟ نقلته القدرة الربانيه ، والحكمة الازلية الصمدانيه ، من نجد البلدة المغنيه بقول خير البريه ، الى الزبارة من ارض قطر ؟ وحط فيها رحله وقر ، واذاع بها علمه ونشر ! وسألوى عنان الكلام ؟ لذكر بعض مزاياه الجسام ، تادب به عبد العزيز ذو المثانى ! فاخذ عنه النحو والمعانى ؟ ادباً لابدانيه فيه مدانى ، ولقى بعده من الاجلا * شيخنا الكردى ، حافظ عصره فيما عندى ، وايم الله لم ترعينه نظيره ، ولامن

ترجمة الشيخ عبد العزيز ابن موسى

(٢٤)

يكاد يسير مسيره ، اشبه المعرى فى جزالة المبانى ، وابن الفارض فى دقة المعانى ، فهو الفرد الذى ماله ثانى ، وقرأت عليه النحو والصرف ؟ فقرلى بذلك الطرف ، وشرح سقط الزند للمعرى ، وحمام كافى لعصمة فكرى ؟ وبعض دواوين العرب ؛ فحصل لى بذلك كل ارب وذلك فى الاحساء اعاد الله عمارتها ، وارجع بهجتها ، ونضارتها ، سمعت منه القرآن برواية حفص عن عاصم ، وجمانى بالادب تجميل السوار للمعاصم ، كان والله البحر علماً ! والطود اناة وحلماً له المؤلفات البديعه ، والبادرة السريعه ، ومما قرات عليه من تأليفه الذى لم يسبق الى توصيفه ؟ شرح نظمه فى حروف المعانى ؟ فبلغت بقرائتى له غاية الامانى ، وسابسط الكلام ، فى ترجمة هذا الامام ، اذهو من جملة من مدح هذا الهمام ، وافاض عليه من اياديه الانعام ، واكرمه الاكرام التام * وممن اخذ عنه عبد العزيز الفاضل (محمد بن عبد اللطيف) ووقعت بينهما مراسله ؟ واجازات ومساجله ، وسأترجم له ، وانعت بعض اوصافه المكمله ، فانه ممن حظى بصحبه احمد ، وتطوق طوق افضاله وتقلد ! واما عبد العزيز فهو ذو ادب غرز ، وكتابة برزها انم تبريز ، وبراعة يحتاج لها المجاز والمجيز * كيف لاوقد اتخذه المولى احمد ؟ صدراً فى مجلسه الانجد . وبدراً فى سماء واديه ، المعطور بسماء اياديه ، وقدمه على جلسائه وفضله على اعيان نظرائه ، وجمع له ماقيل فيه من المدايح الحسان ، وامتدحه بمدايح هى نظم الجمان وله نظم هو السحر الحلال ، مشتمل على غرر الحكم ودر الامثال ، فاز المن ذلك المولى بالمقام الاعلى ؟ والمورد العذب الاحلى ، ذافطنة نقاده وفكرة وقاده ، وحلم واناه ، لاتوجد فى النضاير والاشباه ، متصدرا بنسبه واد به لابثروته ونشبه ، توفى المذكور فى عام تاريخه ، سنه ١٢٢٣ ادب يفور ، سقى جدث ضمه ، بشابيب الرحمه ،

من الطويل

بكته المعالى والخفاف اللهازم ، وجادت عليه بالدموع المكارم

فلاقلب الافيه للحزن لوعـة ، ولاصب الا وهو للقلب عادم

ولاطرف الاوهو للجرى عادم ، ولا عطف الا وهو للنعى قائم

ولاطرف الاوهو بالرزء واجم ، ولاطرف الاوهو بالدمع عائم

ولاخد الافيه خدولا ندى ، لك الله الا قائم الوجـه سائم

ولاسود د الا وفيه كآ بـة ، ولا بلد الا وفيـه مـآتم

ولا

٣

(٢٥)

ولا صدر الا فيه للطم جولة ، ولا وجه الا وهو بالدم قائم
ولا عرف الا هده معول الاسى ، ولا انف الا وهو بالرزء راغم
وان فتى تبكي العوالى لفقده ، لاجدر ان يبكيه راث وناظم
ويبكيه محروم ويبكيه سائل ، ويبكيه مقرور ويبكيه حائم
واحرى بان ترثيه بيض عقائل ؟ حمتهن من ايديه بيض مخاذم
بكت مقلة العليا عليه بادمع ، بكته بها منا القروم الا كارم
وناح عليه العلم حتى كانه ، بما نا حه حزنا عليه الحمائم
فكم اطم منه تداعى بناؤه ، لموته اذ هد منه الدعائم
وكم مشهد منه ولا شاهد له ، وكم معلم ما فيه يوجد عالم
وكم وارق منه ولا هاصر له ، وكم بارق منه ولا ثم شائم
وكم درر منه ولم يك لاقط ، وكم ابحر جاشت وما ثم عائم
لقد فجع الدهر الخؤن به الندى ، فها هو مطموس المعالم طاسم
فلا مزنه يهمي ولا شمسه ترى ، ولا روضه يزهو ولا الثغر باسم
ولا ريحه تسرى ولا زنده يري ، ولا ماؤه يجري ولا النبت واشم
فما قام سوق للثنا بعد موته ، ولا اجتمعت للمكرمات مواسم
ولا عبقت فى الكون ارواح طيبها ، ولا ابرقت منهن يوما مباسم
نعيناه حتى ازوف الجفن ماءه ، وحتى قلا نى للبكاء المنادم
وحتى اصطبارى عل تماثه ، وحتى وهت منى القوى والعزائم
وحتى رثى لي كل قال ورثى لى ، وقص الجوا فى للعزاء القوادم
وفرخ طير الشيب فى ام هامتى ، فلا شق الا فيه للشيب قائم
وحتى علتنى النائبات باسرها ، وحتى فرتنى بالسيوف العظائم

بكسر الراء من ورى الزند اذا اتقد

لئن غيبت فى اللحد اعضاء جسمه ، فما غيبت افعاله والمكارم
فقد كان مفضالا يعيش بسيبه ، ارامل تروى مدة وايائم
فيا قبره روّاك منفجر الحيا ، وجازك للغفران والعفو ساجم
فقد حلّ فيك العلم والحلم والحجى ، وبحر نوال للاكارم خاتم

ولما ارخت وفاة هذا الامام * بما اسلفته من الكلام ، قيل لى انه قد قضى قبله بعام ، فارخت وفاته ثانيا : مثنيا عليه ولحقه وافياً ، فقلت ادركه الردى ، فى عام ارخه : راغب هدى سنه ٢٢ ١٢ واما ابن خنين ، الطائر ذكره فى الخافقين ، النازل من المجد والزين * منزلة الراس والعين ، فانه قدم الزباره ، وهى فى غاية العماره : باسمة عن محاسن النضاره * رافلة بانواب ، مفوفة ببنيان الشباب : مائلة باعطاف ، مايسة بانفاس الالطاف ، كاحلة الاجفاق باثمد الاحساق ، مخضلة الاغصان بها طل بناق من لف ببرد المروة ، وحف برواق الفتوه وضمنه المعالى بمقلها ! وعمت اياديه بقبلها (احمد بن محمد المترجم) المشار اليه بما تقدم : فانه بدر تلك البلده ! وزهر هاتيك الورده ، فاكرم الامام ابن خنين ، ووفى عنه الدين بالعين ! وافاض عليه من بره الموائد ، ووصله بصلات هى عوائد : وصيره فى معاصريه صدرا ، ولمجالسيه شمساً وبدرا ، فدرس فيها العلوم ! من منثور ومنظوم ، فعكف على بابه الخادم والمخدوم * ووافت عليه الهبات باجنحتها ، وحفت به السراة فى رحاب اندينها ، وعمر فيها المدارس ، بعدما كن دوارس ، وانشق منها المعاطس ، عبير الفوائد النفائس ، وقر فيها المنافس كما قهر المعارض والمعاكس ان سكن تلك المدينه باعظم وقار وارضى سكينه وكان فى الاسناد مالكها فقد كان احمد بالارفاد مالكها وان كان امامها ومسندها فانه لم يزل الاكرم ذروها واحدها وان كان من مقلتها قره ففضله فى وجهها غره .

ترجمة الشيخ راشد ابن خنين

من البسيط

(متى جرت من ايادى راشد حكم ، جزت لكفيه فى اصحابه النعم)
(وراشد حلة الاديان حكمته ، واحمد حلية الافضال والكرم)
(لاشك انهما بحران ذاك جرى ، علماً وذا موجه بالبذل يلتطم)
(وذاك للجهل قتال بنائله ، وذا به يذهب الاملاق والعدم)

اجرى على راشد اسنى عوائد من احسانه ؟ زانها من لفظ نعمه ؟ ان سلسل راشد حكمه . ارسل احمد اليه نعمه اوحاك مطرف رساله حاك له بنان الكرم جلاله

ان

(٢٧)

من الكامل

ان كان ينشر للمعارف ماانطوى ، فيمين احمد للعوارف ناشره
هذاك تنظر للاساطر عينه ، وعيون هذا للمآثر ناظره
فهما لنا قمر ان كل منهما ، ابداً غرر المزايا دا ئره

ان حلى اجياد الطروس بالاملا فكم حلى كفه باللهاواملا وان وصل متنا اسنده بالوصل منا اوزين الافهام بالافهام زين له الاكرام بالابتسام وان نظم الفرائد نثر عليه الفوائد اوعطر اذيال المدارس باذكاره عطره بعبهر افتخاره ولو قيل ان الفاضل زهر فاحمد له وابل المطر لولم يجد مطر لم يبسم الزهر اواحمد كذكاوراشد قمر وجهان زانهما من سوددغرر ومقلتا شرف ابداهما القدر فعلا بهما للناظر الحور اقام فى تلك البلاد التى هى كارم ذات العماد يعاشراجوادها ويسامرزهادها ويسائرعبادها

مازال مشغولا بنظم نوافل ، فى عقد اجياد المساجد سافره
وينشراذ كاراً براح مقاول ، عن كل ما كره المهيمن زاجره

من المجتث

يراه كل قرين ، فى شعره كابن حجر ، فاق الفرزدق فخراً
وفى الرثااخت صخر ، وان جرى فى نيب ، فاق الصباحين تسر
وان افاض علوما ، خيلتها فيض بحر ، وان يقرر دروساً
حكى الدرس ابن مقر ، العلم علم ابن ليلى ، وحلمه حلم صخر
وزهده ان ترمه ، كاحمدا وكبشر ، وصيته المتسامى
قد طارفى كل قطر ، حاكى اياسا ذكاء ، وفى الدهاء كعمر
يحيى به كل فهم ، وان يمت كل عسر ، اذا تعسر معنى
اراكه وجه بجر ، ياويح نجد جفته ، وكان فيها كبدر
او كالضحى حين يسمو ؟ على علا كل صدر ، ما فيه عيب سواء
قد كان سامى قدر ، وانه من اناس ، بيض المكارم غر
قوم سمو بسيوف ، بيض الموارد حمر ، وامصروا كل مصر

(٢٨)

بكل من ويسر ، وقلدوا بالعطايا ! وبالضبا كل نحر
فهم جمال البرايا ، فى كل عصر ومصر ! مخدمون سراعاً
الى ابتناكل نخر ؛ تحيى بهم كل ارض ! كانهم ودق قطر
هم مطاعين اسد ، جردا مطاعيم غتر ! عياد كل مسيف
متى شكاريب دهر ، ارا ؤهم مصلتات ! لغل كرب مضر
قدوعروا كل سهل ؟ وسهلوا كل وعر ! سل عنهم كل ماض
كبارق حين يسر ، وعامل وسنان ! وكل اعوج مهر
من مثل قوم سموا ؟ بعا نذ الله نذر ، واسال مدارس غرا
عن الامام الاغر ! كنز العلوم المحلى ! بدره كل سطر
السابق الناس فضلا ! سبق الجواد المبر ! انسان عين المعالى
وراس راس وصدر ، مقداره المتسامى ! قد جل عن كل قدر
لمجده كل رفع • ومده كل جر ! لم ينقم البدر منه ! الا لين لم يغر
ولا ترى السحب فيه ؟ عيبا سوى مدتبر ؟

يعنن الآداب للطلاب ويرسل الامثال ارسال الجوالسحاب بعبارات الطف من الفاظ العتاب باسمة من مبتكرات الثغور ابتسامها من ربات الخدور يفترعن ادب كانه شنب • وينتقى حكما • يزينها الادب • وكم له غرر ؟ وجوهها الكتب تحكى الشموس سوى ان ليس تحتجب ، رفعته صدورها ، وتشرفت بهشموسها وبدورها ! يشتاق الى الاكياس ، اشتياق المملق الى الاكياس ، والسارى الى النبراس •

من الكامل

ابداً يحن لصحبة الاكياس ! كحنين ذى فلس الى الاكياس
اما مجالسه فهن مطالع ؟ لكن لاقمار من الجلاس
العلم علم ابى حنيفة والدها ! كدهاء عمرو والذكا كاياس
لوابصر النعمان حسن قياسه ! لقضى له بالفضل بين الناس

والقد

(٢٩)

ولقدزهت غرر العلوم بفكره ؛ زهواً كزهو الرمح بالنبراس

الف ورتب وابان واغرب وابدع واغرب وجمع واستوعب ونقب عن دقايق الاصابه فشاى فى ذلك التقريب والاصابه واستاسد فى العلوم والمنثور والمنظوم فدعي فيها اسد الغابه ، وتفرس فى علم الفراسه فسبق الضدو الفراسه واودع بطون الدفاتر الحكم حتى حكم له على جالينوس كل حكم

من الوافر

طلبت له نظيراً فى ذكاه ، اذا عرض العلوم فما وجدته

وجبت الارض افقا بعد افق ! فما افق لها الا وجبته

لتبصر مقلتاي له شبيهاً ! اذا ذكر السماح فما عرفته

سوى من كنت احمده جهاراً ، واذ كرحاتما مهما ذكرته

يكاد يضوع برد الشعر مهما ! به طيب الثناء له نشرته

كيف لا وان كان راشد ، فى الفضل جعفر يحيى ابن خالد ففضله الطريف وفضل احمد التالد على ان راشد موصول له من احمد الصلة والعائد فلقد نشر علمه وقد كان مطويا واظهر صيته من بعد ما كان مخفيا وكفله بنواله و كان به حفيا وقدمه على النظائر والاشباه وبلغه من مار به منتهاه ، حتى قال من عاداه ذلك الفضل من الله يوتيه من يرتضيه

منه ايضا

(ولولا فضل احمد لم يشع من ، فضائل راشد ما قد عنيته)

(ولكن شاع فضلا فى نزار ؛ بمن يأبى الفضائل قد كنيته)

{ طويل الباع احمد من رأيته ؟ واجود من مدحت ومن طويته }

{ واشهر من نشرت له ثناء ! واظهر من يسامى النجم بيته }

{ واشجع من هزبر وسط غاب ! اذا للحرب فى اسد دعوته)

قد طابق اسمه مسماه فما زاغ عن الرشاد من اقتفاه برزفى الاقطار النجديه بروز البدر فى الاقطار الفلكيه وبرع فى الاحكام الفقهيه حتى ابان عن الدرر واغرب فى النوادر اللغويه حتى قر فيها ومهر واعرب عن المشكلات النحويه حتى خلناه اباعمر اذا نظر تخرج على علماء بلده وعظماء محتده فشأى فى العلوم اعلامها وتصدرها فدعته امامها

من الهزج
من المجاراه

متى جارا اخا علم ! شأى فيه الذى جارا ! فما بحر يجاريه

من الجور
من الجواد

وان فى مده جارا وهل يلفى محا كى من ؟ اراه للعلى جارا

طاوعته شموس الاشعار حتى انتقى منها المنتقى والدر المختار

من الكامل

ان طاوعت افكاره الاشعار ؟ وتشرفت بيراعه الاسطار

فهو الذى سمت المدارس باسمه ! وتعطرت بصفاته الاعصار

خلمه صديقه

فمازال فى نجده مرفوعا على نده مشغولا بعلمه عن خلمه مجالسه بالاذكار معموره ومدارسه على الاخيار مقصوره الكرماء موانسوه والعلماء مدارسوه عمر المدارس بالاسناد والمجالس بالطرائف والامداد

منه ايضا
ابدى من الابداوهو الاظهار

مبهما بدا فى صدر مدرسة ! ابدى بمقوله لنا زفرا

واذاجرى فى مشكل شرس ! جلاه حذ كانه وفرا

ناظراً فى الشعر الصفى ، فصارشعره المختار الصفى ، وبرز فى المعانى، على السكاكى والجرجانى وامام المكتين فى دقائق الاصلين

من الوافر

وحسبك من امام المعي ! لقيت به امام المكتين

وعمر النحو الا ان هذا : امامهم بكلتا الكوفتين

ولو ناظر جار الله بالجدل لمازل واعتزل ولانشدفيه وارتجل

من المتقادب

سالت العلوم واربابها ! عن العلم المفرد الا كمل

فقالوا الذى كاسمه راشد : لحل العويص وللمشكل

اذاقيل من للندى او فمن ! يرجى لذى الزمن الممحل

ومن للعلوم وابحاثها ! ومن للدقيق من المعضل

ومن للخلاف ومن ذا الذى ؟ اذا ما القضايا تعاصت على

وحق النكات واسرارها ، ومعنى خفى لها او جلى

لما نظرت مثله واحداً ، عيونى ومن بينهم يسأل

فمازال يفيد ويجدد مادرس ويعيد فرابع العلوم بصبب تقريره مخضره وثغور الطروس عن درر تحريره مفتره الى ان خرج من وجاره وبان عن اهله وجاره الى البلدة التى هو

فيها

(٣١)

فيها راشد واحمد فيها الزند والساعد وجف منه العود وأتى عليه الحمام الموعود وغسل بالدموع وكفن بالخشوع وحملت جنازته الاعناق وتسابق الى تلحيده البار والعاق فالعيون عليه ساكبه والقلوب برزئه واجبه والكواكب كاسفه والرياح عاصفه والوجوه مغبره والافاق مخبره فلاغرو ان بهذه الدره

من الطويل

على مثله تبكي السرات وتندب ، ويسود وجه المكرمات ويقطب
وتبكيه اجفان السيادة والعلا ، ويبكيه نادٍ من عطاياه مخصب
وتبكيه افعال له وفواضل ، تنيف على عد الثرى حين تحسب
وتبكيه ابحاث دقاق واوجه ، تجلبب الاعين ذكاه وتحجب
ويند به كتب له ايتمن بعده ، وغودرن لا امّ لهن ولا اب
وتبكيه اقلام جرين بامره ، فما دمعها يجرى عليه ويسكب
وتبكيه اسطار كان سوادها ، على صفحات الطرس رزء وغيهب
ويبكيه اسناد ويبكيه مسند ، ويبكيه متن للحديث ومنكب
ويبكيه واد من اياديه سائل ، ويبكيه ناد للمعالى ومنصب
وتهتز من حزن عليه معارف ، هي البحر الا انه منه اعذب
وتكسف من افق المفاخر شمسه ، فلا وجه الا من اساه مقطب
فلاخد الا فيه للدمع راجف ، ولا قلب الا فيه للرزء مقنب
ولا بلد الا له فيه مأتم ، ولا مأتم الا له فيه مندب
فلاغرو ان تلقى السموات جلدها ، عليه ويبكيه من الافق كوكب
بكيناه حتى ناوحتنا مكارم ، لراحته كانت من النعى تنضب
فقد كان مفضالا اذا عتر سائل ، وارمل محروم واعوز مطاب
فقد كان بحراً للعلوم خضارما ، على كثرة الورّاد يحلو ويعذب
وقد كان صدراً في المعارف مفرداً ، ولكنه في مجمع البحث موكب

تزجى اى نساق

فتىً جمع الله العلوم بقلبه ، فها هى ذى تنعى عليه وتندب
لئن ضمه قبر وواراه ملحد ، فيا طالما عن علمه ضاق سبسب
وان فتىً يبكيه شمس وغاسق ، لاجدران يرثيه شرق ومغرب
واجدران تزجى المراثى لقبره ، فيسمعها عدنان والغر يعرب
فويح المنايا كيف تنشب سهمها ، بنحر امرئ ريح الهدى منه تنشب
فان تعزه بالناب تعزفلسنا ، بمثنى الا يادى دائما يتصيب
ولوان هذا الموت يفلت واحدا ، لما تبت حتى انه لي يعتب
ولكنني ادرى واعلم انه ، لك الله ورداً كلنا منه نشرب
فكم من عظيم قد تقلب فى الثرى ، وقد كان فى لذاته يتقلب
فلولا التأسى كنت اول من قضى ، عليه ولكن التاسى اطيب
فمن للخصال الصالحات وللندى ، ومن للقضايا فى المجامع يطلب
قضى كل رشد اذ قضى الخير راشد ، فما ثم رشد بعده يتطلب
سقى قبره للرحم كل مجلجل ، وغاداه للرضوان والعفو صيب

ولما حبرت فيه المراثى ، وتزف عليه دمع الموالى والرائى ، اشفق اولاده من الضيعه ، اذ لامال لهم ولا ضيعه الا نوال احمد المرسل على والدهم ، القائم حيوته مقام طارفهم وتالدهم ، وخافوا ان يكون غير عائدهم ، فبلغ احمد منهم الاشفاق ، فوصلهم اذ كان ابن رزق بالارزاق ، فايديهم لم تزل موصولات ، من عوائد اياديه بصلات ، فلله معز بنواله ، قبل مقاله ، فانقلبت عنهم وهم فى ظلال اماله ، قائلون فى مقيل افضاله مضافون الى غاية كماله

من الكامل

ان كان قد شملت اباهم قبلهم ، منه صلات فهى منه عوائد
لا غروان سعد البنون بها كما ، يحصو لها سعد الا عز الوالد
بذل له الموصول حماراشداً ، وندى ابن رزق الاملين العائد
فالمكرمون به كثير عدهم ! ابداً ومجريه عليهم واحد

ابداً ٤

(٣٣)

ابداً لدى الافضال يبسم ثغره ، كالزهر باكره ملث جائد
مازال منه الفضل يرسل جعفرا ، يحيى به يحيى وينشر خالد
انى لا شكره واشكر فضله ، شكراً كما شكر السحاب الواعد
كل يراد على نداه شاهد ، وجبين احمد فى نداه الشاهد
ان المكارم كعبة ويمينه ، ركن يقبله المسيف الوافد
والمجد محراب وقائم فضله ، فيه على رغم الحسود العائد
والعز فسطاط وقائم سيفه ، بان وساعده عليه مساعد
كل مكارمه تقيد تارة ، الا مكارمه فهن شوارد
جمعت به غرر الصفات باسرها ، مع انه فى الفضل فرد واحد
نار بقلب المبغضين وجدته ، وعلى مصافيه الزلال البارد
حسدوا علاه فلهلوا يرمونها ، بنقائص هى فى علاه زوائد
بفواضل فى لية الشرف التليد ، كانها راى العيان قلائد
شرف يوطده ظبى وعواسل ، اتظن يهدمه بقول حاسد
من معشر شم الانوف يزينهم ، كرم على طيب العناصر شاهد
فضلوا الورى بمكارم لوانها ، كانت ليحيى قال فضلى خالد
يا آل رزق فافخروا بمتوج ، هو فى الوغى والمكرمات الناهد
ان كان للكرماء فخر طارف ، فقخاره بين الانام التالد
لم يبق فى الاقطار قطر ماله ، فيه من الشعراء يلق حامد
ان كان فى الكرماء يدعى حاتما ، فانا امرؤ فى مادحيه الذائد
فخراً بنيه بكل فخر باذج ، هو بالمخاذم والمكارم واطد
هل انتم الاغطارف سادة ، لم يدرايكم الاجل السائد

الذائد لقب شاعر من الاوائل

(٣٤)

احمد اسرا لكم ام يوسف ، ام محسن ام ذوالمعالى خالد
اجريتم عين الندى من بعدما ، نضبت موارد ها وصد الوارد
وسللتم بيض الصوارم فى الوغا ، فتجملت بيرو قهن مقالد
واخفتم الاساد فى آجامها ، فتزعزعت مما تجن مآسد
وختمتم الكرمآء فى ايامكم ، حتى انتهى لكم السماح الزائد

ترجمة الشيخ عبدالله الكردى البينوشى

ثم لم تمض الايال ، هي اقصر من ساعات الوصال ، حتى وفدعليه الفاضل الامام ، فى بلده التى هى كدارالسلام (عبدالله بن محمدالكردى) الفائق بشعره الكندى ، احدالادباء الكرام ، والاقطاب الدائرة عليه رحى النظام ، والبحرالذى لاتنتهى عجائبه ، ولا تقاوم بالافكا غواربه ، والسماء التى لاتأفل كوا كبها ، ولا تخل بالجود سحائبها ، ولا يكتنه مقدارها * ولا تخسف اقمارها ، والمزنة الدافق مطرها * والروضة الوارق زهرها ، قدرحل وهوغلام ، الى بغداد والشام ، وارتفع له المقام ، بلقائه الاولياء والزهاد ، وروايته عن العلماء الامجاد ، بعلواسناد الحق به الاحفاد بالاجداد ، فاستفاد وافاد ، واستجاد واجاد ، وبحث وحقق ، وقررودقق ، وابدع وانق ، وقيدواطلق * وحرر وحبر ، وعجزوصدر ، واختصروطول ، حتى صار فى الادب الاول * نادب بالفضلاء * وتهذب بالنبلاء * وكتب فلك من القلم الناصيه * وصار فيه بمنزلة السنان من العاليه * وخطب فاقرت له مصاقع الباديه ، والقت اليه المسائل النحوية الاعنه ، فاجتنى زهر رياضها المغنه * واماط عن وجوه مخدراتها الاكنه * ان بحث فى ادب البحث والمناظره * كان بغزارة العلم ناظره * اوفى دقايق الهيئة فهو مركز الدائرة * اوفى الحكمة فهو فيها الامثال السائره ، قدقمر السيدفى التعريف * وابن الحاجب فى التصريف ! ولوراه التفتازانى بالناظر ! لقال ان هوالا عبد القاهر ! اوالسكاكى والخطيب ، لاقراله فى التلخيص والتهذيب ! بدع فى علم الميزان ! حتى غدا ابن سينا فى البرهان ! وان جرى فى حلبة الاصول ، افاد حاصل التحصيل والمحصول ! فلاغروان يحتاج المحصل الى علمه ! والمترسل الى نثره ! ونظمه والمشكلات الى فصله ؟ والمعضلات الى حله ! والمبهمات الى ايضاحه ! والمعظمات الى مصباحه : والمقدمات الى انتاجه ! والمطالب الى احتجاجه ، والاقلام الى بنانه ، والاحكام الى برهانه ، والاجواد الى مدحه ، والمغلقات الى فتحه ، والمسائل الى تصحيحه ، والمعارض الى تصريحه ، والاشارات الى تلويحه ! والعبارات الى تنقيحه ، والبلاغة الى ؟

تبيانه

تبيانه ، والبيان الى ايضاحه وبيانه ، والمعانى الى اشاراته والمبانى الى عباراته والاغانى الى انشاده ، وخدود الطروس الى مداده * والاشعار الى قوافيه * والاسمار الى نوادرفيه * ونحور الشواهد الى عقود اعرابه ، وصدور الفوائد الى نهود آدابه * ولئن اشتهر صيته وطار ، لقد علا على زحل فى سمو المقدار ، وشتاء ذكاء فى رابعة النهار ، واحتاجت اليه المسائل ، احتياج الارض الى الوابل ، والذابل العسال الى العامل ، والحسام الى الغرب ، وبوح الى الشرق والغرب * والبدن الى الروح والقلب وتجملت بدرره الاشعار ، تجمل المعصم بالسوار ، فافتقرت اليه الادباء افتقار الصب الى نشق الصبا ، واهتزت اليه طربا ، اهتزاز افنان الربى :

من الطويل

(اذا نشرت يوماً مطاوى نظامه * بمجلس آداب قضى انه الكندى)
(بلفظ شاى نظم الجمان طلاوةً * ولكنه فى الفكر احلا من الشهد)
(هو الشعر عقداً نظمته يد الذكا * وشعر الفتى الكردى واسطة العقد)
(كما ان مدح القرم احمد ذى الندى * لك الله ورد المجد اوزهر الحمد)
(اذا اخذ الكردي فى نعت اهيف * اراك الهوى المذرى يصبو الى الكردى)
(ومهما جرى فى مدح نهد وناهد * تيقنت ان لا وجد الا الى النهد)
(وان فاتنى وصف الخرائد منجداً * فلا قلب الا وهو يصبو الى نجد)
(وان اعرقت اشعاره فى خرائد * اراك قلوب الناس معرفة الوجد)

اذا نظم الفوائد ، فى لبات السطور ، ابصرت به الفرائد فى النحور ، وقدر حل الى الحرمين فدعى امامهما ، ودخل الكوفتين فشأى حسنهما ومعظمهما ، ووصل الاحساء فصار راساً فى صدورها ، وارسل مدائح الكرماء فسبق مالكا ومتمما ، حن اليه كل كتاب ، كما حنت الى آدابه الاداب ، والى مفاكهته الاصحاب والى ملاطفته الانجاب ؟

من المتدارك

(فى العلوم له قدم راسخ * وله فى العلا سودد شامخ)
(حسن فى الهدى فضله شرعه * ماله فى الورى بعده ناسخ)
(وفضا ئله وفوا ضله * كلّ عن عدها النسخ والناسخ)
(قد حوى السود والعود لما بدا * فسمى وهو فى بذله شاذخ)

قدم الزيارة بالمدائح المختاره ، فحمد بها احمدها ، ومالك زمامها ، وزهرة اكمامها ، وغرة كرامها ! وزبدة اخيارها ، وشهدة مشتارها ! ويوح سمائها ، وروح ثنائها : فكانت بحمده سائرة الامثال ، فاقدة النظير والمثال ، ووقعت فى مسامع الافهام ، معار تجالها موقع ذوات الاعلام ، وفضلها الخاص والعام : على حوليات زهير فى الانسجام ! كيف لاوهو لابس برودها ومتقلد عقودها ، احمد البرية فى عصره ، واسماها واجودها ، فى مصره وانداها ! فاجازه بالدرر المنثوره ، والحبر السابغة المجروره ،

من الوافر

(افاض عليه من نعماه حتى * راينا الدهر من بعض المفاض)

(واكرمه بتبر من رآه * يصور انه زهر الرياض)

(واتبعه دراهم صافيات * كان صفائها ماء الغياض)

وانزله فى منازل ، هى مطالع لشموس الفضائل ، وآنسه بالعشى والبكر ، بادباء غرر : واماثل افاضل ؟ الطف من الغصن المائل ، وسامره بمسامره ! تفوق على الاغانى والمسامره ، وعاشره بظرائف معاشره جمع له فيها اخبار مصر والقاهره ! فهو وان وفد عليه : فقد شاطره لما فى يديه : فرجع له ببدر هى لوجوه الاكياس غرر ! بعدما مضت عليه ايام : كانها سنات منام * كانتا منه عين انسه ؟ وفصل جنسه ، مصحوبا بفضلاء بلده * وسراة نبلاء محتده * حالا منهم محل الروح من الجسد ، او محل احمد من البلد ، او محل الانسان من مقلته ، اوالركن من كعبته * اوالمعنى من لفظته مشهوراً بالعلم * مسروراً بالحلم مضروباً ببلاغته المثل * ممنوة بحكمته الوهاد والقلل ، محدقة به من الاشراف المقل *

﴿ فى محفل ان قام او محضر * اراك مجد الدين منه الجوهرى ﴾

﴿ وان تبدّى ناظما فى معشر * اسقط من فيه نظام الجوهر ﴾

﴿ اكرم به من عالم محرّر * وناظم مفوف محبر ﴾

﴿ ومبدع يفتر ثغر الاسطر * عن حبب من نظمه كالدرر ﴾

﴿ لولا مزاياه التى لم تحصر * لم يشتهر فى الارض فضل حمير ﴾

﴿ فكم علوم منه مثل الزهر * نشرها وقبله لم تنشر ﴾

﴿ فارجت اذيال كل دفتر * وكم له من مبدعات غرر ﴾

كانها

﴿ كأنها الحور ولو لم تقصر * فهو جمال لوجوه الاعصر ﴾

﴿ وحلية لصدر كل مفخر * يراعه يفعل فعل الاسمر ﴾

﴿ من كل خطب مكفهر منكر * يجرى دموعا كالظلام المكر ﴾

﴿ سال على خد الصباح المسفر * فتضحك الاسطر عن منوّر ﴾

﴿ من زهر البيان غض نضر * ان كان فى النظم بديع النظر ﴾

﴿ فاحمد ربيع صاوى البشر ﴾

وعند ماتم له المراد ؟ من الجواد المبر على الأجواد ؟ وصفا له المشرب ! وارتفع له به المنصب وتأشب ، ورفع له عماد ذكره ! فى افاضل مصره ، الذى لم يخلق مثله * ولم يتفق فى الافاق شكله * انصرف بمواهب هى سحائب ؟ وبمطالب هى مراتب * وبعقود عوارف ! اكفه لها سوالف ،

﴿ اتى بالشعر وهو اقل شئ * فجوزي بالنضار وباللجين ﴾

﴿ وجاء اليه عاطلة يداه * فحلى بالندى منه اليدين ﴾

﴿ وفضله على النظراء حتى * راياه ذكاء راى عين ﴾

﴿ وبلغها مراتب لم تطق ان * تناوشها اكف الشعريين ﴾

مقابلا بالكرم عن الحكم وبالاعضام عن النظام مطوق الاجياد بقلائد الامداد قرير العين بنثر العين راجعاً بالذهب عن نظم الادب حتى آل الى اوال فالقى عصى الارتحال فى ندوة ابن فارسها على المرتضى فى العلم الحرفى الرضى فى الديوان الشعرى فاطلق فيه كل روى وقيد فيه كل ثناء روى ونعته بكل وصف بديع غربي فكحل بمراود كرمه عيونه وارسل عليه جداوله وافاض عيونه ونادمه منادمة احد نديمي جذيمه وكان جديراً ان يكون الفرقد نديمه واحله من بلاده محل الزهر من اوراده اوالنهد من الصدر اوالضوء من البدر اومحل علي من وجوه العصر اوالفارس من الصهوه اوالسرى من صدر الندوه اوالنبت من الربوه اوالصقوة من الرغوه اوالجدود من الحظوه ، اوالصهوة من القلوه ثم انتقل عنه راضيا وان كان لفراقه باكيا ورمت به الاقدار ، على اجنحة الاسفار الى قبة الاسلام ومعطن سروج الكرام ومعدن الافاضل الاعلام ، البصرة العمريه ! والبلدة البريه البحريه ، فانضاف الى احمد نازليها ؛ وامجد فاضليها ،

اوال كسحاب جزيرة بالبحرين عندها مفاض اللؤلؤ قاموس

وقبلة عائليها ، ومستلم سائليها ، وريحانة مجالسها ! وجمانة نفائسها (احمد بن درويش العباسى) غرة وجوه المحاسن فى الاناسى ، فنحه بالعوائد قبل ان يرشحه بالقصائد ، التى هى نسمات الاسحار ، ونغمات الاعواد والاوتار ، ونظرات الازهار واجازه باجازات ، هى لحاتم الى الكرم مجازات ، وافاده بفوائد ، هى للبات المحاسن قلائد ونثر عليه الفواضل ، قبل نثره الفواصل ، ونظم له الصفر والبيض ، قبل نظمه الضروب والاعاريض ! وشاده بعد وروده بايام ، مدوسة فى البصرة كالنضامية فى دار السلام ، لكن ايدى الاقدار ، منعتهما عن بلوغ الاوطار ، فاخترمت المنية المدرس ، قبل ان يقرر ويدرس ، والواقف قبل اتمام الوضائف ، فرحمهما الله رحمة الابرار ، وادر عليهما شابيب العفو المدرار ! فبكى عليهما كل بقاع ، واعمل فى مراثيهما كل يراع ، فمن بعض مارثى به عالمها ، ماوشى به حال النظم راقمها !

(على مثله يبكى يراع ودفتر * وتبكى اعاريض عليه واسطر)

(وتبكيه اجفان القضايا باسرها * اذا نزلت يوماً ولا ثم حيدر)

(وتبكيه ابحاث الاعاريب انه * ابو بشرها ان عاص منهن مضمر)

(ويبكى عليه النثر ان قيل هل فتى * ابر على سحبان ان قام ينثر)

(ويبكى عليه النظم ان قيل هل فتى * لغر القوافى المرضيات يحضر)

(وتبكى عليه للمدارس اعين * جرين على خد الهدى وهى ابحر)

(ويبكى عليه العلم عطل نحره * ويا طالما منه بدى فيه جوهر)

(وتبكيه ابحاث له ودقايق * تبرقع الاعين ذكاه وتعسر)

(ويبكى عليه حلمه ووقاره * اذا جال فى برد الشقاق الموقر)

(ويبكيه محراب له ومنابر * احال عليها بالمآثر يأمر)

(ويندبه الطلاب ان عاص معضل * واشكل اشكال واعوز مظهر)

(كفى حزناً انى امر بقبره * فامضى وقلبى بالاسى متكسر)

(فلا دمعتى ترقا ولا سلوتى ترى * ولا ترحى يفنى ولا الصبر اقدر)

وحق

(٣٩)

(وحق علوم زاخرات بقلبه * ومثعنجرات من ذكاه تفجر)
(وعهد له عندي بقلبي طويته * ولو انه بالقول مني ينشر)
(لقد هاجني وجد غليه ولوعة * لها بين طيات الضلوع تسعر)
(وعز عزائي واستحال تجلدي * واعوزني مما ابث التصبر)
(فها انا ذا بالي الشوى متغيراً * وها انا ذا واهي القوى متحسر)
(وكيف اصطباري اوسلوي عن فتى * بذكراه اذيال الهدى تتعطر)
(مشار اليه بالاصابع مذ بدا * متى قام في نادي البلاغة يجهر)
(ولكنه للخير والبر فاعل * ولو انه للعلم والحلم مصدر)
(ومشتغل عما نهى الله بالذي * به الله من اسنى المقاصد يأمر)
(وتمييز ارباب الضلالة والهدى * فها حبه تقوى وبغضاه منكر)
(همام ينادي للجميل وفعله * ولو انه عما يضير محذر)
(ومازال مغرى بالمكارم مولعاً * لدن شب حتى شاب منه المعذر)
(مضاف اليه كل فضل وسودد * ولو انه بين الورى متصدر)
(تحن المعالي نحوه وهو في الثرى * فبطن الثرى مذ ضمنه الدهر يفخر)
(سقى قبره مزن الرضا وتسحبت * على تربة وارته للعفو ابحر)
(واني لابكيه وان لام لائم * واشمت اعداء ولج معير)
(وابكي له بيض الصفات وغيرها * ولوان دمعي ما ابكيه احمر)
(واند به في بكرة وعشية * واني عليه بالبكاء مقصر)
(فلوقمت ابكيه الليالي انه * لاحقر شيء في علاه وايسر)
(وكيف رقادي وهو في اللحد راقد * وكيف بروزي وهو في القبر مضمر)
(فيا قبر ان اضمرت ظاهر ذاته * فاوصافه فينا تذاع وتظهر)

(٤٠)

(وياجنة الفردوس بشراك بامرئ * اذا حضر الاخيار فهو المصدّر)

(اغر من الفتيان لم يالف الخنا * عفا فاولم يلمم بناديه منكر)

(ابكيه مادامت شموس علومه * على صفحات الكتب بالطرف تنظر)

(وماهتفت ورق فهجن صبابتي * اليه ومن شأن العميد التذكر)

قضى شيخناذو الارب فى عام ارخته جاه غرب سنة ١٢١١ ولمابلغ احدنا نعيه ؛ قال انى على ذريته وصيه ، وامدهم من بعده ، وبلغهم من كرمه ؟ اسنى امينه ، حتى اقتفا ؟ ابن درويش ، فمازال لهم بالهبات يريش ، اقتداء باحمده المقدم ! فما افاض عليهم واسجم فهم فى ظلال نعمه ، ملحوظون بلواحظ كرمه ، ممطورون بديمه ، وراتعون فى رياضه ! كارعون فى حياضه ، على انه وان اجرى عليهم كل جارى وقلدهم باللئالى والدرارى ، فشأ بالفضل ابن مامه ، واخجل بالطل الغمامه ؟ لاارى كرمه ، الا نتيجة تلك المقدمه ، ولازم هاتيك الكلمه ، وجذوة من ذلك الزناد ، وزهرة من ازهار ذلك الواد ؟ وقطرة من ذلك الفاوق ، ولمحة من ذلك البارق *

﴿ عم ابن درويش اباهم بالندى * وحنى عليهم بالسماح الدافق ﴾

﴿ لكن ذاك البذل منه نتيجة * لندى ابن رزق فى الزمان السابق ﴾

﴿ كل له كرم ولكن جودمن * يدعى ابن رزق من قبيل الخارق ﴾

﴿ والحق كل الحق انهما لنا * فرسارهان فى الندى المتسابق ﴾

﴿ لكن ذاك هو المصلى ان جرى * معه وذا يجرى امام السابق ﴾

﴿ فخراً بني هذا المعظم بامرئ * فخر الورى بالمشرفي البارق ﴾

﴿ ومكارم غر الغمائم لم تزل * تهمى وان اصبحن غير بوارق ﴾

﴿ ومحامد تحكى الرياض نضارة * لو كن فى الايام ذات شقايق ﴾

﴿ ومقاعد هي للبدور مطالع * مع انها للفضل خير مشارق ﴾

﴿ شيدت باطراف الاسنة والضبي * وتاطدت بفواضل وسوابق ﴾

﴿ كم من مكان قدسفرن بافقها * يبدين بيض مباسم ومفارق ﴾

٥ ان

(٤١)

﴿ ان تفخروا فبكل فخر باذخ ٭ او تمجدوا فبكل مجد شاهق ﴾
﴿ اوتشمخوا فبكل جد شامخ ٭ وبكل انف للسيادة ناشق ﴾
﴿ اوتكرموا فبكل بحر زاخر ٭ اوتسبقوا فبكل جد سابق ﴾
﴿ لاغروان نشب الثنا يغشاكم ٭ ونحن نحوكم حنين الوامق ﴾
﴿ ان تشغلوا الايدى بسيبكم فكم ٭ اشغلتم بالمدح مفصل ناطق ﴾
﴿ زينتم بالبيض جيد معاند ٭ تزينكم بالصفر كف مصادق ﴾
﴿ وسبقتم بالمجد حتى طلتم ٭ هام السماك بكل مجد سابق ﴾
﴿ وجعلتم غرّ الوجوه مسابحاً ٭ تهديكم للسودد المتناسق ﴾
﴿ ولكم فلقتم للعدو فيالقاً ٭ والارض واجفة بقلب خافق ﴾
﴿ وشققتم فلق السيوف بمازق ٭ حرج بكر مقانب وفيالق ﴾
﴿ وجنيتم النصر العزيز من القنا ٭ يهتز بين خواصر وعواتق ﴾
(ومددتم غصن المروة فاغتدى ٭ فينان يرفل فى غلائل وارق)
(ورقوتمو خرق العلا بمخاذم ٭ للمعضلات المشكلات خوارق)
(وفتقتم برد الغبار باوجه ٭ بيض الصفاح و كل عضب فاتق)
(واظلكم سمر القناعن جرّما ٭ وقدته من شرر حدود عقايق)
(وجزمتم غلب الطلا و كسرتم ٭ بعواسل الارماح كل مشاقق)
(وحميتم طرق العلا بصوارم ٭ مازلن فى الاعناق ذات طرايق)
(ووضحتم ماانسد من طرق الندى ٭ بمكارم كالساكبات دوافق)
(وملاذ مطرود ومأ من خائف ٭ وغناء محتاج ومنية طارق)
(ورياض مرتاد ومورد حائم ٭ وظلال محرور وعنبر ناشق)
(دوموا كما انتم خواطب للعلى ٭ بذوابل تزهو بغرّ خوارق)

السيب العطاء
المازق كمجلس مكان الحرب

(٤٢)

(وذروا التكاسل عن مآثرشاوها ؛ ذاك الهمام بكل فضل رابق)

هكذا ومازال احمد فى بلاده ، رافلا فى غلائل اسعاده ، جائلا فى اودية النعم ، مائلا فى صفو الكرم ، باسق الدوحه ، باسم الغدوة والروحه ، مرابعه باسمة الازهار ؟ ومجامعه طالعة الاقمار ، ومغانيه معمورة بمثانيه ، وزواياه سافرة بمزاياه ، ومعاليه زاهرة باياديه ، واياديه سوء اله محلاة بافضاله ، وفرائدهباته ؟ قلائد فى لبات اوقاته ؟ وصلات عاداته لا تنفك عن موصلاته و كواكب اشتهاره ، ساعية فى سماء افتخاره ، وثوابت مقداره ، فى مراكز اعتباره ، ومآثر انصافه على صفحات اوصافه ، وشموس سعده ! فى مطالع مجده . تتباهى به الاوقات ، وتتفاخر بمحاضرته السادات وتزهو به مجالس هى لارج المكارم معاطس وتسمو به مرابع هى للرواد مراتع وتروق به محافل بالادباء حوافل ،

(محافل فيها للكمال مغارس ، وفيهن للآداب والعلم غارس)

(يعطرها منه نفائس سودد ، وناهيك من مغنى شذاه النفائس)

(محافل شادتها بداه ارائكا ، نوادره من فوقهن عرائس)

(سفرن وجوها عن وجوه لطائف ، تنافس فى ادراكهن المجالس)

(شمخن فلم يلمسن راحة شامخ ، ولوانه للشمس باليد لامس)

(واصبحن للآمال ركن مكارم ، يفاخر فى تقبيله وينافس)

(وماخضعت يوما الاخمص دائس ، ولوانه فوق السماكين دائس)

(مساكن الا انهن مطالع ، لاقمار تم مالهن مجانس)

(حماها باطراف القنا وبواتر ! لاعدائه منه الكمي الممارس)

(واطدها حتى تسامت مراتباً ! فلا بدر الا دونها متقاعس)

(فيا لمغان دونها البدر نازل ! ويا لمبان دونها النجم خانس)

(بنتها ايادمنه شاهقة الذرى ! لهااستصغر الايوان كسرى وفارس)

(يباكرها الوفاد تامل رفدها ! وتستوهب الامداد منها القلانس)

(وتصبو لهامن كل افق شموسه ! كماقدصبت للوردهيم خوامس)

المغنى المنزل

منازل

(٤٣)

(منازل فضل للفواضل اعين ، كما انها للنشر منه معاطس)
(زهت بمزايا احمد مثل مازهت ، بزهر رياض اوبزهر حنادس)
(فلا عجب ان يترك البدر داره ، فينزل منها حيث احمد جالس)
{ فانى اخال البدر يكمل قدره ، اذا جمعته وابن رزق مجالس }
{ فتى لفه والجود برد مطرّف ، وارضعه والمجد بيض كوانس }
{ فلا بذل الا وهو بالكف ناسج ، ولا فضل الا وهو بالكتف لابس }
{ ولا شرف الا له فيه صهوة ، ولا صهوة الا لها منه فارس }
{ ولا طرف الا له فيه رائى ، ولا رائس الا له منه حارس }
{ اذا ناظرته السحب فضلا ونائلا ، رجعن و كل منه خزيان ناكس }
{ وان بارزته فى الوطيس مياهس ، تقاعس للاعقاب وهى هجارس }
{فتخشاه فى اغمادها البيض فى الوغاء وتشفق منه للروس القوانس }
{ وترهبه الادراع وهي جدارك ، وتحذره الاسياف وهى مقابس }
{ وتفرق منه السمر وهي اساور ، ويهرب منه فى التعادى الهرامس }
{ اذا ما اصطهى سرج الجواد فانما ، هو المرء قيس تحته كرّ داحس }
{ ولو جالد المدعاس جاء باقرع ، اسير اولم ينقذ بالسيف حابس }
{متى ذكر الاخيار فى ندوة الندى ، فنافس به من كان فيها ينافس }
{ فمن قال ان العصر يأتى بمثله ، فذلك للحق الصراح معاكس }
{ كفانى علا انى افاخر باسمه ، واسمو بمجد واه الذين انافس }
{ فكيف بقوم قد نماهم نجاره ، الى شرف يسمو به المتنافس }
{ بنوه العلى طالت بهم كابيهم ، محافل تزهو بالندى ومجالس }
{فلامس فى الجدوى هرامس فى الوغاء اذا اشتجرت بين الصفوف المداعس }

قيس هو ابن زهير وداحس فرسه المدعاس فرس الاقرع ابن حابس

(٤٤)

{ غطارف زانتهم عناصر محتد ، لغرس الندى والمكرمات مغارس }

{ بمثلهم يحلو القريض وتجتلى ، خرائد مدح فيهم وعرائس }

ترجمة الشيخ محمد ابن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي

هذا وممن حظي بصحبته ، وحلي عاطل بده بهبته (محمد بن احمد بن عبد اللطيف) مد الله عليه ظل عفوه الوريف : فانه ممن اجاد حمده ، فاجاد له مده ورفده ، اذ قرضه بقصائد ، هي لسوالف الادب قلائد ، ونظم له من صدف الاشعار ، فرائد اذكار ، تأنف عن لبات الولائد ، وارسل في محاسنه امثال ، هي في اعناق الاعصار كالمرسال ، ونشر له مثاني ، تبلغ ناشقيها الاماني ، قد قرأ العلوم اللغويه ، حتى صار فيها القاموس ، والحكميه ، حتى اذعن له جالينوس ، والنحوية حتى لحق ابن مالك ، والحديثية حتى كانه مالك ؟ والفقهية حتى انفرد عن المشارك ، والبيان والمعاني ، حتى برز على الجرجاني ، وعنى بعلو الاسناد ، حتى الحق الاحفاد بالاجداد * وبعلم الاعداد * حتى اقرت له لو اوجدوا الانداد ، فهو العمدة في عصره ، والوردة في رياض مصره * والشهدة لمشتار الحكم * والعهدة الهاطلة الديم * والعدة في الخطب اذادهم على انه منهاج الطلاب الى الارشاد ، ومصباح الى ايضاح الامداد ،

كم اراناالايضاح من منهج البحث ، منير المصباح بالا عداد

ومتى ما جرى يقرر درساً ، خلته جارياً بفتح الجواد

ولئن سابق الافاضل في العلم ، لقد كان فيهم كالجواد

تخرج في بلده ومصره ؟ على ابيه ريحانة نظرائه في عصره ، وغيره من الاجلاء العظام ؟ والنبلاء الافاضل الاعلام * وتأدب بهم ، فالحق بنسبهم ، وطلع بدراً في سماء رتبهم * وبلغ من فن الادب الذروه ، واعتلى من مهره اعلا الصهوه ، وتقدم حتى من الدعى فيه القدره ، ولئن كان فيه الغايه لهو اجل من حمل له بهارايه ، وتلاله آيه ؟ وسلسل منه روايه ، واعمل في دقائقه رويه ، وارسل من بدايعه الخفية والجليه ، واورى بذكائه زنده ، واعرور منه التعلة والوهده ، والتقط منه الدرة والورده ! واشتار منه ببنان ذوقه الشهده ، وجر على منوال نطقه المطرف والبرده ، وحل ببيانه منه العجرة والعقده ، واضحك من رياضه ازهارها ! واطلع في سمائه اقارها ، واجرى مهار ابتكاره ، في ميدانه ومضماره ، حتى رعى شراب نفعه * ومصقع جمعه ، ومطمح نظره ، وملمح غرره ، ومزهى زهره ، ومنبع زلاله * ومنجع سؤاله ، ومضرع افنانه ، ومسمع آذانه * ومرتع

غزلانه

(٤٥)

حر لانه ، ومغرس نخلاته ، ومقبس شعلاته * وفوق نبلانه ، مذخاض فيه فوقه * نفق في اوقاته سوقه * وبرقت بالامطار سحائبه ؟ واشرقت بالافكار كواكبه ، واورقت بصوب الابتكار قضبانه ، وماس بنسيم الاشعار بانه ، وتسلسلت جداوله * وبرزت من الخدور عقائله ، وكادت تسيل من الاغماد مناصله ، وتروق نثر المجرة نواصله * وتفاخر نظم الثريا ، فتجعل حملها جديا * وتقابل النيرين فتفضحهما رأي العين ، كيف لا وهو الحائك برودها والناظم في سوالف الطروس عقودها ، والمطلع في صدور الاسجاع نهودها ، والهاصر بنسائم الذكاء عودها والمظهر من اخبيتها سعودها والمطرز اذيالها والمبرز من افاقها هلالها والحامي حقايبها والسامي مناصبها * والمجهز بالافكار مقانبها ، والمجلي بالانوار غياهبها ، والمصفي من قذا العور مشاربها ، والموفي لها حقها * والرافي لها خرقها * والمرخي ازمتها ؟ والمسرح لها لمتها ، والواشم معصمها ، والشائم من دون برقع مبسمها ؟ والعائم مائها ، والناعت غرفها واسمائها ، والراشف رضاب طلاها ، من كظام جلها ، والناشق عبهرها وجاريها والنجم الشارق في افقها * والحامل اوقها ، واللابس طوقها * والسالك شعابها ، والطالع هضابها والرافع قبابها ، والعامر اطلالها ، والخائض عبابها ، ان وشي بردة غزل ، اراك غنج المقل ورقة النسيم ، وعذبة تسنيم ،

بلفظ كقامات العذارى رشاقة ، ولكنه في الذوق احلا من الشهد
ونظم كنظم الدر في عقد غادة ، ونثر كلألاء السقيط على الزند
وكم من دلاص احكمت بذكائه ، حكت زرداً من نسج داود والسفد
اذا ما جرى دمع اليراع بطرسه ، اسال سذاب الكحل في وجنة الخد
يكاد اذا تاه سحر بيانه ، يؤلف بين الابرق الفرد والهندي
رسائله هن الرياض وما لها ، شقا يق تحكيها بزهر ولا ورد
يحبرها منه بنان روية ، اذا ارتجلت شعراً ذكرت به الكندي
فلا عجب ان يطمح الطرف للحمى ، ويصبو قلب الصب منا الى نجد
فكم لمها نجد بطي فريضة ، شجون هوى تدعو القلوب الى الوجد
فيا لبرود من قوافيه طرزت ، بذكر غوان من هذيم ومن سعد

اذا ماحدى الحادى بهن ايا نقاً * سبقن وميض البرق في خلل الرعد

اذا غردالحادى وسالت رقابها * حكيت انصلات العضب من مغمد الغمد

وان وصف الايانق ، اتى بكل معنى فائق ، اوالسلاف ؟ فرابانواس بحسن الائتلاف ، او محاسن الخيل ؟ احجم عنه الطفيل ؟ وامتداد الليل ؟ اخر الكندى الى الذيل ، فلكم له من نظم ؟ كالقندق الفم ؟ لابل اللئالى ؟ اوبدور الليالى ؟ ونثرذى فقر ؟ كسقيط الزهر ؟ وتقارير علميه ؟ وتحارير شافعيه وفتاوى فقهية ؟ كالفتاوى النوويه ؟ وتاويل هى اسرار التنزيل ؟ وكم بحث معضل ؟ فتح منه المقفل ، ونوادر غير نوافر ؟ وبدايع هى جوامع ؟ ومدارس ؟ معمورة بالدارس ؟ والدروس ؟ احيت من العلم الدروس ؟ موضحة عقد تقريرها ؟ بفرائد الفوائد ؟ مطرزة ببرود تحريرها ، باعلام الشواهد ومجالس قطره بما ترابائه منورقبازهاراسبابه مشرقة الارجا ، بقدور لايعتريها النقص ، مشرقة الصدور بالصدور هى لخاتم المجد الفص ؟ ولحكم المعالى كالنص ؟ ومعاهد يبلغ المنى فيها ؟ غير منافيها ؟

معاهد لم تمهد سوى العلم والتقى * وتقريرابحاث وتحرير مشكل

وتبليغ آمال واكرام عالم * وتميق اجلال ورفع مفضل

وتبريز اعمال وتنوير حالك * ووصل اخى تقوى وقطع مضلل

معاهد هى للامال كعبه ؟ وللسؤال روضة رحبه ، ولاناسى الفضل مقل ؟ ولاوايس العلم كلل

سقاهن من افكاره بغمائم * ففتح منها مذ سقاها الكمائم

فلله ما تطوى عليه برودها * ولله ما تفتر عنه المباسم

ولله منها مربع كم تنفست * عليه رياح الهدى ونسائم

كان علاه فى سوالف نحره * قلائد فضل علقت وتمائم

ان كان لمرتاد العلوم مرابع ؟ ولاذواد الفهوم مراتع ، فهن للمعارف مطالع ، وللعوارف منابع ؟ راحات العفاة مجاريها ؟ وان فقدفى مصر هامجاريها ، فلاجرم ان امست المخدرات لبراعته خدورا ، والاهلة لبلاغته مظاهرا وشهورا ، ولاذيال السيادة ارج ، ولاقدام الافادة نهج ،

عمرتها آباؤه الصيد بالعلم وشادتها بالمكرمات الغزار

فهى

(٤٧)

فهى مغنى الندى ومعنى المعالى * ومشيع الهدى ومجنى الفخار
ان تكن كالسمآء فى رفعة الشا * ن فبا نوها هم شموس النها ر
قد سموا فى افلا كها وتردّوا * بردآء حا كتـه ايدى الوقار
وغذوها بكل بحث دقيق * اسهروا فيه اعين الا فكار
فتسامت على النجوم منارا * البستها انامل الا قمار
كل ماض يحكي الحسام مضاء * وطباعا تحكى سلاف العقار
علماء في قومهم شرفاء * كرماء في كل نادى محل قرار
انجبتهم من الظهور جدود * كلهم للعلا و للمجد جارى

ان نظرت الى آبائه فزهاد ، وعلماء كرماء شاؤن كل جواد *

علمآء في المعضلات بحور * و كرام شاؤن درّ المهاد
اتعبوا للعلى نفوسا آبيا * ت فحازوا منها رفيع العماد
فهم كالسيوف في كل خطب * غير ان لم تقر في الاغماد
واذا ما البحوث اشكلن يوما * وتعاصين عن حصول انقياد
ابرزوها من بين سجف المعانى * مثل زهر يبدو من الاوراد
كم اشادوا من بيت علم رفيع * قوّمته دعائم الاسناد
ورووا للحديث كل صحيح * واصلين الاحفاد بالاجداد

قرروا العلوم ؟ وحرروا المنثور والمنظوم ، وزينوا باساور المؤلفات معاصمها : وبينوا بالشواهد معالمها ، وحسنوا بالفوائد مقالدها ؟ ونظموا بفوائد الشوارد قلائدها ، وحلوا بانامل الايضاح معاقدها ! وروضوا بصيب الافصاح معاهدها ، واسجدوا اليراع فى مساجد رقاعها ، وارتعوا الاذهان فى مشارب اسجاعها ، و كشفوا عن مخدرات القناع ؟ واماطوا عن وجوه اللفاع ؟ وسهلوا امنا عجها وقربوا معارجها : وعرفوا منكرها ؟ وعرفوا مظهرها ومضمرها ، . وبحثوا فيها لحققوا ، ونقبوا عن اسرارها وفتقوا ، وجمعوا من اشتاتها المتفرق ، ورقموا من مطار فها المتخرق ، وانجدوا فى اوديتها واتهموا !

(٤٨)

واعر قوافى دوبتهاواشأموا : ونقطوامهملهاواعجموا . وابدروافى سمائها بعدان انجموا ٭ وخاضوا مرمات سباسبها ، وتقحموا غمرات كتائبها ! وتسنموا معالى غواربها فتقدموا ! وجلوا سوقها بالمسلسلات ، ونحورها بالمرسلات ! ووجوهها بالمحسنات ٭ ورفعوا منارها بالمرفوعات ؛ وشنفوا اذانها بالمسموعات .

كلهم فى الندى سحاب وفى العلم عباب وفى الطباع النسيم

لا ترى فيهم لئيم طباع . كل شخص تلقاه منهم كسريم

كل سام يحن نحو المعالى . مثل ما حن للحميم الحميم

زانهم فى الورى نخار تليد . مثل مازانت السمآء النجوم

غيرهم ماجد بطارف مجد . وهم مجدهم تليد قديم

نتجت منهم فتاة المطايا . وهى من قبلهم عجوز عقيم

آل عبد اللطيف طبتم فطاب . النثر لى فيكم وطاب النظيم

كيف اسلوكم وبعدكم الدين الحنيفى مستظام يتيم

يالقلب من اجلكم لدغته . حية الحزن فهو منها سليم

ساعدتنى على البكاء عليكم . مرسلات من فضلكم وعلوم

كل ارض منه علمكم فى رباها . مربع زاهر وروض شميم

ولكم منكم مآثر عز . شادها منكم اغر وسيم

المعى له سما شرف جز . ل و خلق زاك ووجه قسيم

الاوهو ذوالمجد الموطد . والفخار الرفيع المصمد (مولانا الهمام محمد) قدم الزياره بعد ماهجر جاره . قاصدا الحج لا التجاره ! وهى ذات نضاره ؟ ووجوه ناضره . وعيون بأناسى الكرم ناظره ؛ ورياض بازاهر الفواضل زاهره . وحياض مادة لاجازرة ممدودة من احمد بجداول . ليس لها الا الكف العفاف سواحل .

(انما حجت العفاة اليها . واتوها من كل فج وادب)

(ابتغاء للفضل من راحتيه . لا ابتغاء لحط ذنب وحوب)

٦ واجتمع

(٤٩)

واجتمع بفضلائها ، وتأدب به عامة ادبائها ، وانهلت في يديه سحابة سمائها ، وجادت عليه بنضار انواعها ، ومدت عليه بالبذل بدداماتها ، حتى صاولاباء تلك النوادى ، بمنزلة العبهر والجادى ، وللمجالس قطر كالشمس او القمر ولاحداقها تيك الاوطان ، بمنزلة الانسان ، ولصدور تلك المحافل ، بمنزلة الهند فى بياض الكلاكل ولهاتيك الرحاب بمنزلة السحاب ، ولرقاب هاتيك الاداب بمنزلة السخاب ، فما ارتحل عنها بعدما قضى الوطر منها ، مصحوباً بكرم ابن رزقها ، متلفتا بليته الى لامع برقهـا ، متمنيا العود اليهـا ، حانا حنين الورق عليها .

اذالاح ايماض تلفت نحوها ، تلفت ولهان الى بارق الشنب
وماذاك الا ان فيها سميد عا ، به قام سوق الشعر وارتفع الادب
فكم غادة جائته ترفل بالثنا ، فطوقها من سح ايديه بالذهب
تسمى ابن رزق وهو لاشك كائن ، اباه اذا ما الجدب اهلك كل اب
فلاغروان يرنوالى برق داره ، وسيم المحيا ابيض العرض والشنب
اغر من الفتيان بدراً اذا بدا ، وبحراً اذا اقرى وغيثا اذاوهب
مع الفقرا الغـر الذينهم هم ، اذا قلب الدهر المجنـة وانقلب

كيف لايديم الانين ويواصل الزفرات بالحنين الى مسرح ذى الكرم ومطمح انظار الهمم ومعقد عقد الشيم ، ومسور سوار الافتخار ، ودائرة شمس الاشتهار ، وفلك زحل هذه الاعصار ، وكيف لايتوق الى رباها ، والتنشق من رياهواها ، وهى مقلة انسان اعيانها وسلك يتيمة جمانها ومدار شرف كيوانها ومولانا الموحى اليه ، والمقصور ثناء هذه الرسالة عليه .

ملك متى مارمت نشر مديحه ، نشرته قبـل لسانى الارواح
قال الاعادى فيه تيه و خفـة ، لم يكـذبوا يرتاح اذ يرتاح
لم يبلغ الربوات سيب يمينـه ، الا ومن يسراه فاض بطاح
فيمينه القـاموس فى اعطائها ، وجبينه يوم النـدى المصباح

فازال يتقحم الامواج ، ويقوم فى الفلك فى كل عجاج ، حتى وصل فى ابرك آن الى قطر عمان فلقى من سلطانه ، وكرماء سكانه ، اكراما وان كان تام ! فهو ناقص بالنسبة الى

ماله من المقام * فتذ كربه اكرام احمد ، فارتجل فى ذلك وانشد .

وقائلة اصبحت فى الناس مثريا ، متى جئت قطراً امطرتك غمائمه

فمالك لاتثنى على كل نائل ، بغرّ العطايا ساعفتك مراحمه

اقول لهاان الجدى ببعث الجدى ، دعينى فما اعطوه ايضا مكارمه

وها انا اذا اثنى عليه لاننى ، ارى كل جود جادنى فهو ساجمه

وانى وان شطت بى الدار لم ازل ، اسائره فى خاطرى وانادمه

سقى المزن هاتيك الرياض وان تكن ، سقتهن بالدر الثمين عيا لمه

فلما اقلع عن الانشاد ، وعرف الحاضرون المراد ، شكرماورد منهم وصدر . وازمع على اغتراب غارب السفر الى البيت الحرام ، فزيارة النبى عليه الصلوة والسلام ، فاجتاز فى مجازه اليمن ، وسرح طرف الطرف فى رياضه وعطن ! وروى عن افاضله ، واروى فواضله عطاشه ، وادر عليهم وابله ورشاشه ، فهوان نشر مناظمه ! فكم نثرفيهم دراهمه * وان وشح رسائل ، فكم وشح من سائل ! ثم انقلب عنهم الى الحج والاعتمار ، فالزيارة طيبة السامية المنار : والتبرك بهاتيك الا ثار ! فلمادخل ذينك البلدين ؟ وقرت بمشاهدتهما العين : ونشرذكره فيها بكل اثنين ! انصرف الى بلده ، واقام قريباً من سبعة اعوام ؟ ثم رجع لزمام العود ثانيا ! ولزيارتهما ثانيا . فاجتمع فى مجاز هذا المقصد الاحمد (بالهمام القمقام احمد بن محمد) فاجزل عطائه . لما اجزل ثنائه ! واحله فى بحبوحة داره ، مستمتعاً بنضاره وسماره ؟ فى رواحه وابكاره ، ثم بعدهذه المرافقه فارقه ، واجفانه عليه دافقه ؟ ومهجته الى لقائه وامقه . والحافظه لبارق دياره رامقه ؟ وبعدمافرغ من حجته ! تاق الى وطنه وبلدته فرجع الى الاوطان ؟ اذحبها كما جاء من الايمان ؟ فلم تمتعه الاقدار بنظرها ؟ وملاقاة بشرها ، فانتجع من عمان منتجعا * الى ان رحل الى الاخرة وودعا ؛ وندبته العلوم ، وبكى عليه المنثور والمنظوم .

الاطرق الناعى فروّع مدنعا ، اغرّ من الفتيان اورع اروعا

نعاه فابكى للهدى كل مقلة ، وانجع للعليآء قلبا وروّعا

فيا مقلة العليآء ان تذر فى دماً ، عليه فرنين الندى عاداجدعا

ويا بردصبرى ان تمزقت بالاسى ، فقدشق للاسلام برداً ومدرعا

وياقلبى

(٥١)

ويا قلبي المضني فقد نمك دائباً ، اذا انت لم تحفر له فيك مضجعا
ويا حزني ان كنت لست بغارب ، فهذا فؤادى فاتخذ فيه مطلعا
ويا سلوتي لا ترجعي بعد فرقة ، ويا جلدى لا زدت الا تمزعا
ويا ارقي لازلت في الجفن خالداً ، فان مت فاجعل ماء وجهك ادمعا
ويا حرقي لا تسكني غير مهجة ، فان هي لم تحسن فدونك اضلعا
ويا مهجتي ذوبي ويا دمعتي اسكبي ، ويا فرحي فاذهب ويا ترحي ارجعا
ويا جسدي فانحل ويا انسي استحل ، ويا نكدى اقبل ويا الانمي دعا
ويا فرقي استحكم ويا قلقي فزد ، ويا شقوتي دومي ويا ناصري اخضعا
ويا زمني اظلم فقد كسفت ذكا ، سما ئك حتى عاد لونك اسفعا
فلا افق الا قد كساه ملاءة ، اساه فامسى بالاسى متقنعا
ويا قبران واريت واريت راسخا ، من الحلم اوبحراً من العلم يلمعا
وواريت مفضالا اذاحضر الندى ، والسن قوّالا اذا قال مصقعا
وابيض نها ضا الى كل غاية ، جرى البدر في مضمارها فتكعكعا
وبارته فيه الشعريان كلاهما ، ففاتهما سبقا وان جريامعا
فكمل فيه الفضل بالمهد مرضعاً ، واودع فيه الحلم والعلم ايفعا
تبدى وروض العلم فاد وذابل ، فلما سقاه عاد بالسقي مربعا
فمن وردة تنشق عن زهر حكمة ، ومن زهرة تزهو وروح تفرّعا
ومن مبحث حال بغرّ فرائد ، بهن يرى تاج العلوم مرصّعا
ومن مشرع حلو ومن مربع فك ، ومن مجمع قد صار للفضل مجمعا
ومن منهج للشافعية لم يزل ، لاوجه اقمار الدقايق مطلعا
فلوادرك السبكي تهذيب سبله ، لخال به جمع الجوا مع مدّعا

الملاءة الملحفة جمعها ملاءة

بارته من المباراة وهي المباره

ولو ان ذا الاتقان ادرك عصره ، لانهى له الاشان والحفظ اجمعا

فيحيى به يحيى متى قام للذكا ، يقرر للمنهاج فى الدر مشبعا

رمى لاخى العنوان ادرك شانه ، ولو كان فى العنوان والروض مبدعا

وما الفخر والمحصول فى جنب علمه ، متى قام للبرهان يوضع مهيعا

يرى مالك الاسناد لكنه ابنه ، اذا ماسعى فى النحو بحثا واوسعا

فلا غرو ان تبكى المعارف فقده ، فتوقظ بالتأبين قلباً ومسمعا

وتبكى المعالى والعوالى فتنثنى ، اسنتها تذرى على الخد ادمعا

لكم معلم لما قضى عاد مجهلا ، وكم اطم مذفاض فط وزعزعا

وكم من سلو واصطبار تقضقضا ، وكم من سمو وافتخار تضعضعا

وكم معلم للعلم صير مأتماً ، وكم منبع للفضل قد عاد مضرعا

وكم وجنة لا تعرف اللطم الطمت ، وكم من قفاً قد صار للرزء مصقعا

فشمس المعالى كورت بعد موته ، وسجر بحر العلم مذ قيل شيعا

فيا موت ان افجعتنا بمحمد ، فها انت ذا لم تبق الا مفجعا

وقد كان خير العالمين وخير من ، على قدم الانصاف والفضل قد سعا

فلست اذا افجعتنا بسميه ، بمعتبنا فيه فيحيى ويرجعا

ولكننا نرضى بما رضى القضا ، ونلبس للتعزاء والصبر مدرعا

ولو كان يغنى جازعا شق جيبه ، لصيرت قلبى فى اساه مقطعا

سقى قبره مزن من الرحم هامع ، فاخصب منه جانبا وتمرعا

ولما هيل عليه ترابه ، وانصرف عنه اصحابه * ورثاه اصدقائه واحبابه ، ورمدت به مقلة العلوم ، وخرت من سماء الفضل النجوم ، رثيته وانا باكى العين ، مؤرخاله بشطر بيت من بيتين *

لعمرى

يحيى هو الامام يحيى النووى الشافعى

التابين هو الرثا

لعمري لقد ضم الثرى منه كوكباً ، اذا ما بدى اخفى سناه الكواكبا

فقلت ودمعي كالسحاب مؤرخا ، يقود له فضل من الله واهبا

سنة ١٢٢١

وحين بلغ احمد نعى الهمام محمد سحت عليه ماآقيه ورثى له من فرط اساته معاديه ، وودلو قبل الفدآء ان يفديه ، فلولاشدة صبره وتأسيه * لقضى من شدة الجزع ، ولكنه تاسى فرجع وسلم للقضا ، مائلا الى الرضى ، وارسل المراثى العربيه ! مشفقا عليه بالعطايا السنيه ، الى ورائه ومواليه ، شكر المعاليه واياديه * فلله رات بالسوءال قبل المقال ، ولله بحر لايمتطى بسجه ولاتعام لججه ، ولله بدرسما ، هى شرفه * ومن اياه صدفه ، ولله من كريم بسام ، كالنور باكره الغمام ، والنوران جاب عنه الظلام ،

ولله من يرعى المودة والاخا ، لمن غاب فى بطن الثرى عادم الثرى

فهو الحقيق بان يحمد ، ولو لم يزل احمد *

سلا صاحبي السمر عنه فانها ، تخبرنا ان ليس تلقى كتآئبه

وان تسئلا نبع الرياح فانها ، مذاكيه في يوم الوغاوسلاهبه

ومن خيله سمع الرياح لدى الوغا ، جدير لعمرى ان يذل محاربه

وكم قائل ان الرّعان خميسه ، وماخال ان المرسلات مواهبه

وكم قائل ان النجوم عزومه ؟ ولم يدران الشهب منها قواضبه

هو المرء انسانا له الفضل مقلة ، وقلبا وجثمان المكارم قالبه

وان فتى لايطرق الضيم جاره ؟ لابعد شئ ان يهان مصاحبه

وان يرحل الضيف الغريب بذمة ، وان تخلف الوفّاد بذلاسحائبه

يطرى بالرآء المهمله من الاطرآء

واكرم من يطرى ويعذب مدحه ؟ ويهتز للمعروف والخير جانبه

ترجمة الحاج عثمان بن الحاج سلمان ابن داوود البصرى

ومن خواص اصحابه ، المعاصريه ابان شبابه (عثمان بن سليمان بن داود) البصرى دارا ، القرشي التميمي نسبة ونجاراً نشأ فى البصرة مسقط رأسه ، ومطلع نيرشمسه ، ومربع وردةانسه ، فقرأ فيهاجملة من الادب ، ونظم الشعر كما هى سجية العرب ، وكتب ففاخربه من كتب ، وبرع فى فنى النظم والنثر ، براعة سلمها له اهل العصر ، وعلم بها فضلا كا

علم بالهلال الشهير ، وابرز بها نبله ، حتى لم نر فى صقعه مثله ، مع الاشتغال بالتجاره * ومعاناة الربح والخساره ، ومشاغبة الافكار ، ونبو الديار ، بعد انفتال الحصار * ومقاسات الاغتراب ؟ عن الاوطان والاصحاب ، فان الاقدار ! نقلته الى الديار الهنديه ؟ بعد مااستولى على بلده الزنديه ؟ واقام فى هاتيك الاوطان لاينطبق له جفنان ولايرى من ذوى انسه انسان الى ان اخلف الزمان عن طبعه المعتاد فارجعه الى البلاد فطاب له انسه وسكنت عن الاضطراب نفسه حين رجعت الى فلكها شمسه وسد بروءيته فضله وابنع فى مغرسه فضله وذلك بعد ملاقات الرجال وادراك ذروة الكمال وصقل مرآة افكاره واكتحال مقل اختباره واعتدال زمن اعتداله وسطوع شمس اقباله وتضوع نفحات ادبه واخضلال افنان نشبه وهبوب ارواح جده واشتعال مصباح مجده وانتظام سلك سعده وازهار روض اعظامه واسفار فجر احترامه وانفلاق محار صدره عن لئالى فكره وانشقاق وردلسانه عن زهر بيانه وانطلاق بنانه بدرر احسانه وابتسام تبيانه عن وجوه افتنانه برز فى البصرة كما تقدم فصدره فضله على اقرانه وقدم وقد كفله ابوه ثم جده الى ان ساعده اقباله وجده وبرزه على الاقران مجده *

لك الله من مولى ترقى الى العلى ، فساعده اقباله وعزائمه

وقبلت العلياء ظاهر كفه ، وليداً وما حلت لذاك تمائمه

هو الفضل فخراً زانه منه سودد ، وزهراً سقته من يديه مكارمه

فما امتد منه الطرف فى عيب جاره ، وماحبست عن سائليه دراهمه

وماودعت بالذم اضياف داره ، ولاعابه عند الخصام مخاصمه

وماقصرت اسيافه عن عدوه ، فان قصرت زيدت بهن معاصمه

تحبب بالاعطاء والنصح للورى ، فما كلهم الا الكفور مسالمه

فصار يشب بالكمال شباب الهلال وينصب لصالح الاعمال نصب الكهول من الرجال يفاخر الاتراب بزيادة الاداب ونظافة الاثواب ويوانس الفضلاء ويجالس العقلاء ويثابر على الماثر ويزاحم فى سمو المفاخر وتسمو به نفسه الى مايتقاصر عنه جنسه وتطالب عزائمه فتعاضده صوارمه ويتقاضاه شرفه ما تضيق عنها برد الزمان ومطارفه ان ارضعته المروه فقد حضنته الحظوة والفتوه حتى صار فى الكرم القدوه واصطفى للفضل الصفوه وشرب من سلافة الصفوه وجرى فى مضمار السياده فشأى فى السبق

السادة

(٥٥)

الساده كانما خلق من عفافه وصار روحا لانصافه *

لاعيب فيه سوى عفاف ظاهر ؛ وجميل انصاف ومدّ يمين
وكريم احلاق ولطف سجية ، وعظيم مجدوابتسام جبين
وبياض اثواب وباهر سودد ؛ وتليد فخر وانقطاع قرين
تاقت الى بذل المكارم كفه ؛ توقان عطشان لرشف معين

قدعاشر احمد فى شبابه فصدره فى اصحابه اذ كان يخصه بالمشاوره ويصطفيه للمحاوره ويسامره الطف مسامره ويحضره مجامعه ومحاضره فيجده فى المحاورة ذا محاضره ويشير بلطيف اشاره وخفى عباره فيفهم ذلك اسرع من طرفة عين لا اقول كانطباق شفتين اوقول اين طالما يستجاذبان افنان اليائق فلا يفهم ما اراداه انسان ولقد ذكر بعض من لازم احمد انه حضرها فى مقعد حافل بوجوه الصيد رافل ببرود الغيد فاراد احمد امر الاينبغى اعلانه وكان بعيدا منه مكانه ففاه به على طريق الالغاز ففهم ما اراد فى ذلك الايجاز قبل انتهائه الى الاعجاز واجابه على الحقيقة لا المجاز بجواب عرف به مقداره واعظم به ابكاره تولى له الاموال مدة احوال وكان له مساعداً ولامره زنداً وساعداً وربما استشاره وهو فى الزياره فيرسل اليه بجواب يكشف عن مخدراتها النقاب وبالجملة فذكاه لا يوجد فى سواه ؟

لله درّ ذكي حاذق يقظ ، يكاد يفهم قبل النطق ماهجسا

له النثر الرايق الحسن والشعر الذى لا يدرك شأوه الحسن تعرف لى ببذله وقابل جهلى بعقله قطعته فوصل وملت عنه فعدل واغضبته فما اغضب وبعدت عنه فقرب وعاشرته فما الذواطيب وسامرته فما الطف وانسب ان نطق فضل عن كل من فضل وان داعب ظننت النسيم عبث فى الروض الشميم واما النسب فشذور الذهب واما الحسب فمصاص لباب واما الاداب فحدث عن العباب ولا حرج ولا عتاب واما الرسائل فاللئالى من المراسل واما انشاؤه فبديع واما انداؤه فربيع واما مجلسه فمطلع شمسه محياه شميم مربع واما فنائه فمشرع ترده العفاة واما وقاره فلم تسمع به فيمن عداه

صاحبته وبلوته فوجدته ، ابداً اذا طاش الجليس موقراً
واذا راى ضيفا الم ترنحت ، اعطافه طربا وانعم بالقرى

نزل الزبارة وما نزل بل ارتفع بالفضل وكمل وزار الحرمين فقرت له فيهما العين وصحب في سفره اليهما (محمد بن عبد اللطيف) واجلاء من العلما . فحصلت له مع ابن عبد اللطيف اجازات هي للبلاغة والفصاحة مجازات فحسنت بينهما المطابقه في تلك المرافقه وشكر كل منهما الاخر ونوه بادبه وفاخر كيف لا وبلاغتهما تعجز الكندى وتنطق بالعربية الكردى

كم فتحا للنظم من مرتج ، واوسعا للنثر من منهج

وفوقا للفضل من مطرف ، لولا هما حاكه لم ينسج

وبالجملة ففرائد افكاره وخرائد انظاره هي حور مقصورات حسان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ومحاسن آثاره ونوادر اخباره متبسمات عن ثغور الاحسان منضورات بكل انسان منثورات بكل لسان يضيق نطاق الازمنة عن بعض ما ابداه وتكل الالسنة عن عد يسر مزاياه ومن محاسنه المأثورات ومناقبه المشهورات اخراج زكوته واسعاف المحتاج بصلاته ومواضبته على عزائم صلوته ومراعاته من جاوره وملاطفة من حاوره ومصافاة الافاضل ومعاداة الاراذل

احب مزاياه لاني رايتها ، محببة طراً الى كل فاضل

واني اسامي من رايت بفخره ، فتشهد لي في ذاك بيض المحافل

فلا عيب فيه غير مطرف سودد ، على هامة الجوزاء والنثر ذائل

وعزم اذا امضاه في حل معضل ، اراك به بيض الظبا والمناصل

وابيض عرض لم يدنس ومحتد ، هو البدر الا انه غير نازل

وانه بالحق قائم غير مصغ للائم ابقاه الله في قيد الحياة فائقاً للنظائر والاشباه ولدغرة الاماجد الميامين بعد الالف والمايه قريباً من السبعين وممن عرف بصحبته بعد تعرفه اليه بصلته (ناصر بن سليمان بن سحيم الثابت الايمان) الباهر الفضل والاحسان هو روض زهره الفوائد وحوض علم لا ينزف لكثير الوارد لاهل بحر لا ينعت بالجزر ولا يمد باليسير النزر تدرع بالصيانه وتطلع ثنايا الرفعة والمكانة وتأزر بالعفاف والديانه وتعطر بالانصاف والامانه اذ صار في الحسب ريحانه فهو لعقد الادب اليتيمه ولورد النسب الروضة الشميمه ومن مصاص الشرف بمنزلة الدر من الصدف التي اليه العلم بالمبب وملك ناصية الادب وجال في مضمار الايجاز فسلمت له البراعة زمام الاعجاز وبرزت

وفاته رحمه الله سنة ١٢٢٦

ترجمة الشيخ ناصر ابن سليمان بن سحيم

(٥٧)

من خدور البيان له مخدرات لم تبرز قبله لانسان بحث فى مشكلاته فابانها واعرب مبهماته فزانها واماط اللثام عن وجوه ابكاره وفتق الكمام عن ازهار اسراره ونظم ببنان ابتكاره لالى تقصاره ووشى حبر بيانه ببنان اذهانه

يقال وشى مخففا ومشدداً

(حبر اذا وشى برود الوكة ، امست على كل الانك فاخره)

(واذا ابان وجوه بحث غامض ، نظرت بالحاظ البصائر سافره)

(واذا جرى ذكر الحديث واهله ، فهو الذى بالحفظ قيد نافره)

واذا الاصول تبرقعت ابحاثه ، قسر البراقع عن وجوه وافره)

(فكانما جمع الجوامع قلبه ، ان قام بالتحرير يطلب نادره)

نادرة واحدة النوآدر

تمكن من العلوم العقلية والنقليه وعنى بجميع الشوارد الادبيه وآلت اليه الرياسة الحنبليه وعرضت عليه المشكلات الحديثيه فازهرت به للحديث رياض وطارصيته فى الامصار واستفاض وانثال للرواية عند الطلاب فاتوه من كل اوب وباب وظهرت بركته فى القاصى والدانى وبهرت مروءته حتى قيل ليس له فيها مدانى وابيضت لياليه ببدور مساعيه واثنى عليه ليله ونهاره وتشرف بمباشرته رداؤه وازاره وشهد له بعلو الرتبة فخاره وتوقر فيه سكينته ووقاره وحمدت فى المحافل مزاياه وآثاره واقرت بزهده معاصروه وبمجده اضداده ومعادوه صحبته فى الصغر وذاكرته فالفيته نسيم السحر قبل خدالزهر فعادت على بركته وشملتنى دعوته اخذالعلم عن الجامع بين المعقول والمنقول والآتى فى فن الاصول بما فاق على الحاصل والمحصول والناقد المميز بنقده المردود والمقبول الكائن من بحر الابتداع كالعلم المركوز (محمد بن عبدالله بن فيروز) وعن ابنه عبدالوهاب وغيرهما كابن سلوم فى الحساب وشيخنا الكردى فى النحو والقرائن وشيئا من فن الاصول والميزان وروى البخارى وشرحه ارشادالسادى اجازة وسماعا لغالبهما وقراءة لبعضهما عن شيخه قدوة المحدثين وحافظ عصره فى الاحسائيين ومنتهى ارادة الطالبين المشار اليه اولا المعول عليه فيما اسندوارسلا واخذ عنه المعانى والبيان والبديع والنحو حتى برز على الاقران والعروض والقوافى والاصلين فقرت له بذلك العين وغيرذلك مما يخرج ذكره الى الاسهاب ويخرج بسطه الى افراد كتاب وبالجمله فهو الصدر فى اصحابه والبحر لقلادة الفضل وسحابه والسماء لكواكب آدابه ان اختصر فاليه المنتهى والغايه وان اطنب فهو فى الاطناب الايه لم يزل منابرا على الاخلاق الزاهرة

المبعدة عن الدنيا المقربة الى الآخرة يقوم الليل باجفان باكيه ويصوم النهار باحشاء طاويه

لله درّ امام ، لم يغف في الليل غفوه ، وان يقل لم تجد في

مقاله قط هفوه ، له محيا بهيج ، كانه الزهر غدوه

ومهجة ليس فيها ، لهذه الدار شهوه ،

انتقل من نجد يافع السن منفردا عن الرب والخدن فوصل الى هجر وحارب كراه وهجر ليالى الطلب حتى بلغ الارب ونور روض اقباله واسفر صباح آماله وفتح له ورد مجده وترنح غصن سعده بمشاهدة ذلك الجناب الكريم واهتدائه بصراطه المستقيم وتطلعه في صفحات وجهه القسيم وموالاته اياه موالاة الاب الرحيم ومصافاة رضاه مصافاة الماء النسيم وتنوير عين تبصرته وتحلية عاطل فكرته واتحاف تهذيبه واسعافه بتاديبه ولما تنقلت بهما الحال فانقلب الدهر بهما ومال باخراجهما عن الاوطان وايحاشهما من الخلان قصدا زيارة احمد فزادا كرامهما وجدد وابدلهما من الدور الغرف ورفعهما بعد الانخفاض الى الشرف ووصلهما بصلاة عوائدها لم تضمر وامدها بتجميلات قائدها النضار والجوهر فـاز الاعلى هذا الاكرام حتى نقلتهما الايام الى البصرة قبة الاسلام فتبوءا من مقاعدها الصدر واسفر بهما وجه المصر والعصر وارتفع لهما في اهلها الجاه والقدر وتولى شيخه المدرسة السليمانيه واقام الوظائف العلميه وهو يقرر البخاري عليه ويشاره على القاء الدروس بين يديه نازلا من اكرامه منزلة الانسان من المقلة او منزلة الرابط من الجملة الى ان انتقل شيخه بالرحمة بعد ما افاض عليه حفظه وعلمه فتصدر بعده فيها ناهجا منهجه في الاكرام لساكنيها قائما بوظائفها كما هو شرط واقفها وقد حضرت درسه مرارا فوجدته بحرا زخارا يعتقد معتقد السلف ولايتعرض للسادة الخلف لم يزل جليس داره ملازما لسكينته ووقاره محافظا على اكرام جاره مباركا في ايراده واصداره طويل الصمت جميل السمت فهو الدرة التى ببقائها يدعى ولزيارتها على الراس يسعى ومن محبيه في اعلانه واسراره ومجاذبيه ازمة اسماره وملازميه في ليله ونهاره الاديب الارب واللوذعي النجيب (عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن جامع) البليغ في المحاضر والجامع المهيب بالابصار والمسامع قد برع في المعرفة وهو غلام ورام المعالى فادركها قبل الفطام وتأزر بالعفاف حال البروز من الارحام وارتدى بالانصاف حتى دعي فيه الامام وتدثر بالسكينة والوقار قبل اخضرار العذار ولازم التقوى كالازم الشمس النهار فاربض روض اثماره وابيض وجه افتخاره

الوظايف بالمشار اليه مايوظف من قرآءة واوراد وغيرها

ترجمة الشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع

وشمخ

وشمخ عرنين مقداره واشتهر في الانام اشتهار البدر في الظلام وبرزت في فلك الاقبال شمسه وتفاخر فيه يومه وامسه ودعي اعجوبة اوانه وريحانة مصره واعيانه وانفرد بلطائف الاداب عن افاضل الاتراب واتصف باتصاف الكمال واسعف بالنوال اسعاف العارض الهطال

(لم اجد فاضلا من الناس الا * وهو يثني بملأ فيه عليه)

(اتلام العلى اذا لازمته * مثل مالازم السخاء يديه)

قد اخذ النحو عن شيخنا الكردي وقال فيه هو اجل من قرء عندي ووري زنده من زندي وعن ابن فيروز نجله علمي الفقه واصله وعن ابن خنين وغيرهم من علماء البحرين لاغرو ان شأى في البراعه من مد الى تناوشها ذراعه بنظم هو سائل الامثال ونثر هو فرائد المثال

(فقرات كأنهن لئال * وقواف كأنهن سموط)

(نظرات كأنها زهرات * باسمات يزينهن السقيط)

هز للمعالي معاطفها وصد للمكارم وارفها وحلى للما ثر سوالفها وبلغ من النجابة اقصاها وحوى اللبابة وطلع رباها حتى كأنما هي لفظة هو معناها ولبته البلاغة حين ناداها وتطأطأت له الفصاحة فامتطى مطاها وبرز للمشكلات فاسفر عن محياها وشمست المعضلات فازال شماستها وشرست العويصات فالان شراستها وتجلى للمكرمات فاعطته زمامها وجعلته في مجامعها امامها ومقدامها وممن امسك بزمام علمه والتقط من زهر نثره ونظمه ابو الاملم (عثمان بن جامع) بهجة صدور المجامع وزهرة رياض الجوامع وغرة وجوه الافاضل وعمدة المستفتين في النوازل الانصاري الخزرجي نجارا القطري البصري دارا هو والله نادرة عصره وناظرة بلده وقطره ذو دمع ساكب وقلب خاشع واجب

ترجمة الشيخ عثمان بن جامع

النجار ككتاب الاصل كالنجر وهو بالنون والجيم

(اذا قرأ القرآن سالت دموعه * ولاح على الخدين منه خشوعه)

(اذا اسود جنح الليل قام مصليا * وقعقع من خوف الاله ضلوعه)

اذا توسمت صباحه واستنت فلاحه واستشمت نجاحه واذا سمعت قرائته تيقنت انابته وحققت عبادته واذا سبرت طريقته ذكر النبي وسيرته لا تاخذه في الله لومة لائم ولا تدرعه عن الحق الصوارم اما زهده فزهد امامه واما شجاعته فشجاعة ابائه واعمامه قرأ

اراد امامه الامام احمد ابن حنبل

(٦٠)

كابنه على ابن فيروز وعرف به مايحرم ومايجوز وروى الاحاديث النبويه وتصدر فى السادة
الحنبليه وشرح اخصر المختصرات فى المذهب شرحا ابان عن فضله واعرب وولى القضاء
فحسنت سيرته وحمدت فى البادى والحاضر طريقته ورحل الى مكة وطيبه فحمد غب
هاتيك الغيبه بقضاء واجبات المناسك وحصول المنى فى المثول فى هاتيك المسالك قد قرأ
الفقه والاداب والمواريث والحساب ففاق مشايخه بلا ارتياب كيف لايفوق المعاصر
ويروق به وجه المحاضر ويحار فى ذكائه المناظر وتتشنف الاذان باخباره وتتشرف
الاجفان بابصاره (وعبدالله ابنه والعلم خدنه) رحل الابن الكريم الى اليمن فوصل له
كل صحيح وحسن وكملت له الدرايه بعد ماحصلت له الروايه ودخل مكة والمدينه
فكمل له الوقار والسكينه بمشاهدة تلك المشاهد ومعاهد هاتيك المعاهد والشام
وحلب فادرك ماطلب اذ اطلق فكره الشوارد فكم قيد من اوابد مع ماجبل عليه
من الحلم وملاطفة المضادد والخصم واسهار الاجفان فى تدبر معانى القرآن واتعاب
الفكر فى تحصيل الغرر ومن الدليل على فخامة قدره وسمو مجده وعلو فخره محبته
لاحمد وصير ورته منه كالسمط من المقلد يفيض عليه الاسرار فى الجهر والسرار
ويساعده مساعدة الساعد ويصله باتم صلة وعايد فهاهو وابوه فى قيد الحياه كما نرجوه
ونتمناه اعدل السير سالمين من الافات والغير محببين عند عامة البشر معظمين فى كل
بدو وحضر جديرين ان يحدق بهما كل بصر وان تنشر اخبارهما بيان لسان السمر
(ومن سماره) وحلة اخباره ومسلسل اذكاره ومحسن آثاره ومواليه وانصاره
ومنشق ارج افتخاره (بكر بن احمد البصرى القطرى الزيادى) سقى جدثه هطال عفو
البارى وهفا عليه روح الجنة السارى قد قرأ القرآن واتقنه اتم الاتقان ونور به المكان
والزمان والاجفان واعمل به الجنان واللسان وابكى عليه الاجفان واعتصم بعراه
وانتظم فى سلك افتقاره واستنار بمصباحه وتنشق عبير ارواحه واتقن محكمه ومؤخره
ومقدمه فأمن بمشكله ومفصله ومجمله اتجر بالاموال فانثالت عليه النعم وحسنت له
الاحوال الخازلت له عن الشرع قدم وطلب الرزق من حله وصرفه فى مستحقيه واهله فعمر
المساجد للعباده والمقاعد للشرفاء والساده واثال جداول النائل على المسنت والعائل
وارسل الى الحرمين من غالى العين ملء ترعين واملأ ذات اليمين بصدقة اليسار واليمين
وتواضع للعاله واطرح الابهة والجلاله مع انها لاتنبغى الا له فهو الغرة التى زان بها وجه الزمان
وتلألأ غرة ثغر المروة والاحسان والدوحة التى تفرعت منها افنان الكرم والروضة
المزهر قبازهار الشيم المفترة الكمائم عن اوراد العظم والدرة التى لاتقايس مقدار مبالقيم

ترجمة الحاج بكر لؤلؤ البصرى

درة

(٦١)

(درّة قد سمح الدهر بها * عظمت عن ان توازي بالقيم)

(درّة تبسم ثغراً عن ندىً * ما اتاه سائل الا سجم)

(حرّم الجود عليه قول لا * وقضى حسما عليه بنعم)

قد نشأ في البصره مجبولا على احسن فطره منظوراً من القدر بلرئف نظره مرتضعا من ندى الكمال والجلال مرتضعاً على الاقران والامثال سائراذكره سير الامثال محمودة سيرته مانوسة سريرته بيته ركن تستلمه العلماء وتقبله بالشفله العظماء مثابراً على اخلاق الكرماء ذى الطاف ادبيه ووظائف حاتميه لايصحبه الااهل العفاف ولايتقرب عليه الا ذووا الانصاف ولا ترد مجلسه الا الاولياء والضعاف ولاتنتشر فى ناديه الامحاسن الاوصاف ولايسامره الاالنبلاء الاشراف مامضى زمن الااودعه كل حسن ولاحل مكان الاوهل فيه باحسان اذاتصدق اخفى واذا كال اووزن وفى واذا لبس الظلام براقه شدللعبادة نطاقه واعظم للمستحقين انفاقه فـازال يعمل القرآن لسانه وبالتفكر فى الالاء جنانه وباسداء النعماء بنانه وبالركوع والسجود اركانه الى ان ينفلق الصباح ويدعى الى الفلاح فيهرع الى الصلاه والخدم امامه ووراءه فاذا قضاها انصرف وكب على القرآن وعكف الى ان تاخذه ذكاء فى الاشراق ونفرغ الناس الى اكتساب الارزاق فيدعو بالجفان المترعة من الاطعمة بالوان فيطعم من دارسه منها فاذا قضى وقضوا انصرف عنها فيتصدق على من حضر فى ذلك المحضر ثم يقوم الى صلوة الضحى فاذاقضى وطره منها انتحى آخذاً فى امور دنياه ليستعين بها على اخراه فازال كذلك فيها حتى انتقل من نواحيها علم الحصار محاصرة الزندلها وقد كان الساعد والزندلها وسكن الزبايه وهى فى عنوان العماره فسلك فيها العدل واوسع فيها البذل وعظمت له فيها الرتبه اذحلت له العطية والقربه واعادفيها نضارة الاسلام وغضارة المكارم فى تلك الايام وحسنت له فيها الاثار وصحت له اخبار الافتخار وارتفع فيها العرنين وانقطع له فيها القرين سوى من اعملت فيه هذه الرساله واشتهر فى الافاق اشتهار الغزاله .

ذكاء غير منصرفا الشمس

(وانى لا الق له الدهر مشبها * ولوانه مس السهى بيمينه)

نعم هذا هو الغاية بعده ولا ادعى اذينال مجده ولكنه يفوق من عداه ويحذوحذو نداه فيته مناط عقد الدراسه ومجرذيل الرياسه ومقبل شفاه الامراء ومطمح آمال الفقراء ومهب انفاس الكرم ومنصب ماله من الديم يتلاقى فيه الدارس والفارس والمثرى والبائس

(فيالك من بيت زواياه للعلى * مقرٌ وللقرآن خير مدارس)

بنى فى الاحساء من البحرين مدرسة اومدرستين ومسجداً فى الزيارة كالبدر فى رأى العين متى ذكرله عالم ارسله اليه وافاض موائد بره عليه وروى عنه ودرى فاذاقضى منه وطرا اوجعه حامداً لما جرى لاتلذله المسامره الابالمذاكره لاسيما بالفرائض والحساب فانه ممن اماط عن مخدراتهما النقاب ومن الدليل على باهر صفاته انه لمالاحت اعلام وفاته وخاف انقطاع خيراته وكانت له جملة ديون مثقلة بها الاعناق والمنوق اطلق رقاب اهلها من قيدها وغلها وارد فها من عين ماله بمثلها (وبالجملة) فاوصافه محموده وافضالاته غير محدوده وايامه مشهورة مشهوده وعطاياه مجروره ومزاياه مشكوره تعيا الاقلام عن حصرها والافهام عن اكتناه قدرها توفى بعد الالف والمائتين مردفة بستين سقى قبره ملث الرضوان وغاداه العفو والغفران *

بكاه فان المجد قدخرّ نجمه * وصوح روض الفضل والفصل والحلم

قضى فقضت منه المعالى واصبحت * خدود العلى سود الجوانب بالّلدم

وعادت قسى الفضل لاوتر لها * ولافوق الاوهو يبكى على السهم

واضحت قناة الدين تبكى سنانها * فما عينها قرحى وهاد معها يهمى

ووجه الهدى قدصار من عظم الاسى * ولا مقلة تجلو ولا انف للشم

واضحى اليتامى والمسيفون بعده * خواضع مما مسهم من ضنا اليتم

بكوه باجفان لفقد جفانه * المكللة الاطراف بالخبز واللحم

فقد كان ماوىً لليتامى ومعقلاً * يلوذ به الهلاك فى الكرب الادهم

احمد ويش ازى

وممن عاصره وماصاحبه وعاشره (سميه احمد بن درويش الانجد) فانه وان لم يكن يلقاه فقد كان يحب ان يراه ويهوى مكاتبته ومسامرته

(والمرء مازال الى شبهه * منجذباً يهواه بالطبع)

(والمرء يهوى المرء عن رؤية * من بعد ان يهواه بالسمع)

ولكن الايام لم تسمح بالبغيه فلم تمن على كل منهما بالرؤيه فهو وان لم يحظ برؤيته فقد حظى بموافقته فى صفته وتسمته نشأ فى البصرة بلاده ومناط قرط سودداجداده ومطلع

سيادة

سيادة غن لا تموس يع اوراد سياسته ومرمى انضار علائه ومهمى امطار سفائه ومجر ذيل مُنائه ومقر لئالى الائه وبلدة بدر مجده وورده زهن حمده ومرتع اذواد وفاده ومنبع عيون جوده وامداده ومدار سيال افضاله ومنار اعتباره و كماله ومغرس مسبل كرمه وموطئ اخمص عظمه ومعقد عقد شرفه ومورد لطائفه وظرفه ومنهل انصافه ومهل عفافه فهى بلدة يطير اليها العافى بالقوادم والخوافى وتحكم فى مدحها الاعاريض والقوافى وتطمح اليها الانظار ويسمح لوصولها الضنين بالنضار فانها وان كانت قبة الدين ومنجع الابرار المتقين ومجر ذيول الكرماء الميامين ومدار شموس العلماء العاملين قد زادت باحمد نضارتها وانفلقت عن لئالى المفاخر محارتها وافترت عن المآثر منها الثغور واسفرت فيها للسيادة نجوم وبدور وزاد بردسعادتها وطال ذراع سيادتها وشمخ عرنين ارتفاعها وبذع عن امتناعها وحميت بالاسنة اجام سباعها وحجبت عن الاهانة رباعها وطلع فى منازل النصر اكليلها وذراعها واخصبت بسيب جدواه بقاعها وافتخر باقدامه بقاعها وزان ببهجته محياها وشاع بطيبه رياها واكتحلت باثمد رياسته عيناها واثنى على لسانه افعالها ونظرت عن عظم اعيانها واخضلت بسعادته افنانها فلاغرو ان تسفر به جبينا وتفيض على بدنها من مهابته زيزداوظنينا وتذيل من مكارمه ذيولا وتنشق من انفاس مهابته ولطافته شمالا وقبولا وتزداد بظرافته الى الصدور قبولا اذهو المشار اليه فى ندوتها والواجب التصدر فى ذروتها الملقاة اليه مفاتيح ايرادها واصدارها والمنتظمة ببنان ارآئه فرائد تقصارها المنادى حاتمها وان كان لاعدائه هاشمها وحسام حمايتها وغرة ناصيتها ومصباح مشكاتها ومفتاح خيراتها وانسان مقلتها وركن قبلتها وبدر افقها وشمس غربها وشرقها ومركز دائرتها ومحيط قارتها ودارتها وكبرى مقدماتها ومعنى كلماتها وسالفة تقصارها وهامة افتخارها ومعدن اسرارها ومعقل فقرائها وموئل امرائها ومرقى نشائها ومنتهى آمال ابنائها ومنهاج عوارفها وامداد عواطفها

(قرشى النجار من سح كفيه ، رياض الندى تفتحن نورا)

الف المكارم قبل الفصال وقصر المكارم عمن يسابقه نوال فرياض الكرم منورة التبسم مذجادها وابل كفه ورنا اليها بطرف عطفه اى كان بالانعام جلها فقدا تم نقصها وكملها وبدا له معوجها فثقفها ومنكرة فعرفها ومخفوضة فرفعها ومهانة فمنعها

﴿ لولاه مانبعت لمكرمة * بها ابداً عيون ﴾

﴿ لولم تكن وجها لما * كانت مزاياه عيون ﴾

كيف لا تكون وجها ومزاياه عيونه وروضا وافعاله غصونه واوراده وبيته للوفاد مشرع وللاشراف والاجواد مجمع يأتي اليه العائل فيرجع عنه بكل نائل يحيى به كرم جعفر ويحيى ويفوح به خالد الفضل ريا ويعيد ابن مامة ومعنا فيفوق من مكارمه لفظا ومعنى فلاغرو ان تقصد بلاده وتمطر مزنه وعماده فقد اشتهر في الامصار اشتهار شمس النهار مدحه الفضلاء وقدحت بزند رايه العقلاء وضرب المثل بدماثة اخلاقه وسعة امداده وانفاقه

(مافيه من عيب سوى * ان كان منطلق اليدين)

(ان كان وجها للملا * ففخاره للمجد عين)

وليس ينطلق بابه ، لانه من الكرم عبابه * وانه على طول الايام ، مفتوح للخاص والعام . وربما بلغت فيه الاضياف ، في بعض الايام الاف .

ياحبذا ناد تنم ، رحابه الاضياف ، كيف ادعاء حصرها

واقلها آلاف ، فكانه البيت الشريف ، تتمه الطواف

اعملت لزيارته يعامل الامال . فرجعت عنه بالامداد والافضال . واما نسبه ونصابه وحسبه * فهو نصب ونساب وحسب ، دونها عروق الذهب ، ومن دونها ينزل البدر ولا عجب .

تمنت ذكاء ان تمد بنانها * اليه فلم تبلغ لذاك الامانيا

وكيف تنوش الشمس منصب محتد * متى ما ذكرناه ذكرنا المعاليا

من النفر القوم الذين رماحهم * اقامت على كسرى الملوك النواعيا

اكفهم تقرى بغرّ فواضل * واسيافهم تقرى الالد المعاديا

بنوا السيد العباس والاسد العلى * عزائمهم تحكي الخفاف المواضيا

من معشر عرفت البطحاء قدرهم * ونشرت الفيحاء في الانداء ذكرهم * وفاخرت بفخرهم * ابنائهم وتقاصرت عن مجدهم نظراؤهم ، وتبسمت عن مآثرهم عليائهم *

ان تفخر البطحاء بالآباء * فالفخر بالابناء للفيحاء

لم تزل البصرة ومقاليدها في ايمانهم * ومضاحكها تفترعن لئلاء احسانهم . شادوا هابنان المكارم وحموها بكل سنان وصارم واقاموا فيها شرف اجدادهم . ببذل طريفهم وتلادهم

(٦٥)

« قدوقعت لاجدادهم فيها » وقايع تحير افكار واصفيها » وتشهد بعزهم وذل منافيها »

(وقايع سود غير ان سيو فهم * لها غرر تزهو بها وجمال)

ونوازل ينذك لهامواسل والظاهرانهم العامرواهذه البصره والقائمون لها بالحمايه والنصره فقداخرجوا عنها كل حاكم سام اهلها الخسف بالصوارم وجرعوامن اعتدى كاس ذلة وردى

مو آسل رآس جبل طي

(يسلون الصوارم مرهفات * على من سامها رجفا وخسفا)

(وكم قطعت سيوفهم لباغ * يحاول ذلها زنداً وكفا)

ان حلواسوالف اعدائهم بالبواتر فكم حلوا اكف اودائهم بالعطاء الوافر

(اكفهم فيهن شهب لمعتد * وفيها لمستجد نوالهم سحب)

(اذا مامشى نحو المكارم غيرهم * رويدا على الاقدام فى فعلها خبوا)

لاغروان المجد سماء هم اقمارها وروضة هم اورادهاوازهارها وبدراً هم نحره وعقداً هم دره ولابدع ان الفخار فلك هم اقطابه وبناؤ هم شرفه وقبابه وان السيادة محياً هم جماله ومقلداوفعلهم مرساله ومعصم وكمالهم سواره ومعلم وفضائلهم مناره

(من كل مفتخر بمجد * لم يكن الا خليفه)

(يهب التلاد لمجتد * عاف ويتبعه طريفه)

تجملت بابائهم الامامه وتكملت بهم المهابة والشهامه وبرزوا فى سماء الشرف بدورا وتصدروا فنشأوا فى الصدارة رؤساً وصدورا وظهروا على الاقران اتم ظهور وتمموا قصور الفضل بعدان كان منهدم القصور فهم وان كانوا صدور المعالى وبدورهذه الليالى لم يكن فضلهم الاباحمد وابيه وجده الانجد

(ثلاثة بهم الفيحاء فاخرة * باحمدانس والقرم درويش)

قدسافراحمد ليقضى نسكه وينزل منزل ابائه بمكه فصحبه فى ذلك السفر بشر كثير وكل ضعيف على الوصول لم يكن يقدر نثر فيهم النعم وحملهم على الخيل والنعم ولما قدم على بلدابن سعود تلقاه بالبشاشة والجود وعظمه تعظيما وكرمه تكريما وسيرمعه خدمه الى ان دخل بلدالله وحرمه وبعد ان قضى الوضائف لهاتيك المشاهدوالمواقف رجع الى البلد بالسلامه راجياً قبول النسك وتمامه فجازى ابن سعود عن اكرامه بالخلع

(٦٦)

السابغة لخدامه وهدايا وعطايا تسفر عن غرر خزايا ولما ان جاء البشير بالبشارة للوزير وكان له خالا خلع عليه وقالا

ارآد الوزير سليمان باشا الكبير

﴿ جاء البشير فكدت من * فرحي به اعطيه عيني ﴾

﴿ بشرتني بمهند * في الحرب يمضي كالرديني ﴾

ووجه بالملابس الفاخره والهدايا الباسمة الزاهره الى ذلك القادم من حجه وافته مع الوصول لبلدته فحصل له مع العمل المبرور الحبور التام والسرور في سنة السبع بعد المائتين والالف هذا الجمع فاقام في بلاده حسن السيره في الاباعد والعشيره وافلا بالمسره كاملا بكل غره عاملا بكل مبره مطاع الاوامر في البادي والحاضر الى ان فاجاه الحمام وادخلت روحه دار السلام في عام لجوده احسن الختام سنة ١٢١١ ومن معاصريه العالمين ومعاشريه الطائلين (السيد محمود ابن عبد الرحمن الرديني النجار) البصري المسكن والدار هو امام لا يدرك شأوه ولا يسبق في المعالي خطوه ولا يسبق في مضمار المفاخر فلوه ولا يقاس مع القدرة صفحه وعفوه ولا ترتقي معاليه ولا تعد مساعيه ذو دين صليب وراي لا يزال مصيب

ترجمة السيد محمود الرديني

(كل خطب من الزمان بهيم * فله الراي المصيب المريح)

(هاشمي النجار ذو شرف في * افق المجد والمعالي يلوح)

(وثناء من نشره مطرف الفخر * بايدي القريض داباً يفوح)

(اريحي يهتز نحو العطايا * مثلما هزت الغصون الريح)

(ذو طباع كانهن رياض * لسقيط الندى عليها سفوح)

(وصباح كانه زهر الروض * ومجدهو المصاص الصريح)

ينتمي هذا الهمام الى نسب هو والله عروق الذهب كيف لا وهو واسطة عقد سيد الكونين وزهرة وردة البتول وابي الحسنين ووجتا خده قرتا العين افضل من يمشي على قدمين فلا غرو ان زاحم شرفه النيرين وداس مجده بالاخمصين على المرزمين والشعريين

(كيف لا يعلو الكواكب قدراً * سيد ينتمي الى الحسنين)

(جده المصطفى وجد علي * اترى مثل ذينك الجدين)

انما

انما المجد مثل وجه صبيح * وهما فى صفاه كالغرتين

كل مجد لم يبرزاه فجد * ذو انخفاض ولوسما النيرين

قد نشأ فى البصرة الرعنا فتسامى الى المعالى فناً فننا وارتفع من متون الشرف متناً فمتنا وانثالت اليه المحامد من هنا وهنا وردت اليه الرياسة فزادها حسنا وفتحت به السياسة عينا واذنا وحنت اليه السيادة حنين قيس الى لبنى ودمقته التجاره اذصار لها ابنا جرت له فى بلده احوال لايصبرلها الجبال بل لاالرجال فثبت لها وما اضطرب حتى انجلت ولله الحمد كما طلب وذلك عندما ولاه ثوينى بن عبدالله زمام امرها واخدمه عتق عبدها وحرها فسار بها اعدل السير وبورك له فيها بالورد والصدر

يؤمل النفع فى سكانها ومتى * توهم الضر من اعدائها دفعا

لله خلق له الفيه متسعا * لجوده اذغدى للناس متسعا

الفيه بالفاء اى اجده

فهو لازال حاكماً بالسويه محموداً كاسمه فى الرعيه راجعاً اليه امر ذلك المقدم ماضياً حكمه فى المؤخر والمقدم حاميا لها عن بنى كعب بالعزم والحزم والعضب

من الطويل

ارادت بنو كعب هوانا لاهلها * وقد كلحت عن عضل انيابها الحرب

وما بلغوا فيها المراد لانه * لقاطنها درع وعن ضدها عضب

فاراؤه هن البروق لوامعا * ولو انها فى فل اعدائها شهب

كان مجدا عمدته جدوده * سماء لها اوتاد سودده قطب

جرت له فى تلك الايام وقايع كاوجه اولئك فى الظلام اسفر بها محياه وعضبه وشكر فيها رايه وقلبه وعرف بها صابره وشرف بها قدره

منه ايضا

اذا عضت الفيحا واشتجر القنا * فما هو فى الفيحاء الا المهلب

هو النقع فيها غير ان جبينه * وصارمه بدر يحاذيه كوكب

اذاما اختفى قدر الرجال وجدته * هو الشمس ان تطلع تزحزح غيهب

وبالجملة فهو الجواد لايشق غباره ولايرتقى فى عصره مناره

كيف لي يحصر ندا ، ماجدهو الكرم ، عود الندا بفما ، ليس فيه مايصم

(٦٨)

يشبه الصبا خلقا ، والرياض تبسم ، سيد له شرف ، راسخ له قدم

فاخر بابهة ، زانها له الشيم ، ينقضى الزمان ولا ، تنقضى له الهمم

ترتجى مواهبه ، حين لم يقل نعم ، ما به ترا سمة ، غيرانه العلم

لم يزل يصدره ، فى الافاضل العظم ، ما تخال من كرم ، عن يديه منسجم

لاغر وان كان للاجواد خاتم وفى سعد الارفاد معناً وحاتم ومن البرهان على فضله وان لا تجود الازمان بمثله عنايته برفع العلم واهله وتصديرهم فى المحافل والرجوع اليهم فى مهمات المسائل وجمعه لكتبه وتمسكه بسببه وتشرفه بنسبه واعتصامه بعراه وانتظامه فى سلك ولاه

بالفاضل سفرت ، عن مديحه الكتب ، لم يزل يرنحه ، للمكارم الطرب

قد سمت بنسبته ، فى نجارها العرب ، فارس وقائعه ، لا تزال ترتقب

مكرم مكارمه ، فى الاكف تنسكب ، رام ان يجاريه ، راجف اذ يهب

فانثنى وحق له ، يثنى وينقلب ، ما الاجاج منتسبا ، ما اللجين ما الذهب

قد بنى فى بلاد البصره مدرسة ذات بهجة ونضره ووظف لها الوظائف وجمل منها النحور والسوالف بالكتب الفقهيه والاسفار الحديثيه والدواوين الشعريه والمجاميع اللغويه فامتدت اليها الاعناق وقامت على انها شقيقة الازهر كلمة الاتفاق فبالجمله هى مصدره ومدرسة تدل على ان البانى نادرة الاقاصى والادانى فقد عمرها احسن عماره ورفعت فى الخاص والعام مقداره ونطقت بلسان حالها على ان لا يصاغ على امثالها

شادها بهمته ، املا رضى الملك ، شادها معمدة ، مثل قبة الفلك

كيف لا تفوق المدارس وتروق المناظر والمدارس مدرسة احكمتها يداه وشملها ومدرسها نداه

سرحت طرفى فى حسنها ممعنا ٭ خلتها فى الاشراق كالقمر

كم مسند قد صيرته مرسلا ٭ فيها وبحث حففت بالنظر

وكم اجلت الافكار فيها الى ان ٭ تنتج التقريرات بالغرر

وكان

وكان اول من تصدر فيها فقرر وحرر وجلى حالك الابحاث ونور وازال لثام المشكلات وابان عن وجوه المعضلات (محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر) افاض الله عليه سجال كرمه الوافر فقام بوظايف التقرير واتى بلباب البيان والتحرير واوضح منهاج الارشاد وافاد حتى ابان عن التيسير والامداد وحج بعد انتصابه باعوام ولما رجع بعد الانفتال من الاحرام فاجاه حمامه وتصرمت ايامه فبقيت من بعده لا يولج لها باب ولا يفتح فيها سفر ولا كتاب حتى انتصب فيها (عبدالله بن جامع) فقرت لها به العين مدة شهر اوشهرين ثم عزل نفسه منها لامورا عرضت عنها فاقامت بعد انعزاله باكية على زياله الى ان آذان الله بتمكنى من ناصيتها وتصديرى فى رايتها فها انا ذافيها مسروراً بطلعة منشيها ادام الله له البشاره واقام به اركان الصداره وبيض وجوه مطالبه ورفع ذروة مراتبه وبارك فى ايراده واصداره واطلع شمس كماله من افق اعتباره فانه رجل عصره وواحد صقعه ومصره تردالى رأيه اوامر بلده وتنهى اليه مفاخر محتده واماعام ولادته وبروز بدر سعادته فانه زمن نسب اليه كل حسن فلا غروان انشد فيه بعض ماهو لائق بمعاليه

﴿ بدا فزمان الهنا * بطلعته اسفرا ﴾

﴿ فها طيره مغرّد * وها ورده نوّرا ﴾

﴿ وتاريخه ان ترم * فقل نبأ آ ء اظهرا ﴾

ووفاته سنة ١٢٢٩

فياله من امام ادرك النجابة وهو غلام حتى صار مثلا بتلى الانام وبدر يجلى من دون ظلام وسما ء تجود الارض بلا غمام وروض فتح به زهر الفضل بلا اكمام وبدللعلا لاتسترها الاكمام ومعصما سواره النجابه ووجها تلألأ فيه انوار الانابه وثغراً يفتر عن لؤلؤ الكرم ونحراً قلادته الانفة والشيم وسيفاً النجدة قائمه وملك السيادة خاتمه وممن ادركه وعاصره وشكر مكارمه ومآثره (نقيب الاشراف فى البصره) والنجيب الذى هو فى جبهة المجد غره والكوكب الغنى عن الوصف بالشهره والقلب الذى له المكارم جثمان والعين التى هى لاعيان الرؤساء انسان

مقلة وليس لها ، غير مجده حور ، لم يزل يورقها ، فى المكارم السهر
ان يكن لنا قمرا ، سافرا به العصر ، فهو غير منخسف ، حيث ما يخسف القمر
حبذا به ملكا ، فاخرت به مصر ، جده الرسول ومن ، انزلت له السور

جبرائيل خادمه ، والصحابة الزهر ،

برزوا المكارم مهده والنجابة قيصه وبرده والعز ساعده وزنده

(يدعونه رجباً عن سمع كل خنا ، مع انه عن سماة اللوم شعبان)

ترجمة السيد رجب النقيب الرفاعي

(مولانا رجب بن مصطفى الرفاعي النسب) والى الله عليه النم وصب وكفاه كل شر ووصب لم يزل حائزاً قصب السباق مدعوا فى حلبة المفاخر السباق محمود الآثار مأمون العثار ذا راي وحزم وعزم يشاق بالجزم وهمم عليه وحكم غير محصبه وكرات هاشميه وشجاعة علويه وبراعة عربيه وانفة بدويه وفصاحة قرشيه ووقايع حاكتها السنابك وطرزها باللمع كل باتك

وقايع من وقع السنابك كالدجى * يطرزها مين لمع اسيافه فجر

وناهيك من بردوشته سنابك * وطرّزه بالكف مصلتة بتر

يلقى الشجعان بجنان اثبت من الرعان

اذا ادّرع السوابغ فى الوغى * تدرع من حدّ الظباة بقلبه

هزبر يرى الحكم السوى حكم رمحه * وشاهده فى ذاك قائم عضبه

والازمان بعزائم هى فى الامضاء الصوارم واما حلمه فطود واما مجده فمود واما علمه فعباب واما كرمه فماطر سحاب واما معشره فبدور واقطاب

(يا للمولى يسمو السماء علواً * باناس للفضل كالاقطاب)

(كل ذى همة اذا قدح الخطب * ازال العنا بوجه شهاب)

(واذاما النوال اعرض يوماً * بهر المزن منه فيض العباب)

(واذا قال فى نديّ اناس * جآء فى قوله بفصل الخطاب)

(علويّ قد ارضعته المعالى * بلبان الندى ومحض اللباب)

برز فى البصرة الجديدة فابرز فيها كل خلة حميده ونقب فيهاعن مآثر اجداده حتى حازها على انفراده ودعى فى زمانه المفرد ونوه بذكره كل محفل ومشهد اعطى من كمال الاداب ما لايسعه نطاق كتاب وبرز فى ابهة جلاله لاتنبغى ان تكون الا له

(ليس يدعى اذا تألق بدراً * علويّ له المهابة هاله)

فاطمى

(٧١)

(فاطمي لورام بدر الدياجي * ان يحاكيه ما استطاع كماله)

(ما رأينا من وصفه ما ازدرينا * غير مجد وعفة وعدا له)

استوعب من الكمال كل طرف وهز من اغصان الافضال كل معطف وعطف واغترب من الإجلال كل غارب وشرف وملك من الفضائل الناصيه ولم يدع من الفواضل دانية وقاصيه انجد فى طلاب المعالى واعرق وغرب فى جمع اشتاتها وشرق وسقى كل غصن منها فاورق وامطر ربع الفضل فازهر وصحح جمعه بعد ما كان مكسر وبرع فى مكملات السياده وتدرع مدارع السعاده حتى كان من السيادة عينها ومن السعادة جمالها وزينها انى غدا افضل الاكياس فقد عد ابذلهم للاكياس واصبرهم فى كل خطب واصدقهم فى الطعن والضرب لاغرو ان صار العمده من اشراف كل مصر وبلدة والصارم الذى لايألف غمده والحازم الذى يرجع اليه فى الشده والمصباح المستهدى بصباحه والمقتبس من ارآئه وصلاحه واليعسوب لعشائره والمحبوب فى كافة مآثره فهو الجدير بان ينسب اليه الاخلاق المحموده والأوصاف الكامله الا انها غير معدودة كيف تعد فضائله او يوجد مقابله ومماثله ومفاكهته الزلال العذب ومسامرته اللؤلؤ الرطب تتمنى البدور مجالسته وتشتهى الصدور موانسته وان لم ترم منافسته علماً انها لاتنال موطئ اقدامه ولا تتجاسر على المشى من امامه الا وهى معدودة من خدامه منذ عرفته وصحبته والفته لم اره عبس واكفهر اونفر جليساً وهجر بل لم اره الا طلق المباسم متدفق اليدين بالمكارم يحلى الايدى السائله بالعطايا السائله ويجمل المجالس بالفوائد والنفائس ترد اليه المشوره وتنسب اليه الخلال المبروره واذا توسم الناظر اسارير ه تيقن ان النجابة فيه مقصوره

﴿ من اناس وليدهم الف الفضل * رضيعا وما اتم فطامه ﴾

﴿ كلهم متق فمن كان منهم * فهو لاشك فى الورى ذو كرامه ﴾

﴿ قرشيون جدهم قرشى * ظللته من حر شمس غمامه ﴾

وبالجملة فله مآثر يضيق عنها نطاق الدفاتر وتتقاصر عن ادراكها همة كل معاصر وها هو ذاقى قيد حياته رافلا بذيل مسراته بين اسرته وسراته مأمول الاكرام موصوفا بكل خلق تام ويمن حل ساحته وعرف رياسته وسيادته وشكر مروءته وراحته وتطر بهجته وصباحته (قاضى البصره عبدالله الرحبي) الدرة التي صدفها الجلاله والفزالة

ووفاته سنة ١٢٤٧

ترجمة عبدالله افندي الرحبي قاضل البصره

التى لها الفضائل هاله والبحر الذى بوروده يذهب الاملاق والجهاله والكعبة المقصودة بالاكرام المشهودة عند فصل الخصام والجناب الجامع بين العلم والكرم والبارع فى العلم ومعالى الهمم والجوهرة التى لا تقابل بالقيم نشأ فى بغداد فادرك السيادة ابان الميلاد واشتغل بالعلم من صغره ودأب فيه فى عشيه وبكره فاجتنى ببستان ذوقه يانع ثمره وشرح طرف فكره فى ورده وزهره وغنى بجمع اطرافه وهز اغصانه واعطافه وتطرز ابوابه وتطريف اثوابه واستمطار سحابه وتفصيل فصوله وتاصيل اصوله وتحقيق مسائله وتحرير دلائله ونشر مطويه وايضاح مخفيه وتبيين طرائقه وتحسين مفارقه وارسال امثاله واكمال اذياله حتى برع فيه اتم براعه ودعا قصيه فلباه واطاعه وحاول ممتنعه فازال امتناعه فهو ريحانة الجامع والخوان ماله من المرابع ومادة انهاره وشمس نهاره وورد اكمامه وزهرة ابتسامه وزهرة سمائه ودرة دأمائه وغرة ديباجته وعقد جلالته وروح جثمانه وشجرة اغصانه ومقلة اجفانه وعرنين انوفه ومعقد شنوفه واكسير كيميائه ونظير اعيان ابنائه وخطيب منبره وفارس مشهره وزينة معشره وعامر معاهده وجمال مشاهده ومجلى غياهبه ومحلى خرائده وخراعبه ومفتاح مقفله وايضاح مشكله ومصباح مشكاته وهداية سراته ونقاية سراته والكاشف اللثام عن وجوه مخدراته والموضح ببيانه مناهج ابتداعه وافتنانه والمرشح استعاراته والموشح بفرائده عباراته والناظم فى سوالفه كل خريدة هى فى عقود السطور الفريده طلبه العلم كما ذكرناه يافعا فكان يعلمه سعيدا ونافعا روى عن اجلاء مصره وعباد عصره فبلغ الغاية فى الروايه ودعى الكنز لاسرار الدرايه والوقاية من كل غايه والهداية للطلاب والمنية للفضلاء الانجاب والبغية لامال الاصحاب والبحر الا انه بلا ساحل وانه يزخر فيقذف بغرر المسائل

﴿ بحر العلوم اذا جرى * يروى الاحاديث الغرر ﴾

﴿ واذا بدا فى محفل * فابوا حنيفة اوزفر ﴾

﴿ ومتى يحاول مشكلا * تبصره ابيض من قمر ﴾

﴿ واذا الاحاجى اظلمت * جلى دجاها بالفكر ﴾

﴿ واذ امكارمه جرت * فهى العباب اذا زخر ﴾

﴿ واذا نظرت صباحه * فهو الربيع مع الزهر ﴾

٩ يعطى

﴿ يعطي بلا من ولو * ان الذي اعطى الدرر ﴾

ولي الافتاء قبل قضاء البصرة في الحله فاجاد فتله واحسن ذكره وعرف الخاص والعام علمه وقدره ولما تولى القضاء عام اربعة عشر بعد المائتين والالف من الهجرة في قبة الاسلام وخزانة العرب من قديم الايام اجتمع باحمد المترجم واثنى على اوصافه كما تقدم واحمد فضله كما احمد فصله وما برحا شراق طوراً بالمكاتبة وآونة بالملاطفة والمصاحبه تجرى بينهما مراسلات مضمنة عوائد مرسلات ولقد سمعته مراراً ينشر محامده اصيلا وابكارا ويقول

﴿ من مثل احمد ان سمح * منه الايادي بالمنح ﴾

﴿ كالروض يبسم وجهه * ان يسئلن ويمتدح ﴾

﴿ يزداد جوداً في الورى * ان ضن غيم او كلح ﴾

وكم نشر في ناديه من محاسنه بردا ووشي ببنان مقوله له شكراً وحمدا

﴿ لا تعجبوا من نشره اوصافه * حتى يفوح على الانام شذاؤه ﴾

﴿ هذا صديق في المودة مخلص * يبدي له حسن الصفات صفاؤه ﴾

﴿ فلكم عدو قد اذاع جميله * والفضل ما رويه عنه عداؤه ﴾

والقاضي المترجم له حنفي المذهب كالمله ذو همة عاليه وعزمة ماضيه واحكام شرعيه وان تكن حنفيه عرضت عليه بعض ما الفته فقرضه بعد ما نظره وعرف غرضه له في الفقه يد طولى تقضي بفضله في الاخرة والاولى واما حرفة الادب فهو جريها ان نظم او كتب ابقاه الله للانام ركنا محياً من الله بالحسنى مختوماله بصالح الاعمال مضافا اليه كل كمال وا كمال وممن راسله وعامله احسن معامله وعرف من قدره ما عرف بالمراسله قبل الملاقات والمواصله (عبد الله بن سليمان) حاكم البصرة مدة ازمان هو بحر نوال وبدر اجلال وكمال تشهد ايامه بانه المفرد في كل سودد وينطلق لسان كل مشهد بانه لا نظير له في ذكائه يعهد نشأ في بغداد دار السلام رافلا باردية الاحتشام فقرأ الادب وهو غلام ذو سبعة اعوام فبرع فيه واتى على دانيه وقاصيه حتى قيل لا احد يساويه في جمع شوارده وتحرير نقوله وشواهده وتحقيق قوانينه وتدقيق براهينه وتشييد قواعده واعادة رسومه ومعاهده وتزيين محافله ومشاهده ونثر درار يه ونظم فرائده قدملك زمام الخط وعذاره مادب وماخط حتى دعي فيه ابن

ووفاته سنة ١٢٢٧

ترجمة عبد الله اغا متسلم البصره

(٧٤)

مقله وان كان فى وجوهه مقله ولصدوره مستلماوقبله فكم خط لدفتر من عذار
ابرز فيه الظلام من خدالنهار وكم وشى من خطب على مثلها تسهل دمعة الادب وكم له
من نوادر هى الاوراد تفترعن الازاهر وكم له من ابحاث دقيقه تدل على انه النعمان
فى الحقيقه وتقضى له بالفضل على المبارى ولوائه النجم السارى وتقدمه على الاقران
تقديم قس اوسحبان وترفعه فى البيان رفع العالية والسنان وتخبرانه من هذه الازمان
بمنزلة الانسان من سوادالانسان وكم له من حكم حسان لولاالتقى قلت هى وصاياالقمان
وكم له من عائدهوصله وقاصدلايريم منزله وحامدلم يرم حامده ومستجد يستمرى
فوائده ويهز بالمدائح اعطافه وينشر ببنان البيان اوصافه لم تزل ايامه بشموس افضاله
سافره ورباعه برياض اسماره ناضره وعيون آمال آمليه الى منهمر اياديه ناظره قدم
البصرة حاكمافعمرها وكان فيهابوحهاوقرها وحرسهابصوارمه وغرسهابمكارمه
وقمع اعدائها واضدادها وارجع بمنهاواسعادها وجرت له فيهاصنايع هى فى غيرها الغرر
والبدايع وشهدت له فيهاوقايع تشهدالسنةالمداعس بانها البسوس وداحس اعزفيها
العلم واهله ورفعه اذعرف فضله وهرع الناس فى ايامه الى تعلم العلم واكرامه وتوقيره
واحترامه يكادتباع تمائم الصغار لاشترآءدفاترالاشعار حتى انشدفيها بعض مصافيها

﴿ ارى العلم فى ايّامه باسم الثغر ، ضحو كا كما افترالرياض عن الزهر ﴾

﴿ تثوب اليه الخلق من كل جانب ، فتطلبه حتى من الانجم الزهر ﴾

﴿ ولوحال متن الجوددون حصوله ، لخاضوا الى ادرا كه ثبج البحر ﴾

﴿ ولوقيل غوصوا البحر للعلم اصبحوا ، على الغوص امضى من سيوف على نحر ﴾

وفى ايام حكومته وزخور بحر دولته وابتسام ثغر سلطانه وارتكاب سحاب احسانه
وارتقاع عرنين شانه قدم الامام الجليل والحبرالجهبذ النبيل (محمدبن عبدالله بن فيروز)
فنشرعليه اردية حبيه وحاطه بكنف اكرامه وتبجيله وصدره فى هاتيك البلده وكانت
له يده وزنده وبنى له فيها جامعا اقام فيه للحديث المنار وابان فيه عماله من الآثار واعاد
شرخه بعد ما آذن بالانصراف ونشراعلامه بعدالانكفاف وبالجملة فايامه شاهده بانه
للفضل القانون والقاعده ولياليه الصباح شاهدة بانهاغنيت بوجهه عن المصباح ارتجلت
فيه القصائد واستال الى رفده الولد والوالد وعظمت صلاته كما عظم العائد كيف
لاوقد زاحم بالمناكب النيرين وودت ان تقبله شفاه الشعريين وتمنت ان تكون له نعلين
انجم الجوزآء والمرزمين

بوحهابموحدةاي شمسها

في مدحه

﴿ فى مدحه قدا صبحت ، غرر القوا فى سائره ﴾

﴿ تجرى على شبح الطرو ، س لكى تنال مآثره ﴾

﴿ تفتر ثغراً عن معا ، ل كالرياض الزاهره ﴾

﴿ وتودّ شمس الجوّان ، تثنى عليه شاكره ﴾

ارسل اليه احمد وهو فى الزباره هداياً هى الدرر المختاره وسبحاً من اللآلى هى النجوم السياره فود كل منهما الآخر قبل ان يراه وتمنى لقاء صاحبه ومرآه ولم يزالا خليلين من قبل ان تنظر العين العين حتى تنقلت بعبدالله الاحوال وتزعزع ملكه بعد الاستقرار وزال وولاه والى بغداد على ماردين فعزبه الاتقياء دون الماردين واقام فيها برهة من الزمان وعزل عنها ورجع الى بغدان وودان يخلع نفسه من الديوان ويألف المساجد ويدع المقاعد ويثابر على التلاوه ويلتقى للملك الهراوه فاحصل له ما اراد من وزير بغداد الى ان جرت وقعة خالد فصفد معه بصفاد واحد وادخلا فى القلعه وانخفضا بعد الرفعه واسود بياض ايامهما وتمنيا ان يجريان على اقدامهما الى ان آذن الله بالفرج فقتل خالد وعبدالله خرج وانزل الى البصره متلهبا بنار الحسره ولما قدمها اجتمع باحمد ففك قيده وما تردد وسيره بمركبه الى ابى شهر ونجى من حر تلك القدر فها هو ذا نازلا فى تلك البلده آمنا فى سربه من كل شده اقر الله به العين عما قريب انه للدعوات مجيب انزلته تلك البلدة القدره عام تسع عشرة بعد المائتين والالف من الهجره ومن اولع بنشر اذكاره ورواية آثاره واخباره (السيد عمر دفتردار البصره) حيث من كل مضره هو فلك دوار باحياء سنن الآثار ذو همم عاليه ونعم متواليه وعزائم ماضيه وآراء هى مصابيح مضيئه وسير لم تزل علوية عمريه وفطن نقاده وفكر وقاده ونفس مؤلفة بالسياده ومزايا لاتكون الا للكرام الساده ومكارم تربو على البحر بالزياده وسيادة بالدوورة والسعاده حتى بعد الموت باقية خالده وتدبيرات على صحة عقله وتظرات الى المعالى متصاعده وحلم هو الجبال الراسيه وفضل افراده غير متناهيه وحزم ولا حزم المهلب ونظم عنده امرئ القيس المغلب واقدام كاقدام ابن شهاب ومهابة بوقار الانحجاب وكرم لايحوج السائل الى الالتهاب ومقدار يتسامى عن التقدير وفخار الاينافوش ادناه البدر المنير ينتمى الى السبطين ويسموبالجد لابالذهب واللجين

﴿ نسب دونه تحل الثريا ، وتدانى من دونه المرزمان ﴾

بالنون كما هو احد لغاتها

ترجمة السيد عمر افندى دفتر دار البصره

﴿ ويود السماك ان حل فيه ، او تراه من السهى المقلتان ﴾

﴿ ان تحلا بمنه المجد اصل ، هو لاشك فى الورى الحسنان ﴾

﴿ وعلي واحمد خير فرع ، دون علياه يسقط النيران ﴾

قد نشأ فى بغداد احسن نشو وسما للمعالى احسن سمو فقرأ القرآن والادب حتى حاز فيه لسبق القصب وتفنن فى تفنين افانينه وتمكن من نواصيه وعرانينه وكتب فدعي الكاتب وسامر فسبق بالمسامره وطار الى القوافى بالقوادم والخوافى وبرع فى فن البراعه ومارس الفحول حتى شاى بالشجاعه ردت اليه سياسة بلده وصار اميرها ومامورها طوع يده فلا نقض ولا ابرام الا قد امسك منه بالزمام كيف لا وهو قطب دائرتها وانسان ناظرتها واما ذكائه وفهمه وبراعته ورقه فحدث عن العجاج ولا تخاف من الاعوجاج واما نجابته فانور من الروض اذا نور واسفر من الصباح اذا اسفر واما خلقه فالنسيم اذا هب والسحاب اذا صب واما سماحته فالزهر باكره وسمي المطر فهو الجدير بان تنشر اخباره وتسلسل فى كل ندوة اذكاره ويرفع على هام السماكين مقداره وهو كما قدمنا لق احمد فاثنى عليه واحمد واقر له بالفضل المفرد ونثر فرائد مدحه ونضد ونوه بذكره فى كل ندوه واباق بان له المكاثر والحظوه وانه فى ايامه للكرماء القدوه وان كل نوال وان عم وكمال وان تناهى وتم ليسير عند نواله وناقص عند كماله وان الكبير المشار اليه المعول فى المهمات عليه اذا لاقاه فى مشهد حافل بكل صدر وامجد لا تنظر مقلتاه ولا تمشق سويداه الامرآه وسجاياه ثم انشد فيه من فيه

(يامطلقا طرفه فى حسن غرته ، نظرت بدراً ولكن ليس ينكسف)

(نظرت بدراً وحيداً فى شمائله ، وطالعاً ليس فيه يبصر الكلف)

وممن ادركه وعاصره وعرف ما ثره ومفاخره واعظم مقداره ونشر بمقوله آثاره ووشى له برود الاكرام ومشى له على قدم الاحتشام وبسط له نمارق الاجلال والاحترام ﴿ حاكمها البصرة الكريم مولانا المفخم سليم ﴾ القادم لها سنة الحادى والعشرين بعد المائتين والالف بالعدل المبين واماط عنها المظالم واناط فى اجيادها الطواق المكارم وسور منها المعاصم باساور صاغتها الصوارم واضحك منها مباسم كن قبل وروده قوائم وشيد منها قواعد ودعائم كاد يزعزعها من الظلم الهادم واعاد فيها الدين وهو باسم ونشر فيها الخصال الحميده ونثر فيها من المحاسن كل فريده واوضع فيها من العدل

ترجمة سليم آغا متسلم البصره

منهاجه

(٧٧)

منهاجه واقام اوده واعوجاجه ورفع فيها الابطال كما خفض فيها الابطال واقام فيها مواسم الامال وكمل منها النقص وتلى فى رباعها آيات الاحسان وقص وشهد لسان حالها بانه خاتم الكرماء بلا قص كيف لا وهو المشهور بالمآثر المرضيه والمقصور عليه كل سيرة عمريه ان حمى البصرة باسته فقد حنى على ذويها بنعمته وقصر الباطل ومذ فيها النائل فنصر الحق واغنى العائل واحيى فيها المدارس واعز المذاكر والمدارس وحسن فيها اخبار الرياسه واجاد العدل مقرونا بالسياسه وزين ليالي ايامه ببدور احكامه وجمع اشتات مصالحها بعد اذلال معاديها واعزاز مصالحها وشيد سورها وسدد امورها ونظم عقود تدبيرها وطوق بالائه سالفة مامورها واميرها وسقى بكاس عدله شرابا والبسها من حيز الحماية سرابيل واثوابا واطال فيها للمجد متالع وهضابا واجرى فيها من فواضله بحراً صبابا ورفع مقدارها واصلح اثارها وقد كن خرابا وقمع فيها البدع ونصب السنن فيها ورفع فهى سافرة الجمال باهرة الخصال منتصبة الاحوال ، ناطقة بلسان الحال •

(لي الفخر اذا اصبحت ملكا لسيد ، اذا ذكر الاخيار فهو المخير)

(اقام قناة الدين بعد اعوجاجها ، وقد كونت لولا مزاياه تكسر)

(سليم بلا عيب يرى فيه من يرى ، سوى انه بالفضل والفضل يذكر)

(اغر اذا استودقت وادق جوده ، تلألأ منه الملتقى والمعذر)

(على وجهه نور السيادة لائح ، فها هو ذا فى فحمة الليل يسفر)

(يداه لنا بحران لكن يمينه ، هى البحر لكن بالجواهر تزخر)

(ويسراه ان مدت فيا يسر فاحضرن ، ويا عسر فاذهب ان هتفك محضر)

وبالجملة فهو الانسان ، لعيون الاناسي وصدور الاعيان ، والعنوان على كل مجد وفخار والعلم على كل مبرة ويسار ، والخصم فى كل عسره ، والمستغنى عن الوصف بالشهره ، والشمس التى ليس لها من مغرب ، والبدر الذى فلكه المنصب ،

(هى الرتبة القعساء وجها وبهجة ، وغرة ذاك الوجه فضل سليم)

(بحلم ابا بحر تراه وان يكن ، هو البحر مجري بكل كريم)

والمبتدأ الذى اخباره لا تحصر • والفاعل الواجب ان لا يضمر ، والمضاف اليه كل

فضل الا انه لايكسر ، والمتعدى فضل نواله فلايلزم * والمعدوم مضارعه ولو كان متقدم ، والمرفوع الهمم بعزم لم يزل يجزم ، والمنصوب المجد فلايهدم ، والمبارك له فى مسعاه ، والمنفرد بعلاه عمن عداه ،

(ياسائلى عن رأيه ونواله ، هذاك بحر قداضا ، وذاخضم)

(واذا سبرت العزم منه فانه ، غطت شباه بحده منه الهمم)

(فاذا دجى ليل النوائب خلته ، بدرا يزحزح نوره سود الظلم)

ان تفرد بسيادته ، عن القرين ، وبنباهته عن المعاصرين ، فانه المستبد بالاخلاق الزاهره ، * والاوصاف التى هى البدور السافره ، والطباع التى هى الرياض المفتحه ، والطائف التى هى المرنحه ،

ايامه غر الوجو ، ه كانها الاعياد ، وطباعه هن الريا

ض يزينها الاوراد ، واكفه هن البحا ، ر يرودها الورّاد

وان كانت جلساؤه النجوم الزواهر * فندماؤه هى اناسى النواظر ، ومدائحه اكسير الدفاتر ،

اكرم بمن ندماؤه ، ابدا اناسي النواظر ، واكفه روض ولا

كن صحبه فيه الازاهر ، من مثله فى المكرمات وفى المعارف والمفاخر

فخرت به الفيحا على ، كل الممالك والدساكر ، لاتعجبوا من فخرها

بوجوده فالامر ظاهر ، كل له فضل ولا ، كن فضله كالشمس باهر

ابداً يرى متعديا ، وسواه فى الاعطاء قاصر ،

وفى العام الرابع والعشرين ، بعد المايتين والالف من مهاجر افضل المرسلين * ارسل الى نقيب الاشراف ، بان اسعفه اتم اسعاف ، بقراءة جامع الامام البخارى ، فى كل الايام ، فاسعفته بما اراد ، وقرأته على رؤس الاشهاد ، بحضور صدور دولته * مع ماهو عليه من ابهته وصولته * فلم يزل مثابرا على استماعه * بخوله وسائر اتباعه ، متخلقا بادابه * مصغيا لتراجمه وابوابه ، فازدادت سيرته حسنا ، وكملت مزاياه حساً ومعنى ، وولع بالايات القرانيه * وبالاحاديث النبويه ، فجمع من يقرأ القرآن فى مجمعه الرحيب ، ونثر عليه موائد الاكرام والترحيب * لازالت ايامه باسمه * واياديه على مواليه ساجمه ، وتعطفاته شامله ، واوصافه كامله * ومن بصحبته عرف ، وعرف بمحبته ووصف ، ورحل اليه

ولاقاه

(٧٩)

ترجمة الشيخ عبدالله بن داود النجدى

ولآلاف فاغترف من بره ونداه (عبدالله بن داود النجدى) الماضى فى العزم مضاء الهندى • ذو الكرم الذى يحيى به فضل يحيى وجعفر، والهمم التى عن حملها الدهر يعيى ويصغر • والآراء التى هى الصباح اذا اسفر • والوقايع التى هى الظلام اذا عسكر، والاخلاق التى هى انفاس، والطباع التى هى الورد والاس، والصبر الذى تعجز الجبال عن احتماله • والفخر الذى عدم من اشكاله . والمجد الذى لايستطاع رقيه، ولايلفى مضارعه وسميه • والقدر الذى لايسامى ارتفاعه، والفتى الذى لاندلس بالضيم رباعه، والبراعة التى يضرب بها المثل، والمحاسن التى تشوق لها القلوب والمقل • وتتفاخر بسماع اخبارها مسامع اشراف القبايل واخيارها . ونفائس يتنافس فيها المتنافسون، ويتسامى فيها فى المحافل المتجانسون، وفتاوى اليها يرجع المتشاكسون، وحكم يجب تقليدها • ولايحصى تعديدها، ومعارف الى مثلها يهرع . وعوارف الى نيلها يسرع . ولطائف هى الشمول، وطرائف ارق من القبول • وعفة هى بياض النهار • واريحية هى روح العقار، ورزانة هى الاطواد، وديانة تتقاصر عنها العباد، وصيانة اعراض ومتانة على ذوى الاعراض، وسهام افكار مصيبات الاغراض، ومعالم علوم تهتدى بها الفهوم . وهضاب من الفضائل، تقصر عن ادراكها يد المتطاول . وبدايع رسائل، تعجز عن مضارعتها المدارة والمقاول، لابدع ان تتشرف برقيه المنابر، ويروم ان يحاكيه المثل السائر • فيرجع على الاعقاب وهو قاصر، فالحريرى فى مقاماته اذا سجع . وما البديع اذا ارتجل وابتدع • واما ورعه فما اظن ان يباريه ورع، واما علمه فهو البحر اذا هاج . وشرع فى التبرهن والاحتجاج، ولد فى خرمه من قرى نجد . باهال الحا . والرآء عند ذوى النقد • فقرأ الفقه على الفاضل التويجرى، وهو بان ياخذ عنه جدير وحرى • ثم تحولت به الاحوال . فنزل البصرة القديمة بالاهل والمال، واغترب غارب الرحله . واكتهل كاهل النقله . الى الديار الشاميه، فلقى من المشايخ جله، وقرأ النحو والمصطلح وغيرهما مما سنح، وذلك على مشايخ اجلهم العقاد، لاسيما فى الاداء والاسناد، ثم رجع الى منتجع اهله . والقى فيه عصى ارتحاله وحله، واقام بنثر الفوائد، ويدعو بلسان كرمه الى الموائد . ثم رحل من ذلك المنتجع، لياخذ عن الرحلة المتبع، بشيخ السادة الحنابله، وقدوة الفرقة الناجية الفاضله (محمد بن عبدالله بن فيروز) فقرأ كتاب التجريد فى الاصول، الجامع بين الحاصل والمحصول، مع زيادة فوائد واجبة القبول، فلقى فى سفرته هذه احمد، فحصل له الاكرام من ذلك الامجد، ثم رجع الى مستوطنه . فاقام مثابراً على سننه • مكاثراً بافادة علمه ومننه . الى ان دعاه داعى الاجل • ونزل به مؤنه وحل،

ودفن فى تربة الزبير • مشهوداله بالصلاح والخير * وذلك فى الثانية عشر بعد المايتين والالف من الهجره • سقى الله تعالى بشا بيب الرحمة قبره • ولما ذكرت من اصحاب احمد هذه الجمله • احببت ان اذكر ما جرى له من النقله * وماوقع له مع وزير بغداد * مما حقه ان يذكر ليستقاد • وينوه به فى كل محفل ويعاد • وتطرس به الطروس • وتروح به النفوس • فقلت ثم ان المولى احمد * مازال يتسامى الى المعالى ويصعد * ويدأب فى محاسن الامور وينصب • ويسيل فى اودية المكارم وينصب * ويوشى برود الافضال • ويودع الايام لاكرم الخلال * فى بلده المحكمة العماره * المشرفة الصدور بذى الصداره • وينشر فيها اوصافه المبروره • ومكارم ايادلا تزال مجروره • وينظم فى سلك الزمان • خرائد حسان غير محصوره * ويطوق الحاضر والبادى • بجواهر الكرم المبادى • فيروى كل صادى • فيطوق الاعناق * باطواق الارفاق • فكم ازال من ادوآء واملاق • بادوية انعام وانفاق • وجلى ظلم افلاس * ببدور بدروا كياس * وعطر ندوة جلاس • بكلمات اذكياء واكياس • واتعب اقلام • بتطريز برود نظام • وزين اوراق • بسطور كسوار احداق * فلاغرو ان تفخر به الايام • افتخار اليد بالحسام • والسماء بالغمام • والروض بالكمام • والورد بالزهر • والصدف بالدرر • والوجوه بالغرر • والرمح بالسنان • والشجر بالافنان • واياد بالاوراد * والظبا بتلع الاجياد * والمقلة بالسواد • والحسناء بالجمال • والافق بالهلال * والاغماد بالنصال • والمربع بالنزال • والساق بالخلخال * والعقد بالمثال • والنحور بالعقود * والاجام بالاسود • والترائب بالنهود • وتنشر اذكاره فى الاكوان • فيعطر ارجها كل مكان *

(نشر الفضل بالبنان فاضحى • عطرا منه برد كل زمان)

(واضائت فى الناس شمس نداه • فهى منظورة بكل مكان)

(اتعب النفس لابتغآء المعالى • فاستراحت منه بنيل الامانى)

(اطلق الكف بالنوال ففكت • من اسار الزمان ايدى الغوانى)

وفى هاتيك الليالى • التى هى ببدور كرمه حوالى * غرق له مركب بجملة اموال لا تحسب وحين بلغه الخبر • صبر وما اكفهر • وتبسم وما ابدى الضجر • بل زاد تبسمه • وتعاظم تفضله وتكرمه • فتزوج فى الحال بكرا • ونشر موائد الكرم نشرا • واظهر بشاشة وبشرآ • فراى اعداؤه منه العجب * واقروا بعلو الرتب • والفضل ماشهدت به

الاعدآء

(٨١)

الاعدآء ، والكريم من اعطى بلا اكدآء ، والصبور من عض بناب زمانه ، ولم يبد اثر العض لاخوانه . فازدادت دولته اضعافا * وسمت رتبته اوساطاً واشرافاً . واعترف له ذوالهمم . بانه الانسان المتعالى عن القيم ، واستظل كل مصيف ، بظلال امواله الوريف * ومن زخور بحر دولته * وظهور كلمته وعلو مكانته ، انه لما توجه الوزير المفخم ، والامير المعظم (على باشا كدخدا بغداد) الى محروماو لاهامن البلاد ، للاستيصال على ماتملكه ابن سعود ، وقتل ماسيره اليها من الجنود ، واعادتها على ماهوالمعهود ، والتولى على مافيهامن القصور * واصلاح ماعراها من الخلل والقصور ، وتشييد اركان الاسلام ، واراحة الانام ، من تلك البدعة الطامه ، واخماد تلك الفتنة العامه ، فضرب فيها اوتاده * ليبلغ بالمحاصرة مراده ، ارسل الى آل خليفه ، برسل وصحيفه ، يروم منهم النجده والمناصرة والعده ، والمعنى بذلك من فوقت حمده . وحين اطلع على تلك الرساله ، ايقن انها لم ترسل الاله . فقام على ساق الاجتهاد ، بانجاز ما منه الوزير اراد ، فارسل عساكر وهدايا . وصحايف منطوية على وصايا ، فاما الهدايا فانها يجب ان لا ترد ، وان كانت غزاراً لا تعد ، قداشتملت على انواع فاخره ، تذكر من رآها حلل الآخره ، وتخبر عن مكارم ، لم تصب الا بانها خضارم وتحكم له بالفضل على من ناظره فلاغرابة ان تعد بها الامثال سائره وتمسى اذكارها على كل مقول دائره وتقبس من حرها وجوه الحدة فهى باسره وترجع ايادى المتطاولين عن تناوشها قاصره ومن جملتها ركاب كالرياح فى الحباب والسحاب فى الانصباب تحلين بالبرى وسبقن البرق بالسرى ان اشترين بالوف من العين فما اكوارهن الا الذهب اللجين وان كن هدايا فقدا ثقلت متونهن العطايا ولقداجاد القائل فى اوصاف هذه الرسائل

(ان تلك النياق خير ركاب ، ومطايا اشبهن مشى الرياح)
(يتنازعن مرسلات براها ، بذميل حكى سلاف الرياح)
(وصدور مازادهن صدود ، فى طباع فى اللطف كالارواح)
(خافقات الرؤس طبعا بقوم ، كغصون الربى لفعل السماح)
(بوجوه كأنهن بدور ، واياد عوّدن للانفتاح)

وبالجملة فهى من اجل العطايا واجزل المواهب والهدايا وقداصحبت تلك الركاب عشرين الفا اوتزيد عليها ضعفا وملابس من الحرير الغالى وعقود منظمة باللئالى فلما اوصلها

ذكر علي باشا كتخدا بغداد

الرسل بالتمام الى حضرة الوزير الهمام عظم لديه قدرها وطاف فى الآفاق ذكرها وصار لايتحدث أنان الابها ولا تدور رحى السمر الاعلى قطبها حتى بلغ صيتها المشرق والمغرب وتداوسها فى الاندية كل معرب وفاح نشرها وضاع وشنفت باقراطها الاسماع وقام الاتفاق والاجماع على انها هدية بلقيس وان حملت على العيس وحصل لها حال الوصول من ذلك الوزير القبول وبلغ الرسل بها كل سول ولما ضمها رحابه ونظرها جلساؤه واصحابه قال اعنى الوزير المشار اليه المفوض زمام الامر بيديه ان هذه الهدية عظيمه لاتخرج الا من يد كريمه ولاتسل فى هذا الازمان الا من احمد لعلى وسليمان وكان واقفا بين اياديه عند فض ختم هذه الرساله ونسج برود تلك المقاله (محمد بن عبد الله الشاوى) وقد كان من عذب افضاله راوى ايها الوزير المعظم والهمام المطاع والمقدم ان العرب على ما لهامن الكرم لتعلم انها الانهار وهو الخضم وان الكرم قدمات فاحياه وان الشرف وجه هو سناه حتى ان النـاس فى زمانه يتفاخرون بلثم بنانه والتقاط جواهر امتنانه التقاطهم الفصاحة من بيانه ويتباهون بمشاهدته فضلا عن معاشرته وانه الفرد الكامل والاشرف من عرنين القبايل هو الواقف بين يديه والممتدة الالحاظ عليه فاستقر عند الوزير صدقه بعد ما اعرب عن فضل احمد نطقه وعلم عين اليقين ان المومى اليه خاتمة الاكرمين وكعبة الراجين والآملين وهل تخفى الشمس على النـاظرين وقال يا محمد قد عرفنا المقصد وتبين انه كريم المحتد وانه خلاصة الزمان وصفوة هذه الدنان ولى اكرامه الزم من اداء الفرض المحتم كيف لاوالبادى بالفضل اكرم فقاء محمد عند ذاك وقال جلت عطاياك وعلت اوصافك ومزاياك

﴿ انى ارى ان تستريح من القنا ، ان الثواقب لاتناوش باليد ﴾

ارى انك تقابل هديته او تطاول فى الكرم راحته كلا لن ينال احمد ماناله ولا يفاضل الخضارم انضاله على انكم وان قابلتم هديته فى الدنيا لكانت يده فى ذلك هى العليا فالاقرب ان يفوض زمام هذا الحـال فانظر مايليق بقدرنا لا بقدره العال فان قدره لايقدر كما ان فضائله لاتحصر قال الوزير ذلك اليك وامره موكول عليك قال محمد اجعل امواله لاتعشر ليشيع ذلك فى كل محضر وهو يسير فى كثير هباته وشئ نزر من وافر صلاته فعند ذلك وجهوا اليه بالاوامر منشورة فى مشاهد العساكر بان لايعشر ماله ولاينازع مقاله وان يشهر فى الآفاق اجلاله ولما وصلت الاوامر لديه المحميه وحصلت فى رحبته الاحمديه وفض ختامها ببنان الاحتفال ورنا اليها نظر تودد واجلال وقرئت فى مشهده على سراة محتده امر على الرسل الواصلين بهـا الفائزين بنقلها ومنصبها

ذكر محمد بك الشاوى البغدادى

فالبسوا

(٨٣)

فالبسوا افخر الملابس وجعلوا فى ارفع المجالس المفروشة باظرف الطنافس وامدوا بالنضار وآنسوا بالطف الاسمار واطعموا من اطيب المطاعم ونظموا فى سلك اصحابه الاكارم الى ان قفلوا عنه بالاكرام ورحلوا عنه وهم باكون على ذلك المقام قائلون ان الايام عقيمات بمثل هذا الامام آيسون من ان تنقل الى نظيره الاقدام او يرى لحظ نظيره من الانام او تدرك الهمم منه المرام مصحوبين منه بسبح اللآلى الى الجناب المولوى العالى وهدايا قل فيها ماشئت ولا تبالى وتحف تشهد انه ابو المكارم واخو المعالى وانه الشمس وسائر الكرام الكواكب وانه البحر الا انه غير ناضب مصحوبة تلك التحف برسائل وكتب شاهدة بفضل المقابل مسفرة عن وجوه آداب ومكارم دونها سيل السحاب وآراء هي البرق السارى وعزمات هى السيارة من الدرارى ولطافة هى نسائم البحر وحلاوة هى السقيط فوق شفاه الزهر وظرافة هى الزهر المطلول وعفافة هى الصباح الملول وميامن هى الحلل الموشيات وقرائن هى العرائس المجليات فدوشى برودها ونظم عقودها الالمعى اللوذعى ﴿ صالح بن سيف النجدى الحنبلى ﴾ سقى ثراه من الرحم وسمى وولى فقد كان عنده بمنزلة لا ينزلها الا الكمل كيف لا وقد رمقته نواظر الكرم وسحت عليه من ايديه شآبيب النعم ورفعته عوامل احترامه حتى صار للفضل العلم وانضاف اليه فتصدر وانتصب لاوامره فكان للخيرات مصدر وبالجملة فهو من اجل اللائذين بجنابه وابرع منشيه وكتابه جمع مع العلم ادبا وافرا ونظما كالامثال امسى سائراً وفضلا جلياً كالنص ظاهراً ودماثة اخلاق وبهجة لم تزل ذات اشراق وبياض اعراض واقبالا على الطاعة بلا اعراض وافعالا لم تدنس باعتراض اخذ العلم عن العلم بعد مارحل اليه من نجد وبه انتظم مولانا ابن فيروز الافخم عالم الافاق العربيه وسيد الطائفة الحنبليه وعن الزواوى وابن مطلق فانار بعلومهما قلبه واشرق وسلسل عنهما كل مقيد ومطلق وحرر عنهما كل بحث وحقق واتصل نسبه العلمى بهما وحقق الا ان اكثر روايته واعظم درايته عن ذلك العلم الاول فقد ابان له ما اشكل وحقق له المجمل والمفصل واخذ عن غيرهم من علماء البحرين ونجد والحرمين وقرء صحيح البخارى بين يدى شيخه المقدم فبرز فى فهم معانيه وتقدم وحصلت له الشهرة فى جميع الاطراف وسلم له اضداده مع العلم الانصاف وكان مع ذلك العلم التام ذا صوت يصغى لسماعه الحمام وجرأة لا توجد فى غيره من الانام نقلته الاقدار عن تلك الديار فاناخ راحلة آماله بساحة كرم احمد وافضاله فنظر اليه بعين عطفه وانزله فى ظلال حمايته وكهفه واذاقه برد اكرامه وكساه برود افضاله وانعامه فولاه ديوان الكتابة

ترجمة الشيخ صالح بن سيف النجدى

(٨٤)

والتدريس بجامعه والخطابه تحكي برقة نظمه ديوان الصبابه وبوعظه ابن نباته ولا غرابه
وصار عنده يده وزنده هذا وعند ما قفل الوزير عن المحاصره لقلة الزاد وضعف
المناصره وبلغ خبره الزباره وكانت لاحمد ترجع الاستشاره امر اهلها بالارتحال الى
جزيرة اوال حذراً من استيلاء العدو عليها وبلوغ الشر اليها فنزل موضعا موسوما
بجو وبنى فيه منازل شاهقات الى الجو وعمر منها الاراضي بالطاعات والمراضي واقام
فيها وهو قطب رحاها وبدر سما ئها وقلب حشاها يختال في برود الكرامه وينهى عن
الاعوجاج ويأمر بالاستقامه ويدأب في التدبير وينصب في مصالح التعمير ويتألف
النصير ويتعرف الى كل مأمور وامير ويجهد في التأليف بين القوى والضعيف
ويقرب ذوي الرياسه ويصطفي اهل الاصابة في الفراسه ويتلطف بذوي النضره رجاء
ان تكون منهم النصره فاياديه وان كن ذوارف فهن معقل لكل خائف ونواديه وان
اصبحت ما آلف فهي لاطواق عوارفه سوالف ورحابه وان امست منفسحات فهن
معاطن لذوي المبرات وعزائمه وان حاكت الصوارم فهي لافعال الشر جوازم فلا بدع
ان اصبحت منازله ضاحكة المباسم مرفوعة الذرى مشادة الدعائم

﴿ حلفت اوال بان احمد ذا الندى * سبق البرامكة الكرام مكارما ﴾

﴿ وشأى المهلب في اصابة رايه * وشأى ابن ثعلبة الاغر وحاتما ﴾

﴿ وشأى ابن قيس احنفا في حلمه * ومهلهلاً في عزه ومزاحما ﴾

فلقد اطلع فيها كواكب السعود ونظم فيها من المكارم قلائد وعقود وحين اتم عمارتها
وقصد الخاص والعام زيارتها ورحل اليها القاصي والداني وتمنى رؤيتها المطلق والعاني
نزع بين حكامها الشيطان وبين سلطان عمان فسير اليهم الجنود والمراكب واستولى
على الكاهل والغارب من دون ان يكون له مطاعن ومضارب وصير حكامها من جملة
الرعايا وما كانت منه الا احدى البلايا فالتجأوا بعد ذلك الى ابن سعود فامدهم بقبائل
وجنود فركبوا عليها بعد انصراف العماني الى اقطاره ووصوله الى قرارة سلطانه
وقراره وارتحال جناب مولانا المترجم الى البصرة كما سيطلع واستولوا على اوال بعد قتل
كثير من الرجال ونهب جم من المال وملكوا ابن سعود زمامها وحكموه عليهم بعد
ما كانوا حكامها ولعل التجاؤهم الى ابن سعود بالسبب في انتقال شمس الفضل
وكنز الادب عن اوال الى البصره الغنية عن الضبط بالشهره البلدة التي عن فضلها
لسان الحصر يقف ويعجز عن تعداد اوصافها الماهر حين يصف ويتباهى في نزولها

الاشراف

الكلام على بلدة جو من البحرين

الكلام على مدينة البصره

الاشراف ويتزاحم عندها الملوك بالاكتاف ويبر الحالف بان ليس لهـا من نظير وتود الشمس ان تنزلها بدل البدر المنير فحط خيها رحله وبسط فى سكانها فضله حين تلقوه من بعيد وجعلوا يوم قدومه يوم عيد واستنشقوا الماواجهوه اخلاقه واستصبحوا ببهجته واشراقه واستغنوا عن المصابيح منه بالطلاقه ولما بلغ والى بغداد وصوله بالسلامة الى هذه البلاد وجه اليه باوامر شريفه وملابس فاخرة ظريفه بان ينزل من البصرة مايختار وان يعامل كالملوك لا التجار فانتجع من تلك البلدة منجعا وآى ان ينزله وحده وذلك فى عام خمس عشرة بعد المائتين والالف من الهجره فافاض على سكانه موائد كرمه واحسانه واخذ فى اقامته ببنيانه وتشيد قواعده واركانه وصنع فيها الاطام المحكمه واعلافيه الشرف وقومه وعمر فيه مسجده واكرم ركعه وسجده فصار كعبة يقصد من الآفاق وتنثال اليه الرفاق للعبادة والارتزاق

ذكر نزول الشيخ احمد ابن رزق البصره

(ياله مسجدا منيراً مضيئا ، لن تراه الا وفيـه مصلي)

(قـد بنـاه تقربا ثم نادى ، يااهيل الصلاح هل من يصلي)

وبالجملة فبلدته التى احكمها يجب على كل فاضل ان يعظمهـا فانه زينها بقصور هى بروج للبدور وافلاك شموسها الحور ونثر فيها على من جالسه اوسامره وآنسه الدر المنظم وقصهم بالعطاوعمم واعلامنها المجالس وعظم فيها المجالس ونادى منادى اياديه هلم الى روض ماديه وعكف على بابه الناس ونمى فرع الغنى كما ولا به الافلاس وجليت له اعناق المذاكى فحاكاه الخصم فردعنه وهو باكى وزفت له الكواعب من خدورها وخطبته المعالى بعد بذله لمهورها واطاعته العوالى والظبا وخدمته الاقيال قبل حل تمائم الظبي ورنح تلك البلدة الطرب فكادت تطير من الفرح ولا عجب الا ان محتم القدر جعل اسمها ممايتشأم به البشر فتزلها حذاراً من الطيره واعتماداً على ان ليس الاماقدره وان لا يمنع الحذر وقوع ماعلم فى الازل انه يسلم فشيدها بالسور وايدها بالجيش المنصور وكسر شوكة من عاداه ونطق لسان حالها وفاه

(لي الفضل في الدنيا على كل بلدة * ولو انهـا ذات العماد وبغدان)

(واقصر قصر فيّ ليس يطوله * خورنق نعمان ولا القصر غمدان)

فلا غرو ان استعبد كل حر بتطويق النضار والدر ولقد القى اليه ذوالصداره زمام التدبير والاماره واجمعوا على ماااراده وعرفوا له المقدار والسياده وبالغوا فى امتداحه وانقادوا لصحائفه وصفاحه واعتقدوا النجح فى اصداره وايراده وتيقنوا ان اليمن فى

(٨٦)

مراده ورفعوا ملاسبروه وارتفعوا احين صدروه وخدموه بالانفس والاولاد وفدوه بالارواح والاحفاد وانشد فيهم شاعرهم واجاد

(قال الحواسد مارأينا في الندى ، ابداً كاحمد في الزمان الاول)

(ان كان للفضل ابن يحيى جعفر ، فنواله لم يحصر في جدول)

(زعم الملوك بان ينالوا مجده ، لو كان يمكنهم وصول الاعزل)

(هيهات ان يسمو علاه واحد ، ولو انه فى مجده ابداً على)

افاض على الايام ملابس الاكرام فابتسمت ثغورها وانشرحت صدورها واشرقت نحورها وفاخرت ازمانه الازمان وبلده سائر البلدان

﴿ اكسب المجد والثناء بلاداً ، حل فيها وماله من نظير ﴾

﴿ كل مجد فانه منه يبدو ، كبدو البدور فى الديجور ﴾

﴿ فضلته الانام فوق بنيها ، فلذا كان فوق اعلا الصدور ﴾

﴿ فاق كيوان رفعة وشأى الاقمار نزلا وفى ابتسام الثغور ﴾

﴿ فهو لاشك للعلا مقلتاها ، ونداه من عينها كالنظير ﴾

﴿ عظمته اعداؤه اذراوه ، صاعد الجد سامياً بالظهور ﴾

﴿ ازحمته بيض الظباة فكم كا ، نحمى بالصفاح بيض الخدور ﴾

ولما اكمل تاطيد تلك البلده واجرى فيها على سكانها رفده واعزمنها التلعة والوهده وحماها بالصمصامة والصعده وعمرها اتم عماره ورفعها حتى حسدتها السياره وحصل لها من الاشتهار ماللشمس فى رابعة النهار وتناقلت اخبارها الركبان وضرب بها المثل كل انسان وقيل فيما لها من البنيان ماالخورنق ان يطاولها ولا غمدان فحق لمن نظر عمارتها وتامل حسنها ونظارتها ان يفاخر بها بغداد اوارم ذات العماد وان ينشد فيها على رغم معاديها

﴿ هذه الجنة التى حار فيها ، كل طرف وحار كل بصير ﴾

﴿ هل راى الناظرون احكام مبنيها وهل كان مثلها فى القصور ﴾

اشتك

اشتكت اليه باكية بين يديه وقالت وهى راجفة عليه ايها الهمام المصدر والامير على كل مؤمن والمفخم على كل موقر علت كلمتك وسمت همتك ان الابنية وان علت والافنية وان زهت وحلت لاتروق الناظر اوتسر الخاطر الا بالمسامر الناظم الناثر يلقح الاذهان ويقصر الازمان ويزيح الهم ويريح اخا الغم وينشر مطارف الاداب ويعطر بالحكايات الرحاب ويطرب بالنغمات الاصحاب بطبع كنسيم السحر وصباح كالقمر وخلق كالروض ذى الزهر فاجابها بعدما علم صوابها وقال ايتها الابنيه والافنية المعتليه قد اسمعت من كانت له اذنان ونبهت منه انسانا غيروسنان قد اتخذنا فيك سمارا ان شئت شموسا او اقمارا من كل ماغنى بادبه عن وفره ونشبه وكل مولع بانشاده ولع الحمام باغراده كل ذى طبع اريحي وخلق عطر افيحى يتناثر من فيه السمر تناثر السقيط من شفاه الزهر يسمو بالاداب سمو الحلاف بالحباب كالفاضل الحيسوب الكائن من الافاضل كاليعسوب (محمد بن على بن سلوم) المشهور فى غزارة العلوم فانا قد اتخذناه لنا سميرا وجعلناه من مقلة اكرامنا نظيرا لما لم نجد له فى الفضل نظيرا حافظا لاسرارنا واقفا على وفق اختيارنا مثابراً على الاداب مثابرته على حقوق الاصحاب عارفا بدقايق الحساب معرفته بشقايق الانساب

ترجمة الشيخ محمد ابن سلوم

(كل مايسئل عنه عنده * خبر منه فان شئت اسألى)

(واسئلى اقرانه هل وجدوا * مثله فى الزمن الماضى ولى)

(بحر علم زاخر كم وارد * جعفراً منه ولما يسأل)

ابرزته القدره كما ابرزت من الصدفة الدره من نجد عندما وجبت عليه الهجره فرحل الى هجر البحرين بالتقى والعفاف والزين فورد من عيونها اعذب عين اعنى عين عيون المعارف ومنبع الافضالات والعوارف (محمد بن عبدالله بن فيروز) فاخذ عنه فى الحساب وحرر عنه الفقه والاداب فروى من عين تحقيقه وتميز على الاقران بتدقيقه واهتدى بواضح طريقه واحبه حتى صار كشقيقه وروى عنه كل صحيح وحسن وارسل عنه كل نوال ومن وانضاف عليه فاكتسب الصداره واعتمد عليه فيما انتقاه واختاره فصار عمدة فى نظرائه وقدوة مقتبس الصواب من ارآئه وبالجمله فقد تادب به ادبا نباع فى تحصيله ايام الصبا وترنوا اليه بالاحداق افنان الربا وداب فى اقتناص ماند وسلك للعلوم كل قاع وخد واقتطف من رياضه ازهى ورد ومد اليها الباع فبلغ الكف والذراع وادرك الدقايق الحسابيه ودعى من علم الفرائض عصبيه فلباه وملكه ظاهره

ؤخفيه حتى صار فيه العلم ودعى في بحاره البحر الخضم واوسلت اليه العويصات فحلها والاحاجى فازاح مشكلها و كشف عن وجوهها اللثام حتى نظرت كالبدر ليلة التمام الف مؤلفات تعقد عليها الخناصر وتحدق بها النواظر من كل مناظر فلو قابلتها الاشباه لم تكن لها نظائر لاغرو ان صارت لعين المعادى ازقا وفى حلق المبادى شرقا قد اخذت عنه طرفا من علم الفرائض والفلك فكان كالف رائض وعاشرته فى مدة اعوام فما اغضبنى يوماً من الايام على ان الفضل منه على والعلم منه ابداً يجرى الى ان يكن احمد قد اهله لمفاكهته ومجله فقد وافق شن طبقه وسقط الخبر على الثقه

(ان يكن احمد داه نديماً * فهو لاشك مقلة الندماء)

(اوراه الى الملوك سفيراً * فهو فى العين قدوة السفراء)

(اشبه البدر فى علاه ولكن * ماله مطلع سوى العلياء)

(كم نظير وجدته لاريب * ولشيخى ماخلت من نظراء)

(هل رايتم نظيره فى المعالى * اوشبيهاً له بفرط الذكاء)

(ارضعته من المعالى ثدى * منعتها عن سائر الابناء)

(فهو فى الفضل خير بنيها * فاسئلوا عنه انجم الجوزاء)

صدر فى كل مجلس وبدر فى عين من اليه يجلس النجابة عليه لائحه والنباهة من حركاته رآئحه قد اخذ من كل فن جملة صالحه مع انه لايزال للخمول مظهرا وبدثار التجاهد متدثرا ولكن اذا نطق اسكت سائر الفرق واذا كتب افاد له الادب ولبته المعانى من كثب واذا قرر فى الأصول اوضح منهاج الوصول الى الحاصل والمحصول وبالجملة فهو ريحانة اوانه وجمانة الفضل فى اقرانه وغاية كمال وآية افضال ومنتهى الارادات ومقنع الافادات واقناع طلاب وغنية اصحاب ورعاية آداب وجامع شرف وحاوى طرف وروضة نضار زهرها القول المختار ولدعام المايه والستين والالف من هجرة افضل المرسلين وهاهو فى سربال الحياة رافل وبغرر الأوصاف ولله الحمد كامل واستتبع ذكر هذا الامام ذكر بعض الظرفاء الكرام (عبد المحسن بن مسلم) بفتح اللام كمعظم وهو وان كان عاميا اراد بصحبة احمد حريا ذو نكت غريبه وحكايات مضحكه عجيبه يكاد يؤلف بين الماء والنار ويرأب صدع الزجاج بعد الانكسار هاجر من نجد بعد ماخط عذاره وقبل

ـجمة عبد المحسن بن

(٨٩)

ان يلوح فى مسوده نهاره فاولع بصحبة الكرماء والجها بذة العلما ء ليكسب امادرهما او نصائح وحكما واجل من صاحبه واجلته منه المصاحبه احمد المطرز له هذا الكتاب المفوفة من مدحه برود هذا الخطاب فكان معه يكثر الدعابه مع ماهو عليه من المهابه والانفة التى لا توجد الا فى اسد الغابه ويفضى له بعض اسرار يخاف عليها من الاظهار وبالجملة فهو فى العوام عجيب وفى صناعة التاليف بين المتهاجرين غريب فانه لايزال يسدى وينير فى اصلاح ذات البين ويسير فتراه يقتل فى الذروة والغارب من المحارب حتى يعود مصاحب وهاهو فى قيد حياته لاعدمنا غرائب نكاته وظرائف مضحكاته ومن اتخذه وكيلا فى ماله معظما باضافته الى كماله (سليمان بن حمد) بفتحتين كمعد فانه عنده كانسان مقلته او كالبياض من غرته او الدر من محارته

ترجمة سليمان بن حمد

(رق طبعا وراق منه المحيا * فهو كالروض فى الصباح البهيج)

(اخرجته على يديها المعالى * فتسامى لها على التدريج)

ذو فضائل ومناصب تسمو على السيارة من الكواكب ومراتب ومناقب يتزاحم عندها بالمناكب ومواهب ومكارم تستقل عندها الخضارم وتتفاخر بتناولها الاكف والمعاصم

(كريم متى ماجئته تبتغى الندى * تجد وجهه بدراً وراحته بحرا)

(ومنزله رحباً ورؤيته شفا * وعزمته عضباً وهمته دهرا)

(ومنطقه اريا ومفرقه هدى * ورتبته قعسا ورحبته خضرا)

(اياطالباً منه الجدى وهو معسر * امنت فلا تخشى الكتابة والعسرا)

(الست ترى فى وجهه البشر لائحا * وتنظر كفيه وقد جرتا تبرا)

(ترى فيه حلما احنفا وابن مامة * نوالا وفى الاراء تلق به عمرا)

كيف لا وقد كان عند ذلك العلي القدر بمنزلة القلب من الصدر والروح من البدن والطلاقة من الوجه الحسن فهو حرى ان يعطر بذكره الندي ويتفاخر بمسامرته القطب والجدى النسي وينثال لندوته المملق والفقى ويرتفع بمصاحبته المخفوض والدنى

(كلما رمت من مزاياه عداً * قيل لى كف انها لن تعدا)

(فقصارى الثناء ان كان بحراً * كلما ظن جزره جاش مدا)

(٩٠)

(وحساماً على النوائب يسطو • غير ان لا يكل قطعا وقدّا)

(ذا صباح اغر ان ابصر الضيف • اراك الرياض يظهرن وردا)

(وفناء يخضر من سيب كفيه • ويبدي للوفد حسنا ورفدا)

(اكسب البصرة البهاء كبيراً • وصغيراً اولى المفاخر نجدا)

غير ان هذه الخلال البارزة فيه الفائقة بها معاصريه انما هي من خلال موليه

﴿ انما احمد سحاب عطاء • وسليمان منه كالميزاب ﴾

﴿ ينثر الدر احمد في يديه • فيحلى بها اكف الصحاب ﴾

﴿ المي من النجابة فيه • بهجة الروض وانصباب السحاب ﴾

قد ولد عام احدى وسبعين بعد المائة والالف من هجرة سيد المرسلين وخاتم الكرام النبيين ومن اصحابه الملازمين لبابه القائزين بلبابه (محمد بن سيف النجدي البصري) ذو الطباع التي هي الشمول اذا تسرى ولد في نجد فتردى برداء المجد ورحل مع ابيه الى هجر وقرأ القرآن ايام الصغر وشغل به اناء الليل والنهار وعمل به رجاء الفوز في دار القرار وعادت عليه بركته وتمت به خيراته ونعمته واستحق ببركته مصاحبة الاخيار وتقديمه في الايراد والاصدار والاشارة اليه بانامل الاكرام واجلاسه على فرش الاجلال والاعظام وانتظامه في سلك الافاضل الاعلام وارتقى به اعلى مرتقى والحق ببركته بنسب من التقى ولعل السبب في محبة احد اياه مايراه من انابته وتقواه وصدق معاملته ووفاه وحسن طويته وصفاه وصحة عقود وداده وطهارة باطنه وفؤاده لم يزل على اقوم سيره واصفى نية وسريره واصلا للارحام عارفا بالحلال والحرام بعيداً عن العقود الفاسده قريباً الى كل خلة ماجده كريم الطبع رحيب الربع لايمنع من اجتداه وان كان من اعداه وماذكرت فيه فمن بعض خلال ابيه

ترجمة محمد بن سيف النجدي

(فلا تحسبا ان الندى فيه حادث • ولكنه فيه قديم وتالد)

(فمن قبله اعطى ابوه نواله • ايبخل نجل قبله جاد والد)

وهو وان كان ابن سيف فانه في الهيجاء ابوه وان كان في اللاواء خادم الضيف فهو مولاه على من يجفوه

﴿ حاتمي اذا راى الضيف لاقاه • بوجه من المكارم طلق ﴾

فيه

(٩١)

﴿ فيه راق الحيا واما المحيا ٭ فهو للضيف ان اتى وجه برق ﴾

واما مفاكهته ومعاشرته ومداعبته فالطف من هبوب الرياح وارق من السقيط على شفاه الاقاح

(يغني الجليس بنطقه وبكفه ٭ مهما حكى اوجاد بالافضال)

(ان يفتخر ملك بسمر عواسل ٭ ففخاره بصوالح الاعمال)

ولد في عام مايه وخمس وسبعين بعد الالف من هجرة افضل المرسلين وها هو في قيد الحياة وفقه الله لما يرضاه ومن مجالسيه الافاضل ومواقفه الاماثل (الحاج يوسف بن زهير) المجبول على فعل الخير السائر في اوقاته احسن السير ولد في بلدة المتسمية بالزبير فاشتغل بالتجاره واعمل فيها جيده وقضاره من قبل ان يخضر عذاره فارتفع في الخيرات مناره وانتفع بالثروة ونفع ولكنه ان جمع ما جمع فاجانه سائلا ومنع وما عامل الاوسلك الورع لم يزل ذاعطا آجم وعمل صالح ما نواه الاوتم

ترجمة الحاج يوسف الزهير

فياله من كريم ، يعتاد نفع البرايا ، لم تأته في زمان ، الا وتعطى العطايا

كم عاش بسببه من ارمله واثقل بنعمه متن يعمله

(قد قيل لي لما عنيت بمدحه ٭ صفه سماحاً قلت بحر زاخر)

(قالوا طباعا قلت روض زاهر ٭ ولطافة قلت النسيم العاطر)

(وطلاقة قلت الصباح اذا بدا ٭ وشجاعة قلت الهزبر الهاصر)

(وسيادة قلت ابن قيس احنف ٭ وعزائماً قلت الحسام الباتر)

ولما ورد احمد الى البصره ، ووقعت منه عليه نظره ، اتخذه لمقلته قره . ولجبهة مجلسه غره ، ولصدقة انسه دره * وصار اعز ندمائه ، واجل اصحابه ورفقائه * يحله من مجلسه الصدر ، ويرفعه على كل ذي جاه وقدر * ويفاخر من فاخره * بمزاياه الكاملة العاطره ويطلعه على اسراره * ويشاوره في ايراده واصداره ، حتى انه لايحسن انسه . وتنشرح نفسه * الا اذا جاذبه اطراف الكلام ، وداعبه مداعبة الطل للبشام . وعاطاه اقداح المسامره ، تحت ظلال المحاضره . وبالجملة ففضل يوسف بن يحيى . يحيى به الفضل وجعفر يحيى ، ولقد اجاد القول فيه . من قال بفيه

(له همة تسمو الثريا وسودد ٭ يسامي علاه النسر اوهامة البدر)

(منازله اصبحن بهجة ناظر * ومعقل مطرود وموئل ذى فقر)

(تؤب اليها الوافدون رجآء ان * تجود هم منه السحائب بالتبر)

(فلاعيب فيها غير فيح مجالس * اذاقستها بالبرزادت على البر)

(اذا ابصرت ضيفاً تكادوجوهها * تهلل من بعد عليه من البشر)

فيالها من منازل شموسها غير اوافل ولله من مسارح لم تزل لالحاظ الشرف مطامح بجملة صدورها بكل صدر ضاحكة وجوهها بكل ثغر

(منازل تزهيها شموس فواضل * لك الله ليست مذ تبدت اوافلا)

(فلا عجب ان يدرك التيه عطفها * فتصبح فى ذيل الفخار روافلا)

(ولا عيب فيها غير ان كريمها * لدن شب حتى شاب يعطى النوافلا)

كيف لايهز اعطافها الطرب وقد طلعت فى ارجائها شموس القرب وحج اليها سنتوا العجم والعرب وامتدح عامرها بالقصايد وحيرت فيه برود المحامد فهاهو فيها فى غايه من الفرح ونهايه وممن ارتضاه احمد للصحبه واصطفاه بالمحبة والقربه واتخذه فى ايامه صفيا ورآه بعين اعتقاده وليا (ابراهيم بن جديد) الكائن من سالفة زمانه العقد الفريد رحل الى الشام فلقى اجلة اعلام وحصل علوماً جمه وفوائد مهمه فانثنى بعد طول الاقامه منها الى بلده بالسلامه واجتاز فى طريقه بغداد ثم رحل الى هجر واخذ عن عالمها وصدر اعنى به نادرة الدهر وحسنة الاوان والعصر (محمد بن عبدالله بن فيروز) ونزل بعد مرجعه بلدة الزبير فقضى بها ونشر فيها كل خير ودرس فى جامعها حتى دعى ريحانة جامعها واعتقد فيه الخاص والعام وحصل له من الملوك الاكرام التام وما ذاك الا زهده وصحة دينه وعقده يلازم صحبة الفقرآء وينهى عن الامرآء الا اذا امر جرى ويتصدق على الضعاف ويكرم الاضياف مع ما هو عليه من العفاف والديانة والانصاف يتعفف عن اموال اللئام ولا يتكلف لاحد بالاكرام

ووفاته سنة ١٢٣٩

ترجمة الشيخ ابراهيم بن جديد

(كريم متى ماجئته تطلب الجدى * تجد غير فحاش ولا متعبس)

(شفاء لذى تقوى سقام لمعتد * ونور لجلاس ونور لمجلس)

(وغاية طلاب ومقنع سائل * وغنية مستجد ومنية كيس)

وبالجملة فهو غريب فى عصره نادر الوجود فى مصره كثير التنفل من الليل قريب الى

العدل

(٩٣)

العدل بعيد من الميل محمود السيره طاهر السريره ذو دمعة من خوف الله غزيره واهام بالاعمال مزيره وصبر لايوجد الافيه وحلم لايستخفه الطيش والتيه ولا تناظره الرواسى وتساويه

(صبور على عض الزمان ونابه * حليم عليه للمهابه مطرف)

(هو البحر علما غير ان طباعه * ارق من الروض الشميم والطف)

(اذاقرأ القران اقبل دمعه * على الخد من فرط المخافة يذرف)

قد صحبته اعواما وجالسته نهاراً وظلاما فالفيته محمود الصحبه جم الطاعة والقربه ذا الاوصاف حلت ومزايا كملت وممن ناله احسانه وضم عليه فناؤه ومكانه ونظرته من تعطفاته العين واثال فى يديه منه الذهب واللجين ونزل عنده اعلا مكانه وقواه على نوائب الحق واعانه (محمد بن عبدالله بن فيروز) الغنى عن الذكر بالظهور والبروز العالم الجهبذ الكريم الجامع اعلا خلال التعظيم

ترجمة الشيخ محمد ابن فيروز

(هو المفضل الحبر الذى دونه البحر * اذا مدّ فارحل ايها الجهل والعسر)

(امين على سر النبي بصونه * وينشره فى الناس ان حسن النشر)

(يسلسل آثار النبي وصحبه * كما سلسل الامواه فى روضه النهر)

(يضوع اريج الحق من نشر علمه * كما ضاع من اذيال تيهانة عطر)

(يروى فيرى كل ظام من الهدى * اسانيد عن دين النبي هى التبر)

(اقاريره تحيي العلوم وتبعث * القلوب كما احيا الفلا الودق والقطر)

(ارى فيه ان يروى البخارى مسلما * تقرر فيه انه كعب الحبر)

(على فقده من يبك من لم يلاقه * فما مثله فى عصره يبرز الدهر)

قد ولد فى هجر وكف له البصر ابان الصغر فانفتحت بصيرته وطابت سريرته وحسنت فى الطلب سيرته وجد فى اقتناص الفوائد وتقييد العلوم الاوابد ودأب فى روايته حتى سبق فى درايته وعد من اياته ووردت له وهو شاب منه معضلات وصعاب وبرز كالغزالة ليس عليها سحاب وتصدر وهو غلام فيه على كل امام روى عن اجلة اعلام وجبال من العلوم وهضاب وجها بذة مامنهم احد الاوهو عباب ولاحت لهم فيه شواهد

(٩٤)

تدل على انه للعلم اقوى القواعد وانه ستشيع له اخبار يضيق عنها نطاق الانحصار وتملأ علومه الآفاق وتقوم على انه مجدد العصر كلمة الاتفاق

﴿ وكم قائل هذا الغلام اظنه * يطبق منه العلم واسعة الارض ﴾

﴿ ويجرى له فى كل ناد ومحفل * احاديث علم صانها ابيض العرض ﴾

﴿ وان اصبحت منشورة حبراتها * مطرزة الاذيال بالطول والعرض ﴾

وممن اخذ عنه هذا الجهبذ وبهر حتى استحق ان يعود الامام العارف والناقد فى التليد والطارف (عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف) الآية فى التصحيح والتحسين والتضعيف اخذ عنه المعانى والبيان والمصطلح وغير ذالك من العلوم الحسان الذى يضيق عن عدها نطاق الامكان والعالم الربانى المفرد فى علمه عن الثانى المقر له فى الفضل القاصى والدانى (محمد ابن عبد الرحمن بن عفالق) سقى سراه من الرحم كل غارق وخلق من اعلام بلده كالفاضل الكامل والده والمبارز فى بلاده على نظرائه وانداده تاقت نفسه الى النقله فاغترب غارب الرحله الى الاقطار الشاسعه لتحصيل العلوم النافعه وحيازة الفضائل الساطعه والخلال الباهرة الرائعه فدخل الحرمين فقرت له العين وانشرح صدره واتقد بالذكاء فكره براوته عن علمائهما وتردده فى محاسن آثارهما واصطباحه بمصابيحهما النيره واستظلاله تحت شجراتها المثمره واقتطافه من نور اورادهما المزهره وانتشاقه من انفاسهما العطره واغترافه من بحارهما الزاخره وتسريح طرفه فى رياضهما الناضره واقامته فى رباعهما الشريفه واكتسائه من فضول مكارمهما اللطيفه وممن استصبح بنبراسه واقتبس من نور مقباسه من علماء طيبة النبويه ذو العلوم السنيه والنفس المطمئنة المرضيه ابو الحسن السندى الحنفى افاض الله عليه سجال بره الحفى اجازة وسماعا لبعض العلوم من منثور ومنظوم وحصلت له عند ابى الحسن رتبة عاليه وتعطفات لا تزال جاريه حتى انه قبل يديه واخذ عنه بعد قرائته عليه وغيره من اعلامها واستجازه الجم من مدرسيها وحكامها حتى دعى بامامها وقيل الا لا يصدر شىء من احكامها الا من جهته ولا يعتمد على راو الا بثوقته واشير اليه فيها بالاصابع واجتمع عليه للاقراء ما اجتمع على مالك ونافع

﴿ اتاها فاحيى بالرواية مالكا * ورد فاحيى بالقراءة نافعا ﴾

﴿ وكم من فقير جاءه يبتغى عطا * فنال رباحا بعد ما كان خاضعا ﴾

ترجمة الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف

ترجمة الشيخ محمد بن عفالق

ترجمة الشيخ ابو الحسن السندي

واما

(٩٥)

واما مكة فانه استنار باقمارها واقتطف من اورادها وازهارها فاخذ فيها عن علمائها
كواكب سما استجازه فيها زواخر وبدور للمعارف سوافر وعيون هى لاجفان
الفضل نواظر اشتهر فيها صيته وارتفع واسفر فى افقها فجره ولمع واقرت بفضله اركانها
وكان يحيى به خالدها وسفيانها

(اغر تميمى كان جبينه * اذا سرد الاسناد قادمة الفجر)

(تردى رداء العلم والزهد يافعا * وزاحم سيار الكواكب بالصدر)

(فلا فضل الا وهو عنه مسلسل * ولا بذل الا وهو من كفه يجرى)

(له غرر مشهورة وفضائل * مكملة تزهو بها جبهة الدهر)

(فياعلمه لا ترض بحراً مناظرا * ويامجده فاشمخ الى قنة النسر)

(وياعصره فافخر به ان فخره * بدا فى ليال كلها ليلة القدر)

(ويابلداً مازال انسان طرفه * تسام فقد اصبحت منزلة البدر)

(ويا كتبه ان كنت للعلم ابحراً * ولا شك فى هذا فسيلى على البر)

ولما ضاع فى ارجائها عطر ذكاه وضاء فى افاقها من علمه ذكاء انصرف منها الى اوطانه
واحبته القدماء من اخوانه فاستقر فى وطنه مباركا فى رزقه وزمنه مفرغا وسعه فى
اغناء عائل وارشاد غفال وتعليم جاهل يصدع بالحق ولا يخاف عذل عاذل ويثابر على
قيام الليل مثابرته على البذل والنيل

(كريم اذا استمطرت مزنة كفه * جرت بعميم البذل عشرة ابحر)

(ولكنها لم تشبه المزن اذ جرى * بماء ومدت من نداه بجوهر)

قد حصلت له رياسة عامه وسيادة على الخاصة والعامه فصارت تصدر عن آرائه احكام
لا يعارضها لاستقامتها الحكام ان كان يعطى ويجزل فمازال يولى ويعزل ويرفع وينزل
مع ماهو عليه من التواضع للفقراء وعدم المداراة للكبراء هذا واما من تخرج عليه
وامتدت بركة علمه اليه فجم غير محصور وعدد لا يحيط به نطاق سطور مع ان اغلبهم
من اخذهو عنهم وطلعت شمسه منهم واذا كان لا يحويه نطاق دفتر ولا يناظرهم
كواكب الا كانوا اكثر واظهر مع انا ذكرنا منهم ماتيسر فلنصرف عنان الكلام

مجزاعن ذكر تلك الافضال الجسام واعلاما انها تحوج الى اسفار وتخرج بنا من الاختصار الى الاكثار ومع انى قد ذكرت منهم فى تاريخى الفرد فى وجوه القرنين الثانى عشر والثالث عشر جملة تدل على غزارة علم ووافر بذل وراسخ حلم ثم مازال فى اقطاره يروى العلم فى ارواحه وابكاره شاكراً لله على الانعام معظما فى صدور الخاص والعام تعطر المجالس بذكره وتتحلى المجالس بهمام يده وفكره حتى تنقلت به الايام ونقلت منه الاقدام عن وطنه الاول وزلزلته عنه حتى تحول من فتنة لم زلزلت من ملك قواعد وايقظت من نائم واقامت من قاعد فنجى من شرها ولم ينله شئ من شررها فقدم الزبارة على احمد فاكرمه اكراما مثله لم يعهد فانه اجرى عليه بعطيات ماهى الاحاتميات وان كانت احمديات واقام عنده مسترد فارفده الى ان نقلته الاقدار عن هاتيك الديار فالقى عصا الارتحال وحل رحل السير والانتقال فى البصرة الرعنا والبلدة التى لم تزل حسنا فتولى تدريس السليمانيه وانتهت اليه فيها الرياسة العلميه وراسله وزير بغداد وزاد ذكره حتى ملاء البقاع والوهاد وعظمت مودته فى الصدور ونفذت كلمته فى الرؤس والصدور وفى خلال هاتيك الايام الحسان والليالى التى اسفرت منه ببدور الاحسان حصل لى اتصال بذلك الجناب وقرأت ماقدر من كتاب فهو من اجل مشائخى الاعلام واعظم اساتيذى الفخام هذا واما كرامته لاشك فيها الامن كان جاهلا اوسفيها ومن كرامته الظاهره وخوارقه الباهره ان طعامه يزيد فى حفظ الطالب كما صح ذلك فى التجارب وممن اخذ عن هذا الحبر الجليل وروى عن علومه اعذب سلسبيل ولده عبدالوهاب المعدود من جملة ماالاحد من الاصحاب بلغ مع صغر سنه من العلم غاية فنه ونقاية دنه ورحل الى البصره وحصل له فيها اتم الشهره وولاه توينى بن عبدالله زمام احكامها وعرى حلها وابرامها حين تولى عليها ونزع سوار ملك حاكمها من يديها حقق كابيه والف ودقق غوامض البحوث ورصف وصدع بالحق ومارامى وماتوقف وانعزل بعدما حق على توينى الانعزال ووهت قواعد سلطانه وزال وقدم هجر فمات بعد اشهر من قدومه المصر سنة ١٢٠٠ واما ابوه المقدم فانه اتاه اجله المحتم عام سته عشره بعد المايتين والالف من الهجره ودفن فى مقبرة الزبير قريباً من تربة طلحة الخير سقى الله قبره من الرضا هطال وحشره فى زمرة النبي والصحب والال واما ولادته الظاهرة فيها سيادته فانها عام السته واربعين ومايه والف من هجرة افضل من قد وعف واسرى به حتى انتهى الى سدرة المنتهى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالاكرام عم واما آل عبدالرزاق الفائقون بمكارم الاخلاق فهم ابراهيم وابناؤه

ترجمة الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن فيروز

ترجمة آل عبدالرزاق

(٩٧)

عبدالوهاب وسالم الكريم المثاب وهم من اجلاء اصحاب احمد واعز اخلائه وانبل واجود ثلاثة هم فى سماء المناصب شموس ابناؤها كواكب واقطاب مكارم اكفها للناس غمائم واسود ضراغم اجامها من الشرف معاصم وافنان سياده تميس بها نسائم النجاده ورياض شرف اورادها الظرف وصحف كمال سطورها آمال وشجرات افضال ثمراتها كرائم الاموال وزهرات اقبال بودق صالح الاعمال وغر واعياد تزهو فى وجوه الاسعاد وبحور زواخر ليس لها الا الاكف مواخر وسيوف نوائب لم تغمد وانوف مناقب وسودد لم تشم الا انفاس الشيم ولم تشمخ الا الى معالى الهمم ورعان رزانه وبدور رياسة ومكانه وصدور لم تألف الا الصدور ورؤس ابت الا الارتفاع والظهور وعيون لم تر الا اجاريه ونجوم فضائل لا تنفك ساريه ومقل عوارف لم تزل ذوارف واركان عواطف كل بها طائف

﴿ اكفهم سحب العفاة وان تكن ، وجوههم يوم الهياج كواكبا ﴾

﴿ مطاعيم فى اللاوا مطاعين فى الوغا ، مضاريب فى البيض الخفاف المضاربا ﴾

﴿ اذا مابدت اسيافهم ووجوههم ، دجى الليل لم يبقين منه غياهبا ﴾

﴿ ولاعيب فيهم غير بيض مكارم ، واقمار اراء ازحن النوائبا ﴾

﴿ وغر اياد فى وجود زمانهم ، طلعن شموساً ماطلبن مغاربا ﴾

﴿ غطارف اخيار اذا ماتعصبوا ، اناطوا المعالى فى الرؤس عصائبا ﴾

﴿ صوارمهم تفرى العدو جوازما ، وان كن فى رفع الفخار نواصبا ﴾

﴿ وارماحهم تفرى العدو لهادماً ، ترى فوقها سم المنية ذائبا ﴾

﴿ لهم همم لا تنتهى وعزائم ، حكين بقطع المعضلات القواضبا ﴾

(فما تركوا من غاية لمفاخر ، وان يك قيساً فى الفخار وحاجبا)

(وما فخروا الا بكل قلمس ، اذا ضنت الانواء جاد مواهبا)

﴿ من النفر القوم الذين سيوفهم ، اقامت على الباغى عليهم نوادبا ﴾

﴿ وقد نظموا بالسمر كل مطاعن ، وقد نثروا بالمصلتات الكتائبا ﴾

(ومن صدّرتهم في الانام صوارم ، ابت من رؤس الاسد الا الذوائبا)

(لهم مجد تليد وسودد ، عريق وعز يترك الذل جانبا)

(وجاه عريض لا يؤد ومنصب ، به زاحموا بدر الدجى والكواكبا)

(فيالهم اقمار تم تلألأت ، وما كانت الافلاك الا المناصبا)

ترجمة الشيخ ابراهيم ال عبد الرزاق

فاما ابراهيم فان الزمان بمثله عقيم مذ برز الف العباده قبل خلع تمائم الولاده وتطلع للسياده حتى القت اليه بالمقاده وولع بالمكارم قبل فصل الفواطم وحفظ القرآن مع الضبط التام والاتقان وقام بواجب حقه ولم يلهه عن طلب رزقه وولع بادائه حتى شغله عن ابنائه لم يزل ذا دمعة سكابه ورهبة عند قرائته وانابه وكان مع هذا الخال حصل له حظ وافر من المال فاكثر صدقاته على اهله وقرابته وصار يتفقد بنواله الفقرآ لاسيما اذا الليل سرى ومن مناقبه التي لا توجد في اصاحبه انه كلما مر عيد كسى جيرانه الاحرار والعبيد وكل منتسب الى علم وكل شريف وحلم

(فلم ار في الاعطآء مشبه احمد ، ولا مثل ابراهيم ان بخل القطر)

(ولكن ذا غيث عميم لمجتد ، وذاك هو البحر الذي مدّه الدرّ)

(ومن مثل ابراهيم وهو اذا انتمى ، لاحمد من عمت فواضله الصهر)

(على انه من غر قوم اكارم ، الى مثلهم ينتمى المجد والفخر)

(وما فيهم الا كريم اكفه ، اذا اجتذبت مدا بها سحب عشر)

وبالجملة فابراهيم وحق له الاكرام والتعظيم لما جبل عليه من طباع هي النسيم ومفاخر هي العقد النظيم ومكارم هي الروض الوسيم ولطائف هي في الرقة تسنيم وكان من اصحاب ابي احمد من الصغر الى ان دعاهما داعي الهرم والكبر ومات ابو احمد قبله فبكاه وصحب بعده نجله لما لم ير في النجابة مثله واقام في الزياره يشكر الوارد دون ارادة واصداره الى ان دعاه حمامه وحم من اجله تمامه (واما عبد الوهاب وسالم) فانهما بدرا سيادة وبحرا مكارم اتصلا باحمد ونسبته اتصال الزهر بوردته فنالا باتصالهما به اشرف نسبه ومن وثيق تلك الصحبه اعلا منصب واجل رتبه سار اسيرة والدهما فبورك لهما في طارفهما وتالدهما وعودا اكفهما البذل حتى حمدهما اليافع والكهل وضارعهما الماطر بالوبل وصار منزلهما كعبة آمل ومنية عاقل وفاضل ومعقل هارب وآجل وبهجة

ناظر

(٩٩)

ناظر وهداية حائر وكوكب سارى وخضارم كل جادى

ايا منزلا مازال تألفه العلا ، وتصدر عنه للعفاة المكارم
نعمت صباحا ايها المنزل الذى ، بناك بايدى الفضل والمجد سالم
وساعده فيه ابوه وعمه ، واخوته والكل غرّ عيالم
بنواسوددلا يبرح الدهر شامخا ، اذا ريم هدماً امسكته الدعائم
بنون واخوان كرام كالهم ، سوار له بيض المعالى معاصم

ترجمة الشيخ عبدالوهاب ال عبدالرزاق

ترجمة الشيخ سالم العبدالرزاق

وبالجملة فهذان الاخوان نادرتان فى هذا الزمان فاما عبدالوهاب فهو من ذوى الالباب الوالجين الى التقى من كل باب يقوم الليل بالتلاوه ويمزج منه النيل باللطف والحلاوه ذو معرفة بالجواهر وقيمتها وبحساب منثرها ومنتظمها واما سالم فهو ذو رياسه ونجابة ونباهة وسياسه ورفعة وحدس وفراسه وها هما فى قيد الحياة رافلين وباوصاف السعادة كاملين هذا ولما ذكرت ما لاحمد من المفاخر مع الاعتراف بان لسان الحصر عنها قاصر وان ذكرها على التفصيل لايحيط بها نطاق الدفاتر ولايتخيله فكر ولايتوهمه خاطر وحبرت تراجم بعض اصحابه وملازمى رحابه وابوابه آسيا بمحض النظم ولبابه ثانيا على التكليف العنان متحريا من الالفاظ ماتعشقه الاذهان قبل سماع الآذان طاويا كشح المقال عن الغرابة والتقييد مائلا عن التكرار والترديد احببت ان اذيله

مراثى فى الشيخ احمد ابن رزق

بمراثى تذيب ادمع الوارث والرائى وتجعل فى لبات القصائد عقود اوقلائد ويتفاخر بسماعها الاسماع وتذوب عليها من الرقة الطباع ويتدارسها فى المشاهد القائم والمضطجع والقاعد وتتباهى بكتابها الطروس وتتسلى بها عن منادمة العروس وتتغابن فى حفظها الافكار ويفضل الليل اذا تليت فيه على النهار لما اشتملت عليه من وجود السبك وحسن التطريز واحكام الحبك وانسجام المبانى وائتلاف المعانى وذلك انه لما تسامى قدره وطار فى الافاق ذكره وراق بمفاخره عصره والقت اليه بالزمام العليا واطاعته بالتمام الدنيا وكادت تضيق بما له الارض ويطيق بنواله منها الطول والعرض دعاه داعى الحمام واذنه بان ليس بعد التمام الا النقص وما بعد الالتئام الا الصدع وما بعد الا نتظام الا النثر لقلادة الحياة بهذا الحسام ففارقت جثمانه روحه وغابت من انسه بوحه وهدم بيت المكارم وشيد جناب المآتم ونظمت فيه المراثى وكثر الناعى والرائى وشقت جيوب المفاخر ودقت صدور المآثر وعز الجلد وفنى الصبر وقد فلم ارد أمن انشاد

قصايد هي في سوالف المراثي قلائد قضاء لبعض ما تره التالده ومفاخره التي لا تزال خالده

من الطويل

جدير لعمر الله ان ينضب البحر • ويكسف قرن الشمس او يخسف البدر

وان تبرز الحسناء تندب حاسراً • فتلطم خداً شأنه الحسن والستر

وان تسقط الزهر الطوالع في الثرى • فقد خرّ من لا شانه عن علاً خسر

وان تنهض الغبراء ابناء بطنها • لينزل منها الصدر من حقه الصدر

وان تعقد الاشراف في مأتم الندى • تنوح وقدمات الندى وانقضى الفخر

وتنفذ امواه الجفون تلهفا • كما انفدت بالموت ايامه الغرّ

ويخلع ثوب الصبر عن كل صابر • ففي رزء هذا القرم لا يلبس الصبر

وليس يسوغ الصبر في رزء سيد • عليه عيون المجد ادمعها حمر

بكته المعالي فهي محروقة الحشا • وفي يدها كسر وفي قلبها فطر

فان جناح المجد هيض بموته • فما من جناح قط الا به كسر

تولى فاولى كل قلب مصابه • صدوع اسى من مسها انفطر الصخر

وقد فقئت عين الكمال برزئه • ففي نجلها قرح وفي جفنها شتر

به انفذت سود الليالي سهامها • فخانته والايام من شانها الغدر

وكم لليالي من صريع مجندل • وقدماً له الشطران منها او الشطر

فكم من عظيم القدر اصمت نبالها • فما ردّ عنه حتفه ذلك القدر

وكم من شديد الاسر اوثق اسرها • فاودى ولم يمنعه من اسرها الاسر

هي الفرس الشقراء لم يعد شرّها • مواطئ رجليها ولوانها المهر

فاخفت على كسرى واودت بقيصر • ولم يمنع النعمان من فتكها القصر

واردت بجساس كليباً وماحمى • حذيفة من اسيافها ذلك النهر

وقدت باشقاها عليا وغادرت • حسينا بيوم الطف يصرعه شمر

ودارت

(١٠١)

وعادرت على الزبا بكيد قصيرها ، ومارد منها السهم عن نحره عمرو
وكم لبني مروان باسا وسطوة ، فنابهم من بطشها الناب والظفر
وخانت اخا الحضر الكثير نماؤه ، ولم يمنع الخابور عنه ولا الحضر
واسقت بني العباس كاساً مريرة ، ومارد بغداد وما منع الجسر
وضرست الاملاك من آل تبع ، وماسلمت من وقع سطوتها بكر
وماخلصت ساسان من مخلب الذرى ، وكم لهم من غابر خدم الدهر
وان مصيبات الزمان لجمة ، واعظمها فى النفس ماوقع العصر
مصيبة من اودى فكفن بالندى ، واشعر فى التقوى فحنطه الغفر
فتى اريحي الطبع ايسر رفده ، هو البحر لكن ليس ينقصه الجزر
رشيد ومأمون امين وواثق ، ومنتصر بالله ان يرتجى النصر
ومقتدر بالله فى كل حادث ، ومعتصم بالله ان عظم الامر
فويح المنايا كيف مدت يداً الى ، فتى كفه الجوزاء والمعصم النسر
وهمته تسمو الثريا وباعه ، يطول السهى مداً ومغفره الغفر
قضى ماقضى حتى اذا يومه انقضى ، تقضى به المعروف وابتهج النكر
عجبت لفتيان تولوا بنعشه ، اما علموا ان فوقه الطود والبحر
فياحاملى اعواده ان قبره ، محارة فضل فاعلموا انه الدر
دفنتم فتىً لم يحصر العد بعض ما ، تمد به يوماً انامله العشر
واخفيتم شمس العوارف فى الثرى ، ولولا وجود الشمس لم يسفر البدر
فلا غروان الكون اظلم وجهه ، بليل من الاحزان ليس له فجر
هنيئا لقبرضم اعضاء جسمه ، ففيه الندا والحلم والعزم واليسر
ليبك عليه كل ضاو ومقتر ، اضاق فاهداه الى جوده البشر

ويبك عليه كل سار تطوحت ، به البيد لازاد لديه ولا ظهر
ويبك عليه الوفدامّ فناءه ، فوافاه منه الصفرِ والحلل الحمر
ويبك عليه كل ناد ومحفل ، جوانبه من سيب راحته خضر
ويبك عليه كل مهر ومهرة ، فقد علما ان ليس كرّ ولا كفر
نم تضحك الكوم الهجان لموته ، فقد علمت ان ليس عقر ولا نحر
ويبك عليه النظم والنثر انما ، على مثله يستعذب النظم والنثر
ايا شعراء العصر لادرّ درّكم ، تعالوا لنرثى من مواهبه التبر
فلوان مروانا راى سيب جوده ، لما صدحت معنا اعاريضه الغر
ولو ان بكراً شاهدت منه ماجرى ، لما افتخرت فى معنها ابداً بكر
به جدعت ايدى المنايا يد الندى ، فلا كرم يرجى ولا يرتجى ذخر
فويح المعالى كيف يرفأ دمعها ، وها هى مذريعت به ابداً بتر
وويح وجوه المجد كيف ابتسامها ، ولا وجه الا بالكئابة مغبرّ
ولولا التاسى كنت اقضى من الاسى ، وكيف يطيق الصبر من لا له صبر
فيا احمد الخيرات اصبحت فى الثرى ، رهينا ولا بيض لديك ولا صفر
ويا طالما اطلقت من اسر فاقة ، اخا عيلة ايديه مغلولة صفر
ويا طالما اطلقت بالبذل راحة ، اذا اطلقت فى عسرة ذهب العسر
وكم فتحت يمناك باب مكارم ، وكم فاض من يسراك فى كرم نهر
لئن مت ماماتت ما آثرك التى ، بها يقتدى فى الجود ابناؤك الغرّ
فكم لك من نجل شرفنا بمجده ، بها كهلال العيد قد شرف الشهر
عرانين فضل للكمال معاطس ، وليس لهم الا الندى والثنا عطر
بهاليل كالبيض المواضى عزائما ، اذا مادها خطب وحار به فكر

وانى

(١٠٣)

وان فروعاً انت قاعدة لها ، لاغصان آمال ذوائبها خضر
محمدهم للفضل والحسن يوسف ، ومحسنهم فى الناس خالده اليسر
فيا وارثى امواله ان ماله ، عن البذل والاعطآء ليس له صبر
فلا تقصروه عن مكارم كفه ، فيدرك ممدود الندى بعده القصر
ولا تسمعوا للقال والقيل فيكم ، فبا لقيل فيما بينكم يحدث الشر
ولا تكسروا يوماً عصاذات بينكم ، فكسرعصى الاصحاب ليس له جبر
وكسرعصى القربى اشد غضاضة ، واجدران يلحى به العظم والهبر
فلا تعقدوا امراولا راس فيكم ، متى كانت الفوضا فقدفسدالامر
ولا تهدموا مجداً بناه ابو كم ، وشيده حتى بنا الما تم القبر
اذا لم تكونوا فى الشباب اكار ماً ، وجاهكم واف وما لكم وفر
وايديكم ملأى واياكم رضىً ، واخلاقكم بيض واوجهكم غرّ
فما انتم بالكائنين ذوى ندىً ، اذالاح فجر الشيب وانتقض العمر
فلا تحسبوا ان المعالى ملابس ، مفوّفة بالطرز مصبوغة حمر
ولكنها شمّ الذرى مشمخرّة ، فسلكها الاعلى مثلكم وعر
ودونكم منى مراثى جمة ، ولكنها فى فضل والدكم نزر
وليس ببدع ان فكرى ناظم ، وخدى لهاطرس ودمعى لها حبر
وقد جاء تاريخا لعام وفاته ، لاحمد جنات لها حسن البشر

١٢٢٤

ولما اطربت المسامع ، وعطرت الرحائب والجامع ، وحركت ببلاغتها الطبايع ، وشأت فى مضمار البيان طلايع ، وجرت برد فصاحتها فخرا * على كل خريدة وعذرا ، اعقبتها بخريدة اخرى * تكاد تكتب فى الخدود سطرا *

من الكامل المرفل

ان مات احمد لم تمت ، منه المآ ثر والمكارم ، قدسن من طرف الندى

(١٠٤)

مالا لمن اولحاتم ، فشأى البرامكة الكرا ، م مكارماً وهم الحضارم
ولقدقضى فقضى الندى ، وبكى الارامل والايائم ، جـدعت به الايام عر
نين العلى ويدالمراحم ، وتضعضعت اركانها ، وتواضعت منها الدعايم
رزء كسا الافاق اسود فاحم كالليـل قاتم ؟ والان كل شراصة
واذاب للصيد الشكائم ، وطوى المسرة والهنا ، واحال ينشر للمآتم
فالفصل صوح نبته ، وتقشعت منه الغمائم ؟ والفخر مهدوم البنا
والمجد مطموس المعالم ؟ والسعداصبح طيره ! مقصوص اطراف القوادم
دفنوا نداه بشبره ! وثلم به شمل العوالم ؟ فمضا به حل العرى
وعن الورى التى العمائم ! وسطى علينا فاصما ! صلب المروة بالمناصم
من للنساء المعولات ! المهملات وكل غارم ، ومن الذى ترجى المـدا
ئح نحوه من كل ناظم ! ومن الذى يرجى اذا ، اغبرت من الافق المباسم
ومن الذى يدعى لحل المشكلات من القواصم ، ان النساء الحاملات
بمثله ابدا عقائم ! يادهر غيرت الوجوه ، فلا ضواحك اوبواسم
ولطمت وجها لم يزل ! للشروالافات لاطم ، واصبتنا بمصيبة
اوهت من الدين الدعائم ! وكويت افئدة الورى ؟ بمياسم الموت الطلاخم
و كسرت جمع الفضل حتى لا يرى للفضل سالم ! وصدعت ابنية العلى
وبنيت ابنية المآتم ! وطويت اثواب الهنا ؟ ونشرت اكمام اللواطم
وقطعت عرق المكرمات بصارم للموت هادم ! و كسفت شمس سمائها
فالكون بالاظلام واجم ! غيبت فى بطن الثرى ! بحر الندى الغمر الخضارم
ان رام يحكيه العباب ! فانه فى ذاك زاعم ! فالبحر يوليك الاجاج
ومده محظ الدراهم ! والبحر يعطى ها نجا ! وبزجرها تهب الغمائم

١٣ ويمنه

(١٠٥)

ويمينه سحا وبحر صباحه طلق المباسم ؛ يادهر مزقت القلوب
فعلها فيه شبارم ؛ وهدمت ركنا باذخا ؛ وسطوت بالاسد الضيارم
وقطعت وردة روحه ؛ بمخالب الاسد القشاعم ؛ واغبت برق سرورنا
ولكم على كل المكارم ؛ وبنيت فى احشائنا ؛ اطما من الاحزان قائم
ونصبت اسباب الردى ؛ لتصيد اكرم من يكارم ؛ انشبت فيه صارما
ولكم عدى للشر صارم ؛ لولاه عن قدر جرى ؛ لرددت عنه ولم تقاوم
لكن جرى القدر المتاح ؛ فمن ترى من بعد دائم ؛ لو دام انسان لدا
م مشرف للرسل خاتم ؛ فالصبر اولى ان دهى خطب ؛ بحالة كل حازم
صبرا بنيه فانما ؛ صبر الفتى عند العظائم ؛ ما مات من انتم له
خلف ومن ابقى المكارم ؛ فسلوا الصحاف المترعات : فانها تدرى الاكارم
وسلوا الصفاح المصلتا ؛ ت حرف الشلاقم والصلادم ؛ وسلوا الضيوف فانهم
لاقوا به معنى وحاتم ؛ وسلو القوافى والاعا ؛ ريض الصباح وكل ناظم
هل كان غير جنابه ؛ يرجى ويمدح بالمناظم ؛ فسقى ثرى فيه يرى
صوب المبرة والمراحم ؛ وسقى الرضا جدثا له ؛ فيه الندى جار وساجم
انى لا بكيه دماً ، وارى بانى غير قائم ؛ فاقفوا بنيه مكارما
سحت بها منه غمائم ؛ من لم يكن كابيه فى ؛ فضل بعض على الاباهم
فالجود فيكم خالد ؛ فذروه مركوز الدعائم ؛ واسقوه من ايديكم
ليدوم مفتر الكمائم ؛ ودعوا الخصام فانه لمآثر الاباء هادم
وذر والثنا ما همهم ؛ نقل البطون الى الولائم ؛ عي سوى عن غيبة
اونشر مطوي النمائم ؛ ومن الغباوة والعنا ؛ تقريبكم من لا يلائم
فابقوا جليسا صالحا ؛ مغرآ بصحبة كل حازم ؛ اما كا حنف حلمه

اوخاله قيس بن عاصم ! ها ؤم نصيحة ناصح ! ماغش فى النصح المخاصم
يبكى اباكم طرفه ! كالساجعات من الحمائم ! وخذوا مراثيه فما
هى للمراثى كالتمائم

ولما فوفت بردها * ونظمت فى سالفة البيان عقدها * واطلعت من كمائم الرثاء وردها * وارتشفت المسامع رضابها * وتجليت الطروس جلبابها * اقتضى الحال * ان انشد على الارتجال *

(وقائلة قدمات احمد ذوالعلى * ومات الندى من بعده والمفاخر)
(اقول لها كفى لئن مات لم تمت * مآثره اللاتى بها القول سائر)
(وبيض غطاريف كان وجوههم * بدوراً اذا جن الظلام سوافر)
(بنوه الاولى اضحى بهم ناظر الندى * كحيلا له مجد بهم ونوادر)
(من النفر الاسد الذين عزومهم * كاسيافهم فى المشكلات بواتر)
(موارد فضل غير ان اكفهم * لكل جميل فى الانام مصادر)
(مقاول اقيال فلاغروان زهت * منابر فى ايامهم ومحاضر)
(كان المعالى قد خلقن خواتما * لها منهم فى كل عصر خناصر)
(فما تركوا فخراً طريفا وتالداً * لمفتخران جاء يوماً يفاخر)
(وما افتخروا الا بكل متوج * نماه الى المجد المؤثل عامر)
(فماشئت فيهم من ثناء فقل بهم * فعما بهم مدحا تضيق الدفاتر)
(يقولون اسد فى الهياج كواسر * اذا لم يكن الا السيوف نواصر)
(اما علموا هم ابحر فى رحابهم * تمتهم الى البذل العميم زواخر)
(يطيلون ارواق الجياد وانما * جيادهم ارواقهن الخواطر)
(فضائلهم لاينتهين فقل لمن * يكاثرهم فى الفضل اين المكاثر)
(يروق بهم وجه الزمان طلاقة * ويغدو بهم وجه الدنا وهو سافر)

فطاول

(فطاول بهم من شئت مجداوسودداً * فكل طويل عنهم فهو قاصر)

(على كل فضل فى الانام ادلة * وفضلهم فيه النصوص ظواهر)

(فلا عيب الا محتد وسيادة * يزينهما بين الانام المآثر)

ترجمة ابناء الشيخ احمد ابن رزق

فلنعد بعد الانشاد * الى انشاء تراجم الاولاد ، فنقول لما غربت فى رمسه . محاسن شمسه ورثه خمسة بدور ، اشرقت بهم وجوه الصدور . قدغذتهم المروة بلبانها ، وقلدتهم بلئاليها وجمانها . وفتحت بهم اورادها ، وحضنتهم اذ كانوا اولادها ، واعتنقوا اولادها . ولفقوا فرائدها . وزينوا مقاعدها ، وسهلوا لطالبها مصاعدها . وحلوا منها المقاعد ، وقربوا منها المقاصد ، واعادوا شبابها ، وشادوا بعد الهدم قبابها * وامطروا سحابها ، فى الحضيض واليفاع ، وخاضوا عبابها ، بسفن مكارم شراعها الطباع ، واحرزوا قصبها . ورفعوا حسبها ، وعمروا منها الديار * وحسنوا منها الآثار * وتسنموا منها السنام * وفتقوا منها الكمام ، واهبوا منها الارواح ، واعادوا منها الارواح الى الاشباح . وانجروا منها الصباح * واجروا منها الحياض ، ووردوا منها الرياض ، وشرحوا صدورها ، واشعوا بدورها ، ودبج فى ثنائهم المنظوم والمنثور ، حتى غدا كل ممدود من المدح عليهم مقصور *

من الخفيف

﴿ مضريون عامريون حازوا * قصبات السباق للمكرمات ﴾

﴿ ارضعتهم لبانها فرعوها * باياد من جودهم مرسلات ﴾

﴿ ووجوه اذا رأت وجه ضيف * اشرقت كالرياض مبتسمات ﴾

﴿ كل يوم لم يلقهم فيه ضيف * فهو فى رايهم من البخسات ﴾

﴿ بعزوم كانهن بروق * اوسيوف غدون منصلتات ﴾

﴿ لايحن العلى الى من سواهم * بل اليهم كالطفل للمرضعات ﴾

﴿ ابرزوا المجد فى جناه وابدوا * فى سماء الندى بدور الصلات ﴾

﴿ وبدوا فى الورى شموس جلال * لم تكن فى الانام منكسفات ﴾

ولقد اجاد فيهم القائل ،

من السريع

﴿ كل امرئ لاقيته منهم * تقول فيه انه المطلب ﴾

﴿ محمد يوسفهم محسن ، وخالدذوالشرف الاطيب ﴾

﴿ وختمهم عبدالعزيزالذى ، عن فضله كل فتى معرب ﴾

وهاانا اسرد تراجهم على هذا الترتيب ، ذاكرا ما اطلعت عليه من احوالهم على التقريب جاعلا ذلك خاتمة هذا الكتاب ، مطرزاالنثر بالنظم المستطاب ، فاما محمد فاصلبهم على الاعباء متنا ، ذوعزم يضاهى مضاء الحسام ، وحزم لايوجد فى سواه من الانام ، وحلم ارزن من الهضاب ، و كرم كم مدله من عباب ،

ترجمة الشيخ محمدرزق

من الطويل

﴿ هو الفاضل القرم الذى فى ثنائه ، يروق ويحلو منىّ النثروالنظم ﴾

﴿ مع الكرم الفياض حاز لطافة ، ورقة طبع زانها الصمت والحلم ﴾

﴿ له الشرف المشهوروالمنصب الذى ، تقاعس فيه عن منازله النجم ﴾

﴿ اغرّ عقيلي كان جبينه ، اذا مارأى وقّاده القمر التمّ ﴾

﴿ مساعيه بيض فى الانام يزينها ، وقائعه اللاتى كافراسه دهم ﴾

﴿ ولو انها غر بكل مهند ، له عمل فى ضده وهو الجزم ﴾

﴿ اذا ارتعش المتنان منه تراعشت ، يدا كل ضرغام وادركه الحزم ﴾

﴿ وان فتىّ ينميه احمد للعلى ، لخير فتىّ ينمو به الكرم الجمّ ﴾

﴿ لقدمات من بعد البرامكة الندى ، ولم يبق منه بعد موتهم وسم ﴾

﴿ فاحياه بالاعطا ابوه وجده ؛ ولما بدا مازال فى عصره ينمو ﴾

ولدفى بلدوالده الزباره ، فى ايام هى الرياض بالنضاره ، وليال ماانورها ، واسعدهاواقصرها ،

من السريع

(لما بدا نور محياه بها ٭ لم يبق وجه ماعلاه الفرح)

(ولم يكن من فتن ماانثنى ٭ وطائر فى دوحه ماصدح)

(قدارضعته الدّر بكرالعلى ٭ وعودت يمناه بذل المنح)

ان برز بروز الغزاله ٭ فله الرياسة هاله ، والكمال مدار ، والافضال انوار ، والجلال مطلع والنبالة مسطع ٭ فهو الواحد فى المعالى ، والبدر لما وجدفيه من الليالى ٭

حسن

(١٠٩)

من الكامل

(حسن الطباع كأنما * اخلاقه الا رواح)
(كالغصن يبصر عطفه * ان هزه المداح)

مكارم اخلاقه ، اوضح دليل على طيب اعراقه ، وتبسمه فى وجوه الوفاد ، امارة على شرف الاجداد ، ورحب فنائه * دال على سعة عطائه ،

من الطويل

(لئن اصبحت منه المنازل رحبة * لاوسع منها للوفود مكارمه)
(يضيق الفضاء عن بعض ماهو مفضل * و لم تبي عنه كفه ومعاصمه)

فهو قطب تدور عليه رحى المفاخر * وترنو اليه من المعالى النواظر * وفلك شرف لم يزل بالمكارم دائر * وروض مجد بالنجابة زاهر *

(فلا غروان تزهو بساطع فضله * محاضر فيح عطرتها الفواضل)
(وغر قواف جاذبته زمامها * مصاقع غرب ساعدتها القواضل)
(يقيمون معوج القوافى كأنها * اذا ثقفوها فى يديهم ذلائل)
(يكاد اذا قالوا مقالا بمشهد * تمى عنهم ذاك المقال الجنادل)
(اذا قوموا شعراً ففى مدح جده * ومدح ابيه ذلك الشعر كامل)

ان فخر به زمانه * واقر له بالفضل اقرانه فقدرام كيوان ، ان يساميه فى علو المكان ، فرد عن مضاهاته خجلان .

من الخفيف

(لا يرى فى علاه عيب سوى ان * كان ذاسودد وذا المعيه)
(اغزر البذل اظهر الفضل حتى * حلف الدهر مارايت سميه)
(همم تعجز الزمان احتمالا * واياد مهما جرت حاتميه)

فلما توفى ابوه ، وحف به راثوه ، صبر وجانب الضجره ، وشمر عن ساعد الجد وحسر ، وقام مقام والده ، ودرج على مدارجه ومقاصده ، واعطى كل وارد ، ماله من صلة وعائد ، حتى عرف فضله المسود والسائد ، وتوه بذكره الغائب والشاهد ، ونظمت فيه المدائح والقصائد ،

من الطويل

(ثوى الكرم الثجاج فى قبر احمد * فابرزه من قبره بعده النجل)
(محمد القرم الذى اقسم الندى * بان لاله فى عصره ابداً مثل)

(١١٠)

(تعوّد بذل المال حتى كأنما * تواضع معه مرضعاً ذلك البذل)

قد فوض اخوانه اليه من امرهم الزمام * ودارو ابه دوران الكواكب بدر الظلام ، ونظروا اليه باعين اجلال واحترام ، واتخذوه فى محراب المهمات اماما ، ولنوائب الزمان عدة وحساما * ولاعين المفاخر انسانا ، ولعالية المآثر سنانا ، ولسهام اسرارهم كنانه ، ولمعاطس ار آئهم ريحانه ، وافتخروا بوجوده * افتخاره بابيه وجدوده ، وطاوعوه مطاوعة يده ، لامطاوعة عبده * ونزلوا عنده منزلة عينه ، لامنزلة نضاره ولجينه ، ونهض باعباء والده ، فاقر عين موده وفقا عين حاسده * واعمل الهمم ، فى اتباع مالابيه من الكرم ،

من الخفيف

(يالمولى ابدى مكارم شتى * بعد ماما ت ذوالسماح ابوه)

(كل جود الى ابيه تناهى * فله الخلق كلهم نسبوه)

لابدع ان صار من المكارم عينها الباصره ، ومن المفاخر روضتها الزاهره ، ومن الشيم ارجها الشميم ، ومن الايام صباحها الوشيم ، ومن التعظيم غرته * ومن التكريم زهرته ، ومن التفخيم ناصيته ، ومن الشرف رايته ، ومن المجدساريته ، لم يدع منه شامخا الا ارتقاه ، ولا قنا الا عصره وثناه * ولاقنو من الكرم الاادناه ، ولازلالا من اللطافة الااحتساه ، ولابردامن الظرافةالا اكتساه * ولامطرفاًمن البيان الاوشاه ، ولامعصما من المعالى الاسوره ، ولاورداً منها الا ازهره ، ولامقلة الاوهى اليه رانيه ، ولادوحة الا وهى عليه حانيه * ولاخلة من الخير الا وهي اليه منسوبه ، ولامهرة منه الاوهى له مركوبه ، ولامحمدة الاوهى ملفوفة فى برده * ولامنقبة الاوهى منتمية الى زنده * وبالجمله فهو من الرفعة والمكانه ، والنزهة والصيانه * بالمحل الاسما ، والمنازل التى دونها الهمم ترمى * ومن الراى والتدبير ، بحيث لايوجد له نظير * ابان الله سيادته ومقداره ، فى البلدة المعروفة بالزباره * فى العام الخامس والتسعين ، بعدالماية والالف من هجرة الامين ، وتربى فى حجرة الدلال ، الى ان ادرك الكمال ، ونظرته عيون السعاده ، بعدتردينه باردية السياده ، وقدمه ابوه المقدم ، فكمل به نقص الفضل وتمم ، وعقد له عقد الرياسة ونظم * وتفرس فيه النجابة وتوسم ، فها هوذا فى المحل الاعلى من اجفان العنايه ، بالغا من المفاخر كل غايه (واما يوسف فهوذوفضائل جمه) تقصر عنها كل همه * ومحامد عديده ، زينت من الكمال جيده ، ونزلت من سمائه * منزلة بردة ذكائه ، ومكارم لاتحصى بالمده ، قد انزعت كل بقاع ووهده * وبرزت لحاتم فبهرت عطاياه ، وشهدت بان

ترجمة الشيخ يوسف رزق

الكرم

الكرم ليوسف لاستعداه ، ولمن فادر كه الخجل * ولابن مامة فاكتسب منها مابذل * وانشد فيه وارتجل

من الطويل

(تروم اياد ان تكاثر يوسفاً * مكارم لاتنفك ذات اياد)
(وليس لها الايدان ويوسف * اياديه لاتحصى بعد اياد)

لم يزل مذ فتحت عيناه . تشنف بالثناء اذناه ، وتتحلى بالاعطاء كفاه ، وتهتز الى المحامد عطفاه ، وتبتسم ثناياه لمن وافاه . ببذل يقصر منه مد السحاب . ويعجب من زخوره كل عباب ، ورأى فى المهمات ساطع كالشهاب * وعزم كالحسام الا انه بلاقراب ، وهمة ضرغام * تعجز عنها الايام ، ورحاب ليس عليها حجاب . يردها ضيوف ، ربما بلغوا الالوف . عشقته المعالى وهو فى مهده * وحسدته العوالى فى شرفه ومجده .

منه ايضا

(فتىً فى ذرى العليا يلوح فخاره * كمالاح فى عليا القناة سنان)
(ولم تن عن مد الندى منه راحة * ولم يثن من علياه منه عنان)
(لكل فتى بيد ومكان لسكنه * وهذا له بيت الثناء مكان)
(له كرم ماصانه برد ضنة * وابيض عرض بالكمال يصان)

فهو الجدير بان يعظم ، ويصدر فى كل صدر ويقدم . وتلق اليه من المعالى الازمه . ويعمل فى زيارته كل قدم وهمه * والقويهتدى به فى كل ظلمه * والتى تمتد الى ثنائه اعناق القصايد * وتتفاخر بالمثول بين يديه الاماجد ، وتغبط بجلسته المجالس * وبحكمه المسامر والمجالس .

منه ايضا

(نمته جدود من عقيل سموابه * الى شرف يسموالسماكين والنسرا)
(فزاد به عليا عقيل وعزها * وفاتت به عن غيرها مضر الحمرا)

ولد فى الزبارة عام المائتين ، بعد الالف فقرت به العين . واستنارت ارجاء بلاده . بشموس سيادته واسعاده ، وهنى ابوه بوروده * وطلوع شمس سعوده ، وانهمال سحابة جوده ، فمازال يترقى الى فنن السياده * متفيئاً بافياء السعاده ، متأدباً بكل ذى عفه . خلقه النسيم فى الخفه * ووجهه الروض فى القسامه ، وكفه بالجود سيل الغمامه ،

منه ايضا

(يكاد يسيل اللطف من عطف طبعه * كسيل سقيط الطل فوق اقاح)
(اذا افتر ثغراً فى وجوه ضيوفه * اراك صباحاً لا تحاً بصباح)

ولما انتقل بالرحمة ابوه ، وقصده للتعزية معزوه ، وجدوه اخا جلد وصبر * وهمة من دونها همة الدهر * قائما بوظائف ابيه قيام اخيه ، متلطفا بخدمه ومواليه * متعطفا بكرمه على راجيه * عاشرته فوجدته فى الملاطفة الشمأل ، وفى المفاكهة الصاحب بل هو اكمل

ترجمة الشيخ عبدالمحسن رزق

(واما عبدالمحسن) فانه البحر الذى لايقرب من الصنه ، ولا يكدر المن انعامه ومنه * ذو ملاطفة حسنه ، ومباشرة لاتعبر عنها الالسنه ، وهمة لاتزال الى المعالى صاعده ، وعزمة عن المكارم غير متقاعده ، ومكارم على ممر الايام خالده

من الطويل

(مكارم تجريها يدالخير محسن * اذا طلبت جدواه ابصرته معنا)

(اغر عقيلي راينا به الندى * متى سار معناً جاريا معنا)

حسر عن ساعد جده وشمر فادرك ما ترابيه وماقصر ودأب فى اكتساب المحامد حتى خيل انه فيها الوالد واتصف باوصاف من بعضها المروة والانصاف واسع فنائه ليوسع شانه وتزدحم على ابوابه واصغى لمسامع خطابه ذوانفة وشجاعه واقدام وحزم وبراعه

منه ايضا

(بخفة طبع لايزال يزينها * رزانة حلم فوقه ووقار)

(ووجه غداة البذل يزهو كانه * وجوه رياض زانهن بهار)

(وعزم كان العضب بأرحده * وجاه عليه للفخار ازار)

(هو البدر الا انه غير كاسف * هو الشمس والمجد الاثيل مدار)

(وجوهرة لم يبرز الدهر مثلها * ولكن لها منه الكمال محار)

وبالجملة فلسان الحصر عن فضله ذو قصور والكرم وان نسب الى غيره فبالحقيقة عليه مقصور

منه ايضا

(لكل امرئ فخر ولكن فخره * اذا طلعت اقماره لم يدع فخرا)

(كشمس الضحى ان تبدلم تبق كوكبا * وبحر طمى زخاره فعلا النهرا)

(فلا تعجبوا من قذفه الدر فى الورى * فمن عادة القاموس ان تقذف الدرا)

ولدفى الزبارة كاخيه محمد فقمطه السعد قماطه ومهد وتواترت الافراح بطلعته واعملت القصايد لابيه فى تهنيته وصارت الشعراء بالاجازات عليه امرا وقال فيه من قال

منه ايضا

(فمن مثل عبدالمحسن القرم وارد * ولا كابيه الخير فى العصر والد)

(فذلك الى الاعطاء يشب وذاله * مكارم فى نحر الزمان فرائد)

(١١٣)

فبقى فى ايام والده يقتفيه فى مناهجه ومقاصده مسرورا بالاخلام من الاخوان وبنى الاعمام يسابق اخوانه الى الكرم ويتفاخرون فى معالى الامور والشيم الى ان غابت شمس والده فصبر تجلداً فى عين شامته ومكائده برزمن الرحم الى الدنيا ملحوظا بالحاظ العليا عام اثنتين بعد الالف والمائتين وهاهو ذا واحالها اليه فى المهمات المنتهى (واما خالد فانه ذو مكارم طاميه) وعزائم لا تزال فى المشكلات ماضيه ومحامد فى اذنى الزمان كقرطى ماريه ومعال اشهر من السنان فى العاليه وشرف له الكواكب السارية ساريه ومجد غمد بالصفاح واتد بالرماح وعطر ارجه الهضاب والبطاح وجاه امتد فى الطول والعرض حتى طبق ارجاء الارض وسودد البدر عماده والجوزآء نطاقه والثريا مهاده ونجابة تحير الافكار ولبابة هى الزهر والبهار وطلاقة هى الصبح فى الاسفار وعرض هو فى النقا النهار

ترجمة الشيخ خالد رزق

(طلاقة الصبح البهيج وعرضه * نهار واما طبعه فبهار)

(واما مزاياه فغرّ كواكب * لهن سمآء المكرمات مدار)

(يكاد اذا ما ابصر الضيف لانحا * يكلمه بيت له وجدار)

(كريم عليه للمهابة ملبس * يجرّ له فوق السماك ازار)

(هو البحر الا ان سائل كفه * لجين وطوراً جوهر ونضار)

(نمته الى العليا عقيل بن عامر * واعطته اعلام الفخار نزار)

(فيا لتجار فى الانام كمعصم * له الشرف الضخم التليد سوار)

(ويا خالد الذكر الذى فوق مجده * اليك بايمان العظام يشار)

(واشبهت فى الاعطا اباك فهل ترى * بجاريك فى سح اليمين بحار)

ولد فى ابان سعاده وايام مستطابة مستجاده فنشرت للافراح الاعلام وازهرت من الانس الاكام ونظرت مقل المسرة الى الانام وهنى به ابوه واستغنى بالجوائز مادحوه وزينت المحافل والمجالس ونثر الدر على المسامر والمجالس ونودى فى المعاهد والمشاهد من رام العوائد فليهنينا بخالد فانثالت الشعرآء من كل فج وشهد ذلك اليوم فكان يوم حج وطمى فيه بحرابيه وعج وتفاخرت الشعرآء بالتهانى واستغنى عند ذلك القاصى والدانى وفك اكراماً له كل عانى ومد بساط المكارم قبل ان تناط به التمائم

منه ايضا

(فيالك مولود بدا نجم سعده * با بان خير ما وجد ناله ندا)

(بدا في ليال زانها بجماله * كما زين الزهر الكمائم والوردا)

(به افتر وجه الدهر حسنا وبهجة * وشد عليه من مفاخره عقدا)

(لقد فارق الرحم الزكى مقره * كما فارق البيض المهندة الغمدا)

فما زال يشب الى المكارم شباب الورد فى الكمائم ويرتفع فى المعالى ارتفاع السنان فى العوالى يألف كل كريم ويأنف عن كل لئيم ذو ثغر بسام وفخر واف تام ومنطق ذا بيان عذب يتحدر منه كاللؤلؤ الرطب انى اشبه اباه فى اللسان فقد اشبهه بعلو الشان و كرم الاخلاق والبنان

منه ايضا

(فلا تنكروا منه مكارم جمة * فقد اشبهت يمنى ابيه يمينه)

(فلا عيب فيه غير تقوى وعفة * ولطف طباع للكرام تزينه)

(ومن يشبه الا بآء فى اى خصلة * يدم ابدا منه اليها حنينه)

قد برز عام السبع بعد المايتين والالف بكل خلق وزين وقد ذكر لى عن ابيه انه قدمه على كافة بنيه فلا بدع انه فى المكارم هو الكامل الخاتم (واما عبد العزيز فانه شقيق خالد) معدود على صغره من الاماجد معروف بمكارم الاخلاق والمحامد نهاض الى المعالى غير متقاعد ذو وسامه وحدة وشهامه و كرم لا يوجد فى ابن مامه وطبع ارق من المدامه وظرافة باهره ولطافة هى الارواح الناشره وشراحة هى الغمام الباكره

ترجمة الشيخ عبد العزيز بن رزق

منه ايضا

(عزائمه لا ينثنين عن العلى * فلا تنكروا ان تبلغ القطب والجديا)

(ولا تنكروا منه اتباع يمينه * بوافر بذل عنه قد ضاقت الدنيا)

(ومن احمد السامى ابوه وخالد * اخوه لاحرى ان افضله سعيا)

(وان انظم الدر الثمين من الثنا * واجعله فى نحر سودده حليا)

ولد عام التسع والمايتين بعد الالف فارتدى برود السيادة والتف وعظم الهنا اباى ميلاده ووفى الزمان بانجاز ميعاده وصدحت بلابل الفرح واخضلت غصون المنح وازهر روض السعاده واسفر بدر المروة والسياده واخذ بحر الكرم بالزياده وترنحت اعطاف

المسره

(١١٥)

المسره وبدا في وجه الدهر منها ابيض غره بقدوم تلك الدره وطلوع شمس المبره وتارج رع هذه النفحه وورود هذه المنحه

منه ايضا

﴿ لقد عظمت افراحنا مذ تبسمت ، وجوه الدنا منه بابيض ماجد ﴾

﴿ كريم له فخران فخر باحمد ، ابيه وفخر بالمقدم خالد ﴾

﴿ فما نزلا عن سودد يعر فانه ، ولا صفة محمودة بعد والد ﴾

﴿ ولا عجب ان يصبحا عز محتد ، ونعمة ذي قربى ونقمة حاسد ﴾

هذا وعبد العزيز وان صغر سنه فقد كبر قدره وكثر منه ابقاه الله الى ان يبلغ من آماله غاية افضاله ونهاية كماله (يقول) موشي برود وناظم قلائده وعقوده ومفوف مطارفه وثاني معاطفه ومحلي سوالفه وجاني ثمره ومنبت زهره ومطلع غرره في وجوه اسطره ﴿ الملتجي الى كرم الصمد عثمان بن سند ﴾ وفقه الله في القول والعمل وغفر له الزلل والخطل قد آن لي ان اجري يعامل الاقلام عن تدآب السير في مهامه النظام وان انيخها في مبارك الختام من كتابي الموسوم بسبائك العسجد في اخبار احمد ومن له من مكارم اصحاب هم لفلك السيادة اقطاب ولنحر الفضائل سحاب خدمت به حضرة ابنائه الكرام المستحقين نهاية التوقير والاحترام الشائدين من المعالي قبابها الشادين بالمكارم اطنابها المديرين افلاكها على اقطابها المبحرين في اوداء الاكف جود سحابها المعيدين بعد ذبوله غصن شبابها المسلسلين صحيح اخبارها المحسنين طرف آثارها المطلعين في افقها انوار اقمارها الناظمين لئالي قصارها المشهورين في قحطانها ونزارها شهرة ذكاء في رابعة نهارها

الخاتمة

منه ايضا

(اكارم تميهم الى المجد عامر ، وتسمو بهم يوم الفخار نزار)

(مقاول اما في الوغا فضياغم ، اسود واما في الندى فبحار)

فهم الجديرون ان يخدموا بمثل هذا الكتاب وتقرط آذانهم بجوهر كل ثناء مستطاب

منه ايضا

(وان اناسا قد تساموا باحمد ، حريون ان تسموا بهم هامة الشعر)

(فيا ليلة فوقت فيها مديحهم ، انيري لعيني تحسبي ليلة القدر)

فدونكم سبائك عسجد وفرائد في سلك البيان تنضد وخرائد حسان اختلستها من يد

(١١٦)

الزمان وعقود جمان نظمتها يد البيان وعرائس افكار زفتها يد الابتكار وزهرات فؤاد انضر من زاهرات الاوراد وبنات ذكا انور من ذكا وعذارى سطور افخر من ربات الخدور

منه ايضا

(عذارى قريض ماتخدرن عن ذكا • وان حجبت يوماً بخدر سطور)

(تبهرج فى زي المديح ولم تعب • فيا لعذارى لم تعب بظهور)

منظم الجوهر فى مدايح حبر لمؤلف الكتاب

فجدير بها ان تفخر على منظم الجوهر وان تكون لها المكانه على السلافة والريحانه لما انطوت عليه من اوصاف والدكم الحميده وذكر احواله التى لم تزل سعيده ونشر مكارمه ببنان كل قصيده فهي وان اختلست من يد الزمان جدير ان يضم عليها بالاجفان وان تشنف بها كل سمع وان تكتب بمداد هو الدمع

(فان تقبلو ها فهي كفو كريمة • ووالدكم بعل لها وهو الفخر)

(وان ترجعوها بعدما وصلتكم • فماهى الا غادة خانها الدهر)

منه ايضا

فالمأمول ممن وقف على هذه العجاله • واستصبح بنور هذه الذباله * وارتشف من هذه الزلاله • ان ينظرها بعين الانصاف * ويسلك منهج الاعتذار • عما فيها من الخلاف • فاي مقال ثبت له كمال • وانا احمد الله على الانعام • واصلي مع السلام • على اشرف الانام • وآله وصحبه الفخام • ماحبرت مطارف الختام

تم

(١١٧)

تم بحمد الله طبع كتاب سبائك العسجد * فى اخبار احمد نجل رزق الاسعد * تأليف الامام الاوحد * والعلامة المفرد * الشيخ عثمان بن سند البصرى رحمه الله بمنه وكرمه وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم اعيان البصرة ومشائخ الزبارة والبحرين والكويت وبعض اعيان نجد والبلاد العراقيه الذين كانوا فى اوائل القرن الثالث عشر من الهجرة النبويه * وما تضمنه من ايراد فضائلهم السنيه * ومحاسنهم الفائقة البهيه * وقد جرى طبعه بمطبعة البيان الكائنة بمنبي مشمولا بنظر مالك المطبعة حضرة السيد محمد رشيد بن المرحوم السيد داود السعدى على ذمة صاحب الفضيلة الابدية الباهرة * والهمة العلية الفاخرة * حضرة الشيخ عبدالله افندى العباسى * الشهير بباش اعيان دام كارام * وبلغ ماشاء بعون الله الملك المنان وكان الاتمام على هذا النضام فى الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة ثلاثمايه وسته بعد الالف من هجرة من خلقه الله على اكمل وصف

صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم

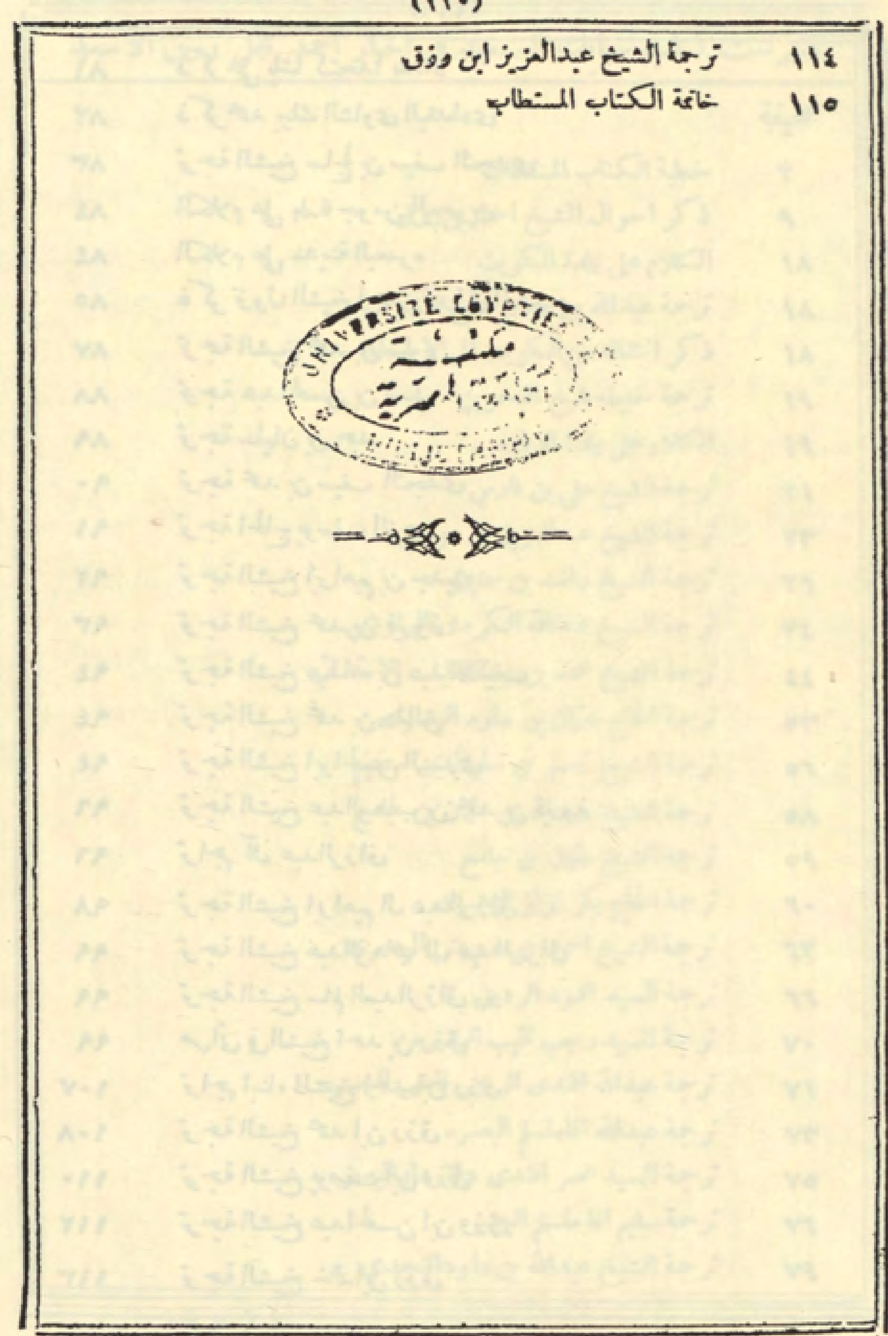
وعظم وشرف وكرم

(١١٨)

فهرست كتاب سبائك العسجد فى اخبار احمد نجل رزق الاسعد

ذكر على باشا

(٦١٩)



(١٢٠)

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- الألوسي، محمود شكري: المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق عبدالله الجبوري، دار العلوم، الرياض.

- الأنصاري، القاضي أحمد نور: النصرة في أخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٩م.

- آل بسام، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح: علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، ط٢، الرياض ١٩٩٩م.

- ابن بشر، عثمان بن عبدالله: عنوان المجد في تاريخ نجد، المطبعة السلفية، ط١، مكة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

- البردي، صالح بن عبدالعزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، تحقيق بكر بن عبدالله أبو زيد، ط١، بيروت ٢٠٠١م.

- البنعلي، راشد بن فاضل: مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، تحقيق حسن بن محمد بن علي آل ثاني، بدر للنشر، بيروت ٢٠٠١م.

- التاجر، محمد علي: عقد اللآل في تاريخ أوال، إعداد وتقديم إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام، البحرين ١٩٩٤م.

- الجاسر، حمد: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة، ط٣، الرياض ٢٠٠١م.

- --------: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية، جـ٣، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٩٨١م.

- أبو حاكمة، أحمد مصطفى: تاريخ شرقي الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة، محمد أمين عبدالله، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م.

- --------: تاريخ الكويت الحديث، ١٧٥٠ - ١٩٦٥، ذات السلاسل، ط١، الكويت ١٩٨٤م.

- الحقيل، حمد بن إبراهيم بن عبدالله: كنز الأنساب ومجمع الآداب، مطابع الجاسر، ط١٢، الرياض ١٩٩٣م.

- حلاق، حسان، وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والتركية، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٩٩م.

- الحلواني، أمين بن حسن المدني: مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سعد المسمى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داؤد، المطبعة الحسينية، بمباي ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م.

- ابن حميد، محمد بن عبدالله النجدي: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد وعبدالرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، بيروت ١٩٩٦م.

- الحيدري، إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله البغدادي: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، ط١، لندن ١٩٩٨م.

- خزعل، حسين خلف الشيخ: تاريخ الكويت السياسي، ج١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٦٢م.

- الدباغ، مصطفى مراد: قطر ماضيها وحاضرها، بيروت ١٩٦١م.

- الدجيلي، كاظم: الشيخ عثمان بن سند البصري، مجلة لغة العرب، المجلد الثالث، ١٩١٣م.

- ديكسون، هـ. ر. ب: الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح عبدالمحسن الخترش، ذات السلاسل، ط٢، الكويت ٢٠٠٢م.

- رؤوف، عماد عبدالسلام: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، بغداد، د.ت.

- الرشيد، عبدالعزيز: تاريخ الكويت، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون.

- الرومي، عدنان بن سالم الرومي: علماء الكويت أعلامها خلال ثمانية قرون، الكويت ١٩٩٩م.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط٣، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- ابن سند، عثمان: مطالع السعود تاريخ العراق من سنة ١١٨٨ - ١٢٤٢هـ/١٧٧٤-١٨٢٦م، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٩١م.

- السويدي، عبدالرحمن: تاريخ حوادث بغداد والبصرة من ١٧٧٢-١٧٧٨م، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، ط٢، بغداد ١٩٨٧م.

- الشملان، سيف مرزوق: من تاريخ الكويت، منشورات ذات السلاسل،ط٢، الكويت ١٩٨٦.

- الشيباني، محمد شريف: إمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر، ج١، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٢م.

- الصانع، عبدالرزاق عبدالمحسن، وعبدالعزيز العلي: كتاب إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩-١٣٤٢هـ، ج٣، ط١، الكويت ١٩٨٨م.

- صديق، عبد الرزاق محمد: صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، مطبعة المعارف، ط٢، الشارقة ١٩٩٤م.

- الطباطبائي، السيد عبدالجليل: روض الخل والخليل، ديوان السيد عبدالجليل، منشورات المكتب الإسلامي، ط٣، دمشق ١٩٦٤م.

- عبدالغني، مصطفى: مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث، دار الموقف العربي، القاهرة ١٩٨٠م.

- آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، الرياض ١٩٩٩م.

- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ)، ط١، دار اليمامة، الرياض ١٩٦٦م.

- ---------: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث

عشر وأول الرابع عشر، طبع ملحقاً لتاريخ ابن بشر، طبعة وزارة المعارف، الثانية، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- غزال، منى: تاريخ العتوب، آل خليفة في البحرين (١٧٠٠-١٩٧٠)، البحرين.

- ابن غنام، حسين: تاريخ نجد المسمى: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، تحقيق ناصر الدين الأسد، على نفقة عبدالمحسن أبا بطين، القاهرة ١٩٤٩م.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: ترتيب كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، انتشارات أسوه، ط١، قم (إيران) ١٤١٤هـ.

- الفيروآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت ٢٠٠٣م.

- القناعي، يوسف بن عيسى: صفحات من تاريخ الكويت، دار سعد، القاهرة ١٩٤٦م.

- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٧م.

- لوريمر، ج. ج: دليل الخليج، القسم التاريخي، طبعة معدلة، قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، الدوحة قطر، بدون تاريخ.

- ---------: دليل الخليج، القسم الجغرافي، طبعة معدلة، قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، الدوحة قطر، بدون تاريخ.

- المبارك، عبدالحسين، وعبدالجبار ناجي الياسري، من مشاهير أعلام البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٣م.

- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطنبول ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- مجهول: كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٧م.

- محمد، خالد سالم: جزيرة فيلكا لمحات تاريخية واجتماعية، الكويت ١٩٨٠م.

- مختار باشا، محمد: كتاب التواقيت الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية، مطبعة بولاق، القاهرة.

- مختارات بومباي (مختارات من سجلات حكومة بومباي): سلسلة جديدة ، رقم ٢٤ ، بمباي ١٨٥٦م.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، لاروس، ١٩٨٩م.

- النبهاني، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية «تاريخ البحرين»، المطبعة المحمودية، ط٢ (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م).

- النبهاني، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية «تاريخ البصرة»، المطبعة المحمودية، ط٢ (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م).

- نوار، عبدالعزيز سليمان: داود باشا والي بغداد، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٨م.

الفهرس العام

الفهرس العام(*)

(*) لم يُذكر كل من أحمد بن رزق وعثمان بن سند لورود اسميهما في غالبية صفحات الكتاب.

- ب -

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

٢ - النص المحقق

